موسوعة العلامة

ابن خلدون

المجلد الثالث عشر

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري

طباعة . نشر . توزيع

[illegible]

تلفون: ٣٩٢٢٢١٨ / ٣٩١٢٤٠١ فاكس: [illegible] (٢٠٢)

ص.ب: ١٥٦ [illegible]

FAX (202) [illegible]

ATT: MR. HASSAN [illegible]

دار الكتاب اللبناني
طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: داكلبان - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

تاريخ العلامة

ابن خلدون

المجلد الثالث عشر

I.S.B.N. 977 - 238 - 040 - 8

دار الكتاب المصري
٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً، كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني
شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكتبان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤١٨ - ١٩ هـ
H. 1418 - 19

١٩٩٨ - ٩٩ م
A.D. 1998 - 99

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث عشر

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

المجلد السابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

زناتة

الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة

هذا الجيل في المَغرب جيل قديم العهد، معروف العين والأثر؛ وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل، والتغلُّب في الارض وايلاف الرحلتين، وتخطُّف الناس من العمران، والاباية عن الانقياد للنصَفَة. وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة[1] البربر. ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقيّة والمغرب.

(١) كذا؛ وفي النسخة المطبوعة في الجزائر، تحقيق البارون دي سلان: رطاناتهم.

فنهم ببلاد النخيل ما بين غَـدامسَ والسوسَ الأقصى، حتى أنّ عامّة تلك القرى الجريديّة بالصحراء منهم كما نذكره. ومنهم قوم بالتلول بجبال طَرابُلسَ وضواحى إفريقيّة، وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليّين لهـذا العهد، واذعَنوا لحكمهم؛ والاكثر منهم بالمغرب الاوسط، حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة. ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى، وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين. وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم. ولم يزل الملك يتداول في شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم ان شاء الله تعالى.

الخبر عن نسبة زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم

اما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسّابتهم أنهم من ولد شانا وإليه نسبهم، وأما شانا فقال أبو محمّد بن حزم في كتاب الجمهرة، قال بعضهم: هو جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك[1] بن مادَغيس بن بَرْبَرْ. وقال أيضاً في كتاب الجمهرة: ذكر لي يوسف الورّاق عن أيوب بن أبي يزيد، يعني حين وفد على قرطبة عن أبيه الثائر بافريقية أيام الناصر قال: هو جانا بن يحيى بن صولات بن

(١) كذا، وفي ج: زجيك. وحرف «ج» هو اختصار: نسخة طبع الجزائر، تحقيق البارون دي سلان. وفي كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: «زجيك» أيضاً وهو الصحيح.

ورساك بن ضري بن مقبو[١] بن قروال[٢] بن يملا[٣] بن مادغيس بن زجيك[٤] بن همرحق[٥] بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن برير[٦] بن كنعان بن حام. هذا ما ذكره ابن حزم. ويظهر منه أنّ مادغيس ليس نسبة الى البربر[٧] وقد قدّمنا ما في ذلك من الخلاف، وهذا أصح ما ينقل في هذا الان ابن حزم، موثوق ولا يعدل به غيره.

ونقل عن ابن أبي زيد[٨] وهو كبير زناتة، ويكون البربر على هذا من نسل برنس فقط، والبتر الذين هم بنو مادغيس الأبتر ليسوا من البربر. ومنهم زناتة وغيرهم كما قدّمنا لكنهم أخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب

ونقل عن أبي محمد بن قتيبة في نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت في رواية ان زناتة هو شانا بن يحيى بن ضريس بن جالوت، وجالوت هو ونور بن هربيل بن جديلان بن جاد بن رديلان بن حصى بن باد بن زجيك بن مادغيس الابتر بن قيس بن

(١) كذا، وفي ج: ابن شقفون.
(٢) كذا، وفي ج: ابن بندواد.
(٣) كذا، وفي ج: تملا.
(٤) كذا، وفي ج: ابن هوك.
(٥) كذا، وفي ج: ابن هرسق.
(٦) كذا، وفي ج: ابن بديان.
(٧) كذا، وفي النسخة الباريسية (ب): برّ.
(٨) كذا، وفي ج: أبي يزيد.

عيلان. وفي رواية أخرى عنه انّ جالوت هو ابن جالود بن ديال ابن قحطان بن فارس، وفارس مشهور. وفي رواية أخرى عنه انه ابن هوبال بن بالود بن ديال بن برنس بن سفك، وسفك أبو البربر كلهم، ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون انهم من حِمْيَر، ثم من التبابعة منهم. وبعضهم يقول إنّهم من العمالقة، ويزعمون انّ جالوت جدّهم من العمالقة، والحق فيهم ما ذكره أبو محمد بن حزم أوّلا، وما بعد ذلك فليس شيء منه بصحيح. فأمّا الرواية الاولى عن أبي محمد بن قتيبة فمختلطة وفيها أنساب متداخلة.

وأمّا نسب مادغيس الى قيس عيلان فقد تقدّم في أوّل كتاب البربر عند ذكر أنسابهم، وان ابناء قيس معروفون عند النسابة وأمّا نسب جالوت الى قيس فأمر بعيد عن القياس، ويشهد لذلك انّ معد بن عدنان الخامس من آباء قيس انما كان معاصراً لبختنصّر كما ذكرناه أوّل الكتاب. وانه لما سُلِّط على العرب أوحى الله الى ارمياء نبيّ بني اسرائيل أن يُخَلِّص مَعَدّاً ويسير به الى أرضه، وبختنصر كان بعد داود بما يناهز أربعمائة وخمسين من السنين، فان خرّب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان له بمثل هذه المدّة. فمعدّ متأخِر عن داود بمثلها سواء؛ فقيس الخامس من أبنائه متأخر عن داود بأكثر من ذلك؛ فجالوت على ما ذكر انه من أبناء قيس متأخر عن داود بأضعاف ذلك الزمن. وكيف يكون ذلك مع انّ داود هو الذي قتل جالوتِ بنص القرآن؟

وأمّا ادخاله نسب جالوت في نسب البربر ، وانه من ولد مادغيس أو سفك فخطأ ، وكذلك من نسبه الى العمالقة . والحق انّ جالوت من بني فِلَسطين بن كسلوحيم بن مصرايم بن حام أحد شعوب حام بن نوح ، وهم اخوة القِبْطِ والبربر والحبشة والنوبة كما ذكرناه في نسب أبناء حام . وكان بين بني فلسطين هؤلاء وبين بني اسرائيل حروب كثيرة ، وكان بالشام كثير من البربر اخوانهم ، ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ، ودثرت أمّة فلسطين وكنعان وشعوبها لهذا العهد ، ولم يبق إلّا البربر ، واختص اسم فلسطين بالوطن الذي كان لهم فاعتقد سامع اسم البربر مع ذكر جالوت انه منهم وليس كذلك .

وأمّا ما رأى نسابة زناتة انهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البرّ وأبو محمد بن حزم وقالا : ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر إلّا في أكاذيب مؤرّخي اليمن ، وانما حمل نسّابة زناتة على الانتساب في حمير الترفّع عن النسب البربري لما يرونهم في هذا العهد خولًا وعبيداً للجباية وعوامل الخراج . وهذا وَهْمٌ فقد كان في شعوب البربر من هم مكافؤن لزناتة في العَصَبِيَّة أو أشدّ منهم مثل هُوّارة ومكناسة ، وكان فيهم من غلب العرب على ملكهم مثل كتامَة وصَنْهَاجَة ومن تلقّف الملك من يد صنهاجة مثل المصامدة ، كل هؤلاء كانوا أشدّ قوّة وأكثر جمعاً من زَنَاتة. فلما فنيت أجيالهم أصبحوا مغلّبين فنالهم ضرُّ المغرم ، وصار اسم

البربر مختصاً لهذا العهد بأهل المغرم؛ فأنف زناتة منه فراراً من المضيمة.

وأعجبوا بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزيّة بتعدّد الأنبياء ولا سيما نسب مُضَر وأنهم من وُلد اسمعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث بن آدم، خمسة من الأنبياء ليس للبربر اذا نسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم الذي هو الأب الثالث للخليقة اذ الاكثر من أجيال العالم لهذا العهد من نسله. ولم يخرج عنه لهذا العهد إلّا الأقلّ مع ما في العروبية أيضاً من عز التوحّش، والسلامة من مذمومات الخلق بانفرادهم في البيداء. فأعجب زناتة نسبهم وزيّنه لهم نسّابتهم، والحق بمعزل عنه، وكونهم من البربر بعموم النسب لا ينافي شعارهم من الغلب والعزّ، فقد كان الكثير من شعوب البربر مثل ذلك وأعظم منه. وأيضا فقد تميزت الخليقة وتباينوا بغير واحد من الأوصاف، والكل بنو آدم ونوح من بعده. وكذلك تميزت العرب وتباينت شعوبها والكل لسام .ولاسمعيل بعده.

وأمّا تعدّد الأنبياء في النسب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يضرّ الاشتراك مع الجيل[1] في النسب العام اذا وقعت المباينة لهم في الأحوال التي ترفع عنهم، مع انّ المذلة للبربر انما هي حادثة بالقلّة ودثور أجيالهم بالملك الذي حصل لهم، ونفقوا في سبله

(١) كذا، وفي ج: مع أهل الجيل.

وترفه كما تقدّم لك في الكتاب الأوّل من تأليفنا. وإلّا فقد كان لهم من الكثرة والعزّ والملك والدولة ما هو معروف.

وأما أن جيل زَناتة من العَمالِقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح وبعيد من الصواب لأنّ العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان: عمالقة من ولد عيصو بن اسحق، ولم تكن لهم كثرة ولا ملك، ولا نقل ان أحداً منهم انتقل الى المغرب، بل كانوا لقلتهم ودثور أجيالهم أخفى من الخفاء. والعمالقة الاخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بني اسرائيل، وكانت أريحاء دار ملكهم. وغلب عليهم بنو اسرائيل وابتزّوهم ملكهم بالشام والحجاز وأصبحوا حصائد سيوفهم؛ فكيف يكون هذا الجيل من أولئك العمالقة الذين دثرت أجيالهم؟ وهذا لو نقل لوقع به الاسترابة فكيف وهو لم ينقل؟ هذا بعيد في العادة. والله أعلم بخلقه.

وأما شعوب زناتة وبطونهم فكثير[1] ولنذكر المشاهير منها فنقول: اتفق نُساب زَناتة على أن بطونهم كلّها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم: وديك وفرني والديرت[2]، هكذا في كتب انساب زناتة. وذكر أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة له من ولد ورسيك عند نسابتهم مسّارَت ورغاي وواشروجن، ومن واشروجن

(١) قوله وأما شعوب الخ بهامش ما نصه من هنا إلى الشجرة الآتية أسماء بربرية لا يمكن ضبطها بل ولا النطق بها كما هي في لسانهم ولا يتعلق بها غرض منهم ا هـ: كتبه حسن العطار.

(٢) كذا، وفي ج: ورشيك وفريني والديدت.

واريفن بن واشروجن. وقال أبو محمد بن حزم في ولد ورسيك انهم مسارت وتاجرت[1] وراسين.

وأما فرني بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومرنجيصة وور كلة ونمالة وسبرترة، ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرترة وذكر الاربعة الباقية. وأمّا الديرت بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة جراو ابن الديرت، ولم يذكره ابن حزم. وانما قال عند ذكر الديرت: ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديرت وهم بطنان دمّر بن ورسيك وزاكيا بن ورسيك. قال: ودمر لقب واسمه الغانا. قال: فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين. قال: وأمهم واسين مملوكة لام مغراو وهم ثلاثتهم بنو يصلتن بن مسرا بن زاكيا. ويزيد نسابة زناتة في هؤلاء برنيان بن يصلتن أخاً لمغراو، ويفرن وواسين، ولم يذكره ابن حزم.

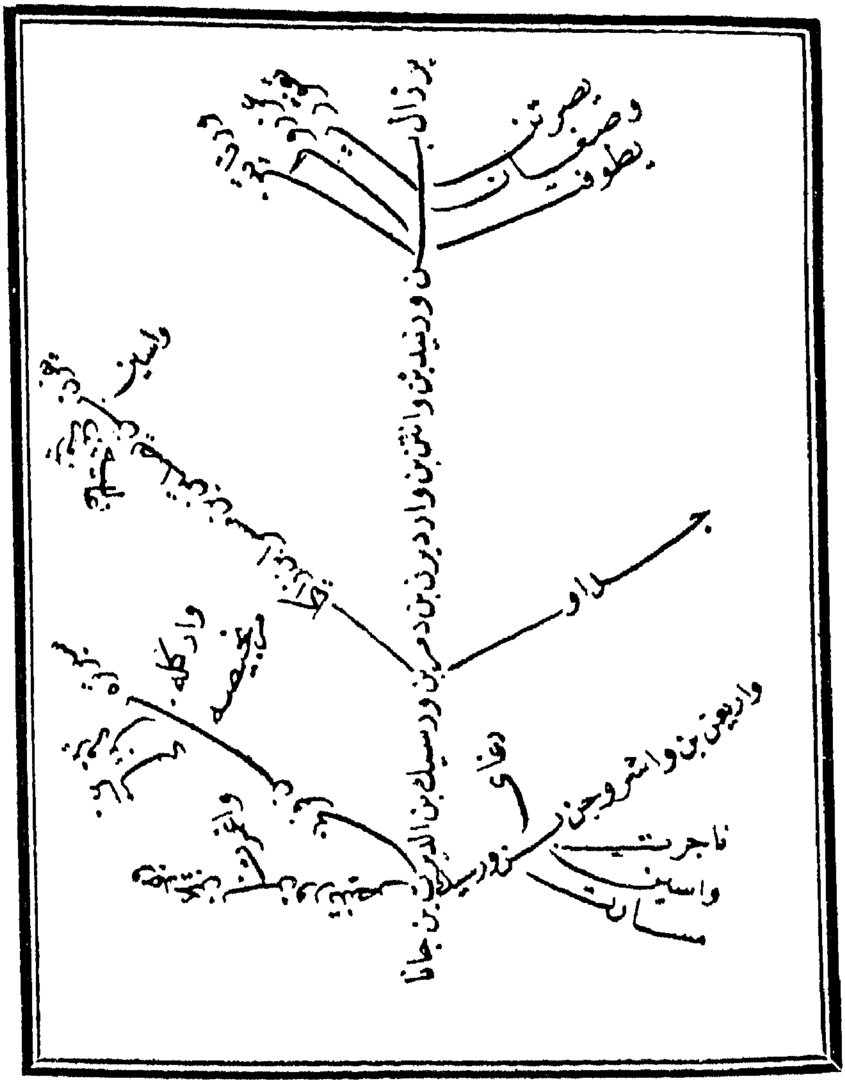
قال: ومن ولد دمر ورنيد بن وانتن بن وارديرن بن دمر، وذكر لبني دمر أفخاذاً سبعة وهم: غرزول ولقورة وورتاتين، وهؤلاء الثلاثة مختصون بنسب دمر، وبرزال ويصدرين وصغمان ويطوفت، هكذا ذكر أبو محمد بن حزم، وزعم انه من املاء أبي بكر بن يكنى البرزالي الاباضي، وقال فيه: كان ناسكاً عالماً بانسابهم. وذكر أن بني واسين وبني برزال كانوا أباضيّة، وأن بني يفرن ومغراوة كانوا سنية. وعند نسابة البربر مثل سابق بن

(١) كذا، وفي ج: تاجرة. وفي ب (النسخة الباريسية)؛ ياجرة.

سليمان المطاطي وهانىء بن صدور الكومي وكهلان بن أبي لوا، وهو مسطَّر في كتبهم ان بني ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطون وهم: بنو زاكيا وبنو دمر وآنشة بنو آنش، وكلهم بنو واردين وورسيك. فمن زاكيا بن واردين أربعة بطون: مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان وبنو واسين، كلهم بني يصلتن بن مسرا ابن زاكيا. ومن آنش بن واردين اربعة بطون: بنو يرنال وبنو صفهان وبنو يصدورين وبنو يطوفت كلهم بنو آنش بن واردين. ومن دمر بن واردين ثلاثة بطون: بنو تقورت وبنو غرزول وبنو ورتاتين كلهم بنو ويند بن دمر، هذا الذي ذكره نسَّابة البربر، وهو خلاف ما ذكره ابن حزم. ويذكر نسابة زناتة آخرين من شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يجفش، وهم أهل جبل قازاز قريب مكناسة وسنجاسن وورسيفان وتحليلة وتيسات وواغمرت وتيغرض ووجديجن وبني يلومي وبني ومانوا وبني توجين. على أن بني توجين ينتسبون في بني واسين نسباً ظاهراً صحيحاً بلا شك على ما يذكر في أخبارهم. وبعضهم يقول في وجديجن وواغمرت بنو ورتنيض (١) انهم من البرانس من بطون البربر على ما قدّمناه. وذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتح مصر خالد بن حميد (٢) الزناتي، وقال فيه: هو من هتورة احدى بطون زناتة،

(١) كذا، وفي ب بنو ورتنيد.
(٢) كذا، وفي ج خالد بن حمير.

ولم نره لغيره. هذا ملخص الكلام في شعوب زناتة وانسابهم بما لا يوجد في كتاب. والله الهادي الى مسالك التحقيق لا رب غيره.



فصل في تسمية زناتة ومبنى هذه الكلمة

اعلم انّ كثيراً من الناس يبحثون عن مبنى هذه الكلمة واشتقاقها على ما ليس معروفاً للعرب ولا لاهل الجيل أنفسهم فيقال : هو اسم وضعته العرب على هذا الجيل ، ويقال : بل الجيل وضعوه لانفسهم أو اصطلحوا عليه . ويقال : هو زانا بن جانا فيزيدون في النسب شيئاً لم تذكره النسابة . وقد يقال انه مشتق ولا يعلم في لسان العرب أصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروفه المادية . وربما يحاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنى ، ويعضده بحكاية خسيسة يدفعها الحق ، وهذه الاقوال كلها ذهاب[1] الى أنّ العرب وضعت لكل شيء اسماً ، وأنّ استعمالها انما هو لاوضاعها التي من لغتها ارتجالاً واشتقاقاً . وهذا انما هو في الاكثر ، وإلّا فالعرب قد استعملت كثيراً من غير لغتها في مسماه أمّا لكونه علما فلا يغير مثل : ابراهيم ويوسف واسحق من اللغة العبرانية ، وإمّا استعانة وتخفيفاً لتداوله بين الالسنة كاللجام والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والآجرّ ؛ فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم . ويسمونها المعرّبة ، وقد يغيّرونها بعض التغيير في الحركات أو في الحروف ، وهو شائع لهم لانه بمنزلة وضع جديد .

(١) كذا، والأصح : تذهب.

وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه في المخرج ، فان مخارج الحروف كثيرة منضبطة ، وانما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد . وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد. فمنها ما نطقت به الأمم ، ومنها ما لم تنطق به ، ومنها ما نطق به بعض العرب كما هو مذكور في كتب أهل اللسان. واذا تقرر ذلك فاعلم انّ أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله ، وهو جانا بن يحيى المذكور في نسبهم . وهم اذا أرادوا الجنس في التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء ؛ فقالوا جانات . واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نوناً فصار جاناتن. ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب ، بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين. ويقرب للسمع منها[1] بعض الصفير فأبدلوها زاياً محضة لاتصال مخرج الزاي بالسين ، فصارت زانات لفظاً مفرداً دالاً على الجنس . ثم الحقوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التي بعد الزاي تخفيفاً لكثرة دورانه على الالسنة. والله أعلم .

فصل في أولية هذا الجيل وطبقاته

أمّا أوليّة هذا الجيل بافريقية والمغرب فهي مساوقة لأوّليّة البربر منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلّا الله تعالى ، ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني

(١) كذا وفي ج. ويقرع السماع منها.

يرنيـان ووجد يجن وغمرة وبني ويجفش واسين وبني تيغرست وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد وبني برزال وبني ورنيد وبني زنداك وغيرهم. وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعدّدة. وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس الى جبل أوراس والزاب الى قبلة تِلِمْسَان، ثم الى وادي مَلَويّة. وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن.

ولما ملك الافرنجة بلاد البربر ودانوا لهم بدين النصرانية ونزلوا الامصار بالسواحل، وكان زناتة هؤلاء وسائر البربر في ضواحيهم؛ صاروا يؤدّون لهم طاعة معروفة وخراجاً معروفاً مؤقتاً، ويعسكرون معهم في حروبهم ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام، وزحف المسلمون الى افريقية، وملك الافرنجة بها يومئذ جرجير، فظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعاً. وقتل جرجير وأصبحت أموالهم مغانم ونساؤهم سبايا، وافتتحت سبيطلة. ثم عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جَلولاء وغيرها من الامصار، ورجع الافرنجة الذين كانوا يملكونهم على اعقابهم الى مواطنهم وراء البحر. وظن البربر بأنفسهم مقاومة العرب؛ فاجتمعوا وتمسّكوا بحصون الجبال. واجتمعت زناتة الى

الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس[1] حسبما نذكر، فأثخن العرب فيهم واتبعوهم في الضواحي والجبال والقفار حتى دخلوا في دين الاسلام طوعاً وكرهاً، وانقادوا الى ايالة مصر، وتولوا من أمرهم ما كان الافرنجة يتولونه. حتى اذا انحلت بالمغرب عرى الملك العربي وأخرجهم من افريقية البربر من كتامة وغيرهم، قدح هذا الجيل الزناتي زناد الملك فأورى لهم، وتداول فيهم الملك جيلاً بعد جيل في طبقتين حسبما نقصّه عليك ان شاء الله تعالى.

الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح

كانت هذه الأمّة من البربر بافريقية والمغرب في قوّة وكثرة وعديد وجموع، وكانوا يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة وملك الضواحي كلها لهم، وعليهم مظاهرة الافرنجة مها احتاجوا اليهم. ولما أطلّ المسلمون في عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير في زحفه اليهم حتى قتله المسلمون، وانفضّت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية موضع للقاء المسلمين بجمعهم لما كانت غزواتهم لكل أمّة من البربر في ناحيتها وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة. ولما اشتغل المسلمون في حرب عليّ ومعاوية اغفلوا أمر افريقية، ثم ولّاها معاوية بعد

(١) كذا، وفي ج: واراس وهو تحريف. وفي «الاستقصا»: جبل أوراس، وردت في عدة مواضع من الجزء الأول.

عام عُقْبَةَ بن نافع الفِهْرِيّ فأثخن في المغرب في ولايته الثانية ، وبلغ الى السوس ، وقتل بالزاب في مرجعه . واجتمعت البربر على كُسَيْلَةَ كبير أورْبة . وزحف إليه بعد ذلك زُهَير بن قيسٍ البَلَوِي أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان وأخرج المسلمين من افريقية .

وبعث عبد الملك حسَّان بن النُعمان في عساكر المسلمين فهزموا البربر ، وقتلوا كسيلة واسترجعوا القَيْروان وقرطاجَنَّة وإفريقيَّةَ وفرّ بقية الافرنجة والروم الى صِقِلِّيَّةُ والاندلس ، وافترقت رياسة البربر في شعوبهم . وكانت زنانة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعاً وبطوناً ، وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس ، وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا . وكانت رياستهم للكاهنة دهيا بنت (١) بن نيقان بن باورا بن مصكسري بن أفرد بن وصيلا ابن جراو . وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها ، فاستبدّت عليهم وعلى قومها بهم ، وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم .

قال هاني بن بكور الضريسي : ملكت عليهم خمساً وثلاثين سنة(٢) وعاشت مائة وسبعاً وعشرين سنة . وكان قتل عقبة بن

---

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي ج : دهيا بنت تابتة ، وفي ب : دهيا بنت تابتة ، وفي الاستقصا داهيا الزناتية صاحبة جبل أوراس .

(٢) كذا ، وفي ج : خمساً وستين سنة .

نافع في البسيط قبلة جبل أوراس بأغرائها برابرة تهودا عليه ، وكان المسلمون يعرفون ذلك منها . فلما انقضى جمع البربر ، وقتل كسيلة زحفوا الى هذه الكاهنة بمعتصمها من جبل أوراس ، وقد ضوي اليها بنو يفرَن[1] ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البُتّر فلقيتهم بالبسيط أمام جبلها . وانهزم المسلمون واتبعت آثارهم في جموعهـا حتى أخرجتهم من افريقية ، وانتهى حسّان الى بَرْقَـة فأقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك ، فزحف اليهم سنة أربع وسبعين وفضّ جموعهم ، وأوقع بهم وقتل الكاهنة ، واقتحم جبل أوراس عنوةً واستلحم فيه زهاء مائة ألف .

وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسّان قبل الواقعة ، أشارت عليهما بذلك أمهما دهيا لاثارة علم كان لديها في ذلك من شيطانها فتقبلهما حسّان . وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما . وعقد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى اليهم بجبـل أوراس . ثم افترق فلّهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم . وافترق جراوة أوزاعاً بين قبائل البربر ، وكان منهم قوم بسواحل مليلة ، وكان لهم آثار بين جيرانهم هنالك . واليهم نزع بن أبي العيش لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أوّل المائة الرابعة حسبما نذكره . فنزل عليهم وبنى القلعة بينهم الى ان خربت من بعد ذلك . والفلّ منهم بذلك الوطن الى الآن لهـذا العهد مندرجون في يطوفت

(١) محرّفة عن أفرن .

ومن اليهم من قبائل غمارة ، والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن مبتدأ دول زناتة في الاسلام
ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية

لما فرغ شأن الردّة من افريقية والمغرب ، وأذعن البربر لحكم الاسلام وملكت العرب ، واستقلّ بالخلافة ورياسة العرب بنو أميّة اقتعدوا كرسيّ الملك بدمشق ، واستولوا على سائر الأمم والأقطار ، وأثخنوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق ، وفَرْغَانة في الشمال والحَبَشَة في الجنوب ، والبربر في المغرب ، وبلاد الجلالقة والافرنجة في الاندلس . وضرب الاسلام بجرانه ، وألقت دولة العرب بكلاكلها على الأمم . ثم جدع بنو أُمَيَّة أنوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف ، والمدّعين استحقاق الأمر بالوصيّة. وتكرّر خروجهم عليهم ، فأثخنوا فيهم بالقتل والأسر ، حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار ، وتعدّدت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي كرّم الله وجهه إلى من بعده من بني هاشم : فقوم ساقوها الى آل العبّاس ، وقوم الى آل الحسن ، وآخرون الى آل الحسين ، فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام بها اليَمَنِيَّة فكانت الدولة العظيمة الجائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الأمويين قتلًا وسبياً . وخلص من جاليتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، فجدّد بها

دعوة الامويين، واقتطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية.

ثم نفس آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك، فخرج المهدي محمد بن عبدالله المدعوّ بالنفس الزكية في بني أبي طالب على أبي جعفر المنصور، وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلحمتهم جيوش بني العباس في وقائع عديدة. وفرّ ادريس بن عبدالله أخو المهدي ناجياً من بعض وقائعهم الى المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من أوروبة ومغيلة وصدينة، وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده، ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الاقصى والاوسط، وبثوا دعوة ادريس وبنيه من أهله بعده في أهله من زناتة مثل بني يِفرَن ومَغرَاوة وقطعوه من ممالك بني العباس. واستمرّت دولتهم الى حين انقراضها على يد العُبَيْدِيِّين.

ولم يزل الطالبيّون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصِيَة، الى ان دعا أبو عبدالله المحتَسِب بافريقية الى المهدي ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق، فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الأغالبة. ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق، ولم يبق لهم في نواحي المغرب دولة، ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مُضَر بعد أن رسخت الملّة فيهم، وخالطت بشاشة الايمان

قلوبهم ، واستيقنوا بوعد الصادق أنّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده .

فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوّضت مباني الدين بتقويض معالم الملك ، وعداً من الله لن يخلفه في تمام أمره واظهار دينه على الدين كله . فتناغى حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بني عبد مناف يسترون منها حسواً في ارتغاء الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ، ومكناسة بالمغرب . ونافسهم في ذلك زَنَاتَة ، وكانوا من أكثرهم جمعاً وأشدّهم قوّة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم ، فكان لبني يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ، ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه ملك ضخم . ثم كان لمغراوة على يد بني خَزَر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجة . ثم انقرضت تلك الاجيال وتجرّد الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم ، فكان لبني مرين بالمغرب الأقصى ملك ، ولبني عبد الواد بالمغرب الأوسط ملك آخر تقاسمهم فيه بنو توجين والفلُّ من مَغراوة حسبما نذكر ونستوفي شرحه ، ونجلب[1] أيامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر ، والله المعين سبحانه لا رب سواه ولا معبود إلّا اياه .

---

(١) بمعنى : نجمع ، وهي نادرة الاستعمال بهذا المعنى . وفي القاموس ، جلب جلباً : اجتمع وكثيراً ما يعمد المؤلف ابن خلدون إلى استعمال كلمات لا تستعمل إلا نادراً .

بَنُو يفْـــرَن

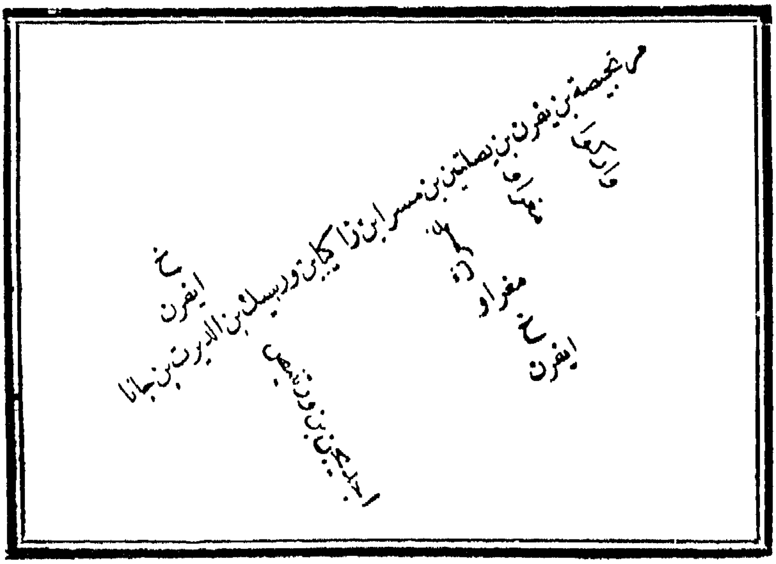
الطبقة الأولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بني يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب

وبنو يِفرَن هؤلاء من شعوب زَناتَة، وأوسع بطونهم، وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن[١] بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت[٢] بن جانا، واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، والكل بنو يصلتين. ويفرن في لغة البربر هو القار[٣]. وبعض نسابتهم يقولون إنّ يفرن هو ابن ورتنيذ[٤] بن جانا، واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن. وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك ابن جانا. وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبــه والصحيح ما نقلناه عن أبي محمد بن حزم.

وأما شعوبهم فكثير، ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة. وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة، وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطون وشعوب، فلما كان الفتح غشي افريقية ومن بها من البربر

(١) كذا، وفي ج: ايفري.
(٢) كذا، وفي ج: أديدت.
(٣) كذا، وفي ج: الفار، وفي ب: الغار.
(٤) كذا، وفي ج: ونيتز، وفي ب: ونيتص.

جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه، وحسن اسلامهم. ولما فشا دين الخارجيّة في العرب، وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية، وصاروا يبثون بها دينهم في البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية في أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه في بابه، ففشا في البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه، وقاتلوا عليه. وكان أوّل من جمع لذلك منهم أبو قرّة من أهل المغرب الاوسط. ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة. ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفصّلًا ان شاء الله تعالى.



الخبر عن أبي قرة وما كان لقومه من الملك بتلمسان ومبدأ ذلك ومصادره

كان من بني يِفرَن بالمغرب الأوسط بطون كثيرة بنواحي تِلِمْسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد، وهم الذين اختطُّوا تلمسان كما نذكره في أخبارها. وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أميّة الى بني العبّاس أبو قُرّة ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم. ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام مَيْسَرَةُ وقومه بدعوة الخارجيّة وقتله البرابرة قدموا على أنفسهم مكانه خالد بن حميد من زَنَاتَة، فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ما هو معروف. ورأس على زناتة من بعده أبو قرّة هذا.

ولما استأثلت[1] دولة بني أمية كثرت الخارجية في البربر، وملك وَرْفَجومَةُ القيروان، وهُوّارة، وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة، وابن رستم تاهَرْت. وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل أبي جَعْفَر المنْصور، وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب. ثم انتقض بنو يفرن تلمسان ودعوا إلى الخارجية وبايعوا أبا قرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة، وسرح إليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب. وفرّ أبو قرة الى المغرب الاقصى، ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب.

---

(١) كذا، وفي ج: التاثث.

ولما انتقض البرابرة على عُمَرَ بن حفص بن أبي صُفْرَة الملقّب «هزارمرد» عام خمسين ومائة وحاصروه بطُبْنَة كان فيمن حاصره أبو قرة اليفرَني في أربعين ألفاً صُفرِيّة من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار، وداخل أبا قرة في الافراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفاً، ولابنه أربعة آلاف، فارتحل بقومه وانفضّ البرابرة عن طُبْنَة. ثم حاصروه بعد ذلك بالقيروان واجتمعوا عليه، وأبو قرة معهم بثلثمائة وخمسين ألفاً: الخيّالة منها خمسة وثمانون ألفاً. وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار.

وقدم يزيد بن حاتم والياً على إفريقيّة ففضّ جموعهم وفرّق كلتهم، ولحق أبو قرة ببني يفرن أصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكِنْدِيّ رأس الخوارج، واستلحم بني يفرن وتوغّل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأثخن في أهله الى ان استكانوا واستقاموا. ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شأن أبي يزيد بافريقية في بني واركوا ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شاء الله تعالى الكريم. وبعض المؤرخين ينسب ابا قرة هذا الى مغيلة، ولم أظفر بصحيح في ذلك، والطرائق متساوية في الجانبين فانّ نواحي تلمسان وان كانت موطناً لبني يفرن فهي أيضاً موطن لمغيلة، والقبيلتان متجاورتان. لكن بني يفرن كانوا أشدّ قوّة وأكثر جمعاً ومغيلة أيضاً كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لانهم كانوا صُفرِيّة. وكثير من الناس يقولون إنّ

بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنّة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم .

الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبدأ أمره مع الشيعة ومصائره

هذا الرجل من بني واركوا اخوة مرنجيصة، وكلهم من بطون بني يفرن، وكنيته أبو زيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا. وقال أبو محمد بن حزم: ذكر لي أبو يوسف الورّاق عن أيوب بن أبي يزيد ان اسمه مخلد بن كيداد[١] بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريثت بن حونيفر[٢] ابن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة. قال: وقد اخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن وجانا، اه كلام ابن حزم. ونسبه ابن الرقيق أيضاً في بني واسين بن ورسيك بن جانا، وقد تقدّم نسبهم أوّل الفصل. وكان كيداد أبوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولدله أبو يزيد، بكركوامن بلادهم، وامه ام ولد[٣] اسمها سبيكة، ورجع بـه الى قيطون زناتة ببلاد قصطيلة. ونزل تَوْزَر متردِّداً بينها وبين تَقْيوس، وتعلم القرآن وتأدب، وخالط النكاريه فمال الى مذاهبهم وأخذها عنهم، ورأس فيها ورحل الى

(١) كذا، وفي ب: كنداك.
(٢) كذا، وفي ج: جونفر، وفي ب: جوسفر.
(٣) أم ولد: أي جارية، بلغة أهل الفقه.

مشيختهم. وأخذ عن أبي عُبَيْدَةَ منهم ايام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة.

ومات ابوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر، فكان اهل القيطون يصلونه بفضل اموالهم، وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية. واشتهر عنه تكفير أهل الملّة وسبّ علي فخاف وانتقل الى تقيوس. وكان يختلف بينها وبين توزر، واخذ نفسه بالتغيير على الولاة. ونمي عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقسطيلة دمه، فخرج الى الحج سنة عشر وثلثمائة، وارهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس. ولما هلك عبدالله اوعز القائم الى اهل قسطيلة في القبض عليه، فلحق بالمشرق وقضى الفرض وانصرف الى موطنه. ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستتراً.

وسعى به ابن فرقان عند والي البلد فتقبّض عليه واعتقله؛ وأقبل سَرَعان [1] زناتة الى البلد ومعهم ابو عمّار الأعمى رأس النكارية واسمه كما سبق عبد الحميد. وكان ممن اخذ عنه ابو يزيد فتعرّضوا للوالي في اطلاقه؛ فتعلل عليهم بطلبه في الخراج؛ فاجتمعوا الى فضل ويزيد ابني ابي يزيد، وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس واخرجوه؛ فلحق ببلد بني واركلا، واقام بها سنة يختلف الى جبل اوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة، والى بني

(١) سرعان القوم أو الخيل: أوائلهم السابقون. يقال: جاء في سرعان الناس ـ قاموس.

زنداك من مَغراوة الى ان اجابوه فوصل الى اوراس ، ومعه ابو عمّار الاعمى في اثني عشر من الراحلة . ونزلوا على النكارية بالنوالات [١] واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج ، واخذ له البيعة عليهم ابو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي، وعلى انهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى، وذلك سنة احدى وثلاثين .

وترصدوا غيبة صاحب باغاية في بعض وجوهه فضربوا على بسيطها ، واستباح بعض القصور بها سنة اثنتين وثلاثين ، وغمس بذلك ايدي البربر في الفتنة . ثم زحف بهم الى باغاية واستولت عليه وعلى اصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل . وزحف اليهم صاحب باغاية فانهزم ورجع الى بلده فحاصره ابو يزيد ، واوعز ابو القاسم القائم الى كتامة في امداد كنون صاحب باغاية فتلاحقت به العساكر فبيّتهم ابو يزيد وأصحابه ؛ ففلوهم ، وامتنعت عليه باغاية. وكاتب ابو يزيد البربر الذين حول قسطيلة من بني واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وستين ، ورحل الى تبسة فدخلها صلحاً ، ثم الى بجاية كذلك ، ثم الى مُرْمَاجَنَّة كذلك، واهدوا له حماراً اشهب ، فلزم ركوبه حتى اشتهر به . وبلغ خبره عساكر كتامة بالاربس ، فانفضوا وملك الاربض [٢] وقتل امام الصلاة بها . وبعث عسكراً الى تَبِسَّة فملكوها وقتلوا عاملها . وبلغ الخبر القائم

(١) اسم موضع ينزل به هؤلاء النكارية .

(٢) كذا بالأصل، وقد وردت باسم الأربص أيضاً، وهو تحريف. وهي : الأربس كما في معجم البلدان .

وهو بالمهديّة فهاله ، وسرح العساكر لضبط المدن والثغور ، وسرح مولاه بشرى الصقلبي الى باجة ، وعقد لميسور على الجيوش فعسكر بناحية المهدية . وسرح خليل بن اسحق الى القيروان فعسكر بها .

وزحف ابو يزيد الى بشرى بباجة ، واشتدت الحرب بينهم ، وركب ابو يزيد حماره وامسك عصاه فاستمات النكارية وخالفوا بشرى الى معسكره فانهزم الى تونس . واقتحم ابو يزيد باجة واستباحها ، ودخل بشرى الى تونس وارتدت البرابر من كل ناحية فأسلم تونس ولحق بسوسة . واستأمن اهل تونس الى ابي يزيد فأمنهم وولّى عليهم وانتهى الى وادي مجردة فعسكر بها . ووافته الحشود هنالك ، ورعب الناس منه فاجفلوا الى القيروان ، وكثرت الاراجيف وسرّب ابو يزيد جيوشه في نواحي افريقية ، فشنوا الغارات واكثروا السبي والقتل والاسر . ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية . ونزل ابو يزيد رقادة في مائة ألف .

ثم زحف الى القيروان فانحصر بها خليل بن اسحق . ثم اخذه بعد مراوضة في الصلح ، وهمّ بقتله فأشار عليه ابو عمّار باستبقائه فلم يطعه وقتله ، ودخلوا القيران فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فأمنهم بعد التقريع والعتب ، وعلى ان يقتلوا أولياء الشيعة. وزحف وبعث رسله في وفد من اهل القيروان إلى الناصر الاموي صاحب قُرْطُبَة ملتزماً لطاعته والقيام لدعوته وطالباً لمدده ، فرجعوا اليه

بالقبول والوعد. ولم يزل يردد ذلك سائر ايام الفتنة حتى اوفد ابنه ايوب في آخرها سنة خمس وثلاثين، فكان له اتصال بالناصر سائر ايامه. وزحف ميسور من المدية بالعساكر، وفر عنه بنو كملان من هُوارة ولحقوا بأبي يزيد وحرّضوه على لقاء ميسور فزحف اليه، واستوى اللِقاء. واستمات ابو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله بنو كملان وبعث برأسه الى القيروان، ثم الى المغرب، واستبيح معسكره.

وسرّح أبو يزيد عساكره الى مدينة [1] فاقتحموها عَنوَةً وأكثروا من القتل والمثلة. وعظم القتل بضواحي افريقية، وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع. واستخف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره. ونكر عليه أصحابه ذلك وكاتبه به رؤساؤهم من البلاد، والقائم خلال ذلك بالمهدِيّة يخندق على نفسه ويستنفر كتامَةَ وصَنهاجة للحصار معه. وزحف أبو يزيد حتي نزل المهديّة وناوش عساكرها الحرب، فلم يزل الظهور عليهم، وملك زويلة. ولما وقف بالمصلى قال القائم لاصحابه: من ههنا يرجع، واتصل حصاره للمهدية، واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة.

وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم في الثالثة ولم يقلع وكذلك في الرابعة. واشتد الحصار على أهل المهدية ونزل الجوع بهم.

(١) كذا بياض بالأصل، وفي ب: مدينة سوسة.

واجتمعت كتامة بقُسَنْطِينَة وعسكروا بها لامداد القائم ، فسرَّح اليهم أبو يزيد يكموس(١) المزاتي من ورفجومة فانفضَّ معسكر كتامة من قسنطينة. ويئس القائم من مددهم وتفرّقت عساكر أبي يزيد في الغارات والنهب فخف المعسكر ، ولم يبق بـه إلّا هوارة وراس وبنو كملان. وكثرت مراسلات القائم للبربر.

واستراب بهم أبو يزيد ، وهرب بعضهم الى المهديّة ورحـل آخرون الى مواطنهم فأشار عليه أصحابه بالافراج عن المهدية فأسلموا معسكرهم ، ولحقوا بالقيروان سنة أربع وثلاثين. ودبّروا أهل القيروان في القبض عليه فلم يتهيأ لهم ، وعذله أبو عمـار فيما أتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب وأقلع ، وعاود لبس الصوف والتقشُّف. وشاع خبر اجفاله عن المهـدية فقتل النكارية في كل بلد ، وبعث عساكره فعاثوا في النواحي وأوقعوا بأهل الامصار وخربوا كثيراً منها. وبعث ابنه أيوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر وسائر النواحي؛ فلم يفجأه إلّا وصول عليّ ابن حمدون الاندلسي صاحب المسيلة في حشد كتامـة وزواوة ، وقد مرّ بقسنطينة والاربس وسقنبارية ، واصطحب منها العساكر فبيته أيوب وانفض معسكره ، وتردّى به فرسه في بعض الاوعار فهلـك.

ثم زحف أيوب في عسكره الى تونس وقائدها حسن بن علي

---

(١) كذا، وفي ج: زكوا.

من دعاة الشيعة فانهزم، ثم أتيحت له الكرّة. ولحق حسن بن علي ببلد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة. وسرّح أبو يزيد جموع البربر لحربه. ثم اجتمعت لابي يزيد حشود البربر من كل ناحية، وثابت اليه قوّته. وارتحل الى سوسة، فحاصرها ونصب عليها المجانيق. وهلك القائم سنة أربع وثلاثين في شوّال وصارت الخلافة لابنه اسمعيل المنصور، فبعث بالمدد الى سوسة بعد ان اعتزم على الخروج اليها بنفسه فنعه أصحابه. ووصل المدد الى سوسة، فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان، فامتنعت عليه، فاستخلص صاحبه أبا عمّار من أيديهم وارتحل عنهم.

وخرج المنصور من المهدية الى سوسة، ثم الى القيروان فلكها وعفا عن أهلها وأمّنهم، وأحسن في مخلّف أبي يزيد وعياله. وتوافى المدد الى أبي يزيد ثالثة فاعتزم على حصار القيروان، وزحف الى عسكر المنصور بساحتها فبيّتهم، وأشتدّ الحرب واستمات الاولياء وافترقوا آخر نهارهم، وعاودوا الزحف مرّات، ووصل المدد الى المنصور من الجهات. حتى اذا كان منتصف المحرّم كان الفتح، وانهزم أبو يزيد وعظم القتل في البربر ورحل المنصور في اتباعه فمرّ (١) ثم تبسّه حتى انتهى الى باغاية.

ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاية والاستعداد للمظاهرة، فكتب اليه بترصد أبي يزيد والقبض عليه، ووعده في

(١) كذا بياض بالأصل، وفي ج: فمر بسبيبة ثم بتبسة.

ذلك بعشرين حملًا من المال. ثم رحل الى طبنة فوافاه بها جعفر ابن عليّ عامل المسيلة بالهدايا والاموال. وبلغه أنّ أبا يزيد نزل بَسْكرة وانه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة، فلم يجد عنده ما يرضيه، فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقّاه اهلها. وفرّ أبو يزيد الى بني برزال بجبل سالات، ثم الى جبل كتامة(١) وهو جبل عياض لهذا العهد، وارتحل المنصور في أثره الى ومرة(٢) وبيته أبو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر وانحاز الى جبل سالات. ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان، وأمّنهم المنصور على يد محمد بن خزَر.

وسار المنصور في التعبية حتى نزل جبل سالات، وارتحل وراءه الى الرمال. ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة، وبلغه رجوع أبي يزيد الى جبل كتامة فرجع اليه، ونزل عليه المنصور في كتامة وعجيسة وزواوة وحشد بني زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة. وتقدّم المنصور اليه فقاتلوا أبا يزيد وجموع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبل كتامة. ورحل المنصور الى المسيلة وانحصر أبو يزيد في قلعة الجبل، وعسكر المنصور ازاءها واشتدّ الحصار، وزحف اليها مرات. ثم اقتحمها عليهم فاعتصم أبو يزيد بقصر في ذروة القلعة فأحيط به واقتحم، وقتل أبو عمار الاعمى ويكموس(٣)

(١) كذا، وفي ج: جبل كيانة.
(٢) كذا، وفي ج: مغرة.
(٣) كذا، وفي ج: يدوّس.

المزاتي، ونجا أبو يزيد مثخناً بالجراحة محمولاً بين ثلاثة من أصحابه فسقط في مهواة من الاوعار فوهن، وسيق من الغداة الى المنصور فأمر بمداواته.

ثم أحضره ووبّخه، وأقام الحجة عليه وتجافى عن دمه. وبعثه الى المهدية، وفرض له بها الجراية فجزاه خيراً. وحمل في القفص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين. وأمر به فسلخ وحشي جلده بالتبن وطيف به في القيروان. وهرب الفلّ من أصحابه الى ابنه فضل وكان مع معبد بن خزر فأغاروا على ساقة المنصور، وكمن لهم زيري بن مناد أمير صنهاجة فأوقع بهم. ولم يزل المنصور في اتباعه الى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد، ووافاه بمعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل عامل تيهرت من أوليائهم، وانه ركب البحر من تنس الى العدوة، فارتحل الى تِيْهَرْت[1] وولى عليها وعلى تنس. ثم قصد لواتة فهربوا الى الرمال. ورجع الى افريقية سنة خمس وثلاثين. ثم بلغه انّ فضل بن أبي يزيد أغار على جهات قسطيلة فرحل من سنته في طلبه، وانتهى الى قفصه ثم ارتحل الى [2] من أعمال الزاب، وفتح حصن ماداس مما يليه. وهرب فضل في الرمال فأعجزه، ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين. ومضي فضل الى جبل أوراس، ثم سار منه الى باغاية

(١) هي: تاهرت وقد تسمى تيهرت، كما في معجم البلدان.
(٢) كذا بياض بالأصل، وفي ج: ميطلة، وفي ب: مديليه.

فحاصرها. وغدر به ماطيط[1] بن يعلي من أصحابه، وجاء برأسه الى المنصور وانقرض أمر أبي يزيد وبنيه، وافترقت جموعهم. واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك أيوب بن أبي يزيد، وجاء برأسه الى المنصور متقرّباً اليه. وتتبّع المنصور قبائل بني يفرن بعدها الى أن انقطع أثر الدعوة. والبقاء لله تعالى وحده.

الخبر عن الدولة الأولى لبني يفرن بالمغرب الأوسط والأقصى ومبادىء أمورهم ومصايرهم

كان لبني يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن، فكان منهم بافريقية بنو واركوا ومرنجيصة وغيرهم كما قدّمناه، وكان منهم بنواحي تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثير عددهم وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان كما نذكره بعد. ومنهم أبو قرّة المنتزي بتلك الناحية لاوّل الدولة العباسيّة، وهو الذي حاصر عمر بن حفص بطُبْنَة كما تقدّم. ولما انقرض أمر أبي يزيد وأثخن المنصور فيمن كان بافريقية من بني يِفْرَنَ أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحي تلمسان على وفودهم. وكان رئيسهم لعهد أبي يزيد محمدبن صالح. ولما تولّى المنصور محمد بن خزر وقومه مغراوة، وكان بينه وبين بني يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح

(١) كذا: وفي ج: باطيط.

على يد عبد الله بن بكار من بني يفرن ، كان متحيزاً الى مغراوة. وولي أمره في بني يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته ، واختط مدينة ايفكان .

ولما خطب عبد الرحمن الناصر طاعة الأموِيّة من زناتة أهل العدوة واستالف ملوكهم ، سارع يعلى لاجابته واجتمع عليها مع الخير بن محمد بن خَزَر وقومه مغراوَةَ ، وأجلب على وهران ؛ فملكها سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة من يد محمد بن عون، وكان ولّاه عليها صولات اللميطي[1] أحد رجالات كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدخلها يعلى عنوةً على بنيه وخربها . وكان يعلى قد زحف مع الخير بن محمد الى تاهرت ، وبرز اليه ميسور الخصي في شيعته من الماية؛ فهزموهم وملكوا تاهرت ، وتقبّضوا على ميسور وعبد الله ابن بكار؛ فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ليثأر به فلم يَرْضه كفؤاً لدمه ، ودفعه الى من ثأر به من بني يفرن . واستفحل سلطان يعلى في ناحية المغرب ، وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهَرْت الى طنجة .

واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على امصار المغرب : فعقد على فاس لحمد بن الخير بن محمد بن عشيره، ونسك محمد لسنة من ولايته ، واستأذن في الجهاد والرباط بالاندلس فاجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن عثمان بن سعيد ، وهو الذي

(١) كذا، وفي ج: دواس بن صولات اللهيصي.

اختط مـأذنة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه. ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيمـاً الى أن أغزى المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلي من القيروان الى المغرب سنة سبع وأربعين. فلما فصل جوهر بالجنود عن تخوم افريقية بادر أمير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرني الى لقائه والاذعان لطاعته والانحياش اليه، ونبذ عهد الاموية، وأعمل إلى لقيه الرحلة من بلده ايفكان واعطاه يد الانقياد. وعهد البيعة عن قومه بني يفرن وزناتة؛ فتقبلها جوهر وأضمر الفتك به، وتخيرّ لذلك يوم فصوله من بلده.

وأسر الى بعض مستخلصيه من الاتبـاع؛ فأوقعوا نفرة في أعقاب العسكر طار اليها الزعماء من كتامة وصنهـاجة وزناتة، وتقبّص على يعلى فهلك في وطيس تلك الهيعة فغصّ بالرماح على أيدي رجالات كتامة وصنهاجة، وذهب دمه هدراً في القبائل. وخرب جوهر مدينة ايفكان، وفرت زناتة أمامه، وكشف القناع في مطالبتهم. وقد ذكر بعض المؤرخين انّ يعلى انما لقي جوهراً عند منصرفه من الغزاة بمدينة تاهرت، وهنالك كان فتكه به بناحية شلف، فتفرقت بعدها جماعة بني يفرَن وذهب ملكهم فلم يجتمعوا الا بعد حين على ابنه بدوي بالمغرب كما نذكره. ولحق الكثير منهم بالاندلس كما يأتى خبره في موضعه، وانقرضت دولة بني يفرن هؤلاء الى أن عادت بعد مدّة على يد يعلى بفاس.

ثم استقرت آخراً بسلا وتعاقبت فيهم هنالك الى آخرها كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن الدولة الثانية لبني يفرن بسلا من المغرب الأقصى وأولية ذلك وتصاريفه

لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعزّ بيعلى بن محمد أمير بني يفرَن، وملك المغرب سنة سبع وأربعين كما ذكرناه، وتفرقت جموع بني يفرن لحق ابنه بدوي بن يعلى بالمغرب الاقصى وأحسّ بجوهر من ورائه فأبعد المفرّ وأصحر الى أن رجع جوهر من المغرب. ويقال انّ جوهراً تقبّض عليه واحتمله أسيراً فاعتقل الى ان فرّ من معتقله بعد حين، واجتمع عليه قومه من بني يفرن. وكان جوهر عند منصرفه من المغرب ولى على الادارسة المتحيزين الى الريف وبلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بني محمد منهم فنزل (١)

وأجاز الحكم المستنصر لاوّل ولايته سنة خمس (٢) وثلثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طملس في العساكر لتدويخ المغرب، فجمع له الحسن بن كنون وأوقع به، ورجع الى الاندلس مفلولاً فسرح الحكم فولاه غالباً لتدويخ المغرب واقتلاع جرثومة الادارسة،

(١) كذا بياض بالأصل، وفي ج: فنزل البصرة.
(٢) كذا، وفي ج: سنة خمسين وثلاثمائة.

فاجاز في العساكر وغلبهم على بلادهم وأزعجهم جميعاً عن المغرب الى الاندلس سنة خمس وستين كما ذكرناه . ومهد دعوة الاموية بالمغرب، وأقفل الحكم مولاه غالباً ورده الى الثغر لسده، وعقد على المغرب ليحيي بن محمد بن هاشم التجيبي صاحب الثغر الاعلى، وكان اجازه مدداً لغالب في رجال العرب وجند الثغور حتى اذا انغمس الحكم في علة الفالج، وركدت ريح المروانيـة بالمغرب واحتاجت الدولة الى رجالها لسد الثغور ودفاع العدو، استدعى يحيي بن محمد بن هاشم من العدوة، واداله الحاجب المصحفي بجعفر ابن علي بن حمدون أمير الزاب والمسيلة النـازع اليهم من دعوة الشيعة، وجمعوا بين الانتفاع به في العدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة ومن البرابرة في التياث الخلافة، لما كانوا اصاروا اليه من النكبة، وطوقوه من المحنة . ولما كان اجتمع بقرطبة مـن جموع البرابرة فعقدوا له ولاخيه يحيي على المغرب، وخلعوا عليهما. وامكنوهما من مال دثر وكسي فاخرة للخلع على ملوك العدوة، فنهض جعفر إلى المغرب سنة خمس وستين وضبطه .

واجتمع اليه ملوك زناتة مثل بدوي [1] بن يعـلى امـير بني يفرن وابن عمه نوبخت بن عبدالله بن بكار، ومحمد بن الخير بن خزر وابن عمه بكساس ابن سيد الناس، وزيري بن خزر وزيري ومقاتل ابنا عطية بن تبادلت وخزرون بن محمد وفلفول بن سعيد امير مغراوة

(١) كذا، وفي ج: يدو.

واسمعيل بن البوري امير مكناسة ، ومحمد بن عمه عبد الله بن مدين وخزرون بن محمد الازداجي ، وكان بدوي بن يعلى من اشدهم قوة واحسنهم طاعة . ولما هلك الحكم وولي مكانه هشام المؤيد، وانفرد محمد ابن ابي عامر بحجابته اقتصر من العدوة لاول قيامه على مدينة سبتة؛ فضبطها بجند السلطان ورجال الدولة ، وقلدها الصنائع من أرباب السيوف والاقلام ، وعوّل في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوائز والخلع ، وصار الى اكرام وفودهم واثبات من رغب في الاثبات في ديوان السلطان منهم فجردوا في ولاية الدولة وبث الدعوة .

وفسد ما بين امير العدوة جعفر بن علي واخيه يحيي واقتطع يحيي مدينة البصرة لنفسة وذهب بأكثر الرجال. ثم كانت على جعفر النكبة التي نكبه برغواطة في غزاته اياهم ، واستدعاه محمد ابن ابي عامر لاول امره لما رآه من استقامته اليه ، وشد ازره به وتلوى عليه كراهية لما يلقى بالاندلس من الحكم . ثم اصلحه وتخلى لاخيه عن عمل المغرب واجاز البحر الى ابن ابي عامر؛ فحل منه بالمكان الأثير وتناغت زناتة في التزلف الى الدولة بقرب الطاعات ، فزحف خزرون بن فلفول سنة ست وستين الى مدينة سجلماسة فافتتحها ومحا اثر دولة آل مدرار منها ، وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل .

وزحف عقب هذا الفتح بلكين بن زيري قائد افريقية للشيعة

الى المغرب سنة تسع وستين زحفه المشهور . وخرج محمد بن ابي عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه ، واحتمل من بيت المال مائة حمل ، ومن العساكر ما لا يحصى عده . واجاز جعفر ابن علي بن حمدون الى سبتة ، وانضمت اليه ملوك زناته ، ورجع بكلين عنهم الى غزو برغواطة الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين كما ذكرناه .

ورجع جعفر الى مكانه من ابن ابي عامر، لم يسمح بمقامه عنه. ووصل حسن بن كنون خلال ذلك من القاهرة بكتاب عبد العزيز بن نزار بن معد الى بلكين صاحب افريقية في اعانته على ملوك المغرب وامداده بالمال والعساكر ، فامضاه بلكين لسبيله ، واعطاه مالا ووعده باضعافه . ونهض الى المغرب فوجد طاعة المروانية قد استحكمت فيه . وهلك بلكين اثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه ؛ فدعا الحسن بن كنون الى نفسه، وانفذ ابو محمد بن ابي عامر بن عمه محمد بن عبدالله ، ويلقب عسكلاجة ، لحربه سنة خمس وسبعين . وجاء اثره الى الجزيرة كيما يشارف القصة ، واحيط بالحسن بن كنون فسأل الامان وعقد له مقارعه عمر وعسكلاجة واشخصه الى الحضرة فلم يمض ابن ابي عامر امامه ، ورأى ان لاذمة له لكثرة نكثه فبعث من ثقاته من اتاه برأسه ، وانقرض امر الادارسة وانمحى اثرهم فأغضب عمر وعسكلاجة لذلك .

واستراح الى الجند بأقوال نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله ابن كنون .

وعقد على العدوة للوزير حسن بن احمد بن الورود السلمي ، واكثف عدده واطلق في المال يده. ونفذ الى عمله سنة ست فضبط المغرب احسن ضبط وهابته البرابرة ، ونزل فاس من العدوة، فعز سلطانه وكثر جمعه، وانضم اليه ملوك النواحي حتى حذر ابن ابي عامر مغبة استقلاله، واستدعاه ليبلو صحة طاعته، فأسرع اللحاق به ، فضاعف تكرمته واعاده الى عمله . وكان بدوي بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الاموية والمراوغة لهم بالطاعة. وكان المنصور بن ابي عامر يضرب بينه وبين قرينه زيري ابن عطية ويقرن كلا منهما بمناغاة صاحبه في الاستقامة ، وكان الى زيري اميل وبطاعته اوثق ، لخلوصه وصدق طويته وانحياشه فكان يرجوان يتمكن من قياد بدوي بن يعلى بمناغاته . فاستدعى بزيري بن عطية الى الحضرة سنة سبع وسبعين (١) فبادر الى القدوم عليه، وتلقاه واكبر موصله واحسن مقامه ومنقلبه واعظم جائزته وسام بدوي مثلها فامتنع ، وقال لرسوله ، قل لابن ابي عامر : متى عهد حمر الوحش تنقاد للبياطرة ؟ وارسل عنانه في العيث والفساد ، ونهض اليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الودود في عساكره وجموعه من جند الاندلس وملوك العدوه مظاهراً

(١) كذا، وفي ح: سنة تسع وسبعين.

عليه لعدوه وزيري بن عطية، وجمع لهم بدوي ولقيهم سنة احدى وثمانين فكان الظهور له .

وانهزم عسكر السلطان وجموع مغراوة؛ واستلحموا وجرح الوزير حسن بن عبد الودود جراحات كان فيها لليال مهلكه . وطار الخبر الى ابن أبي عامر فاغتمّ لذلك، وكتب الى زيري بضبط فاس ومكاتبة أصحاب حسن، وعقد له على المغرب كما نستوفي ذكره عند ذكر دولتهم . وغالبه بدوي عليها مرّة بعد أخرى ونزع ابو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي عن قومه، ولحق بسواحل تِلِمْسان ناقضاً لطاعة الشيعة،وخارجاً على ابن أخيه المنصور بن بلكين صاحب القيروان . وخاطب ابن أبي عامر من وراء البحر، وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرب اليه الاموال والصِلات بفاس مع زيري حسبما نذكره، وجمع أيديهما على مدافعة بدوي، فساء أمره فيها جميعاً الى أن راجع أبو البهار ولاية منصور بن أخيه كما نذكره بعد . وحاربه زيري فكان له الظهور عليه، ولحق أبو البهار بسبتة . ثم عاد الى قومه .

واستفحل زيري من بعد ذلك، وكانت بينه وبين بدوي وقعة اكتسح زيري من ماله ومعسكره مالا كفؤ له، وسبى حرمه . واستلحم من قومه زهاء ثلاثة آلاف فارس . وخرج الى الصحراء شريداً سنة ثلاث وثمانين . وهلك هناك فولي أمره في قومه حبوس ابن أخيه زيري بن يعلى، ووثب به ابن عمه أبو يداس بن دوناس

فقتله طمعاً في الرياسة من بعده ، واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر الى الاندلس في جمع عظيم من قومه. وولي أمر بني يفرن من بعده حمامة بن زيري بن يعلى أخو حبّوس المذكور، فاستقام عليه أمر بني يفرن وقد مرّ ذكره في خبر بدوي غير مرّة ، وانه كانت الحرب بينه وبين زيري بن عطية سجالاً ، وكانا يتعاقبان ملك فاس بتناول الغلب. وانه لما وفد زيري على المنصور خالفه بدوي الى فاس فملكها وقتل بها خلقاً من مغراوة ، وانه لما رجع زيري اعتصم بدوي بفاس فنازله زيري. وهلك من مغراوة وبني يفرن في ذلك الحصار خلق. ثم اقتحمها زيري عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه الى سدّة الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين والله أعلم.

ولما اجتمع بنو يفرن على حمامة تحيز بهم الى ناحية شاله من المغرب فملكها وما اليها من تادلا ، واقتطعها من زيري ، ولم يزل عميد بني يفرن في تلك العمالة ، والحرب بينه وبين زيري ومغراوة متصلة. وكانت بينه وبين المنصور صاحب القيروان مهاداة فأهدى اليه ، وهو محاصر لعمه حماد بالقلعة سنة ست وأربعمائة ، وأوفد بهديته أخاه زاوي بن زيري فلقيه بالطبول والبنود. ولما هلك حمامة قام بأمر بني يفرن من بعده أخوه الامير أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى فاستبد بملكهم ، وكان مستقيماً في دينه مولعاً بالجهاد ؛ فانصرف الى جهاد برغواطة وسالم مغراوة وأعرض عن فتنتهم .

ولما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائه تجددت العداوة بين هذين الحيين بني يفرن ومغراوة ، وثارت الاحن القديمة ، وزحف ابو الكمال صاحب شالة وتادلا وما الى ذلك في جموع يفرن . وبرز إليه حمامة بن المعز في قبائل مغراوة ، ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفرّ حمامة الى وجدة ، واستولى الأمير ابو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب . واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس ، واصطلم نعمهم واستباح حرمهم.

ثم احتشد حمامة من وجدة سائر قبائل مَغراوة وزناتة ، وبعث الحاشدين في قياطينهم لجميع بلاد المغرب الاوسط ، ووصل الى تنس صريخاً لزعمائهم . وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم ، وزحف الى فاس سنة تسع وعشرين فأفرج عنها أبو الكمال تميم ، ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة ، وأقام بمكان عمله وموطن امارته منها الى أن هلك سنة ست وأربعين . وولي ابنه حماد الى أن هلك سنة تسع وأربعين ، وولي بعده ابنه يوسف الى ان توفي سنة ثمان وخمسين فولي بعده عمه محمد بن الامير أبي تميم الى أن هلك في حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع حسبما نذكره ، والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ..

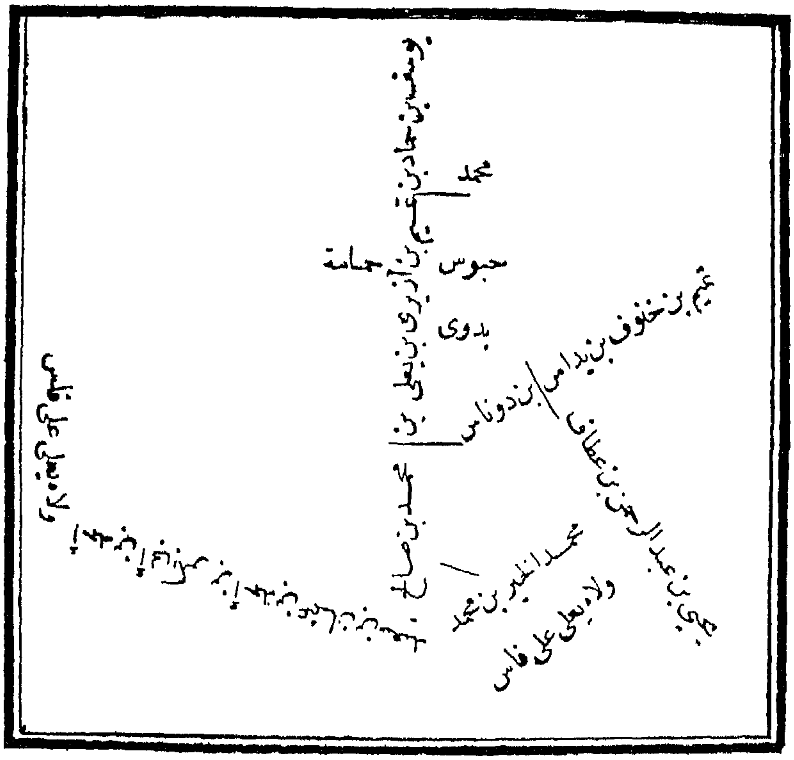
وأما أبو يداس بن دوناس قاتل حبوس بن زيري بن يعلى بن محمد فانه لما اختلف عليه بنو يفرن ، وأخفق أمله في اجتماعهم له أجاز البحر الى الاندلس سنة اثنتين وثمانين فرفعه اخوانه أبو قرّة

وأبو زيد وعطاف، فحل كلهم من المنصور محل التكرمة والايثار ونظمه في جملة الرؤساء والامراء، واسنى له الجراية والاقطاع، وأثبت رجاله في الديوان ومن أجاز من قومه، فبعد صيته وعلا في الدولة كعبه.

ولما افترقت الجماعة وانتثر سلك الخلافة كان له في حروب البربر مع جند الاندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة. ولما ملك المستعين قرطبة سنة أربعمائة واجتمع اليه من كان بالاندلس من البرابرة لحق المهدي بالثغور واستجاش طاغية الجلالقة، فزحف معه الى غرناطة، وخرج المستعين في جموعه من البرابرة الى الساحل، واتبعهم المهدي في جموعه فتواقعوا بوادي ايرة[1] فكانت بين الفريقين جولة عظم بلاء البرابرة، وطار لابي يداس فيها ذكر، وانهزم المهدي والطاغية وجموعهم بعد أن تضايقت المعركة وأصابت أبا يداس بن دوناس جراحة كان فيها مهلكه، ودفن هنالك. وكان لابنه خلوف وحافده تميم بن خلوف من رجالات زناتة بالاندلس شجاعة ورياسة، وكان يحيى بن عبد الرحمن بن أخيه عطاف من رجالاتهم، وكان له اختصاص ببني حمود، ثم بالقاسم منهم ولّاه على قرطبة أيام خلافته والبقاء لله وحده.

---

(١) كذا، وفي ب: وادي أبرة.



الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان له من الملك بالأندلس أيام الطوائف

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرّة بن أبي يِفرَن من رجالات البربر الذين استظهر بهم قومهم أيام الفتنة، تغلب على رُنْدَة أزمان تلك الفتن، وأخرج منها عامر بن فتوح من موالي الاموية سنــة خمس وأربعمائة، فلكها واستحدث بها لنفسه سلطاناً. ولما استفحل

امر ابن عبّاد باشبيلية واسف الى تلك ما جاوره من الاعمال والثغور، نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا. واختلف حاله معه في الولاية والانحراف، وسجل[1] له سنة ثلاث واربعين برنده واعمالها فيمن سجل له من البربر. واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه، وكاده بكتاب اوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكو اليه ما نال منها ابنه من الحرم، فانطلق الى بلده وقتل ابنه. وشعر بالمكيدة فات اسفاً، وولي ابنه الآخر ابو نصر الى سنة سبع وخمسين فغدر به بعض جنده وخرج هارباً فسقط من السور ومات. وتسلم المعتمد رندة من بعد ذلك، ويقال ان ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس واربعين، وان ابا نور هلك فيها. ولما بلغ الخبر ابنه ابا نصر وقع ما وقع والله اعلم.

الخبر عن مرنجيصة من بطون بني يفرن وشرح أحوالهم

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي افريقية، وكانت لهم كثرة وقوة. ولما خرج ابو يزيد على الشيعة، وكان من اخوالهم بنو واركوا ظاهروه على امره بما كان له معهم من العصبية. ثم انقرض امره واخذتهم دولة الشيعة واولياؤهم صنهاجة وولاتهم على افريقية بالسطوة والقهر، وازال العقوبات بالانفس والاموال

(١) أي تصدى له بحرب كانت سجالاً بينهما. أي تارة لهذا وتارة لذاك.

الى ان تلاشوا واصبحوا في عداد القبائل الغارمة. وبقيت منهم احياء نزلوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء وبقر وخيام يظعنون في نواحيها وينتحلون الفلح في معاشهم، وملك الموحدون افريقية وهم بهذه الحال، وضربت عليهم المغارم والضرائب والعسكرة مع السلطان في غزواته بعدة مفروضة يحضرون بها متى استقروا.

ولما تغلبت الكعوب من بني سليم على ضواحي افريقية واخرجوا منها الدواودة من رياح اعداء الدولة لذلك العهد. واستظهر بهم السلطان عليهم. اتخذوا افريقية وطناً من قابس الى باجة. ثم اشتدت ولايتهم للدولة، وعظم الاستظهار بهم واقطعهم ملك الدولة ما شاؤه من الاعمال والخراج فكان؛ في اقطاعهم خراج مرنجيصه هؤلاء. ولما كانت وقعة بنو مرين على القيروان وكان بعدها في الفترة ما كان من طغيان الفتنة التي اعتز فيها العرب على السلطان والدولة، كان لهؤلاء الكعوب المتغلبين مدد قوي من احياء مرنجيصة هؤلاء من الخيل للحملان، والجباية للانفاق، والانعام للحمال والخيالة للاستظهار باعدادهم في الحروب فصاروا لهم لحمة وخولا، وتملكوهم تملك العبيد، حتى اذا ذهب الله بحمى الفتنة، واقام مائل الخلافة والدولة وصار تراث هذا الملك الحفصي الى الاحق به مولانا السلطان ابي العباس احمد، فانقشع الجو واضاء الافق ودفع المتغلبين من العرب عن اعماله، وقبض ايديهم عن رعاياه. واصار مرنجيصة هؤلاء من صفاياه بعد

انزال العقوبة بهم على لياذهم بالعرب وظعنهم معهم ، فراجعوا الحق واخلصوا في الانحياش ، ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج ، وهم على ذلك لهذا العهد . والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الأولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا اوسع بطون زناتة واهل البأس والغلب ، ونسبهم الى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا اخوة بني يفرن وبني يرنيان ، وقد تقدم الخلاف في نسبهم عند ذكر بني يفرن . واما شعوبهم وبطونهم فكثير مثل بني يلنت (١) وبني زنداك وبني وراق وورتزمير وبني أبي سعيد وبني ورسيفان ولغواط وبني ريغة وغيرهم ممن لم يحضرني اسماؤهم. وكانت مجالاتهم بارض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مديونة وما اليها ولهم مع اخوانهم بني يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة في احوال البدو . وكان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير ادركهم عليه الاسلام فاقره لهم ، وحسن اسلامهم .

وهاجر اميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ، ووفد على امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقاه براً وقبولا لهجرته

(١) كذا، وفي ج: يليت

وعقد له على قومه ووطنه. وانصرف الى بـلاده محبواً محبوراً مغتبطاً بالدين مظاهراً لقبائل مضر، فلم يزل هذا دأبه. وقيل انه تقبض عليه اسيراً لاول الفتح في بعض حروب العرب مع البربر قبل ان يدينوا بالدين فاشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه فمن عليه واسلم فحسن اسلامه. وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغرارة بولاء عثمان واهل بيته من بني امية، وكانوا خاصة لهم دون قريش، وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعياً لهذا الولاء على ما تراه بعد في اخبارهم.

ولما هلك صولات قام بامره في مغراوة وسائر زناتة من بعده ابنه حفص، وكان من اعظم ملوكهم. ثم لما هلك قام بامره ابنه خزر. وعندما تقاص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى بعض الشيء واطلت فتنة ميسرة الحقير ومطغرة فاعتز خزر وقومه على امراء المضرية بالقيروان، واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زنـاتة بالمغرب الاوسط. ثم انتقض امر بني امية بالمشرق فكانت الفتنة بالمغرب فازدادوا اعتزازاً وعتوا. وهلك خلال ذلك خزر، وقام بملكه ابنه محمد، وخاص إلى المغرب ادريس الاكبر بن عبدالله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومـائة في خلافة الهادي. وقام برابرة المغرب مـن اوربة ومدينة ومغيلة بامره، واستوثق له الملك واقتطع المغرب عن طاعة بني العباس سائر الايام.

ثم نهض الى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد ابن خزر هذا والقى اليه المقادة، وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بني يفرن أهلها. وانتظم لادريس بن ادريس الأمر، وغلب على جميع اعمال أبيه، وملك تلمسان. وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لابيه. وكان قد نزل تلمسان لعهد ادريس الأكبر أخوه سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم اليه من المشرق، وسجل له بولاية تلمسان من سجل ابنه ادريس لمحمد ابن عمه سليمان من بعده، فكانت ولاية تلمسان وأمصارها في عقبه، واقتسموا ولاية ثغورها الساحليّة فكانت تلمسان لولد ادريس بن محمد بن سليمان، وأرشكول لولد عيسى بن محمد، وتنس لولد ابراهيم بن محمد بن محمد، وسائر الضواحي من اعمال تلمسان لبني يفرن ومغراوة.

ولم يزل الملك بضواحي المغرب الاوسط لمحمد بن خزر كما قلناه الى ان كانت دولة الشيعة، واستوثق لهم ملك افريقية. وسرح عُبَيْد الله المهدي الى المغرب عروبة بن يوسف الكتامي في عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين، فدوّخ المغرب الادنى ورجع. ثم سرح بعده مصالة بن حبّوس الى المغرب في عساكر كتامة؛ فاستولى على اعمال الادارسة، واقتضى طاعتهم لعبيد الله. وعقد على فاس ليحيى بن ادريس بن عمر آخر ملوك الادارسة. وخلع نفسه ودان بطاعتهم، وعقد له مصالة على فاس، وعقد

لموسى بن أبي العالية أمير مكناسة وصاحب تازة ، واستولى على ضواحي المغرب ، وقفل الى القيروان . وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لادريس الاكبر ، وحمل زناتة واهل المغرب الاوسط على البرابرة من الشيعة وسرّح عبيد الله المهدي مصالة قائد المغرب في عساكر كتامة سنة تسع ، ولقيه محمد بن خزر في جموع مغراوة وسائر زناتة ففل عساكر مصالة وخلص اليه فقتله . وسرّح عبيد الله ابنه أبا القاسم في العساكر الى المغرب سنة عشر ، وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه فأجفلوا الى الصحراء ، واتبع آثارهم الى ملويّة فلحقوا بسلجماسة وعطف أبو القاسم على المغرب فدوّخ اقطاره وجال في نواحيه وجدّد لابن أبي العافية على عمله ورجع ولم يلق كيدا .

ثم انّ الناصر صاحب قرطبة سما له أمل في ملك العدوة فخاطب ملوك الادارسة وزناتة ، وبعث اليهم خالصته محمد بن عبيد الله بن أبي عيسى سنة ست عشرة فبادر محمد بن خزر الى اجابته ، وطرد أولياء الشيعة من الزاب . وملك شلب وتنس من أيديهم وملك وهران وولّى عليها ابنه الخير ، وبثّ دعوة الأموية في أعمال المغرب الاوسط ما عدا تاهرت . وبدأ في القيام بدعوة الأموية إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول . ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من يد الأدارسة وأجار موسى بن أبي العالية على طاعته ، واتّصلت يده بمحمد بن خزر

وتظاهروا على الشيعة . وخالف قَلفولُ بن خَزَر أخاه محمد الى طاعة الشيعة ، وعقد له عبدالله على مَغْراوَةَ .

وزحف الى المغرب حميدُ بن يَصَل سنة إحدى وعشرين في عساكر كتامة الى عبد الله على تاهَرْت فانتهى الى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة ومكناسة ودَوَّخَ المغرب . وزحف من بعده مَيسور الخَصِيُّ سنة اثنتين وعشرين فحاصر فاس وامتنعت عليه ورجع . ثم انتقض حَميدُ بن يَصَل سنة ثمان وعشرين وتحيّز الى محمد ابن خَزَر . ثم أجاز الى الناصر وولّاه على المغرب الأوسط . ثم شُغِلَ الشيعة بفتنة أبي يزيد ، وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة . وزحفوا الى تاهرت مع حميد بن يصَل قائد الأموية سنة ثلاث وثلاثين . وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر ، ومعهم يعلى بن محمد في قومه بني يِفْرَن وأخذوا تاهَرْتَ عَنْوَةً ، وقتلوا عبدالله بن بكار ، وأسروا قائدها ميسور الخصيّ بعد ان قُتل حمزة بن محمد بن خزر في حروبها .

وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك الى بَسْكَرَة ففتحوا وقتلوا زيدان الخصي . ولما خرج اسمعيل من حصار أبي يزيد ، وزحف الى المغرب في اتباعه خشية محمد بن خزر على نفسه لما سلف منه في نقض دعوتهم ، وقتل اتباعهم ؛ فبعث اليه بطاعة معروفة . وأوعز اليه اسمعيل بطلب أبي يزيد ووعده في ذلك بعشرين حملًا من المال . وكان أخوه معبد بن خزر في موالاة أبي يزيد في

ان هلك. وتقبّض اسمعيل بعد ذلك على معبد سنة أربعين وقتله، ونصب رأسه بالقَيْرَوان. ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير متغلّباً على المغرب الأوسط ومقاسماً فيها ليعلى بن محمد. ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين على الناصر مع مشيخة تاهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى أعمالهم.

ثم حدثت الفتنة بين مَغْراوَة وصَنْهاجة، وشغل محمد بن خزر وابنه الخير بحروبهم، وتغلّب يعلى بن محمد على وهران وخرّبها، وعقد الناصر لحميد بن يصَل على تلمسان وأعمالها، وليعلى بن محمد على المغرب واعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من اجل قريعة يعلى بن محمد. ووفد على المعزّ بعد مهلك أبيه اسمعيل سنة اثنتين وأربعين؛ فأولاه تكرمة على طاعتهم؛ الى ان حضر مع جوهر في غزاته الى المغرب باعوام سبع أو ثمان وأربعين. ثم وفد على المعزّ بعد ذلك سنة خمسين، وهلك بالقيروان، وقد نَيَّف على المائة من السنين.

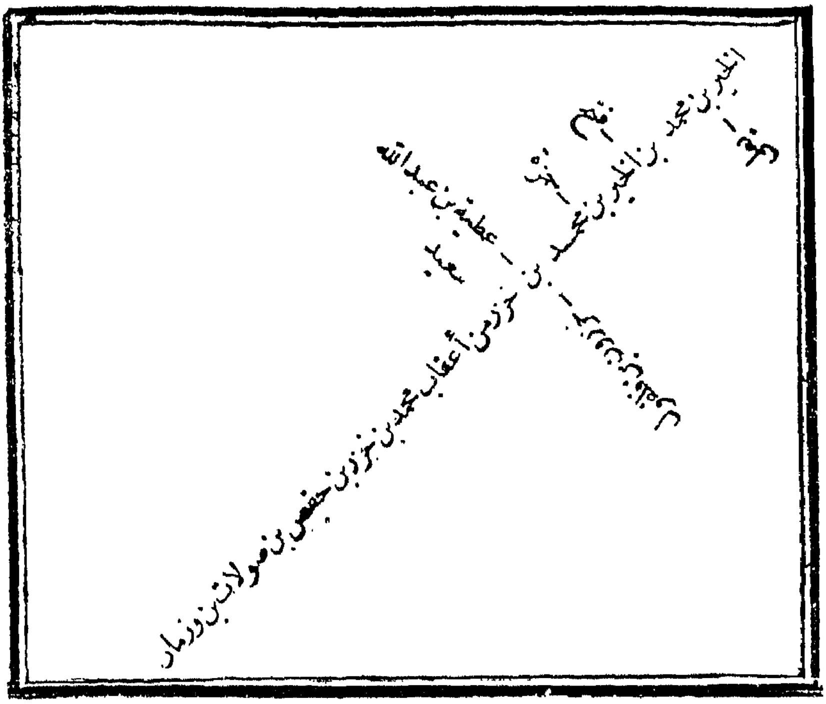
وهلك الناصر المرواني عامئذ على حين انتشرت دعوة الشيعة بالمغرب، وأنقبض أولياء الأموية الى أعمال سَبْتَة وَطَنْجَة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر، واستأنف مخاطبة ملوك العُدْوَة فأجابه، محمد ابن الخير بن محمد بن خزر بما كان من ابيه الخير وجدّه محمد في ولاية الناصر، والولاية التي لبني أمية على آل خزر بوصية عثمان ابن عفان لصولات بن وزمار جدّهم كما ذكرناه؛ فأثخن في الشيعة

ودوّخ بلادهم. ورماه معدّ بقريعه زيري بن مناد أمير صنهاجة فعقد له على حرب زناتة وسوغه ما غلب عليه من اعمالهم، وجمعوا للحرب سنه ستين ومائتين فلقي بُلُكّين بن زيري جموعهم بدسيسة من بعض اولياء محمد بن الخير قبل ان يستكمل تعبيتهم فأبلى منهم ثباتاً وصبراً، واشتدت الحرب بينهم وانهزمت زناته، حتى اذا راى محمد بن الخيران قد احيط به انتبذ الى ناحية من من العسكر وذبح نفسه. واستمرت الهزيمة على قومه، وجندل منهم في المعركة سبعة عشر أميراً سوى الاتباع. وتحيز كل الى فريقه.

وولي بعد محمد في مغراوة ابنه الخير واغرى بلكين بن زيري الخليفة معد وجندل بن جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة، والزاب بموالاة حمد بن الخير فاستراب جعفر، وبعث عنه معد لولاية افريقية حتى اعتزم على الرحيل الى القاهرة، فاشتدت استرابته ولحق بالخير ابن محمد وقومه. وزحفوا الى صنهاجة فأتيحت لهم الكرة، وأصيب زيري بن مناد كبير العصابة، وبعثوا برأسه الى قرطبة في وفد من وجوه بني خزر مع يحيى بن علي اخي جعفر. ثم استراب بعدها جعفر من زناته ولحق بأخيه يحيى، ونزلوا على الحكم. وعقد معد لبلكين بن زيري على حرب زناتة، وامده بالاموال والعساكر، وسوّغه ما تغلّب عليه من اعمالهم فنهض الى المغرب سنة احدى وستين، واوغر بالبرابرة منهم وتقرى اعمال

طبنة وباغاية والمسيلة وبسكرة واجفلت زناتة امامه . وتقدم الى تاهرت فمحا من المغرب الاوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الاقصى.

واتبع بلكين آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة، فأوقع بهم وتقبّض عليهم، فقتله صبراً وفض جموعهم، ودوخ المغرب وانكفأ راجعاً . ومر بالمغرب الاوسط فاستلحم بوادي زناتة ومن اليهم من الخصاصين، ورفع الامان عن كل من ركب فرساً او انتج خيلاً من سائر البربر . ونذر دماءهم فأقفر المغرب الاوسط من زناتة، وساروا الى ما وراء ملويّة من بلاد المغرب الاقصى الى ان كان من رجوع بني يعلى بن محمد الى تلمسان، وملكهم اياها، ثم هلك بنو خزر بسلجماسة وطرابلس، وملك بني زيري بن عطيّة بفاس ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى .



آل زيري بن عطية ملوك فاس

الخبر عن آل زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الأولى من مغراوة وما كان لهم بالمغرب الأقصى من الملك والدولة ومبادىء ذلك وتصاريفه

كان زيري هذا امير آل خزر في وقته ، ووارث ملكهم البدوي ، وهو الذي مهد الدولة بفاس والمغرب الاقصى واورثها بنيه الى عهد لمتونة حسبما نستوفي شرحه . واسمه زيري بن عطية

ابن عبدالله بن خزر وجده عبدالله اخو محمد داعية الناصر الذي هلك بالقيروان (١) كما ذكرناه، وكانوا اربعة اخوة محمد ومعبد الذي قتله اسمعيل، وفلفول الذي خالف محمداً الى ولاية الشيعة وعبدالله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت. وقد قيل ان عبدالله هذا هو ابن محمد بن خزر، واخوه حمزة بن محمد الهالك في حربه مع ميسور عند فتح تاهرت. ولما هلك الخير بن محمد كما قلناه بيد بلكين سنة احدى وستين، وارتحلت زناتة الى ما وراء ملوية من المغرب الاقصى، وصار المغرب الاوسط كله لصنهاجة واجتمع مغراوة الى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن خير المذكور ومقاتل وزيري ابنا مقاتل بن عطية بن عبدالله، وخزرون ابن فلفول.

ثم كان ما ذكرناه من ولاية بلكين بن زيري على افريقية، وزحف الى المغرب الاقصى زحفه المشهور سنة تسع وستين، وأجفلت امامه ملوك زناتة من بني خزر وبني محمد بن صالح، وانحازوا جميعاً الى سبتة. واجاز محمد بن الخير البحر الى المنصور بن ابي عامر صريخاً؛ فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة ممداً لهم بنفسه. وعقد لجعفر بن علي على حرب بلكين، واجازه البحر وامده بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة، وضربوا مصافهم بساحة

(١) كذا، وفي ج: الذي ملك القيروان.

سبتة ، واظل عليهم بلكين من جبل تطاون [١] فرأى مالا قبل له به فارتحل عنهم، وأشغل نفسه بجهاد برغواطة الى ان هلك منصرفاً من المغرب سنة اثنتين وسبعين كما ذكرناه .

وعاد جعفر بن علي الى مكانه من الحضرة ، وساهمه المنصور في حمل الرياسة ، وبقي المغرب غفلًا من الولاية ، واقتصر المنصور على ضبط سبتة ، ووكل الى ملوك زناتة دفاع صَنْهاجة وسائر أوْلياء الشيعة . وقام يبلو طاعتهم الى أن قام بالمغرب الحسن بن كنون من الأدارسة ، بعثه العزيز نزار من مِصْرَ لاسترجاع ملكه بالمغرب ، وأمدّه بلكين بعسكر من صنهاجة وهلك على تفيئة ذلك بلكين ، ودعا الحسن الى أمره بالمغرب . وانضم اليه بدوي بن يعلى بن محمد اليفْرَني وأخوه زيري وابن عمه أبو يدّاس فيمن اليهم من بني يِفْرَن فسرّح المنصور لحربه ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقَّب عسكلاجة ، وبعثه بالعساكر والأموال فأجاز البحر ، وانحاش اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير ، ومقاتل وزيري ابنا عطية ، وخزرون بن فلفول في جمع مغراوة ، وظاهروه على شأنه .

وزحف بهم أبو الحكم بن أبي عامر الى الحسن بن كنون حتى ألجأوه الى الطاعة ، وسأل الامان على نفسه، فعقد له عمرو بن أبي عامر ما رضيه من ذلك ، وأمكن به من قياده، وأشخصه الى

---

(١) كذا، وفي ج: تيطاوين.

الحضرة فكان من قتله وإخفار ذمّة أبي الحكم بن أبي عامر ، وقتله بعده ما تقدّم حسبما ذكرنا ذلك من قبل .

وكان مُقاتل وزيري ابنا عَطيّة من بين ملوك زناتة أشدّ الناس انحياشاً للمنصور وقياماً بطاعة المروانية ، وكان بدوي بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن طاعتهم. ولما انصرف أبو الحكم بن أبي عامر عن المغرب عقد المنصور عليه للوزير حسن ابن أحمد عبد الودود السلمي ، وأطلق يده في انتقاء الرجال والأموال فأنفذه الى عمله سنة ست وسبعين ، وأوصاه بملوك مغراوة من زناتة ، واستبلغ بمقاتل وزيري من بنيهم لحسن انحياشهم وطاعتهم ، وأغراه ببدوي بن يعلى المضطرب الطاعة الشديد المراوغة ، فنفذ لعمله ونزل بفاس ، وضبط أعمال المغرب ، واجتمعت اليه ملوك زناتة .

وهلك مقاتل بن عَطيّة سنة ثمان وسبعين ، واستقل برياسة الظواعن البدو من مغراوة اخوه زيري بن عطية وحسنت مخالطته لابن عبد الودود صاحب المغرب وانحياشه بقومه اليه . واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة احدى وثمانين اشادة بتكريمه ، واغراه ببدوي بن يعلى بمنافسته في الحظ وايثار الطاعة فبادر الى اجابته بعد ان استخلف على المغرب ابنه المعزّ ، وأنزله بتلمسان ثغر المغرب ، وولّى على عُدْوَةِ القرويّين من فاس علي بن محمود بن أبي علي قشوش ، وعلى عُدْوَةِ الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد

الكريم بن ثَعْلَبَة. وقدّم بين يديه هدية الى المنصور، ووفد عليه فاستقبله بالجيش والعُدّة واحتفل للقائه، واوسع نُزُله وجرايته ونوّه باسمه في الوزارة وأقطعه رزقها. وأثبت رجاله في الديوان ووصله بقيمة هديّته وأسنى فيها، واعظم جائزة وفده وعجّل تسريحه إلى عمله فقفل إلى إمارته من المغرب. ونمي عنه خلاف ما احتسب فيه من غمط المعروف وانكار الصنيع، والاستنكاف من لقب الوزارة الذي نوّه به حتى انه قال لبعض حشمه، وقد دعاه بالوزير: وزير من يالُكَع(١)، لا والله إلّا أمير بن أمير، واعجبا من ابن أبي عامر وخرقته(٢) والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وان له منا ليوماً، والله لقد تأجّرني فيما اهديت اليه حطا للقيم، ثم غالطني بما بدله تبتيتاً للكرم(٣) إلّا أن يحتسب بثمن الوزارة التي حطني بها عن رتبتي.

ونمي ذلك الى ابن ابي عامر فصر عليها أذنه وزاد في اصطناعه وبعث الى يدو(٤) بن يعلى اليفرني قريعه في ملك زناتة يدعوه الي الوفادة فأساء اجابته وقال: متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد الى البياطرة. وأخذ في افساد السابلة والاجلاب على الاحياء والعيث في العمالة، فأوعز المنصور الى عامله على المغرب الوزير

(١) بمعنى أحمق.

(٢) كذا في النسخة ج (الجزائرية)، وفي النسخة المصرية، طبع بولاق (ب): ومخرقته، وهي تحريف: وكلمة خرقته صحيحة والأصح: وخرقه. (٣) كذا، وفي ب: بما بدله تنبيتاً لكرم.

(٤) كذا: وفي ب: بدوي، تكررت في أماكن متفرقة.

حسن بن عبد الودود بنبذ العهد اليه، ومظاهرة عدوه زيري بن عطية عليه، فجمعوا له سنة احدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم، وتحرم العسكر، واثبتت [1] الوزير ابن عبد الودود جراحة كان فيها حتفه. وبلغ الخبر الى المنصور فشق عليه واهمه شأن المغرب، وعقد عليه لوقته لزيري ابن عطية، وكتب اليه بعهده وامره بضبط المغرب ومكاتبة جند السلطان واصحاب حسن ابن عبد الودود، فاضطلع باعبائه وأحسن الغناء في عمله.

واستفحل شأن يدو بن يعلى وبني يفرن، واستغلظوا على زيري بن عطية وأصلوه نار الفتنة، وكانت حربهم سجالا. وسيمت الرعايا بفاس كثرة تعاقبهم عليها وانتزائهم على عملها. وبعث الله لزيري بن عطية ومغراوة مدداً من ابي البهار بن زيري بن مناد بما كان انتقض لذلك العهد على اخيه منصور بن بلكين صاحب القيروان وافريقية، ونزع عن دعوة الشيعة الى المروانية. واقتفى اثره في ذلك خلوف بن ابي بكر صاحب تيهرت واخوه عطية لصهر كان بينهما وبين زيري، فاقتطعوا اعمال المغرب الاوسط ما بين الزاب وونشريش ووهران، وخطبوا في سائر منابرها باسم هشام المؤيد.

وخاطب ابو البهار من وراء البحر المنصور بن ابي عامر،

(١) ورد في القاموس: يقال طعنه فأثبت فيه الرمح أي أنفذه. وضربوه حتى أثبتوه: أي أثخنوه.

واوفد عليه ابا بكر ابن اخيه حَبُّوس بن زيري في طائفة من اهل بيته ووجوه قومه، فاستقبلوا بالجيش ولقاه رحباً وتسهيلاً ، واعظم موصله واسنى جوائز وفده وصلاتهم ، وانفذ معه الى عمه ابي البهار بخمساية قطعة من صنوف الثياب الخز والعبيد ، وقيمة عشرة آلاف درهم من الآنية والحلي، وبخمسة وعشرين ألفاً من الدنانير ودعاه الى مظاهرة زيري بن عطية على يدو بن يعلى ، وقسم بينهما عمل المغرب شق الأُبلَمَة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدوة فلم يرع ذلك يدو ولا وزعه عن شأنه من الفتنة والاجلاب على البدو والحاضرة ، وشق عصا الجماعة. وانتقض خلوف بن ابي بكر على المنصور لوقته ، وراجع ولاية المنصور بن بلكين .

ومرض ابو البهار في المظاهرة عليه للوصلة بينهما ، وقعد عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن ابي بكر ، واوقع به زيري في رمضان سنة إحدى وثمانين ، واستلحمه وكثيراً من اوليائه ، واستولى على عسكره ، وانحاش اليه عامة اصحابه.

وفر عطية شريداً الى الصحراء ، ثم نهض على اثرها ليدُّو بن يعلى وقومه فكانت بينهما لقاءة صعبة انكشف فيها اصحاب يدو واستلحم منهم زهاء ثلاثة آلاف ، واكتسح معسكره وسبيت حرمه التي كانت منهن امه واخته ، وتحيز سائر اصحابه الى فئة زيري ، وخرج شريداً الى الصحراء الى ان اغتاله ابن عمه ابو يدَّاس بن دوناس حسبما ذكرناه .وورد خبر الفتحين متعاقبين على

المنصور فعظم موقعها لديه. قيل ان مقتل يدُو إنّما كان عند اياب زيري من الوفادة ، وذلك انه لما استقدمه المنصور ووفد عليه كما ذكرناه خالفه يدو الى فاس ودخلها ، وقتل بها من مغراوة خلقاً واستمكن بها امره . فلما رجع زيري من وفادته امتنع بها يدو فنازله زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق . ثم اقتحمها عليه عنوة فقتل وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة . الا ان راوي هذا الخبر يجعل وفادة زيري على المنصور وقتله ليدو سنة ثلاث وثمانين فالله اعلم اي ذلك كان .

ثم ان زيري فسد ما بينه وبين ابي البهار الصنهاجي وتزاحفا فأوقع به زيري . وانهزم ابو البهار الى سبتة مورياً بالعبور الى المنصور فبادر بكاتبه عيسى ابن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند الى تلقيه فحاد عن لقائه . وصعد الى قلعة جراوة ، وقد قدم الرسل الى ابن اخيه المنصور صاحب القيروان مستميلاً الى ان التحم ذات بينهما. ثم تحيز اليه وعاد الى مكانه من عمله ، وخلع ما تمسك به من طاعة الاموية، وراجع طاعة الشيعة، فجمع المنصور لزيري بن عطية اعمال المغرب. واستكفى به في سد الثغر ، وعول عليه من بين ملوك المغرب في الذب عن الدعوة ، وعهد اليه بمناجزة ابي البهار . وزحف اليه زيري في امم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفرّ امامه ، ولحق بالقيروان . واستولى زيري على

تلمسان وسائر اعمال ابي البهار . وملك ما بين السوس الاقصى والزاب، فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته، وكتب بالفتح الى المنصور . وبعث اليه بمايتين من عتاق الخيل وخمسين جملاً من المهارى السُّبَّق، والف درقة من جلود اللمط واحمال من قسي الزان وقطوط الغالية، والزرافة واصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره، والف حمل من التمر واحمال من ثياب الصوف الرفيعة كثيرة، فجدد له عهده على المغرب سنة احدى وثمانين، وانزل احياءه بانحاء فاس في قياطنهم .

واستفحل امر زيري بالمغرب، ودفع بني يفرن عن فاس الى نواحي سلا، واختط مدينة وجدة سنة اربع وثمانين وانزلها عساكره وحشمه، واستعمل عليها ذويه ونقل إليها ذخيرته وأعدّها معتصماً، فكانت ثغراً لعمله بين المغرب الاقصى والاوسط . ثم فسد ما بينه وبين المنصور سنة ست وثمانين بما نمي عنه من التأنف لهشام باستبداد المنصور عليه، فسامه المنصور الهضيمة . وأبى منها، فبعث كاتبه ابن القطاع في العسكر، فاستعصي عليه . وامكنه قائد قلعة حجر النسر منها، فأشخصه الى الحضرة . واحسن اليه المنصور وسمّاه الناصح، وكشف زيري وجهه في عداوة ابن ابي عامر والاغراء به والتشيُّع لهشام المؤيد، والامتعاض له من هضيمته وحجره، فسخط ابن ابي عامر وقطع عنه رزق الوزارة، ومحا اسمه من ديوانها ونادى بالبراءة منه .

وعقد لواضح مولاه على المغرب وعلى حرب زيري بن عطية، وانتقى له الحماة من سائر الطبقات، وأزاح عللهم. وامكنه من الاموال للنفقات وأحمال السلاح والكسى، وأصحبه طائفة من ملوك العُدْوة كانوا بالحضرة، منهم: محمد بن الخير بن محمد بن الخير، وزيري بن خزر وابن عمها بكساس بن سيِّد الناس. ومن بني يفرَن ابو نوبخت بن عبدالله بن بكار. ومن مِكْناسَة اسماعيل بن البوري ومحمد بن عبدالله بن مَدْيَن، ومن أزداجة خَزْرون بن محمد وأمدّه بوجوه الجند. وفصل من الحضرة سنة سبع وثمانين، وسار في التعبية. وأجازالبحر الى طنجة فعسكر بوادي ركاب[1] وزحف زيري بن عطية في قومه، فعسكر إزاءه وتواقفا ثلاثة أشهر. واتهم واضح رجالات بني برزال بالادهان فأشخصهم الى الحضرة. واغرى بهم المنصور فوبخهم. وتنصلو فصفح عنهم، وبعثهم في غير ذلك الوجه. ثم تناول واضح حصن أصيلا ونكُّور فضبطها. واتصلت الوقائع بينه وبين زيري، وبيت واضح معسكر زيري بنواحي أصيلا وهم غارُّون[2] فأوقع بهم. وخرج ابن ابي عامر من الحضرة لاستشراف أحوال واضح وامداده، فسار في التعبئة واحتل بالجزيرة عند فرضة المجاز. ثم بعث عن ابنه المظفر من مكان استخلافه بالزاهرة، واجازه الى العدوة واستكمل معه اكابر اهل الخدمة وجلة القواد.

(١) كذا، وفي ب: ردات.
(٢) كذا، وقد تكرر استعمالها في الكتاب بمعنى مغيرون.

وقفل المنصور الى قرطبة ، واستذاع [1] خبر عبد الملك بالمغرب فرجع اليه عامة اصحاب زيري من ملوك البربر، وتناولهم من احسانه وبره ما لم يعهدوا مثله .

وزحف عبد الملك الى طنجة واجتمع مع واضح ، وتلوم هنالك مزيحاً لعلل العسكر ، فلما استتم تدبيره زحف في جمع لا كفاء له . ولقيه زيري بوادي منى من احواز طَنْجَة في شوال من سنة ثمان وثمانين، فدارت بينهما حرب شديدة همّ فيها [2] اصحاب عبد الملك وثبت هو . وبينما هم في حومة الحرب اذ طعن زيري بعض الموتورين من اتباعه اهتبل الغرة في ذلك الموقف فطعنه ثلاثاً في نحره واشواه بها، ومر يشتد نحو المظفر، وبشره فاستكذبه به لثبوت رايته . ثم سقط اليه الصحيح فشد عليهم فاستوت الهزيمة واثخن فيهم بالقتل ، واستولى على ما كان في معسكرهم مما يذهب فيه الوصف . ولحق زيري بفاس جريحاً في قلة، فامتنع عليه اهلها ودافعوه بحرمه، فاحتملهن وفر امام العسكر الى الصحراء ، واسلم جميع اعماله . وطيّر عبد الملك بالفتح الى ابيه فعظم موقعه عنده ، واعلن بالشكر لله والدعاء وبث الصدقات واعتق الموالي، وكتب الى ابنه عبد الملك بعهده على المغرب فأصلح نواحيه وسد ثغوره ، وبعث العمال في جهاته: فانفذ محمد بن حسن بن عبد الودود

(١) كذا، وفي ب: واستراع، وليس لها معنى هنا. والأصح: وذاع.

(٢) كذا بالأصل، وفي ب: وهمّ. وفي القاموس: هم بالشيء هماً نواه وأراده وعزم عليه وقصده ولم يفعله.

في جند كثيف الى تادلا ، واستعمل حميد بن يصل الكتامي على سجلماسة فخرج كل لوجهه ، واقتضوا الطاعة وحملوا إليه الخراج ، فاقفل المنصور ابنه عبد الملك في جمادى من سنة تسع وثمانين ، وعقد على المغرب لواضح فضبطه واستقام على تدبيره . ثم عزله في رمضان من سنته بعبيد الله ابن اخيه يحيى ، ثم ولي عليه من بعده اسماعيل بن البوري ، ثم من بعده ابا الاحوص مقن بن عبد العزيز التُجَيْبي الى ان هلك المنصور .

واعاد المظفر المعز بن زيري من مُنْتَبَذِهِ بالمغرب الاوسط الى ولاية ابيه بالمغرب فنزل بفاس ، وكان من خبر زيري انه لما استقل من نكبته وهزيمة عبد الملك إياه ، واجتمع اليه بالصحراء من مَغْراوَة ، وبلغه اضطراب صَنْهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور عند مهلك ابيه ، وانه خرج عليه عمومته مع ماكسن بن زيري ، فصرف وجهه حينئذ الى اعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة . واقتحم المغرب الاوسط ونازل تاهَرتَ وحاصر بها يَطُوفَت بن بُلُكِّين . وخرج باديس من القيروان صريخاً له . فلما مر بِطُبْنَةَ امتنع عليه فلفول بن خزرون ، وخالفه الى افريقية فشغل بحربه . وقد كان ابو سعيد بن خزرون لحق بافريقية ، وولاه المنصور بن بلكين على طبنة كما نذكره ، فلما انتقض سار اليه باديس ودفع حمّاد بن بلكين في عساكر صنهاجة الى مدافعة زيري بن عطية فالتقيا بوادي مِناس قرب تاهرت ، فكانت الدَّبَرَةُ على صنهاجة ، واحتوى زيري

على معسكرهم واستلحم ألوفاً منهم، وفتح مدينة تاهرتَ وتلمسان وشلِفَ وتَنَس والمسيلة. واقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام ولحاجبه المنصور من بعده.

ثم اتّبع آثار صَنهاجة الى أشير قاعدة مُلكهم، فاناخ عليها. واستأمن إليه زاوي بن زيري ومن معه من اكابر أهل بيته المنازعين لباديس فأعطاه منه ما سأل. وكتب الى المنصور بذلك يسترضيه ويشترطه على نفسه الرهن والاستقامة ان اعيد الى الولاية، ويستأذن في قدوم زاوي واخيه خَلّال، وأذن لهما فقدما سنة تسعين، وسأل أخوهما أبو البهار مثل ذلك، وأنفذ رسله تذكر بقديمه فسوّفه المنصور لما سبق من نكثه. واعتلّ زيري بن عطية وهو بمكانه من حصار أشير فأفرج عنها. وهلك في منصرفه سنة احدى وتسعين، واجتمع آل خَزَرَ وكافّة مغراوة من بعده على ابنه المُعِزّ ابن زيري فبايعوه، وضبط أمرهم واقصر على محاربة صنهاجة. ثم استجدى للمنصور واعتلق بالدعوة العامريّة وصلحت حاله عندهم. وهلك المنصور خلال ذلك ورغب المعز من ابنه عبد الملك المظفر ان يعيده الى عمله على مال يحمله اليه، وعلى ان يكون ولده معنصر رهينة بقرطبة فاجابه الى ذلك وكتب له عهده، وانفذ به وزيره ابا محمد علي بن جدلم[1] ونسخته:

---

(١) كذا، وفي ب: علي بن خديم.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد. من الحاجب المظفر سيف دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين اطال الله بقاءه عبد الملك ابن المنصور بن أبي عامر الى كافة مَدَنِيي فاس وكافة أهل المغرب سلّمهم الله. أمّا بعد اصلح الله شأنكم وسلّم أنفسكم وأديانكم، فالحمد لله علّام الغيوب وغفار الذنوب ومقلّب القلوب ذي البطش الشديد المبدي المعيد الفعال لما يريد، لا رادّ لأمره ولا معقّب لحكمه، بل له الملك والامر، وبيده الخير والشر. إياه نعبد وإياه نستعين، واذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون. صلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيّبين، وعلى جميع النبيين والمرسلين والسلام عليكم أجمعين.

وان المُعِزّ بن زيري بن عَطِيّة أكرمه الله تابع لدينا رسله وكتبه متنصّلًا من هِنات دفعته اليها ضرورات، ومستغفراً من سيئات حطتها من توبته حسنات، والتوبة محاء للذنب، والاستغفار منقذ من العتب. واذا اذن الله بشيء يسّره، وعسى ان تكرهوا شيئاً ولكم فيه خير. وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة، ولزوم الجادة، واعتقاد الاستقامة، وحسن المعونة وخفة المونة، فوليناه ما قبلكم، وعهدنا اليه ان يعمل بالعدل فيكم، وان يرفع احكام الجور عنكم. وان يعمر سبلكم، وان يقبل من محسنكم ويتجاوز

عن مسيئكم إلّا في حدود الله تبارك وتعالى. واشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا. وقد وجهنا الوزير ابا محمد علي بن جدلم اكرمه الله، وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ ميثاقه، ويؤكد العهد فيه عليه بذلك، وامرناه باشراككم فيه؛ ونحن بأمركم معتنون ولاحوالكم مطالعون، وأن يقضي على الاعلى للأدنى، ولا يرتضي فيكم بشيء من الأذى فثقوا بذلك واسكنوا اليه. وليمض القاضي ابو عبد الله أحكامه مشدوداً ظهره بنا، معقوداً سلطانه بسلطاننا، ولا تاخذه في الله لومة لائم، فلذلك طبنا به إذ وليناه، واملنا فيه اذ قلدناه، والله المستعين، وعليه التكلان لا إله الا هو. تبلغوا منا سلاماً طيباً جزيلًا ورحمة الله وبركته. كتب في ذي القعدة من سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

ولما وصل الى المعز بن زيري عهد المظفر اليه بولايته على المغرب ماعدا كورة سِجِلماسة فانّ واضحاً مولى المنصور عهد بها في ولايته على المغرب لوانودين بن خزرون بن فلفول حسبما نذكر بعد، فلم تدخل في ولاية المعز هذه. فلما وصله عهد المظفر ضمّ نَشَرَه[(1)]، وثاب اليه نشاطه، وبث عمّاله في جميع كور المغرب وجبا خراجها. ولم تزل ولايته متسعة، وطاعة رعاياه منتظمة. ولما افترق أمر الجماعة بالاندلس، واختل رسم الخلافة وصار الملك فيها طوائف استحدث المعز رأياً في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني وانودين بن

(١) النشر: القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس.

خزرون فأجمع لذلك . ونهض اليه سنة سبع واربعمائة ، وبرزوا اليه في جموعهم فهزموه . ورجع الى فاس في فَلٍّ من قومه . وأقام على الاضطراب من امره إلى ان هلك سنة سبع عشرة ، وولي من بعده ابن عمِّه حمامة بن المعز بن عطية ، وليس كما يزعم بعض المؤرخين انه ابنه وإنما هو اتفاق في الاسماء أوجب هذا الغلط ، فاستولى حمامة هذا على عملهم واستفحل ملكه ، وقصده الامراء والعلماء وانتابته الوفود ، ومدحه الشعراء . ثم نازعه الامر ابو كمال تميم بن زيري بن يعلى اليفرني في سنة اربع وعشرين من بني يدُّو بن يعلى المتغلِّبين على نواحي سلا ، وزحف الى فاس في قبائل بني يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة .

وبرز اليه حمامة في جموع مَغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة . وهلك من مغراوة أُمم ، واستولى تميم وبنو يفرن على فاس واعمال المغرب . ولما دخل فاس استباح يهود وسبا حرمهم واصطلم نعمتهم . ولحق حمامة بِوَجْدَة فاحتشد من هنالك من قبائل مغراوة من أنجاد مديونه ومَلْوِيَّة . وزحف الى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين ، وتحيَّز تميم الى موضع إمارته من سلا ، واقام حمامة في سلطان المغرب . وزحف اليه سنة ثلاثين وأربعمائة صاحب القلعة القائد ابن حماد في جموع صَنْهاجَة . وخرج اليه حمامة مجمعاً حربه ، وبث القائد عطاءه في زناتة واستفسدهم على صاحبهم حمامة ، فاقصر عن لقائه ، ولاذ منه

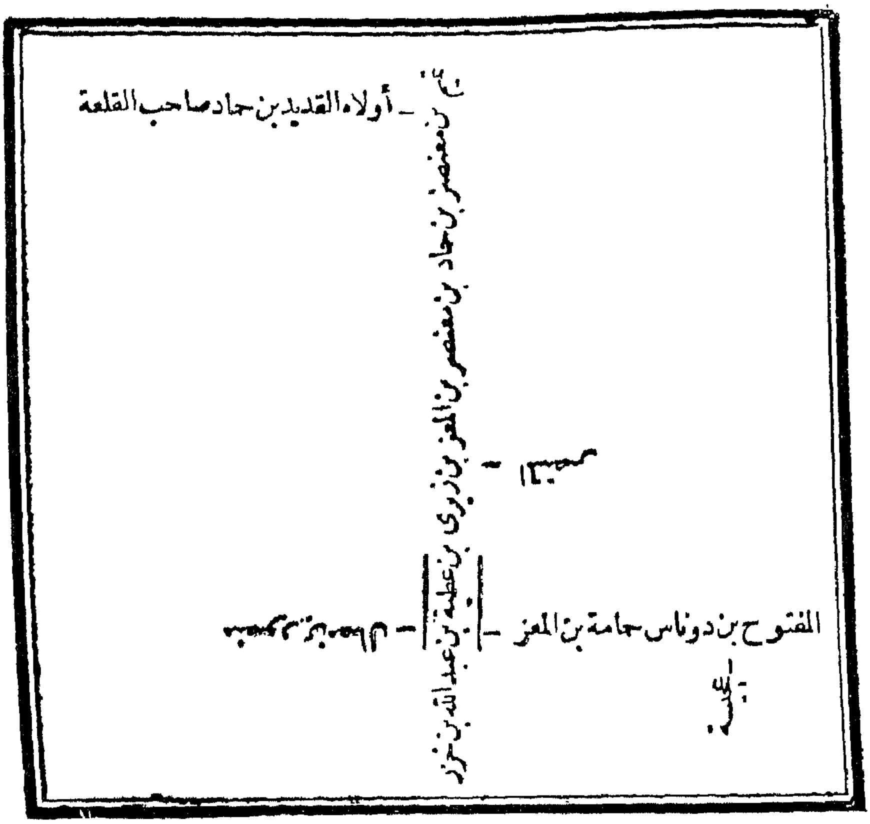
بالسلم والطاعة، فرجع القائد عنه، ورجع هو إلى فاس. وهلك سنة إحدى وثلاثين فولي من بعده ابنه دوناس ويكنّى ابا العطاف، فاستولى على فاس وسائر عمل ابيه، وخرج اليه لأول امره حمّاد ابن عمه معنصر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع، وكثرت جموع حماد فغلب دوناس على الضواحي واحجره بمدينة فاس، وخندق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حمّاد.

وقطع حمّاد جرية الوادي عن عدوة القرويين إلى ان هلك محاصراً لها سنة خمس وثلاثين، فاستقامت دولة دوناس وانفسحت ايامه، وكثر العمران ببلده. واحتفل في تشييد المصانع وادار السور على أرباضها، وبنى بها الحمامات والفنادق، فاستبحر عمرانها ورحل التجار بالبضائع اليها. وهلك دوناس سنة احدى وخمسين فولي من بعده ابنه الفتوح، ونزل بعدوة الأندلس. ونازعه الامر اخوه الأصغر عُجَيْسَةَ، وامتنع بعدوة القرويّين، وافترق امرهم بافتراقهما. وكانت الحرب بينهما سجالاً، ومجالها بين المدينتَيْن حيث يُفضي باب النقبة لعدوة القرويين لهذا العهد. وشيد الفتوح باب عدوة الاندلسيّين وهو مسمّى به الى الآن. واختط عجيسة باب الجيسة وهو أيضاً مسمى به الى الآن، وإنما حذفت عينه لكثرة الدوران في استعمالهم. واقاموا على ذلك الى ان غدر الفتوح بعجيسة اخيه سنة ثلاث وخمسين فظفر به وقتله، ودهم المغرب

اثر ذلك على ما دهمه من امر المرابطين من لمتونة ، وخشي الفتوح مغبّة احوالهم فافرج عن فاس .

وزحف صاحب القلعة بلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة أربع وخمسين على عادتهم في غزوه ، ودخل فاس واحتمل مـن أكابرهم وأشرافهم رهناً على الطاعة ، وقفل الى قلعته . وولي على المغرب بعد الفتوح معنصر بن حماد بن منصور ، وشغل بحروب لمتونة . وكانت لهم عليه الواقعة المشهورة سنة خمس وخمسين ، ولحق بصدينة . وملك يوسف بن تاشفين والمرابطون فاس، وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ، ومثل بهم بالحرق والصلب . ثم زحف الى مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مدينة مكناسة، وقد كان دخل في دعوة المرابطين فهزمه وبعث برأسه الى سكون البرغواطي الحاجب صاحب سبتة . وبلغ الخبر الى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرابطين لحصار فاس فاخذوا بمخنقها ، وقطعوا المرافق عنها حتى اشتد باهلها الحصار ومسهم الجهد . وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدبرة عليه ، وفقد في الملحمة ذلك اليوم سنة ستين . وبايع اهل فاس من بعده ابنه تميم بن معنصر فكانت ايامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء . وشغل يوسف بن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة ، حتى اذا كانت سنة اثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة عمد الى فاس فحاصرها اياماً ، ثم اقتحمها عنوة وقتل

بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وقبائل زناتة . وهلك تميم في جملتهم حتى اعوزت مواراتهم فرادى ، فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات . وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان ، وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين العدوتين وصيرها مصراً ، وادار عليهما سوراً واحداً ، وانقرض أمر مغراوة من فاس والبقاء لله .



بَنُوخَزْرون مُلوكُ سِجِلْمَاسَة

الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الأولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصائره

كان خَزْرون بن فَلْفول بن خَزَرَ من أُمراء مَغْراوَة وأعيان بني خزر ، ولما غلبهم بُلُكّين بن زيري وَصَنْهاجة على المغرب الاوسط تحيّزوا الى المغرب الاقصى وراء مَلْوِيّة . وكان بنو خزر يدينون بالدعوة المَرْوانيَّةِ كما ذكرناه . وكان المنصور ابن ابي عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لاول حجابته من احوال العدوة على ضبط سَبْتَة برجال الدولة ووجوه القواد وطبقات العسكر ، ودفع ما وراءها الى امراء زناتة من مغراوة وبني يفْرَن ومِكْناسة . وعول في ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم ، وتعهدهم بالعطاء وافاض فيهم الاحسان فازدلفوا اليه بوجوه التقربات واسباب الوصائل . وان خزرون ابن فلفول هذا زحف يومئذ الى سجلماسه وبها المعتز من أعقاب ال مدرار ، انتزى بها اخوه المنتصر بعد قفول جوهر الى المغرب وظفره باميرهم الشاكر لله محمد بن الفتح ، فوثب المنتصر من أعقابهم بعده على سجلماسة وتملكها . ثم وثب به أخوه ابو محمد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة فقتله وقام بامر سجلماسة ، واعاد بها ملك بني

مدرار وتلقب المعتز بالله، فزحف اليه خزرون بن فلفول سنة ست وستين في جموع مغراوة، وبرز اليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماسة. ومحا دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر، واقام الدعوة بها للمؤيد هشام، فكانت اول دعوة اقيمت للمروانية بذلك الصقع، ووجد للمعتز مالاً وسلاحاً فاحتقبها وكتب بالفتح الى هشام وانفذ رأس المعتز فنصب بباب سدته. ونسب الاثر في ذلك الفتح الى صحابة محمد بن ابي عامر ويمن طائره، وعقد لخزرون على سجلماسة وأعمالها، وجاءه عهد الخليفة بذلك فضبطها وقام بامرها الى ان هلك فولي امر سجلماسة من بعده ابنه وانودين.

ثم كان زحف زيري بن مناد [1] الى المغرب الاقصى سنة تسع وستين، وفرت زناتة امامه الى سبتة. وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبتة. ثم افرج عنها وشغل بجهاد برغواطة، وبلغه ان وانودين بن خزرون أغار على نواحي سجلماسة، وانه دخلها عنوة واخذ عامله وما كان معه من المال والذخيرة، فرحل اليها سنة ثلاث وتسعين وفصل عنها فهلك في طريقه، ورجع وانودين بن خزرون الى سجلماسة. وفي اثناء ذلك كان تغلّب زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر على المغرب وملكه فاس

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ، والغالب ـ حسب مقتضى الوقائع ـ أن المقصود هنا: بلكين بن زيري.

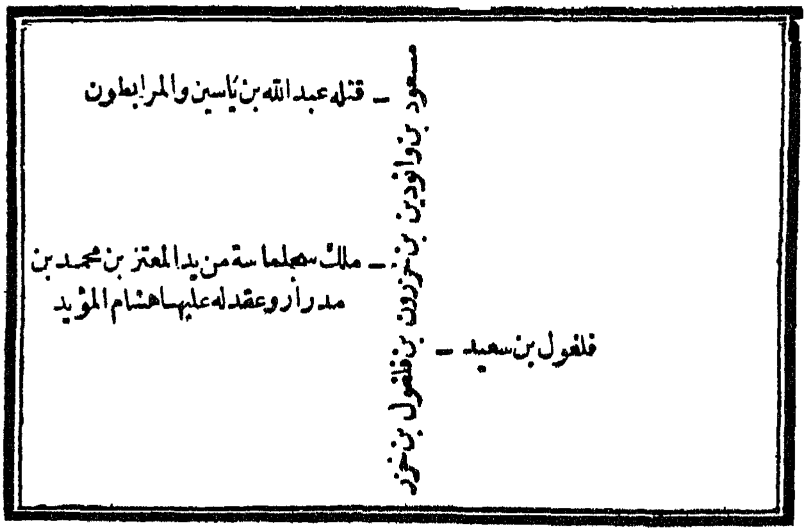
بعد هشام . ثم انتقض على المنصور آخراً واجاز ابنه عبد الملك في العساكر الى العدوة سنة ثمان وثمانين، فغلب عليها بني خزر ونزل فاس، وبث العمال في سائر نواحي المغرب لسد الثغور وجباية الخراج ، وكان فيها عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكناسي النازع اليهم من اولياء الشيعة ، فعقد له على سجلماسة حين فرّغنها بنو خزرون فملكها واقام فيها الدعوة . ولما قفل عبد الملك الى العدوة واعاد واضحاً الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من وجوه بني خزر : كان منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وابن عمه فلفول بن سعيد فأمنهم، ثم رجع وانودين الى عمله بسجلماسة بعد ان تضامن امرها وانودين وفلفول بن سعيد على مال مفروض وعدة من الخيل والدَّرَق [1] يحملان ذلك اليه كل سنة ، واعطيا ابناهما رهناً فعقد لهما واضح بذلك ، واستقل وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ اول سنة تسعين مقيماً فيها للدعوة المروانية . ورجع المعز بن زيري الى ولاية المغرب بعهد المظفر بن ابي عامر سنة ست وتسعين، واستثنى عليه فيها امر سجلماسة لمكان وانودين بها . ولما انتثر سلك الخلافة بقرطبة ، وكان امر الجماعة للطوائف، واستبد أمراء الامصار والثغور وولاة الأعمال بما في ايديهم، استبد وانودين هذا باعمال سجلماسة وتغلب على عمل درعة واستضافه اليـه .

(١) جمع درقه وهي الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب.

ونهض المعز بن زيري صاحب فـاس سنة سبع وأربعمائة في جموعهم من مغراوة يحـاول انتزاع هذه الاعمال من يد وانودين فبرز اليه في جموعه وهزمه، وكان ذلك سبباً في اضطراب أمر المعز الى ان هلك، واستفحل ملك وانودين واستولى على صفروي[1] من اعمال فاس، وعلى جميع قصور مَلْوِيّة، وولى عليها من أهل بيته. ثم هلك وولي امره من بعده ابنه مسعود بن وانودين، ولم أقف على تاريخ ولايته ومهلك ابيه.

ولما ظهر عبدالله بن ياسين، واجتمع اليه المرابطون من لمتونة ومسوفة وسائر الملثمين، وافتتحوا امرهم بغزو درعة سنة خمس واربعين فاغاروا على إبل كانت هنالك في حمى لمسعود بن وانودين حماه لها وهو بسجلماسة، فنهض لمدافعتهم وتواقفوا، فانهزم مسعود ابن وانودين وقتل كما ذكرناه في أخبـار لمتونة. ثم اعادوا الغزو الى سجلماسة من العام المقبل، فدخلوها وقتلوا من كان بها من فلّ مغراوَةَ. ثم تتبّعوا من بعد ذلك اعمال المغرب وبلاد سوس وجبال المصامدة، واقتحموا صفروي سنة خمس وخمسين، وقتلوا من كان بها من اولاد وانودين وبقيّة مغراوة. ثم اقتحموا حصون مـلوية سنة ثلاث وستين، وانقرض امر بني وانودين كأن لم يكن، والبقاء لله وحده. وكلّ شيء هالك إلا وجهـه، سبحانه وتعالى لا ربّ سواه، ولا معبود إلّا إياه، وهو على كل شيء قدير.

(١) كذا، وفي ب: صيرون. ولم يذكر صاحب معجم البلدان صيرون ولا صفروي.



الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلفول من أهل الطبقة الأولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مَغراوَةُ وبنو خَزَرَ ملوكهم قد تحيّزوا الى المغرب الاقصى امَام بُلُكّين ؛ ثم اتبعهم سنة تسع وستـين في زحفه المشهور ، وأحجَرَهم بساحة سَبْتَة حتّي بعثوا صريخهم الى المنصور . وجاءهم الى الجزيرة مشارفاً لأحوالهم وأمدّهم بجعفر بن يحي ومن كان معه من مـلوك البربر وزناتة ، فامتنعوا على بلكين ، ورجع عنهم فتقرى اعمال المَغرب ، وهلك في منصرفه سنة اثنتين وسبعين ، ورجع احياء مَغراوَة وبني يِفرن الى مكانهم منه . وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد الودود عاملاً على المغرب ، وقدم سنة ست

وسبعين ، واختص مُقاتلاً وزيري ابني عَطِيَّة بن عبدالله بن خَزَرَ بمزيد التكرمة ، ولحق نظراؤهما من اهل بيتهما الغيرة من ذلك ، فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر الى صَنْهاجَة سنة سبع وسبعين منحرفاً عن طاعة الأُمويّـة . ووافى المنصور بن بلكين بأشير منصرفه من احدى غزواته ، فتلقّاه بالقبول والمساهمة ، واستبلغ في ترك الاحن . وعقـد له على عمل طُبْنَةَ ، وعقد لابنه وَرُّو بن سعيد على إحدى بناته إحكاماً للمخالصة ، فنزل سعيد واهل بيته بمكان امارته من طبنة . ووفد على المنصور ثانية بالقيروان سنة احدى وثمانين ، وخرج للقائه ، واحتفل في تكرمته ونُزُله . وأدركه الموت بالقيروان فهلك لسنته . ووفد ابنه فلفول من مكان عمله ، فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه ، وزف اليه ابنته ، وسوّغه ثلاثين حملاً من المال ، وثلاثين تختاً من الثياب ، وقرّب اليه مراكب بسروج مثقلة ، واعطاه عشره من البنود مذهبة ، وانصرف الى عمله .

وهلك المنصور بن بلكين سنة خمس وثمانين ، وولي ابنه باديس فعقد لفلفول عـلى عمله بِطُبْنَةَ . ولما انتقض زيري بن عَطِيَّة على المنصور بن أبي عامر ، وسرّح اليه ابنه المُظَفَّر في العساكر كما قلناه ؛ فغلبه على أعمال المغرب . ولحق زيري بالقفر ؛ ثم عاج على المغرب الأوسط ، ونازل ثغور صَنْهاجَـةَ ، وحاصر تَيْهَرْتَ ، وبها يَطُّوفَت بن بُلُكِّين . وزحف اليه حمّاد بن بلكين من أشير في العساكر من تُلُكَّاتَة ، ومعه محمّد بن أبي العرب قـائد باديس ،

بعثه في عساكر صنهاجة من القيروان مُمِدّاً ليطوفت. وأوعز الى حماد بن بلكين، وهو باشير أن يكون معه. ولقيهم زيري بن عطية ففض جموعهم، واستولى على معسكرهم؛ واضطرمت إفريقية فتنةً، وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل زناتة. وخرج باديس بن المنصور من رُقَادَة في العساكر الى المغرب. ولما مرّ بطبنة استقدم فلفول بن سعيد بن خزرون ليستظهر به على حربه، فاستراب واعتذر عن الوصول. وسأل تجديد العهد الى مقدم السلطان فأُسعف. ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة، فارتحلوا عن طبنة وتركوها. ولما ابعد باديس رجع فلفول الى طبنة فعاث في نواحيها، ثم فعل في تيجس كذلك، ثم حاصر باغاية. وانتهى باديس الى اشير، وفر زيري بن عطية الى صحراء المغرب، ورجع باديس بعد ان ولى على تاهرت واشير عمه يطوفت بن بلكين. وانتهى الى المسيلة، فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوي وعزم ومغنين، فخاف أبو البهار إحن زيري، ولحق بهم من معسكره. وبعث باديس في أثرهم عمه حماد بن بلكين، ورحل هو الى فلفول ابن سعيد بعد ان كان سرّح عساكره اليه، وهو محاصر باغاية، وهزمهم وقتل قائدهم ابا زعيل. ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها، واتبعه باديس الى مرماجَنّة، فتزاحفوا وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم، فلم يثبتوا لِلّقاء، وانكشفوا عنه. وانهزم الى جبل الِخناش، وترك القَيْطون بما فيه. وكتب باديس

بالفتح الى القيروان ، وقد كان الارجاف أخذ منهم المأخذ ، وفرّ كثير منهم الي المهدية ، وشرعوا في عمل الدروب لما كانوا يتوقعون من فلفول بن سعيد حين قتل ابا زعيل ، وهزم جيوش صنهاجة ، وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين . وانصرف باديس الى القيروان ، ثم بلغه أن أولاد زيري اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ، ونزلوا جميعاً بحصن تَبِسَّة ، فخرج باديس من القيروان اليهم ، فافترقوا ولحق العمومة بزيري بن عطية ما خلا ماكسن وابنه محسن ، فانهما اقاما مع فلفول . ورحل باديس في اثره سنة احدى وتسعين ، وانتهى الى بسكرة ففرّ فلفول الى الرمال . وكان زيري بن عطية محاصراً لاشير اثناء هذه الفتنة ، فافرج عنها ، ورجع عنه أبو البهار بن زيري الى باديس ، وقفل معه الى القيروان . وتقدّم فلفول بن سعيد الى نواحي قابس وطَرابُلس ، فاجتمع اليه من هنالك من زناتة ، وملك طرابلس على ما نذكر .

وذلك ان طرابلس كانت من أعمال مصر ، وكان العامل عليها بعد رحيل مَعَدّ الى القاهرة عبدالله بن يَخْلِفَ الكتاميّ . ولما هلك مَعَدٌّ رغب بلكين من نزار العزيز اضافتها الى عمله ، فأسعفه بها ، وولى عليها تَمصولَت بن بَكَّار من خواصِّ مواليه . نقله اليها من ولاية بونة ، فاقام والياً عليها عشرين سنة الى أيام باديس ، فتنكرت له الأحوال عما عهد ، وبعث الى الحاكم بمصر يرغب الكون في حضرته ، وأن يتسلم منه عمل طرابلس . وكان بَرْجُوانُ الصِقْلِي

مستبداً على الدولة ، وكان يغص بمكان يأنس الصقلبي منها ؛ فابعده عن الحضرة لولاية برقة . ثم لما تتابعت رغبة تمصولت صاحب طرابلس ، اشار برجوان ببعث يأنس اليها ، فعقد له الحاكم عليها ، وامره بالنهوض الى عملها فوصلها سنة تسعين . ولحق تمصولت بمصر ، وبلغ الخبر الى باديس ، فسرّح القائد جعفر بن حبيب في العساكر ليصدّه عنها . وزحف اليه يأنس فكانت عليه الهزيمة وقتل. ولحق فتوح بن علي من قواده بطرابلس ، فامتنع بها ونازله جعفر ابن حبيب ، وأقام عليها مدّة . وبينما هو محاصر لها اذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر أن فلفول بن سعيد نزل على قابس ، وأنه قاصد الى طرابلس ، فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل . وجاء فلفول فنزل بمكانه ، وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة وقاصدين قابس ، فتخلى فلفول عن طريقهم ، وانصرفوا الى قابس .

وقصد فلفول مدينة طرابلس فتلقاه اهلها ، ونزل له فتوح بن علي عن إمارتها ، فملكها واوطنها من يومئذ ، وذلك سنة احدى وتسعين ، وبعث بطاعته الى الحاكم ، فسرّح الحاكم يحيى بن علي ابن حمدون ، وعقد له على اعمال طرابلس وقابس ، فوصل الى طرابلس ، وارتحل معه فلفول بن سعيد وفتوح بن علي بن غفيانان في عساكر زناتة الى حصار قابس ، فحصروها مدة ، ورجعوا الى طرابلس . ثم رجع يحيى بن علي الى مصر ، واستبد فلفول بعمل

طرابلس ، وطالت الفتنة بينه وبين باديس . ويئس من صريخ مصر ، فبعث بطاعته الى المهدي محمد بن عبد الجبار بِقُرْطُبَةَ ، واوفد عليه رسله في الصريخ والمدد ، وهلك فلفول قبل رجوعهم اليه سنة اربعماية ، واجتمعت زناتة على إخيه ورّو بن سعيد .

وزحف باديس الى طرابلس ، واجفل ورّو ومن معه من زناتة عنها ، ولحق بباديس من كان بها من الجند ، فلقوه في طريقه ، وتمادى الى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول . وبعث اليه ورّو بن سعيد يسأل الامان له ولقومه ، فبعث اليه محمد بن حسن من صنائعه ، فاستقدم وفدهم بامانه فوصلهم ، وولى ورُّو على نفزاوَةَ والنعيم بن كنُّون على قَسْطيلية ، وشرط عليهم ان يرحلوا بقومهم عن اعمال طرابلس ، ورجعوا الى اصحابهم . وارتحل باديس الى القيروان ، وولى على طرابلس محمد بن حسن . ونزل ورو بنفزاوة والنعيم بقسطيلية . ثم انتقض ورو سنة احدى واربعماية ، ولحق بجبال ايدمر ، فتعاقدوا على الخلاف . واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة الى عمله . ورجع خزرون بن سعيد عن اخيه ورو الى السلطان باديس ، وقدم عليه بالقيروان سنة اثنتين واربعماية ، فتقبّله ووصله ، وولاه عمل اخيه نفزاوة وولى بني عجلية من قومه على قفصة ، وصارت مدن الماء كلها لزناتة . وزحف ورو بن سعيد فيمن معه من زناتة الى طرابلس . وبرز اليه عاملها محمد بن حسن فتواقفوا ودارت بينهم حرب شديدة انهزم فيها ورُّو ، وهلك

كثير من قومه. ثم راجع حصارها وضيّق على اهلها، فبعث باديس الى خزرون أخيه والى النعيم بن كنون امراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم، فخرجوا اليه وتواقفوا بِصَبْرَةَ ما بين قابس وطرابلس. ثم اتفقوا ولحق اصحاب خزرون باخيه ورُّو. ورجع خزرون الى عمله، واتهمه السلطان بالمداهنة في شأن اخيه ورو، واستقدمه من نفزاوة فاستراب وأظهر الخلاف. وسرح السلطان اليه فتوح بن احمد في العساكر فاجفل عن عمله. واتبعه النعيم وسائر زناتة، ولحقوا جميعاً بورو بن سعيد سنة اربع وتظاهروا على الخلاف، ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس.

واشتد فساد زناتة، فقتل السلطان من كان عنده رهن زناتة. واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعاً عن اخيه ورُّو في طائفة من ابنائه واخوانه، فقتلوا معهم جميعاً. وشغل السلطان بحرب عمه حماد. ولما غلبه بِشِلْف وانصرف الى القيروان، بعث اليه ورُّو بطاعته. ثم كان مهلك ورُّو سنة خمس واربعماية، وانقسم قومه على ابنه خليفة واخيه خزرون بن سعيد، واختلفت كلمتهم. ودسّ محمد بن حسن عامل طرابلس في التضريب بينهم. ثم صار اكثر زناتة الى خليفة، وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على القيطون، وضبط زناتة، وقام فيهم بامر ابيه، وبعث بطاعته الى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها. ثم هلك باديس، وولي ابنه المعز سنة ستٍ، وانتقض خليفة بن ورُّو عليه، وكان

اخوه حماد بن ورو يضرب على اعمال طرابلس وقابس، ويواصل عليها الغارة والنهب إلى سنة ثلاث عشرة، فانتقض عبدالله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وامكنه من طرابلس. وكان سبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس لأول ولايته استقدم محمد بن حسن من طرابلس فاستخلف عليها اخاه عبدالله بن حسن، وقدم على المعز، وفوض اليه تدبير مملكته، واقام على ذلك سبعاً، وتمكنت حاله عند السلطان، وكثرت السعاية فيه، فنكبه وقتله. وبلغ الخبر الى اخيه، فانتقض كما قلناه، وامكن خليفة بن ورو وقومه من مدينة طرابلس، وقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليهم. ونزل خليفة بقصر عبدالله واخرجه عنه، واستصفى امواله وحرمه. واتصل ملك خليفة بن ورّو وقومه بني خزرون بطرابلس. وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحاكم سنة سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق، ويخطب عهده على طرابلس فاجابه الى ذلك، وانتظم في عمله. واوفد في هذه السنة أخاه حماداً على المعز بهديّة، فتقبّلها وكافأه عليها.

هذا آخر ما حدث ابن الرقيق من أخبارهم. ونقل ابن حماد وغيره ان المعز زحف اعوام ثلاثين واربعماية الى زناتة بجهات طرابلس، فبرزوا اليه وهزموه وقتلوا عبدالله بن حماد، وسبوا اخته ام العلو بنت باديس، ومنوا عليها بعد حين واطلقوها الى اخيها. ثم زحف اليهم ثانية؛ فهزموه. ثم اتيحت له الكرة

عليهم فعلبهم واذعنوا لسلطانه ، واتقوه بالمهادنة ؛ فاستقام امرهم على ذلك . وكان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن ورو على زناتة لحق بمصر ، فاقام فيها بدار الخلافة ، ونشأ بنوه بها ، وكان منهم المنتصر بن خزرون واخوه سعيد . ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر ، وغلبهم الترك واجلوهم عنها ، لحق المنتصر وسعيد بطرابلس واقاما في نواحيها . ثم ولي سعيد امر طرابلس ، ولم يزل بها والياً الى ان هلك سنة تسع وعشرين .

وقال ابو محمد التجاني في رحلته عند ذكر طرابلس : ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين ، وقدم خزرون ابن خليفة من القيطون بقومه الى ولايتها ، فامكنه رئيس الشورى بها يومئذ من الفقهاء ابو الحسن بن المنمر[1] المشهور بعلم الفرائض وبايع له ، واقام بها خزرون الى سنة ثلاثين بعدها ، فقدم المنتصر ابن خزرون في ربيع الاول منها ، ومعه عساكر زناتة ، ففر خزرون ابن خليفة من طرابلس مختفياً ، وملكها المنتصر بن خزرون ، واوقع بابن المنمر ونفاه ، واتصلت بها امارته . انتهى ما نقله التجاني . وهذا الخبر مشكل من جهة ان زغبة من العرب الهلاليين ، وانما جاؤا الى افريقية من مصر بعد الاربعين من تلك المائة ، فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين الا ان كان تقدم بعض احيائهم الى افريقية من قبل ذلك . وقد كان بنو

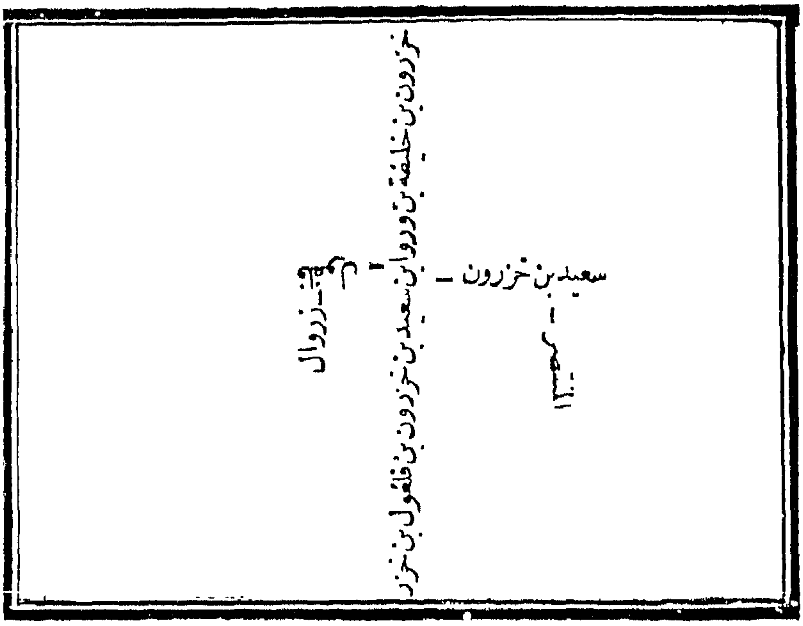
(١) كذا وفي ب: المنتصر.

قرة ببرقة ، وبعثهم الحاكم مع يحيى بن علي بن حمدون ، الا ان ذلك لم ينقله احد .

ولم تزل طرابلس بايدي بني خزرون الزناتيين . ولما وصل العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على اعمال افريقية واقتسموها كانت قابس وطرابلس في قسمة زغبة ، والبلد لبني خزرون . ثم استولى بنو سليم على الضاحية ، وغلبوا عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن . ولم تزل البلد لبني خزرون . وزحف المنتصر بن خزرون مع بني عدي من قبائل هلال مجلباً على اعمال بني حماد، حتى نزل المسيلة ونزل اشير . ثم خرج اليهم الناصر ، ففروا امامه الى الصحراء ، ورجع الى القلعة ، فرجعوا الى الاجلاب على اعماله فراسله الناصر في الصلح واقطعه ضواحي الزاب وريغة . واوعز الي عروس بن سندي رئيس بسكرة لعهده ان يمكر به . فلما وصل المنتصر الى بسكرة انزله عروس ، ثم قتله غيلة اعوام ستين واربعمائة ، وولي طرابلس واحد من قومه بني خزرون لم يحضرني اسمه واختل ملك صنهاجة ، واتصل فيهم ملك تلك الاعمال الى سنة اربعين وخمسماية .

ثم نزل بطرابلس ونواحيها في هذه السنة مجاعة ، واصابتهم منها شدة هلك فيها الناس ، وفروا عنها ، وظهر اختلال احوالها وفناء حاميتها ، فجهز اليها رجار طاغية صقلية اسطولا لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولاته فيها . ووقع

بين اهل طرابلس الخلاف ، فغلب عليهم جرجي بن ميخائيل قائد الاسطول وملكها ، واخرج منها بني خزرون ، وولى على البلد شيخه ابا يحيى بن مطروح التميمي ، فانقرض امر بني خزرون منها . وبقي منهم من بقي بالضاحية الى ان افتتح الموحدون افريقية . وكانت ثورة المسلمين بهم ، واخراج النصارى من بين اظهرهم كما ذكرناه في اخبار افريقية آخر الدولة الصنهاجية . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده ، سبحانه لا إله غيره .



بنو يعلى ملوك تلمسان

الخبر عن بني يعلى ملوك تلمسان من ال خزر من أهل الطبقة الأولى والالمام ببعض أحوالهم ومصائرها

قد ذكرنا في اخبار محمد بن خزر وبنيه ان محمد بن الخير ، الذي قتل نفسه في معركة بلكين كان من ولده الخير ويعلى . وانهم الذين ثاروا منهم بأبيه زيري فقتلوه ، واتبعهم بلكين من بعد ذلك ، واجلاهم الى المغرب الاقصى ، حتى قتل محمد منهم صبراً أعوام ستين وثلاثمائة بنواحي سجلماسة ، قبل فصول معد الى القاهرة ، وولاية بلكين على افريقية . وقام بامر زناتة بعد الخير ابنه محمد ، وعمه يعلى بن محمد . وتكررت إجازة محمد بن الخير هذا وعمه يعلى الى المنصور بن ابي عامر كما ذكرنا ذلك من قبل . وغلبهم ابنا عطية بن عبدالله بن خزر : وهما مقاتل وزيري على رياسة مغراوة . وهلك مقاتل، واختص المنصور زيري ابن عطية باثرته ، وولاه على المغرب كما ذكرناه . وقارن ذلك مهلك بلكين ، وانتقاض ابي البهار بن زيري صاحب المغرب الاوسط على باديس ؛ فكان من شأنه مع زيري ويدو بن يعلى ما قدمناه . ثم استقل زيري وغلبهم جميعاً على المغرب ، ثم انتقض

على المنصور ، فأجاز اليه ابنه المظفر ، واخرج زناتة من المغرب الاوسط ، فتوغل زيري في المغرب الاوسط، ونازل امصاره، وانتهى الى المسيلة واشير. وكان سعيد بن خزرون قد نزع الى صنهاجة ، وملك طبنة . واجتمع زناتة بافريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده . وانتقض فلفول على باديس عند زحف زيري الى المسيلة واشير ، وشغل باديس ثم ابنه المنصور عن المغرب الاوسط بحرب فلفول وقومه، ودفعوا اليه حماد بن بلكين؛ فكانت بينه وبين زناتة حروب سجال . وهلك زيري بن عطية ، واستقل المعز ابنه بملك المغرب سنة ثلاث وتسعين وثلاثماية ، وغلب صنهاجة على تلمسان وما اليها ، واختط مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كله من قبل .

ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان ، فكانت خالصة له، وبقي ملكها وسائر ضواحيها في عقبه . ثم هلك حماد بعد استبداده ببلاد صنهاجة على ال بلكين، وشغل بنوه بحرب بني باديس ، فاستوسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان ، واختلفت ايامهم مع ال حماد سلماً وحرباً . ولما دخل العرب الهلاليّون إفريقية وغلبوا المعز وقومه عليها ، واقتسموا سائر اعمالها ، ثم تخطوا الى اعمال بني حماد ، فاحجروهم بالقلعة ، وغلبوهم على الضواحي ، فرجعوا الى استيلائهم ، واستخلصوا الأُثْبُجَ منهم وزِغْبَة ، فاستظهروا بهم على زناتة المغرب الاوسط وانزلوهم بالزاب، واقطعوهم الكثير من اعماله، فكانت بينهم وبين بني يعلى امراء تلمسان حروب ووقائع . وكانت زغبة اقرب اليهم

بالمواطن . وكان امير تلمسان لعهدهم بختي من ولد يعلى . وكان وزيره وقائد حروبه ابو سعدى[1] بن خليفة اليفرني ، فكان كثيراً ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الاثبج وزغبة ، ويحتشد من اليهم من زناتة اهل المغرب الاوسط ، مثل مغراوة[2] وبني يلوموا وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين . وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير ابو سعدى اعوام خمسين واربعمائة .

ثم ملك المرابطون أعمال المغرب الاقصى بعد مهلك بختي وولاية ابنه العباس بن بختي تلمسان. وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلي في عساكر لمتونة لحرب من بقي بتلمسان من مغراوة ، ومن لحق بهم من فل بني زيري وقومهم ، فدوخ المغرب الاوسط ، وظفر بيعلى بن العباس ابن بختي ، برز لمدافعتهم ، فهزمه وقتله ، وانكفأ راجعاً الى المغرب . ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه في جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين ، فافتتح تلمسان ، واستلحم بني يعلى ، ومن كان بها من مغراوة ، وقتل العباس ابن بختي اميرها من بني يعلى . ثم افتتح وهران وتنس ، وملك جبل وانشريش وشلف الى الجزائر ، وانكفأ راجعاً وقد محا اثر مغراوة من المغرب الاوسط ، وانزل محمد بن تينعمر المسوفي في عسكر من المرابطين بتلمسان ، واختط مدينة تاكرارت بمكان معسكره وهو اسم محله[3] بلسان البربر ، وهي التي صارت

(١) كذا، وفي ب: أبو سعيد.
(٢) كذا، وفي ب: مثل مغراوة وبني يفرن وبني يلوموا.
(٣) كذا، وفي ب: المحلة.

اليوم مع تلمسان تلمسان القديمة التي تسمى اكادير بلداً واحداً ، وانقرض امر مغراوة من جميع المغرب كأن لم يكن . والبقاء لله وحده سبحانه .

الخبر عن أمراء أغمات من مغراوة

لم أقف على اسماء هؤلاء ، إلاأنهم كانوا امراء باغمات آخر دولة بني زيري بفاس، وبني يعلى اليفرني بسلا وتادلا في جوار المصامدة وبرغواطة . وكان لقّوط بن يوسف بن علي آخرهم في سني الخمسين واربعماية ، وكانت امرأته زينب بنت اسحاق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة . ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين فرّ لقوط هذا الى تادلا ، ونزل على محمد بن تميم اليفرني صاحب سلا واعمالها ، الى ان افتتح المرابطون تادلا سنة احدى وخمسين ، وقتل الامير محمد واستلحم بنو يفرن ، فكان الامير لقوط فيمن استلحم . وخلفه ابو بكر ابن عمر امير المرابطين على زينب بنت اسحاق ، حتى اذا ارتحل الى الصحراء سنة ثلاث وخمسين ، واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب ، نزل له عن زوجه زينب هذه ، فكان لها في سياسة امره وسلطانه ، وما اشارت عليه عند مرجع ابي بكر من الصحراء في اظهار الاستبداد ، حتى تجافى عن منازعته ، وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه امر ، كما ذكرنا في اخبارهم . ولم

نقف من اخبار لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذي كتبناه والله ولي العون .

الخبر عن بني سنجاس وريغة والأغواط وبني ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الأولى وتصاريف أحوالهم

هذه البطون الاربعة من بطون مغراوة ، وقد زعم بعض الناس انهم من بطون زَنَاتَة غير مَغْراوَة . أخبرني بذلك الثقة عن ابراهيم بن عبد الله التيمزوغتي (١) قال وهو نسابة زناتة لعهده : ولم تزل هذه البطون الاربعة من اوسع بطون مغراوة . فاما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من افريقية والمغربين ، فنهم قبلة المغرب الاوسط بجبل راشد وجبل كريكرة (٢) وبعمل الزاب وبعمل شلف . ومن بطونهم بنو غيار ببلاد شلف ايضاً ، وبنو غيار (٣) بعمل قُسَنْطينة . وكان بنو سِنْجاس هؤلاء من اوسع القبائل واكثرهم عدداً ، وكان لهم في فتنة زَنَاتَة وصَنْهاجَة آثار بافريقية والمغرب ، واكثرها في افساد السبيل والعيث في المدن ونازلوا قفصة سنة اربع عشرة وخمسماية ، بعد ان عاثوا بجهات القصر ، وقتلوا من وجدوا هنالك من عسكر ملكاتة (٤)

(١) كذا، وفي ب؛ التمروغني.
(٢) كذا، وفي ب: كركر.
(٣) كذا، وفي ب: بنو عيار. وفي إحدى النسخ بنو عنان.
(٤) كذا، وفي ب: تلكاتة.

وخرجت اليهم حاميــة قفصة فــأثخنوا فيهم ، ثم كثر فسادهم ، وسرح السلطان قائده محمد بن أبي العرب في العساكر الى بلاد الجريد ، فشرّدهم عنها وأصلح السابلة . ثم عادوا الى مثلهــا سنة خمس عشرة ، فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأثخن فيهم بالقتــل ، وحمــل رؤوسهم الى القَيْرَوان ، فعظم الفتح فيهم . ولم تزل الدولة تتبعهم بالقتل والاثخان إلى أن خضدوا من شوكتهم .

وجاء العرب الهلاليُّون وغلبوا عــلى الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة، وتحيز فلُّهم الى الحصون والمعاقل ، وضربت عليهم المغارم إلّا ما كان ببلاد القفر ، مثل جبل راشد ، فــانهم لبعدهم عن منازل الملك لا يعطون مغرماً ، إلّا انهم غلب عليهم هنالك العمور مــن بطون الهلاليين ، ونزلوا معهم ، وملكوا عليهم امرهم ، وصاروا لهم فيئــة . ومن بني سنجاس من نزل بالزاب ، وهم لهذا العهد أهل مغارم لمن غلب عــلى ثغورهم من مشايخهم . وأما من نزل منهم ببــلاد شِلْف ونواحي قُسَنْطِينَة ، فهم لهذا العهد أهل مغارم الدول ، وكان دينهم جميعــاً الخارجية على سنن زناتة في الطبقة الاولى ؛ ومن بقي اليوم منهم بالزاب فعلى ذلــك . ومن بني سنجاس هؤلاء بارض المشنتل[1] مــا بين الزاب وجبــل راشد ، أوطنوا جبــاله في جوار غمرة ، وصاروا

(١) كذا، وفي ب: المشيل.

عند تغلّب الهـلاليين في ملكهم يقبضون الاتاوة منهم . ونزل معهم لهذا العهد السحارى من بطون عُزْوَةَ من زغبة ، وغلبوهم على أمرهم ، وأصاروهم خولا . واما بنو ريغة فكانوا أحيـاء متعددة . ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض ، وما اليه من البسيط الى نقاوس ، وأقاموا في قياطنهم : فمن كان بجبل عياض منهم أهل المغارم لامراء عياض يقبضونها منهم للدولة الغالبة ببجاية ، وأما من كان ببسيط نقاوس فهم في اقطاع العرب لهذا العهد . ونزل أيضاً الكثير منهم ما بين قصور الزاب وواركلا ، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب الى الشرق ، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة ، والاطم قد رف عليها الشجر ، ونضدت حفافيفها النخيل ، وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء ، وكثر في قصورهـا العمران من ريغة هؤلاء ، وبهم تعرف لهذا العهد ، وهم اكثرها ، ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة . وتفرقت جماعتهم للتنازع في الرياسة ، فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها او بواحد . ولقد كانت فيما يقـال اكثر من هذا العدد اضعافـاً ، وأن ابن غانية المسوفي حين كان يجلب عـلى بلاد افريقية والمغرب في فتنه مع الموحدين خرب عمرانها ، واجتث شجرها ، وغور ميـاهها ، ويشهد لذلك أثر العمران بها في اطلال الديار ورسوم البناء واعجاز النخل المنقعر . وكان هذا العمل يرجع في اول الدولة الحفصية لعـامل

الزاب ، وكان من الموحدين ، وينزل بسكرة ، يتردد ما بينها وبين مقرة . وكان من اعماله قصور واركله أيضاً . ولما فتك المستنصر بمشيخة الدواودة كما قلناه في اخباره ، وقتلوا بعد ذلك عامل الزاب ابن عتو من مشيخة الموحدين ، وغلبوا ضواحي الزاب وريغة ووار كلة ، واقطعتهم إياها الدول بعد ذلك، فصارت في إقطاعهم . ثم عقد صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزني ، واستقر في عقبه . فربما يسومون بعض الاحيان أهل تلك القصور الغرم للسلطان ، بما كان من الامر القديم ، ويعسكر عليهم في ذلك كتائب من رجالة الزاب وخيالة العرب، ويبذرق عليها الامر الدواودة[1] ، ثم يقاسمهم فيما يجتريه منهم . وأكبر هذه الامصار تسمى تُقّرت ، مصر مستبحر العمران ، بدوي الاحوال ، كثير المياه والنخل ، ورياسته في بني يوسف ابن عبد الله ، كانت لعبيد الله بن يوسف ، ثم لابنه داود ، ثم لاخيه يوسف بن عبيد الله . وتغلب علي وار كلة من يد أبي بكر ابن موسى أزمان حداثته ، وأضافها الى عمله . ثم هلك وصار أمر تُقّرت لأخيه مسعود بن عبيد الله ، ثم لابنه حسن بن مسعود ، ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد . وبنو يوسف بن عُبَيْدِ الله هؤلاء من ريغَةَ ، ويقال إنّهم من سِنْجاس . وفي أهل تلك

(١) كذا بالأصل، ومعنى يبذرق: يبدد المال ولا معنى لها هنا . وفي ب : ويبرز عليها بأمر الدواودة . .

الامصار من مذاهب الخوارج وفرقهم كثير ، وأكثرهم على دين العزابة[1] ، ومنهم النكارِيّة ، أقاموا على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الاحكام. ثم بعد مدينة تُقَّرت بلد تماسين وهي دونها في العمران والخطة ، ورياسته لبني ابراهيم من ريغة ، وسائر امصارهم كذلك : كل مصر منها مستبد بأمره وحرب لجاره.

وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضاً ، فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ، ولهم هنالك قصر مشهور بهم ، فيه فريق من اعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر ، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب ، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان ، وتختلف قصودهم اليه لتحصيل المرافق منه. والله يخلق ما يشاء ويختار.

واما بنو ورا فهم فخذ مغراوة أيضاً ، ويقال من زَنَاتَة وهم متشعبون ومفترقون بنواحي المغرب : فمنهم بناحية مراكش والسوس ، ومنهم ببلاد شلف ، ومنهم بناحية قُسَنْطِينَة. ولم يزالوا على حالهم منذ انقراض زناتة الاولين ، وهم لهذا العهد أهل مغارم وعسكرة مع الدول. وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساؤهم الى ناحية شلف ، نقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بني

(١) كذا، وفي ب: العزابية، وفي نسخة: القرابة.

مَرين في أوّل هذه الماية الثامنة ، لما ارتاب بأمرهم في تلك الناحية وخشي من فسادهم وعيثهم ، فنقلهم في عسكر الى موطن شلف لحمايته ، فنزلوا به . ولما ارتحل بنو مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب ، أقاموا ببلاد شلف ، فاعقابهم به لهذا العهد ، وأحوالهم جميعاً في كل قطر متقاربة في المغرم والعسكرة مع السلطان . ولله الخلق والامر جميعاً . سبحانه لا إله إلا هو الملك العظيم .

الخبر عن بني يرنيان أخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم

قد ذكرنا بني يرنيان هؤلاء ، وانهم اخوة مغراوة وبني يفرن ؛ والكل ولد يصليتن . ونسبهم جميعاً الى جانا مذكور هنالك ، وهم مبثوثون كثيراً بين زناتة في المواطن . واما الجمهور منهم فموطنهم بملوية من المغرب الاقصى ما بين سجلماسة وكرسيف ؛ كانوا هنالك مجاورين لمكناسة في مواطنهم ، واختطوا حفافي وادي ملوية قصوراً كثيرة متقاربة الخطّة ، ونزلوها ، وتعددت بطونهم وافخاذهم في تلك الجهات . ومنهم بنو وطاط موطنون لهذا العهد بالجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة ، ما بينه وبين تازى وفاس ؛ وبهم تعرف تلك القصور لهذا العهد . وكان لبني يرنيان هؤلاء صولة واعتزاز ، واجاز الحكم بن المستنصر منهم ، والمنصور بن أبي عامر من بعده فيمن اجازوه من زناتة ثم الماية الرابعة ، وكانوا من افحل جند الاندلس واشدهم شوكة

وبقي اهل المواطن منهم في مواطنهم مع مكناسة ايام ملكهم، ويجمعهم معهم عصبية يحيى . ثم كانوا مع مغراوة ايضاً ايام ملكهم المغرب الاقصى. ولما ملك لمتونة والموحدون من بعدهم، لحق الظواعن منهم بالقفر ، فاختلطوا باحياء بني مرين الموالين لتلول المغرب من زناتة ، واقاموا معهم في احيائهم ، وبقي من عجز عن الظعن منهم بمواطنهم : مثل بني وطاط وغيرهم ، ففرضت عليهم المغارم والجبايات . ولما دخل بنو مرين الى المغرب ساهموهم في اقسام اعماله ؛ واقطعوهم البلد الطيب من ضواحي سلا والمعمورة ، زيادة الى وطنهم الاول بملوية، وانزلوهم بنواحي سلا بعد ان كان منهم انحراف عنهم في سبيل المدافعةعن مواطنهم الاولى . ثم اصحبوا ، ورعى لهم بنو عبد الحق سابقتهم معهم ، فاصطفوهم للوزارة والتقدم في الحروب ، ودفعوهم الى المهمات وخلطوهم بانفسهم . وكان من اكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبي يعقوب واخيه ابي سعيد الوزير ابراهيم بن عيسى ، استخلصوه للوزارة مرة بعد اخرى ، واستعمله السلطان ابو سعيد على وزارة ابنه ابي علي ، ثم لوزارته . واستعمل ابنه السلطان ابو الحسن ابناء ابراهيم هذا في اكابر الخدام ، فعقد لمسعود بن ابراهيم على اعمال السوس عندما فتحها اعوام الثلاثين وسبعماية ، ثم عزله باخيه حسون ، وعقد لمسعود على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان واربعين ، وكان فيها مهلكه . ونظم اخاهما

موسى في طبقة الوزراء ، ثم افرده بها ايام نكبته ولحاقه بجبل هنتاتة، واستعمله السلطان ابو عنان بعده في العظيات، وعهد له على اعمال سدويكش بنواحي قسنطينة. ورشح ابنه محمد السُبيع لوزارته الى ان هلك، وتقلبت بهم الايام بعده. وقلّد عبد الحليم المعروف بحلي ابن السلطان ابي علي وزارتــه محمد بن السبيع هذا ايام حصــاره لدار ملكهم سنة اثنتين وستين كما نذكره في اخبارهم ، فلم يقدر لهم الظفر . ثم رجع السبيع بعدها الى محله من دار السلطان وطبقة الوزارة ، وما زال يتصرف في الخدم الجليلة والاعمال الواسعة ما بين سجلماسة ومراكش واعمال تازى وتادلا وغمارة ، وهو على ذلك لهذا العهد . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

الخبر عن وجديجن وواغمرت من قبائل زناتة
ومبادىء أحوالهم وتصاريفها

قد تقدم ان هذين البطنين من بطون زناتة من ولد ورتنيص ابن جانا، وكان لهم عدد وقوة، ومواطنهم مفترقة في بلاد زناتة: فامـا وجديجن فكان جمهورهم بالمغرب الاوسط ، ومواطنهم منه منداس ما بين بني يفرن من جانب الغرب ، ولواتة مــن جانب القبلة فيالسرسو، ومطماطة من جانب الشرق في وانشريش. وكان اميرهم لعهد يعلى بن محمد اليفرني رجلًا منهم اسمه عنان ، وكانت

بينهم وبين لواتة الموطنين بالسرسو فتنة متصلة، يذكر انها بسبب امرأة من وجديجن نكحت في لواتة وتلا، جامعها نساء قيطونهم فعيرنها بالفقر، فكتبت بذلك الى عنان تدمره[1]، فغضب واستجاش باهل عصبته من زناتة وجيرانه، فزحف معه يعلى في بني يفرن وكلمام بن حياتي[2] في مغيلة وغرابة في مطماطة، ودارت الحرب بينهم وبين لواتة ملياً. ثم غلبوا لواتة في بلاد السرسو، وانتهوا بهم الى كدية العابد من اخرها. وهلك عنان شيخ وجديجن في بعض تلك الوقائع بملاكو من جهات السرسو. ثم لجأت لواتة الى جبل كريكرة قبلة السرسو وكان يسكنه احياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علاهم ربيب لشيخهم عمر بن تامصا الهالك قبله، ومعنى تامصا بلسان البربر الغول. ولما لجأت لواتة اليه غدر بهم واغرى قومه، فوضعوا ايديهم فيهم سلباً وقتلاً، فلاذوا بالفرار، ولحقوا بجبل لعود[3] وجبل دراك، فاستقروا هنالك آخر الدهر. وورثت وجديجن مواطنهم بمنداس الى ان غلبهم عليها بنو يلومي، وبنو ومانو كل من جهته ثم غلب الاخرين عليها بنو عبد الواد، وبنو توجين الى هذا العهد. والله وارث الارض ومن عليها.

---

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ ولا معنى لدمر هنا، وأنها محرمة عن «تذمره». ومعنى ذمره: تهدده، وذمره على الأمر حضه مع لوم ليجد فيه.

(٢) كذا وفي نسخة: حبان.

(٣) كذا، وفي ب، معود، وفي نسخة يعود.

واما واغمرت ، ويسمون لهذا العهد غمرت ، وهم اخوة وجديجن ومن ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه ، فكانوا من اوفر القبائل عدداً ، ومواطنهم متفرقة ، وجمهورهم بالجبال الى قبلة بلاد صنهاجة من المشنتل الى الدوسن . وكان لهم مع ابي يزيد صاحب الحمار في الشيعة آثار ، واوقع بهم اسماعيل عند ظهوره على ابي يزيد ، واثخن فيهم ، وكذلك بُلُكِّين وصَنْهاجة من بعده. ولما افترق امر صنهاجة بحماد وبنيه كانوا شيعا لهم على بني بلكين. ونزع عن حماد ايام فتنته ابن ابي جلى من مشيختهم ، وكان مختصاً به ، فنزع الى باديس ، فوصله وحمل اصحابه ، وعقد له على طُبْنَة واعمالها . حتى اذا جاء العرب الهلاليون ، وغلبوهم على الضواحي ، اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة، وصدوا بها عن الظعن ، وتركوا القيطون الى سكنى المدن . ولما غلب الدواودة على ضواحي الزاب وما اليها ، اقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التي لغمرت . وهم لهذا العهد في سهمان اولاد يحيى بن علي بن سباع من بطونهم . وكان في القديم من غمرت هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الان ، ويتناقلون بينهم كلماته برطانتهم على طريقة الرجز ، فيها اخبار بالحدثان فيما يكون لهذا الجيل الزناتي من الملك والدولة، والتغلب على الاحياء والقبائل والبلدان . شهد كثير من الواقعات على وفقها بصحتها ، حتى لقد نقلوا من بعض كلماته تلك ما معناه

باللسان العربي ان تلمسان ينالها الخراب،وتصير دورها فدناحتى يثير ارضها حراث اسود بثور أسود اعور . وذكر الثقات انهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلمته هذه ايام لحقها الخراب في دولة بني مرين الثانية سني ستين وسبعماية، وافرط الخلاف بين هذا الجيل الزناتي في التشييع له والحمل عليه : فمنهم من يزعم انه ولي او نبي ، وآخرون يقولون كاهن . ولم تقفنا الاخبار الصحيحة على الجلي من امره . والله اعلم

الخبر عن بني واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب إليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم

بنو واركلا هؤلاء احدى بطون زناتة ، كما تقدم ، من ولد فريني[1] بن جانا، وقد مر ذكرهم. وان اخوانهم يَزْمَرْتِن ومَنْجَصَة ونمالته[2] المعروفون لهذا العهد : منهم بنو واركلا . وكانت فئتهم قليلة ، وكانت مواطنهم قبلة الزاب ، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة ، في القبلة عنها ميامنة الى المغرب . بنوها قصوراً متقاربة الخطة . ثم استبحر عمرانها ، فائتلفت وصارت مصراً . وكان معهم هنالك جماعة من بني زنداك من مغراوة ، واليهم كان هرب ابن ابي يزيد النكاري عند

(١) كذا، وفي ب: فرني.
(٢) كذا، وفي ب: أخوتهم الديرت ومر نجيصة وسبرترة ونماله. الخ.

فراره من الاعتقال لسنة خمس وعشرين وثلاثماية ، وكان مقامه بينهم سنة يختلف الى بني برزال بسالات ، والى قبائل البربر بجبل اوراس ، يدعوهم جميعاً الى مذهب النكارية ، الى ان ارتحل الى اوراس ، واستبحر عمران هذا المصر ، واعتصم به بنو واركلا هؤلاء ، والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الهلاليين اياهم على المواطن ، واختصاص الاثبج بضواحي القلعة والزاب وما اليها .

ولما استبد الامير ابو زكريا بن ابي حفص بملك افريقية وجال في نواحيها في اتباع ابن غانية ؛ مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره ، فاختط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة ، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشاً في الحجارة . وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر [١] من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان،يسلكها التجار الداخلون اليها بالبضائع. وسكانها لهذا العهد من اعقاب بني واركلا واعقاب اخوانهم من بني يفرن ومغراوة ، ويعرف رئيسه باسم السلطان ، شهرة غير نكيرة بينهم ، ورياسته لهذه الاعصار مخصوصة ببني ابي غبول [٢] ويزعمون انهم من بني واكير ، احدى بيوت بني واركلا ، وهو بهذا العهد ابو بكر بن موسى بن سليمان من بني ابي غبول ،

---

(١) في القاموس : والسفر أيضاً المسافرون جمع سافر؛ كصحب وصاحب.

(٢) كذا ، وفي ب : أبي عبدل، وفي نسخة غبول.

ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب . وعلى عشرين مرحلة من هذا المصر في القبلة منحرفاً الى الغرب بيسير بلد تكدة قاعدة وطن الملثمين، وركاب الحاج من السودان، اختطه الملثمون من صنهاجة وهم ساكنوه لهذا العهد، وصاحبه امير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان، وبينه وبين امير الزاب مراسلة ومهاداة. ولقد قدمت على بسكرة سنة اربع وخمسين ايام السلطان ابي عنان في بعض الاغراض الملوكية، ولقيت رسول صاحب تكدة عند يوسف بن مزني امير بسكرة، واخبرني عن استبحار هذا المصر في العمارة، ومرور السابلة، وقال لي : اجتاز بنا في هذا العام سفرٌ من تجار المشرق الى بلد مالي كانت زكاتهم[1] اثنتي عشر الف راحلة . وذكر لي غيره ان ذلك هو الشأن في كل سنة. وهذا البلد في طاعة سلطان مالي من السودان كما في سائر تلك البلاد الصحراوية المعروفة باطلستين[2] لهذا العهد. والله غالب على امره سبحانه .

الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولي منهم بالأندلس وأولية ذلك ومصائره

بنو دمر هؤلاء من زناتة وقد تقدم أنهم من ولد ورسيك بن

(١) كذا، وفي ب: ركابهم، وهو الأصح حسب مقتضى السياق.
(٢) كذا، وفي ب: الملثمين.

أديدت بن جانا ، وشعوبهم كثيرة ، وكانت مواطنهم بافريقية في نواحي طرابُلس وجبالها ، وكان منهُم آخرون ظواعن بالضواحي من عرَب افريقية . ومن بطون ايدمر هؤلاء بنو ورغمة ، وهم لهذا العهْد مع قومهِم بجبال طرابلس . ومن بطونهِم أيضاً بطن متسع كثير الشعوب وهم بنو ورنيد، بن وانتن بن وارديرن بن دمر ، وأن من شعوبهِم بني ورتاتين وبني غرزول وبني تفورت، وربما يقال ان هؤلاء الشعوب لا ينتسبون الى دمر من ورنيد كما تقدم . وبقايا بني ورنيد لهذا العهْد بالجبل المطل على تِلمْسَان، بعد ان كانوا في البسيط قبلته ، فزحمهُم بنو راشد حين دخولهم من بلادهم بالصحراء الى التـل ، وغلبوهم عـلى تلك البسائط فانزاحوا الى الجبـل المعروف بهِم لهذا العهْد ، وهو المطل على تلمسان . وكان قد أجاز الى الاندلس من ايدمر هؤلاء أعيـان ورجالات حرب فيمن أجاز اليهَا من زنـاتة وسائر البربر ، أيام أخذهم بدعوة الحكم المستنصر ، فضمهُم السلطان الى عسكره ، واستظهَر بهِم المنصور بن أبي عامر من بعد ذلك على شأنه، وقرى بهِم المستعين أديم دولته . ولما اعصوصب البربر على المستعين ، وبني حمود من بعده ، وغـالبوا جنود الانـدلس من العرب ، وكانت الفتنة الطويلة بينهُم التي نثرت سلك الخلافة ، وفرقت شمل الجماعة ، واقتسموا خطط الملك وولايات الاعمال ، وكان من رجالاتهِم نوح الدمري ، وكان من عظماء أصحاب المنصور ،

وولاه المستعين اعمال مودور[1] واركش ، فاستبد بها سنة أربع في غمار الفتنة ، وأقام بها سلطاناً لنفسه ، إلى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين ، فولي ابنه أبو مَناد محمَّد بن نوح ، وتلقب بالحاجب عز الدولة لقبين في قرن شأن ملوك الطوائف . وكانت بينه وبين ابن عبّاد صاحب غرب الاندلس خطوب . ومر المعتضد في بعض اسفاره بحصن أركش ، وتطوّف مختفياً ، فتقبض عليه بعض أصحاب ابن نوح ، وساقه اليه ، فخلى سبيله وأولاه كرامة احتسبها عنده يداً . وذلك سنة ثلاث وأربعين ، فانطلق الى دار ملكه ، ورجع بعدها الى ولاية الملوك الذين حوله من البربر . وأسجل لابن نوح هذا على عملي أركش ومورور فيمن أسجل له منهُم ، فصاروا الى مخالصته ، الى أن استدعاهم سنة خمس وأربعين بعدها الى صنيع دعا اليه الجفلى من أهل أعماله ، واختصهُم بدخول حمام أعدّ لهم استبلاغاً في تكريمهم . وتخلف ابن نوح عنده من بينهُم ، فلما حصلوا داخل الحمام طبقه عليهم ، وسد المنافس للهواء دونهم ، الي أن هلكوا . ونجا منهم ابن نوح لسالفة يده ، وطير في الحين من تسلم معاقلهم وحصونهم ، فانتظمهم في أعماله . وكان منهم وفدة وشريش وسائر أعمالها . وهلك من بعد ذلك الحاجب ابو مناد بن نوح ، وولي ابنه ابو عبدالله . ولم يزل المعتضد يضايقه الى أن انخلع له سنة ثمان وخمسين ، فانتظمها في

(١) كذا، وفي ب: مورور. وفي نسخة: مدور.

أعماله . وصار اليه محمد بن أبي مناد الى أن هلك سنة ثمان وستين، وانقرض ملك بني نوح. والبقاء لله وحده سبحانه.

الخبر عن بني برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الملك بقرمونة وأعمالها بالأندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا ان بني برزال هؤلاء من ولد ورنيد بن وانتن بن واردين بن دمر، كما ذكره ابن حزم، وان اخوتهم بنو يصدرين وبنو صغمار وبنو يطوفت . وكان بنو برزال هؤلاء بافريقية، وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما اليه من اعمال المسيلة ، وكان لهم ظهور ووفور عدد ، وكانوا نكارية من فرق الخوارج . ولما فر ابو يزيد امام اسماعيل المنصور، وبلغه ان محمد بن خزر يترصد له ، اجمع الاعتصام بسالات وصعد اليهم . ثم ارهقته عساكر المنصور ، فانتقل عنهم الى كتامة . وكان من امره ما قدمناه . ثم استقام بنو برزال على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة والزاب ، حتى صاروا له شيعاً .

ولما انتقض جعفر على مَعَدّ سنة ستين وثلاثماية ، كان بنو برزال هؤلاء في جملته ومن اهل خصوصيته ، فاجازوا بـه البحر الى الاندلس ايام الحكم المستنصر ، فاستخدمهم ونظمهم في طبقات جنده الى من كان لحق به من قبائل زناتة وسائر البربر ايام اخذهم بالدعوة الاموية ، ومحاربتهم عليها للادارسة ، فاستقروا

جميعاً بالاندلس. وكان لبني برزال من بينهم ظهور وغناء مشهور. ولما اراد المنصور بن ابي عامر الاستبداد على خليفته هشام، وتوقع النكير من رجالات الدولة وموالي الحكم، استكثر ببني برزال وغيرهم من البربر، وافاض فيهم الاحسان، فاعتز امره واشتد ازره، حتى اسقط رجال الدولة، ومحا رسومها، واثبت اركان سلطانه. ثم قتل صاحبهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيته بهم. واستمالهم من بعده، فاصبحوا له عصبة، وكان يستعملهم في الولايات النبيهة والاعمال الرفيعة. وكان من اعيان بني برزال هؤلاء اسحاق بن [1]، فولاه قرمونة واعمالها، فلم يزل والياً عليها ايام بني ابي عامر. وجدد له العقد عليها المستعين في فتنة البرابرة، ووليها من بعده ابنه عبد الله.

ولما انقرض ملك بني حمود من قرطبة ودفع اهلها القاسم المأمون عنهم سنة اربع عشرة، اراد اللحاق باشبيلية، وبها نائبه محمد بن ابي زيري من وجوه البربر، وبقرمونة عبد الله بن اسحاق البرزالي، فداخلها القاضي ابن عباد في خلع طاعة القاسم، وصده عن العملين، فاجابا الى ذلك. ثم دس للقاسم بالتحذير من عبد الله بن اسحاق، فعدل القاسم عنهم جميعاً الى شريش، واستبد كل منهم بعمله. ثم هلك عبدالله من بعد ذلك، وولي ابنه محمد سنه [2]،

(١) كذا بياض بالأصل، ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على اسم والد إسحق هذا.
(٢) كذا بياض بالأصل، ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على هذه السنة.

وكانت بينه وبين المعتضد بن عبّاد حرب، وظاهر عليه يحيى بن علي بن حمود في منازلة اشبيلية سنة ثمان عشرة. ثم اتفق معه ابن عباد بعدها، وظاهره على عبدالله بن الأفطس؛ وكانت بينهما حرب، وكانت الدبرة فيها على ابن الافطس. وتحصل ابنه المظفر قائد العسكر في قبضة محمد بن عبدالله بن اسحاق الى ان منّ عليه بعد ذلك وأطلقه. ثم كانت الفتنة بين محمد بن اسحاق وبين المعتضد، واغار اسماعيل بن المعتضد على قرمونة في بعض الايام بعد ان كمن الكمائن من الخيالة والرجل، وركب اليه محمد في قومه، فاستطرد لهم اسماعيل الى ان بلغوا الكمائن؛ فثاروا بهم وقتل محمد البرزالي، وذلك سنة اربع وثلاثين. وولي ابنه العزيز ابن محمد، وتلقّب بالمستظهر مناغياً في ذلك لملوك الطوائف في عهده. ولم يزل المعتضد يستولي على غرب الاندلس شيئاً فشيئاً الى ان ضايقه في عمل قرمونة، واقتطع منها اسيجة والمدور[1]. ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة تسع وخمسين، ونظمها المعتضد في ممالكه، وانقرض ملك بني برزال من الاندلس. ثم انقرض بعد ذلك حيهم من جبل سالات، واصبحوا في الغابرين. والبقاء لله وحده سبحانه.

---

(١) كذا وفي ب: أسجة والموررور.

الخبر عن بني ومانوا وبني يلومي من الطبقة الأولى من زناتة وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الأوسط ومبدأ ذلك وتصاريفه

هاتان القبيلتان من بطون زناتة، ومن توابع الطبقة الاولى، ولم نقف على نسبها إلى جانا، إلّا أن نسّابتهم متفقون على ان يلومي وورتاجن الذي هو ابو مرين أخوان، وان مديون اخوهما للأم، ذكر لي ذلك غير واحد من نسابتهم. وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب، ويوجبون لهم العصبيّة به.

وكانت هاتان القبيلتان من اوفر بطون زناتة واشدهم شوكة ومواطنهم جميعاً بالمغرب الاوسط. وبنو ومانوا منهم الى جهة الشرق عن وادي ميناس في منداس ومرات وما اليها من اسافل شلف، وبنو يلومي بالعدوة الغربية منه بالجعبات والبطحاء وسيك[1] وسيرات وجبل هوارة وبني راشد. وكان لمغراوة وبني يفرن التقدم عليهم في الكثرة والقوة. ولما غلب بُلُكّين بن زيري مغراوة وبني يفرن على المغرب الاوسط، وازاحهم الى المغرب الاقصى، بقيت هاتان القبيلتان بمواطنها، واستعملتهم صنهاجة في حروبهم، حتى إذا تقلص ملك صنهاجة عن المغرب الاوسط اعتزوا عليهم. واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومختط بجاية بني ومانوا هؤلاء بالولاية، فكانوا سيفاً لقومه دون بني يلومي. وكانت رياسة بني

(١) كذا، وفي ت: وسيد.

ومانو في ابيت منهم يعرفون ببني ماخوخ. واصهر المنصور بن الناصر الى ماخوخ منهم في اخته، فزوجها اياه، فكان لهم بذلك مزيد ولاية في الدولة.

ولما ملك المرابطون تِلِمْسان اعوام سبعين واربعماية، وانزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفي، ردوخ اعمال المنصور وملك امصارها إلى ان نازل الجزائر. وهلك فولي اخوه تاشفين على عمله، فغزا اشير وافتتحها وخرّبها. وكان لهذين الحيين من زناتة أثر في مظاهرته وامداده، احقد عليهم المنصور بعدها، وغزا بني ومانوا في عساكر صنهاجة، وجمع له ماخوخ، فهزمه واتبعه منهزماً الى بجاية، فقتل لمدخله الى قصره وقتل زوجه اخت ماخوخ تشفياً وضغنا. ثم نهض الى تلمسان في العساكر واحتشد العرب من الاثبج ورياح وزغبة ومن لحق به من زناتة، وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين ابقى فيها على ابن تينعمر المسوفي بعد استمكانه من البلد كما ذكرناه في اخبار صنهاجة. ثم هلك المنصور وولي ابنه العزيز، وراجع ماخوخ ولايتهم، واصهر اليه العزيز ايضاً في ابنته، فزوجها اياه. واعتز البدو في نواحي المغرب الأوسط، واشتعلت نار الفتنة بين هذين الحيين من بني ومانوا وبني يلومي، فكانت بينهم حروب ومشاهد. وهلك ماخوخ، وقام بأمره في قومه بنوه تاشفين وعلي وأبو بكر، وكان احياء زناتة الثانية من عبد الواد وتوجين وبني راشد وبني ورسيفان

من مغراوة مدداً للفريقين ، وربما ماد بنو مرين اخوانهم بني يلومي لقرب مواطنهم منهم ، إلّا أن زناتة الثانية لذلك العهد مغلبون لهذين الحيين ، وامرهم تبع لهم الى ان ظهر امر الموحدين. وزحف عبد المؤمن الى المغرب الاوسط في اتباع تاشفين بن علي ، وتقدم ابو بكر بن ماخوخ ويوسف بن يدر من بني ومانوا الى طاعته ، ولحقوه بمكانه من أرض الريف ، فسرح معهم عساكر الموحدين لنظر يوسف بن وانودين وابن يغمور ، فأثخنوا في بلاد بني يلومي وبني عبد الواد ، ولحق صريخهم بتاشفين بن علي بن يوسف ، فامدّهم بالعساكر ، ونزلوا منداس. واجتمع لبني يلومي بنو ورسيفان من مغراوة وبنو توجين من بني بادين وبنُو عبد الواد منهم ايضاً ، وشيخهم حمامة بن مظهر ، وبنُو يكاسن من بني مرين واوقعوا ببني ومانوا ، وقتلوا ابا بكر بن ماخوخ في ستماية منهم واستنقذوا غنائمهم . وتحصن الموحدون وفلّ بني ومانوا بجبال سيرات ، ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخاً بعبد المؤمن ، وجاء في جملته حتى نازل تاشفين بن علي بتلمسان . ولما ارتحل في أثره الى وهران كما قدّمناه سرّح الشيخ أبا حفص في عساكر الموحدين الى بلاد زناتة ، فنزلوا منداس وسط بلادهم ، وأثخنوا فيهم حتى أذعنوا للطاعة ، ودخلوا في الدعوة . ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران مشيختهم يقدمهم سيّد الناس بن أمير الناس شيخ بني يلومي ، وحمامة بن مظهر شيخ بني عبد الواد ،

وعطيّة الخير شيخ بني توجين وغيرهم، فتلقاهم بالقبول .

ثم انتقضت زناتة بعدها، وامتنع بنُو يلومي بحصنهم الجعبات ومعهم شيوخهم سيد الناس وبدرح[1] ابنَا أمير النّاس، فحاصرهم عساكر الموحدين وغلبوهم عليها واشخصوهم الى المغرب . ونزل سيّد النّاس بمرّاكش، وبها كان مهلكه أيام عبد المؤمن . وهلك بعد ذلك بنو ماخوخ . ولما أخذ أمر هذين الحيين في الانتقاض جاذب بني يلومي في تلك الاعمال بنُو توجين، وشاجروهم في احواله، ثم واقعوهم الحرب في جوانبه . وتولى ذلك فيهم عطية الخير كبير بني توجين، وصلى بنارها منْهم معه بنو منكوش[2] من قومه حتى غلبوهم على مواطنهم وأذلوهم وأصاروهم جيراناً لهم في قياطنهم . واستعلى بنُو عبد الواد وتوجين على هذين الحيين وغيرهم بولايتهم للموحدين ومخالصتهم اياهم، فذهب شأنهم وافترق قيطونهم اوزاعاً في زناتة الوارثين أوطانهم من بني عبد الواد وتوجين والبقاء لله وحده . ومن بطون بني ومانوا هؤلاء قبائل بني يالدّس، وقد يزعم زاعمون انّهم من مغراوة، ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الاقصى والاوسط وراء العرق المحيط بعمرانهم المذكور قبل . اختطوا في تلك المواطن القصور والاطم واتخذوا بهَا الجنات من النخيل والاعنَاب وسائر الفواكه : فمنْها

(١) كذا، وفي ت: مدرج، وفي نسخة مضرج.
(٢) كذا، وفي نسخة: بنو منكرس.

على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة ، وتسمى وطن توات ، وفيه قصور متعددة تناهز المئين ، آخذة من الغرب الى الشرق ، واخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت ، وهو بلد مستبحر في العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب الى بلد مالي من السودان لهذا العهد ، ومن بلد مالي اليه ، وبينه وبين ثغر بلد مالي المسمى غار ، المفازة المجهلة لا يهتدى فيهَا للسُّبل ولا يمر الوارد الا بالدليل الخِرّيت من الملثمين الظواعن بذلك القفر ، يستأجره التجار على البذرقة بهم بأوفى الشروط. ولقد كانت بلد بودي[1] وهي أعلى تلك القصور بناحية الغرب من ناحية السوس هي الركاب الى والاتن ، الثغر الأخير من أعمال مالي . ثم أهملت لما صارت الأعراب من بادية السوس يغيرون على سابلتها ، ويعترضون رفاقها ، فتركوا تلك ، ونهجوا الطريق الى بلد السودان من أعلى تمَنطِيت .

ومن هذه القصور قبلة تلمسان ، وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين ، وهي كثيرة تقارب المائة ، في بسيط واد منحدر من الغرب الى الشرق ، واستبحرت في العمران وغصت بالساكن . واكثر سكان هذه القصور الغربية في الصحراء بنو يالدّس هؤلاء ، ومعهم من سائر قبائل زناتة والبربر ، مثل ورتطغير

(١) كذا، وفي ب: هودي.

ومصاب وبني عبد الواد وبني مرين ، وهم اهـل عديد وعدة ، وبعد عن هضيمة الاحكام وذل المغارم ، وفيهم الرجالة والخيالة ، واكثرهم معاشهم من فلح النخل ، وفيهم التجر الى بلد السودان ، وضواحيها كلها مشتاة للعرب ، ومختصة بعبيد الله مـن المعقل ، عينتها لهم قسمة الرحلة . وربما شاركهم بنو عـامر من زغبة في تيـكورارين ، فتصل اليها ناجعتهم بعض السنين .

واما عبيد الله فلا بد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء الى قصور توات وبلد تمنطيت ، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الامصار والتلول ، حتى يخطوا بتمنطيت ، ثم يبذرقون منها الى بلد السودان . وفي هذه البلاد الصحراوية الى وراء العرق غريبة في استنباط الميـاه الجارية لا توجد في تلول المغرب ، وذلك ان البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى . وتطوى جوانبها الى ان يوصـل بالحفر الى حجارة صلدة ، فتحت بالمعاول والفؤس الى ان يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن المـاء ، فينبعث صاعداً فيفعم البئر ، ثم يجري على وجه الارض وادياً . ويزعمون ان الماء ربما اعجل بسرعته عن كل شيء . وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيـكورارين وواركلا وريغ . والعالم ابو العجائب . والله الخلاق العليم .. وهذا اخر الكلام في الطبقة الاولى من زناتة ، ولنرجع الى اخبار الطبقة الثانية منهم ، وهم الذين اتصلت دولتهم الى هذا العهد .

أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليتهم

قد تقدم لنا في تضاعيف الكلام قبل انقراض الملك من الطبقة الاولى من زناتة ، ما كان على يد صنهاجة والمرابطين من بعدهم وان عصبة اجيالهم افترقت بانقراض ملكهم ودولهم ، وبقيت منهم بطون لم يمارسوا الملك ، ولا اخلقهم ترفه ؛ فاقاموا في قياطنهم باطراف المغربين ينتجعون جانبي القفر والتل ، ويعطون الدول حق الطاعة . وغلبوا على بقايا الاجيال الاولى من زناتة بعد ان كانوا مغلبين لهم ؛ فاصبحت لهم السورة والعزة ، وصارت الحاجة من الدول الى مظاهرتهم ومسالمتهم ، حتى انقرضت دولة الموحدين ، فتطاولوا الى الملك وضربوا فيه مع اهله بسهم. وكانت لهم دول نذكرها ان شاء الله. وكان اكثر هذه الطبقة من بني واسين بن يصلتين اخوة مغراوة وبني يفرن . ويقال انهم من بني وانتن بن ورسيك بن جانا اخوة مسارت وتاجرت ، وقد تقدم ذكر هذه الانساب . وكان من بني واسين هؤلاء ببلاد قسطيلية.

وذكر ابن الرقيق ان ابا يزيد النكاري لما ظهر بجبل اوراس كتب اليهم بمكانهم حول توزر يأمرهم بحصارها ، فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية . وربما ان منهم ببلد الحامة لهذا العهد ، ويعرفون ببني ورتاجن احدى بطونهم . واما جمهورهم فلم يزالوا بالمغرب الاقصى ما بين ملوية الى جبل راشد . وذكر موسى ابن

ابي العافية في كتابه الى الناصر الاموي يعرفه بحربه مع ميسور مولى ابي القاسم الشيعي، وبمن صار اليه من قبائل البربر وزناتة، فذكر فيهم من كان على ملوية وصا، من قبائل بني واسين، وبني يفرن وبني ورتاسن، وبني وريمت ومطماطه، فذكر منهم بني واسين، لان تلك المواطن هي مواطنهم قبل الملك.

وفي هذه الطبقة منهم بطون: فنهم بنو مرين، وهم اكثرهم عدداً واقواهم سلطاناً وملكاً، واعظمهم دولة، ومنهم بنو عبد الواد تلوهم في الكثرة والقوة، وبنو توجين من بعدهم كذلك. هؤلاء اهل الملك من هذه الطبقة. وفيها من غير اهل الملك: بنو راشد اخوة بني بادين كما نذكره، وفيها اهل الملك أيضاً من غير نسبهم بقية من مغراوة بمواطنهم الاولى من وادي شِلْف، نبضت فيهم عروق الملك بعد انقراض جيلهم الاول، فتجاذبوا حبله مع اهل هذا الجيل. وكانت لهم في مواطنهم دولة كما نذكره.

ومن اهل هذه الطبقة كثير من بطونها ليس لهم ملك: نذكرهم الآن حين تفصيل شعوبهم. وذلك ان احياءهم جميعاً تشعبت من زحيك بن واسين، فكان منهم بنو بادين ابن محمد، وبنو مرين بن ورتاجن: فأما بنو ورتاجن فهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبدالله بن ورتنيد ابن المعز بن ابراهيم بن زحيك. واما بنو مرين بن ورتاجن، فتعددت افخاذهم وبطونهم كما نذكره بعد حتى كثروا سائر

شعوب بني ورتاجن، وصار بنو ورتاجن معدودين في جملة افخاذهم وشعوبهم. وأما بنو بادين بن محمد فمن ولد زحيك، ولا اذكر الان كيف يتصل نسبهم به. وتشعبوا الى شعوب كثيرة: فكان منهم بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو مصاب وبنو ازردال [١]، يجمعهم كلهم نسب بادين بن محمد. وفي محمد هذا يجتمع بادين وبنو راشد، ثم يجتمع محمد مع ورتاجن في زحيك [٢] بن واسين، وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الاولى ببني واسين قبل ان تعظم هذه البطون والافخاذ، وتشعبت مع الايام. وبارض افريقية وصحراء برقة وبلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الاولى قبل انسياحهم الى المغرب: فمنهم بقصور غدامس على عشرة مراحل قبل سرت، وكانت مختطة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور واطام عديدة، وبعضها لبني واطاس من احياء بني مرين، يزعمون ان اوائلهم اختطوها، وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة، واتسعت في التمدن، بما صارت محطاً لركاب الحاج من السودان، وقفل التجار الى مصر والاسكندرية عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة امام طريقهم دون الارياف والتلول، وبابا لولوج تلك المفازة والحاج والتجر في مرجعهم. ومنهم ببلاد الحمة على مرحلة من غربي قابس امة عظيمة

---

(١) كذا، وفي ب: زردال، وفي نسخة: زردان.

(٢) كذا، وفي ب: زرجيك، وفي نسخة: زجيك.

من بني ورتاجن . وفرت منهم حاميتها ، واشتدت شوكتها ، وارتحل اليها التجر بالبضائع لنفاق اسواقها وتبحّر عمارتها ، وامتنعت لهذا العهد على من يرومها ، ممن يجاورها فهم لا يودون خراجاً ولا يسامون بمغرم ، حتى كأنهم لا يعرفونه عزة جناب وفضل باس ومنعة . يزعمون ان سلفهم من بني ورتاجن اختطوها ، ورياستهم في بيت منهم يعرفون ببني وشاح ، وربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدول ، فيتطاولون الى التي تنكر على السوقة من اتخاذ الالات ويبرزون في زي السلطان ايام الزينة تهاوناً بشعار الملك ، ونسيانا لمألوف الانقياد شأن جيرانهم رؤساء توزر ونفطة . وسابق الغاية في هذه المضحكة هو يملول مقدم توزر .

ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة بما دون الرمال ، وعلى ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في الغرب ، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين حسبما ذكرناهم الان . ووضعها في ارض حرة على اكام وضراب ممتنعة في قننها . وبينها وبين الارض الحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة ، وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن يضاف اليهم من شعوب زناتة ، وان كانت شهرتها مختصة بمصاب ،

وحالها في المباني والاغراس وتفرق الجماعة بتفرق الرياسة شبيهة بحال بلاد بني ريغة والزاب .

ومنهم بجبل اوراس بافريقية طائفة من بني عبد الواد موطنوه منذ العهد الاقدم لاول الفتح ، معروفون بين ساكنيه. وقد ذكر بعض الاخباريين ان بني عبد الواد حضروا مع عقبة ابن نافع في فتح المغرب عند ايغاله في ديار المغرب ، وانتهائه الى البحر المحيط بالسوس في ولايته الثانية ، وهي الغزاة التي هلك في منصرفه منها ، وانهم ابلوا البلاء الحسن ، فدعا لهم واذن في رجوعهم قبل استتمام الغزاة. ولما تحيزت زناتة الى المغرب الاقصى امام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب بني واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية وصا كما ذكرناه . وتشعبت افخاذهم وبطونهم وانبسطوا في صحراء المغرب الاقصى والاوسط ، الى بلاد الزاب وما اليها من صحارى افريقية ، اذ لم يكن للعرب في تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك الى المائة الخامسة كما سبق ذكره . ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مستمرين للانفة ، وكان جل مكاسبهم الانعام والماشية ، وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة ، وفي ظل الرماح المشرعة ، وكانت لهم في محاربة الاحياء والقبائل ومنافسة الامم والدول ومغالبة الملوك ايام ووقائع ، تلم بها ولم تعظم العناية باستيعابها ، فتاتي به . والسبب في ذلك ان اللسان العربي كان غالباً بغلب دولة العرب ، وظهور

الملة العربية بالكتاب، والخط بلغة الدولة ولسان الملك، واللسان العجمي مستتر بجناحه مندرج في غماره، ولم يكن لهَذا الجيل من زناتة في الاحقاب القديمة ملك يحمل اهل الكتاب على العناية بتقييد ايامهم وتدوين اخبارهم، ولم تكن مخالطة بينهم وبين اهل الارياف والحضر، حتى يشهَدوا آثارهم لابعادهم في القفار كما رأيت في مواطنهم، وتوحشهم عن الانقياد؛ فبقيت غفلا الى ان درس منهَا الكثير، ولم يصل الينا منهَا بعد مهلكهم الا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المضطلع في مسالكه، ويتقراه في شعابه، ويستثيره من مكامنه، واقاموا بتلك القفار الى ان تسنموا منهَا هضبات الملك على ما نصفه.

مصاب بن يادين بن محمد بن ورزجيك بن واسين بن يصلتن بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن اديدت بن جانا

- يادين:
  - ورزدال
  - توجين
  - عبد الواد
- محمد:
  - مرين ولد ابراهيم

الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت تصاريف أحوالهم إلى أن غلبوا على الممالك والدول

وذلك ان اهل هذه الطبقة من بني واسين وشعوبهم التي سميناها كانوا تبعاً لزناتة الاولى . ولما انزاحت زناتة الى المغرب الاقصى امام كتامة وصنهاجة ، خرج بنو واسين هؤلاء الى القفر ، ما بين ملوية وصا ، فكانوا يرجعون الى ملوك المغرب لذلك العهد . مكناسة اولا ثم مغراوة من بعدهم . ثم حسر تيار صنهاجة عن المغرب ، وتقلص ملكهم بعض الشيء، وصاروا الى الاستجاشة على القاصية بقبائل زناتة ، فاومضت بروقهم ورفت في ممالك زناتة منابتهم كما قدمناه . واقتسم اعمالها بنو ومانو وبنو يلومي ناحيتين ، وكانت ملوك صنهاجة اهل القلعة اذا عسكروا للمغرب يستنفرونهم لغزوه ، ويجمعون حشدهم للتوغل فيه . وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب منهم من القبائل الشهيرة الذكر : مثل بني مرين وبني توجين ومصاب ، قد ملكوا القفر ما بين ملوية وارض الزاب ، وامتنعت عليهم الارياف من المغربين بمن ملكها من زناتة الذين ذكرناهم، وكان اهل الرياسة بتلك الارياف والضواحي من زناتة مثل بني ومانوا وبني يلومي بالمغرب الاوسط ، وبني يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون ببني واسين هؤلاء ويستظهرون بجموعهم على من

زاحمهم او قارعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم ، يجأجئون بهم من مواطنهم لذلك ، ويقرضونهم القرض الحسن من المال والسلاح والحبوب المعوزة لديهم بالقفار، فيتأثلون منهم ويرتاشون. وعظمت حاجة بني حماد اليهم في ذلك عندما عصفت بهم ريح العرب الطوالع من بني هلال بن عامر ، واصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية، والانوا من حدهم ، وزحفوا الى المغرب الاوسط ، فدافع بنو حماد عن حوزته واوعزوا الى زناتة بمدافعتهم ايضاً، فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة، وجمعوا من كان اليهم من بني واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين وبني راشد. وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم بو سعدى خليفة اليفرني ، فكان له مقامات في حروبهم ودفاعهم عن ضواحي الزاب والمغرب الاوسط ، الى ان هلك في بعض ايامه معهم.

وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وازاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد افريقية، وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الاوسط من مصاب وجبل راشد الى ملوية وفيكيك ، ثم الى سجلماسة ولاذوا ببني ومانوا وبني يلومي ملوك الضواحي بالمغرب الاوسط وتفيأوا ظلهم ، واقتسموا ذلك القفر بالمواطن ، فكان لبني مرين الناحية الغربية منها قبلة المغرب الاقصى

بتيكورارين ودَبدوا الىمَلْوِيّة وسجلماسة ، وبعدوا عن بني ومانوا وبني يلومي ، إلا في الاحايين وعنـد الصريخ . وكان لبني بادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الاوسط ما بين فيكيك ومديونة الى جبل راشد ومصاب ، وكانت بينهم وبين بني مرين فتن متصلة باتصال ايامهم في تلك المواطن سبيل القبائل الجيران في مواطنهم ، وكان الغلب في حروبهم اكثر ما يكون لبني بادين لما كانت شعوبهم اكثر وعددهم اوفر ، فانهم كانوا اربعة شعوب : بني عبـد الواد وبني توجين وبني زردال وبني مصاب ، وكان معهم شعب آخر وهم اخوانهم بنو راشد ، لأنّا قدّمنا ان راشد اخو بادين . وكان موطن بني راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء ؛ ولم يزالوا على هذه الحال الى ان ظهر امر الموحدين ، فكان لعبد الواد وتوجين ومغراوة من المظاهرة لبني يلومي على الموحدين ما هو مذكور في اخبارهم .

ثم غلب الموحدون على المغرب الاوسط وقبائـله من زناتة ، فاطاعوا وانقادوا ، وتحيز بنو عبد الواد وبنو توجين الى الموحدين ، وازدلفوا اليهم بامحاض النصيحة ومشايعة الدعوة ، وكان التقـدم لبني عبد الواد دون الشعوب الاخر ، وامحضوا النصيحة للموحدين فاصطنعوهم دون بني مرين كما نذكر في اخبارهم . واقطعهم الموحدون ضواحي المغرب الاوسط كما كانت لبني يلومي وبني ومانوا فملكوهـا . وتفرد بنو مرين بعـد دخول بني بادين الى المغرب الاوسط بتلك الصحراء ، لما اختار الله لهم من وفور قسمهم

في الملك ، واستيلائهم على سلطان المغرب الذي غلبوا به الدول ، واشتملوا الاقطار ، ونظموا المشارق الى المغارب ، واقتعدوا كراسي الدول المسامتة لهم باجمعها ما بين السوس الاقصى الى افريقية . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده .

واخذ بنو مرين وبنو عبد الواد من شعوب بني واسين هؤلاء بحظ من الملك اعادوا فيه لزناتة دولة وسلطاناً في الارض، واقتادوا الامم برسن الغلب ، وناغاهم في ذلك الملك البدوي اخوانهم بنو توجين . وكانت في هذه الطبقة الثانية بقية اخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الاولى ، كانوا موطنين بقرار عزهم ومنشأ جيلهم بوادي شلف ، فجاذبوا هؤلاء القبائل حبل الملك وناغوهم في اطوار الرياسة ، واستطالوا بمن وصل جناحهم من هذه العشائر ؛ فتطاولوا الى مقاسمتهم في الملك ومساهمتهم في الامر . وما زال بنو عبد الواد في الغض من عنانهم وجدع انوف عصيانهم ، حتى اوهنوا من بأسهم وخصت الدولة العبد الوادية ، ثم المرينية بسمة الملك المخالفة من جناح تطاولهم ، وتمحض ذلك كله عن استبداد بني مرين واستتباعهم لجميع هؤلاء العصائب كما نذكر لك الآن دولتهم واحدة بعد أخرى ، ومصاير امور هؤلاء الاربعة التي هي رؤوس هذه الطبقة الثانية من زناتة . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين . ولنبدأ

منها بذكر مغراوة بقية الطبقة الاولى ، وما كان لرؤسائهم اولاد منديل من الملك في هذه الطبقة الثانية .

أولاد منديل

الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا لقومهم من مغراوة من الملك بموطنهم الأول من شلف وما إليه من نواحي المغرب الأوسط

لما ذهب الملك عن مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر ، واضمحلت دولهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس وبقية قبائل مغراوة متفرقة في مواطنهم الاولى بنواحي المغربين وافريقية والصحرا والتلول ، والكثير منهم بعنصرهم ومركزهم الاول بموطن شلف وما اليه ، فكان به بنو ورسيفان وبنو ورترمان[١] وبنو ايليت[٢] ، ويقال انهم من ورترمان ، وبنو سعيد وبنو زجاك وبنو سنجاس ، وربما يقال انهم من زناتة وليسوا من مغراوة وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقرض امرهم ، وافترقوا في البلاد ، لحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل اوراس فراراً من اهل بيته هنالك ، الذين استولوا على الامر وجده

(١) كذا، وفي ب : ورترمار.
(٢) كذا، وفي ب : يلتت.

خزرون بن خليفة هو السادس من ملوكهم بطرابلس، فاقام بجبل اوراس مدة، ثم انتقل الى زواوة، فاقام بينهم اعواماً. ثم ارتحل عنهم، فنزل على بقايا قومه مغراوة بشلف من بني ورسيفان وبني ورتزمين وبني بو سعيد وغيرهم، فتلقوه بالمبرة والكرامة، واوجبوا له حق البيت الذي ينتسب اليه. واصهر اليهم، فانكحوه وكثر ولده وعرفوا بينهم ببني محمد، ثم بالخزرية نسبة الى سلفه الاول. وكان من ولده الملقب ابو ناس بن عبد الصمد بن وارجيع بن عبد الصمد، وكان منتحلاً للعبادة والخيرية، واصهر اليه بعض ولد ماخوخ ملوك بني ومانوا بابنته، فانكحه اياها، فعظم امره عندهم بقومه ونسبه وصهره. وجاءت دولة الموحدين على اثر ذلك، فرمقوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير، فاقطعوه بوادي شلف، وأقام على ذلك. وكان له من الولد وارجيع وهو كبيرهم، وعزيز ويغريان وماكور، ومن بنت ابن ماخوخ عبد الرحمن، وكان اجلهم شأناً عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا، لما يوجبون له بولادة ماخوخ لامه، ويتفرّسون فيه ان له ولعقبه ملكاً.

ويزعمون انه لما ولد خرجت به امه الى الصحراء فالقته الى شجرة، وذهبت في بعض حاجتها، فاطاف به يعسوب من النحل متواقعين عليه. وبصرت به على البعد، فجاءت تعدو لما ادركها من الشفقة، وقال لها بعض العرافين احتفظي عليه، فوالله ليكونن

له شأن. ونشأ عبد الرحمن هذا في حق هذه النحلة مدلاً بنسبه وبأسه. وكثر عشيره من بني ابيه، واعصوصب عليه قبائل مغراوة، فكان له بذلك شوكة، وفي دولة الموحدين تقدمة، لما كان يوجب لهم على نفسه من الانحياش والمخالطة والتقدم في مذاهب الطاعة. وكان السادة منهم يمرون به في غزواتهم الى افريقية ذاهبين وراجعين، فينزلون منه خير نزل، وهم ينقلبون بحمده والشكر لمذهبه، فيزيد خلفاؤهم اغتباطاً به. وادرك بعض السادة وهو بارض قومه الخبر بهلك الخليفة بمراكش، فخلف الذخيرة والظهر، اسلمها الى عبد الرحمن هذا، فنجا بدمائه بعد ان صحبه الى تخم وطنه، فكانت له فيها ثروة اكسبته قوة وكثرة، فاستركب من قومه، واستكثر من عصابته وعشيره. وهلك خلال ذلك، وقد فشل ريح بني عبد المؤمن، وضعف امر الخلافة بمراكش. وكان له من الولد منديل وتميم، وكان اكبرهما منديل، فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة، واجلب ابن غانية على اعمال المغرب الاوسط. وسما لمنديل امل في التغلب على ما يليه فاستأسد في عرينه، وحمى عن اشباله. ثم فسح خطوته الى ما جاوره من البلاد، فملك جبل وانشريش والمرّية وما الى ذلك، واختط قصبة مرات.

وكان بسيط متيجة لهذا العهد مستبحراً بالعمران آهلا بالقرى والامصار. ونقل الاخباريون ان اهل متيجة لذلك العهد كانوا

يجمعون في ثلاثين مصراً ؛ فجاس خلالها ، واوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها . وهو في ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين ، وانه سلم لمن سالمهم ، وحرب على من عاداهم . وكان ابن غانية منذ غلبه الموحدون على افريقية قد ازاحوه الى قابس وما اليها ، ونزل الشيخ ابو محمد ابن ابي حفص بتونس ، فدفعه عن افريقية الى ان هلك سنة ثمان عشرة ؛ فطمع يحيى بن غانية في استرجاع امره ، واسف الى الثغور والامصار يعيث فيها ويخربها ، ثم تجاوز افريقية الى بلاد زناتة ، وشن عليها الغارات واكتسح البسائط ، وتكررت الوقائع بينه وبينهم . وجمع له منديل بن عبد الرحمن ، ولقيه بمتيجة ، وكانت الدَبْرَة عليه ، وانفضت عنه مغراوة ، فقتله ابن غانية صبراً سنة اثنتين او ثلاث وعشرين . وتغلب على الجزائر اثر نكبته ، فصلب بها شلوه ، وصيّره مثلًا للآخرين . وقام بامره في قومه بنوه ، وكانوا نجباء فكان لهم العدة والشرف ، وكانوا يرجعون في امرهم الى كبيرهم العباس ، فتقبل مذاهب ابيه واقصر عن بلاد متيجة .

ثم غلبهم بنو توجين على جبل وانشريش وضواحي المرية وما الى ذلك . وانقبضوا الى مراكزهم الاولى بشلف ، واقاموا بها ملكاً بدوياً لم يفارقوا فيه الظعن والخيام والضواحي والبسائط . واستولوا على مدينة مليانة وتنس وبرشك وشرشال مقيمين فيها الدعوة الحفصية ، واختطوا قرية مازونه .

ولما استوسق الملك بتلمسان ليغمراسن بن زيان ، واستفحل سلطانه بها ، وعقد له عليها ولاخيه من قبله بنو عبد المؤمن ، سما الى التغلب على امصار المغرب الاوسط، وزاحم بني توجين وبني منديل هؤلاء بمناكبه ، فلفتوا وجوههم جميعاً إلى الامير ابي زكريا ابن ابي حفص مديل الدولة بافريقية من آل عبد المؤمن ، وبعثوا اليه الصريخ على يغمراسن ، فاحتشد لها جموع الموحدين والعرب ، وغزا تلمسان وافتتحها كما ذكرناه .

ولما قفل الى الحضرة عقد مرجعه لامراء زناتة كل على قومه ووطنه : فعقد للعباس بن منديل على مغراوة ، ولعبد القوي على توجين ولاولاد حبورة [1] على ملكيش ، وسوغ لهم اتخاذ الالة فاتخذوها بمشهد منه . وعقد العباس السلم مع يغمراسن ، ووفد عليه بتلمسان فلقاه مبرة وتكريماً ، وذهب عنه بعدها مغاضباً . يقال إنه تحدث بمجلسه يوماً ، فزعم انه رأى فارساً واحداً يقاتل مايتين من الفرسان ، فنكر ذلك من سمعه من بني عبد الواد ، وعرضوا بتكذيبه ، فخرج العباس لها مغاضباً حتى اتى قومه ، واتى يغمراسن مصداق قوله، فانه كان يعني بذلك الفارس نفسه.

وهلك العباس لخمس وعشرين سنة من بعد ابيه سنة سبع واربعين ، وقام بالامر بعده اخوه محمد بن منديل ، وصلحت الحال بينه وبين يغمراسن وصاروا الى الاتفاق والمهادنة . ونفر معه بقومه

(١) كذا، وفي ب: حتورة .

مغراوة الى غزو المغرب سنة كلدمان ، وهي سنة سبع واربعين وستماية ، وهزمهم فيهـا يعقوب ابن عبد الحق ، فرجعوا الى اوطانهم ، وعاودوا شأنهم في العداوة . وانتقض عليهم اهل مليانة وخلعوا الطاعة الحفصية . وكان من خبر هذا الانتقاض ان ابا العباس احمد الملياني كان كبير وقته علماً وديناً ورواية ، وكان عالي السند في الحديث ، فرحل اليه الاعلام ، واخذ عنه الايمة، واوفت به الشهرة على ثنايا السيادة ، فانتهت اليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه. ونشأ ابنه ابو علي في جو هذه العناية، وكان جموحاً للرياسة طامحاً الى الاستبداد ، وهو مع ذلك خلو من المغارم . فلما هلك ابوه جرى في شاو رئاسته طلقا ، ثم رأى ما بين مغراوة وبني عبد الواد من الفتنة، فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده ، فجمع لها جراميزه ، وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين . وبلغ الخبر الى تونس ، فسرح الخليفة اخـاه ابا حفص في عسكر من الموحدين في جملته « دون الريك بن هراندة » من آل اذفونش ملوك الجلالقة ، وكان نازعاً اليـه عن ابيه في طائفة من قومه، فنازلوا مليانة اياماً . وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابي علي الملياني ، فسرب اليهم جنداً بالليل ، واقتحموها من بعض المداخل ، وفر ابو علي الملياني تحت الليل ، وخرج من بعض قنوات البلد ، فلحق باحياء العرب ، ونزل على يعقوب بن موسى امير العطاف من بطون زغبة ، فأجاره

الى ان لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق ، فكان من امره ما ذكرناه في اخبارهم . وانصرف عسكر الموحدين والامير ابو حفص الى الحضرة ، وعقدوا لمحمد بن منديل على مليانة ، فاقام فيها الدعوة الحفصية على سنن قومه . ثم هلك محمد بن منديل سنة اثنتين وستين لخمس عشرة من ولايته ، قتله اخواه ثابت وعايد[1] بمنزل ظواعنهم بالخميس من بسيط بلادهم ، وقتل معه عطية ابن اخيه منيف . وشاركه ثابت في الامر واجتمع إليه قومه ، وتقطع بين اولاد منديل ، وخشنت صدورهم . واستغلظ يغمراسن ابن زيان عليهم ، وداخله عمر بن منديل اخوهم في ان يمكنه من مليانة، ويشد عضده على رياسة قومه، فشارطه على ذلك وامكنه من أزِمّة البلد سنة ثمان وستين ، ونادى بعزل ثابت ومؤازرة عمر على الامر، فتم لهما ما احكماه من امرهما في مغراوة . واستمكن بها يَغْمُراسن من قياد قومه. ثم تناغى اولاد منديل في الازدلاف الى يغُمراسن بمثلها نكاية لعمر ، فاتفق ثابت وعايد اولاد منديل على ان يحكماه في تنس ، فامكناه منها سنة اثنتين وسبعين على اثني عشر ألفاً من الذهب .

واستمرت ولاية عمر الى ان هلك سنة ست وسبعين، فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة ، واجاز عايد اخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع صاحبيه زيّان بن محمد بن عبد القوي ، وعبد

(١) كذا، وفي ب : عابد.

الملك بن يغمراسن فحول زناتة واسترجع ثابت بلاد تنس ومليانة من يد يغمراسن، ونبذ اليه العهد. ثم استغلظ يغمراسن عليهم واسترد تنس سنة احدى وثمانين بين يدي مهلكه. ولما هلك يغمراسن وقام بالامر ابنه عثمان انتقضت عليه تنس؛ ثم ردد الغزو الى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخراً على ما بايديهم، وملك المرية بمداخلة بني لمدية اهلها سنة سبع وثمانين.

وغلب ثابت بن منديل على مازونة، فاستولى عليها، ثم نزل له عن تنس أيضاً فملكها. ولم يزل عثمان مراغماً لهم الى ان زحف اليهم سنة ثلاث وتسعين، فاستولى على امصارهم وضواحيهم واخرجهم عنها، وألجأهم الى الجبال. ودخل ثابت بن منديل الى برشك ممانعاً دونها، فزحف اليه عثمان وحاصره بها، حتى اذا استيقن انه احيط به، ركب البحر الى المغرب، ونزل على يوسف ابن يعقوب سلطان بني مرين صريخاً سنة اربع وتسعين، فاكرمه ووعده بالنصيرة من عدوه، واقام بفاس. وكانت بينه وبين ابن الاشهب من رجالات بني عسكر صحابة ومداخلة، فجاء بعض الايام الى منزله، ودخل عليه من غير استئذان؛ وكان ابن الاشهب ثملا، فسطا به وقتله. وثار السلطان به منه، وانفجع لموته. وكان ثابت بن منديل قد اقام ابنه محمداً للامر في قومه، وولاه عليهم لعهده، واستبد بملك مغراوة دونه، ولما انصرف ابوه ثابت الى المغرب اقام هو بامارته على مغراوة. وهلك قريباً من

مهلك ابيه ، فقام بامرهم من بعده شقيقه علي . ونازعه الامر أخواه رحمون ومنيف ، فقتــلة منيف ، ونكر ذلك هومنهم ، وابوا من امارتها عليهم ، فلحقا بعثمان بن يغمراسن ، فاجازهما الى الاندلس. وكان اخوهما معمر بن ثابت قائداً على الغزاة بالبغيرة[1] فنزل لمنيف عنها ، فكانت اول ولاية وليها بالاندلس . ولحق بهم اخوهم عبد المؤمن ، فكانوا جيماً هنالك . ومن اعقاب عبــد المؤمن يعقوب بن زيان بن عبد المؤمن ، ومن اعقاب منيف ابن عمر بن منيف ، وجماعة منهم هم لهذا العهد بوطن الاندلس . ولما هلك ثابت بن منديل سنة اربع وتسعين كما قلناه ، كفل السلطان ولده واهــله ، وكان فيهم حافده راشد بن محمد ، فأصهر اليه في اخته فانكحه اياها .

ونهض الى تلمسان سنة ثمان وتسعين ، فاناخ عليهــا واختط مدينة لحصارها وسرّح عساكر في نواحيها . وعقد على مغراوة وشلف لعمر بن ويغرن [2] بن منديل ، وبعث معه جيشاً فافتتح مليانة وتنس ومازونة سنة تسع وتسعين ، ووجد راشد في نفسه اذ لم يوليه عــلى قومه ، وكان يرى انه الاحق بنسبه وصهره ، فنزع عن السلطان ، ولحق بجبال متيجة ، ودس الى اوليائه في مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة ، فأغذ السير ولحق بهم ، فافترق

(١) كذا، وفي ب: بالعزة، وفي نسخة بالنغيرة.
(٢) كذا، وفي ب: ويعزن.

امر مغراوة . وداخل اهل مازونة ، فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغرن بازمور من ضواحي بلادهم فقتله . واجتمع عليه قومه ، وسرح السلطان اليه الكتائب من بني عسكر لنظر الحسن ابن علي بن ابي الطلاق ، ومن بني ورتاجن لنظر علي بن محمد الخيري، ومن بني توجين لنظر ابي بكر بن ابراهيم بن عبد القوي ، ومن الجند لنظر علي بن حسان الصبحي من صنائعه . وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل، وزحفوا الى مازونة ، وقد ضبطها راشد ، وخلف عليها علياً وحمّو ابني عمه يحيى بن ثابت . ولحق هو ببني بو سعيد مطلّا عليهم وأناخت العساكر بمازونة ، ووالوا عليها الحصار سنتين حتى اجهدوهم. وبعث علي بن يحيى اخاه حمو الى السلطان من غير عهد ، فتقبض عليه . ثم اضطره الجهد الى مركب الغرور ، فخرج اليهم ملقياً بيده سنة ثلاث . واشخصه الى السلطان فعفا عنه ، واستبقاه ، واحتسبها تانيساً واستمالة لراشد .

ثم سرح العساكر الى قاصية الشرق لنظر اخيه ابي يحيى بن يعقوب ، فنازل راشد بن محمد في معقل بني بو سعيد ، وطال حصاره اياه ، وامكنته الغرة بعض الايام في العساكر ، وقد تعلقوا باوعار الجبل زاحفين اليه ، فهزمهم . وهلك في تلك الواقعة خلق من بني مرين وعساكر السلطان، وذلك سنة اربع وسبعماية. وبلغ الخبر الى السلطان ، فاحفظه ذلك عليهم ، وامر بابن عمه علي

ابن يحيى واخيه حمو ومن معهم من قومهم ، فقتلوا رشقا بالسهام واستلحمهم .

ثم سرّح اخاه ابا يحيى بن يعقوب ثانية سنة اربع ، فاستولى على بلاد مغراوة ، ولحق راشد بجبال صنهاجة من متيجة ، ومعه عمه منيف بن ثابت ، ومن اجتمع اليهم من الثعالبة ، فنازلهم ابو يحيى بن يعقوب . وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينها السلم ، ورجعت العساكر عنهم . واجاز منيف بن ثابت مع بنيه وعشيرته الى الاندلس ، فاستقروا هنالك اخر الايام . ولما هلك يوسف بن يعقوب بمناخه على تلمسان آخر سنة ست ، وانعقدت السلم بين حافده ابي ثابت ، وبين ابي زيان بن عثمان سلطان بني عبد الواد على ان يخلي له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من امصارهم واعمالهم وثغورهم ، وبعثوا في حاميتهم وعمالهم واسلموها لعمال ابي زيان . وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده ، وزحف الى مليانة فاحاط بها . فلما نزل عنها بنو مرين لابي زيان وصارت مليانة وتنس له ، اخفق سعي راشد وافرج عن البلد .

ثم كان مهلك أبي زيّان قريباً ، وولي اخوه أبو حمو موسى بن عثمان . واستولى على المغرب الاوسط ، فملك تافركينت سنة سبع ، وملك بعدها مليانة والمريّة ، ثم ملك تنس وعقد عليها لمسامح مولاه ، وقارن ذلك حركة صاحب بجايَةَ السلطان أبي البقاء خالد ابن مولانا الأمير أبي زكرياء بن السلطان أبي اسحاق الى متيجة

لاسترجاع الجزائر من يد ابن عِلّان الثائر عليهم، فلقيه هنالك راشد بن محمد، وصار في جملته، وظاهره على شأنه. ولقّاه السلطان تكرمة وبرّاً، وعقد له ولقومه حلفاً مع صَنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية بجاية وجبال زواوة، فاتصلت يد راشد بيد زعيمهم يعقوب بن خلوف احد وزراء الدولة.

ولما نهض السلطان خالد للاستئثار بملك الحضرة تونس استعمل يعقوب بن خلوف على بجاية، وعسكر راشد معه بقومه، وابلى في الحروب بين يديه وأغنى في مظاهرة اوليائه، حتى اذا ملك حضرتهم، واستولى على تراث سلفهم، اسف حاجب الدولة راشد هذا وقومه بامضاء الحكم في بعض حشمه، تعرض للحَرابة في السابلة فتقبض عليه، ورفع الى سدة السلطان، فامضى فيه حكم الله. وذهب راشد مغاضباً، ولحق بوليّه ابن خلوف ومضطربه من زواوة. وكان يعقوب بن خلوف قد هلك، وولى السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن، فلم يرع حق ابيه في اكرام صديقه راشد. وتشاجر معه في بعض الايام مشاجرة نكر عبد الرحمن فيها ملاحاة راشد له، وانف منها، وأدلّ فيها راشد بمكانه من الدولة وببأس قومه، فلذعه بالقول، وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخزاً بالرماح الى ان أقعصوه[1]. وانذعر جميع مَغْراوة، ولحقوا بالثغور القاصية، فأقفر منهم شِلْف وما اليه كأن لم يكونوا به. واجاز منهم بنو

(١) قال الجوهري: يقال ضربه فاقعصه أي قتله مكانه.

منيف وبنو ويغرن الى الاندلس للمرابطة بثغور المسلمين، فكانت منهم حامية موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد. واقام في جوار الموحدين فلٌّ آخر من اوساط قومهم كانوا شوكة في عساكر الدولة الى ان انقرضوا. ولحق علي بن راشد طفلا بعمّته في قصر بني يعقوب بن عبد الحق فكفلته، وصار اولاد منديل عصباً الى وطن بني مَرين، فتولوهم واحسنوا جوارهم، واصهروا اليهم سائر الدولة، إلى ان تغلب السلطان ابو الحسن على المغرب الاوسط ومحا دولة آل زيان، وجمع كلمة زَناتة، وانتظم مع بلادهم بلاد افريقية وعمل الموحدين، وكانت نكبته على القيروان صدر سنة تسع واربعين كما شرحناه قبل.

وانتقضت العمالات والاطراف، وانتزى اعياص الملك بمواطنهم الاولى، فتوثب علي ابن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل على بلاد شلف، وتملكها وتغلب على امصارها : مليانة وتنس وبرشك وشرشال، واعاد ما كان لسلفه فيها من الملك على طريقتهم البدوية، وارهفوا حدهم لمن طالبهم من القبائل. وخلص السلطان ابو الحسن من ورطته بافريقية، ثم من ورطة البحر بمرسي بجاية الى الجزائر يحاول استرجاع ملكه المفترق، فبعث إلى علي بن راشد وذكره ذمته فتذكر وحن، واشترط لنفسه التجافي عن ملك قومه بشلف، على ان يظاهره على بني عبد الواد فأبى السلطان ابو الحسن من اشتراط ذلك له، فتحيز عنه الى فيئة بني عبد

الواد الناجين بتلمسان كما ذكرناه قبل، وظاهرهم عليه. وبرز اليهم السلطان ابو الحسن من الجزائر، والتقى الجمعان بشربوبة[1] سنة احدى وخمسين، فاختل مصاف السلطان أبي الحسن، وانهزم جمعه، وهلك ابنه الناصر، طاح دمه في مغراوة هؤلاء. وخرج الى الصحراء ولحق منها بالمغرب الاقصى كما نذكره بعد. وتطاول الناجون بتلمسان من آل يَغْمراسن الى انتظام بلاد مغراوة في ملكهم كما كان لسلفهم؛ فنهض اليهم بعساكر بني عبد الواد رديف سلطانهم واخوه ابو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن بن يغمراسن فأوطأ قومه بلاد مغراوة سنة اثنتين وخمسين، وفلّ جموعهم، وغلبهم على الضاحية والامصار. وأحجر علي بن راشد بتنس في شرذمة من قومه، واناخ بعساكره عليه وطال الحصار ووقع الغلب. ولما رأى علي بن راشد أنْ قد احيط به دخل الى زاوية من زوايا قصره، وانتبذ فيها عن الناس، وذبح نفسه بحد حسامه وصار مثلًا وحديثاً للآخرين. واقتحم البلد لحينه، واستلحم من عثر عليه من مَغْراوَة، ونجا الآخرون الى اطراف الارض، ولحقوا باهل الدول، فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جنداً للدول، وحشماً واتباعاً، وانقرض امرهم من بلاد شلف.

ثم كانت لبني مرين الكرة الثانية الى تِلِمْسان، وغلبوا آل زيان، ومحوا آثارهم. ثم فاء ظلّهم بملك السلطان أبي عِنان، وحسر

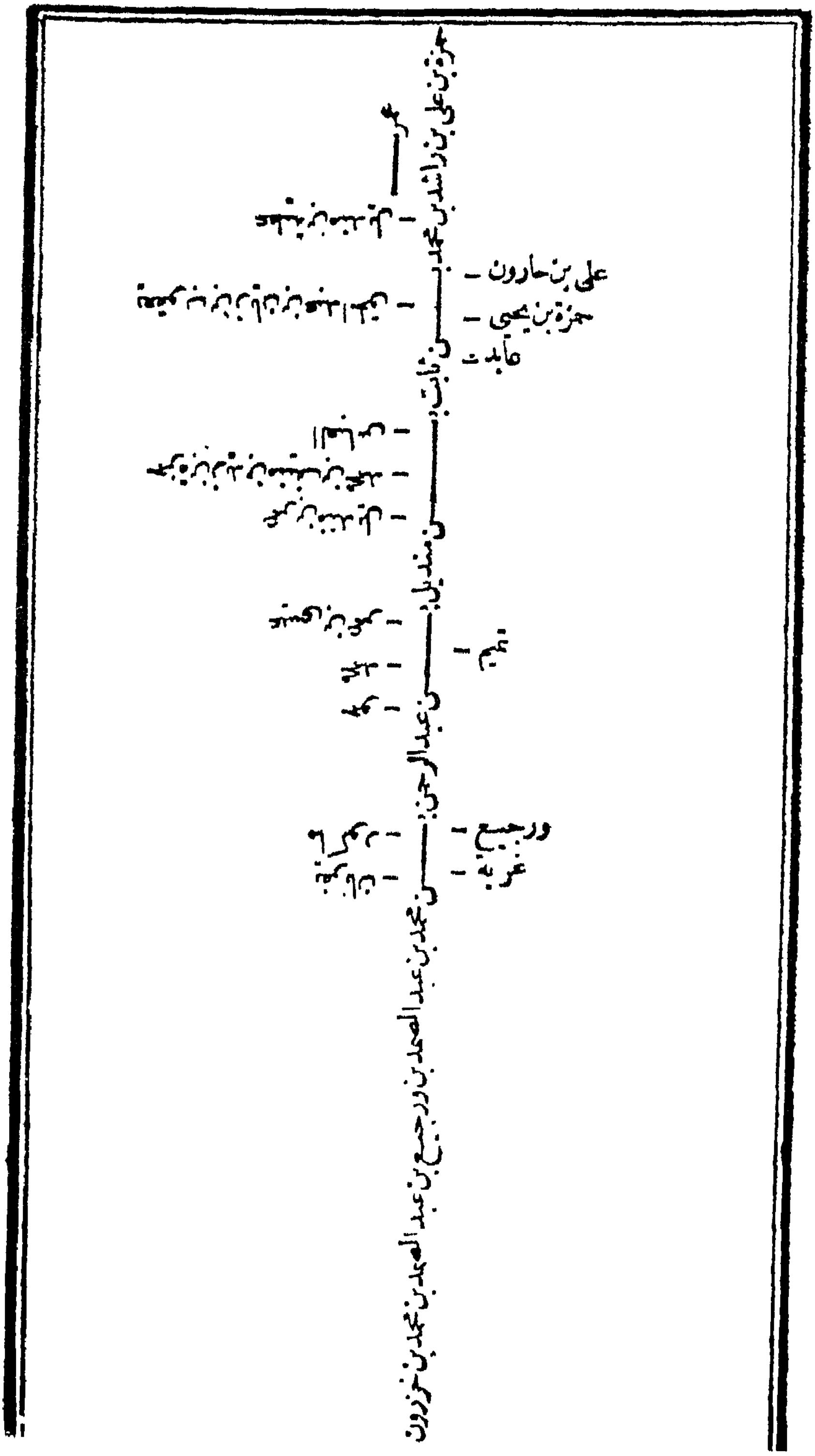
(١) كذا، وفي ب: شربونة، وفي نسخة شدبونة.

تيارهم. وجدد الناجون من آل يغمراسن دولة ثالثة بمكان عملهم على يد أبي حمو الأخير ابن موسى بن يوسف كما نذكره في اخبارهم. ثم كانت لبني مرين الكرة الثالثة الى بلد تلمسان ونهض السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن اليها فاتح سنة اثنتين وسبعين، وسرح عساكره في اتباع أبي حمو الناجم بها من آل يغمراسن حين فرّ امامه في قومه واشياعه من العرب كما يأتي ذلك كله. ولما انتهت العساكر الى البطحاء تلوموا هنالك أياما لازاحة عللهم. وكان في جملتهم صبي من ولد علي بن راشد الذبيح اسمه حمزة، ربي يتيماً في حجر دولتهم لذمام الصهر الذي لقومه فيهم، فكفلته نعمتهم وكنفه جوهم، حتى شب واستوى وسخط رزقه في ديوانهم وحاله بين ولدانهم. واعترض بعض الأيام قائد الجيوش الوزير ابا بكر بن غازي شاكياً، فجبهه واساء رده، فركب الليل، ولحق بمعقل بني بو سعيد من بلد شلف، فاجاروه ومنعوه، ونادى بدعوة قومه فاجابوه. وسرح إليهم السلطان عبد العزيز وزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة كبير تيربيغين (١) في جيش كثيف من بني مرين والجند، فنزل بساحة ذلك الجبل، فحاصرهم حولا كريتاً (٢) ينال منهم وينالون منه وامتنعوا عليه واتهم السلطان وزيره بالمداهنة، وسعى به منافسوه، فتقبّض عليه،

(١) كذا، وفي ب: يتربعن.
(٢) قال الجوهري: سنة كريت أي تامة.

وسرح وزيره الآخر ابا بكر بن غازي، فنهض يجر العساكر الضخمة والجيوش الكثيفة الى ان نزل بهم وصبحهم القتال، فقذف الله في قلوبهم الرعب وانزلهم من معقلهم. وفر حمزة بن علي في فلٍّ من قومه، فلحق ببلاد حُصَيْن المنتقضين كانوا على الدولة مع أبي زَيَّان بن أبي سعيد الناجم من آل يَغْمُراسن حسبما نذكر. واتى بنو أبي سعيد طاعتهم، واخلصوا الضمائر في مغيبهم، وحسن موقعها. وبدا لحمزة في الرجوع اليهم، فاغذّ السير في لمة من قومه، حتى اذا أَلَمَّ بهم نكروه لمكان ما اعتقلوا به من حبل الطاعة، فتسهل الى البسائط وقصد تيمزوغت [1] يظن بها غِرَّةً ينتهزها. وبرزت اليه حاميتها ففلّوا حده وردوه على عقبه، وتسابقوا في اتباعه الى ان تقبّضوا عليه، وقادوه الى الوزير ابن غازي بن الكاس. واوعز اليه السلطان بقتله في جمله اصحابه، فضرب اعناقهم، وبعث بها الى سدة السلطان. وصلب اشلاءهم على خشبٍ مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة، وامّحى اثر مغراوة، وانقرض امرهم، واصبحوا خولاً للامراء، وجنداً في الدول، واوزاعا في الاقطار كما كانوا قبل هذه الدولة الاخيرة لهم. والبقاء لله وحده، وكل شي هالك الا وجهه.

(١) كذا، وفي ب: تيمروغت.


علي بن هارون
حمزة بن يحيى
عابد
تميم
ورجيع

دولة بني عبد الواد

الخبر عن دولة بني عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الأوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم

قد تقدم لنا في اول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بني عبد الواد هؤلاء، وأنهم من ولد بادين بن محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وأنّ نسبهم يرتفع الى زحيك[1] بن واسين بن ورشيك بن جانا، وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك في مواطنهم تلك. وكان اخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكيك وملوية، ووصفنا من حال فتنتهم مع بني مَرين اخوانهم المجتمعين معهم بالنسب في زحيك بن واسين.

ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك، وكان اخوانهم بنو راشد وبنو زردال وبنو مصاب منجدين اليهم بالنسب والحلف، وبنو توجين منابذين لهم اكثر أزمانهم، ولم يزالوا جميعاً متغلبين على ضاحية المغْرب الأَوسط عامة الازمان، وكانوا تبعاً فيه لبني

(١) كذا، وفي ب: رزجيك.

ومانوا وبني يلومي حين كان لهم التغلب فيه. وربما يقال ان شيخهم لذلك العهد كان يعرف بيوسف بن تكفا، حتى اذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان، وسارت عساكرهم الى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبي حفص، فأوقعوا بهم كما ذكرناه، حسنت بعد ذلك طاعة بني عبد الواد وانحياشهم الى الموحدين، وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة: بنو ياتكين وبنو وللو وبنو ورصطف ومصوحة وبنو تومرت وبنو القاسم. ويقولون بلسانهم ايت القاسم، وايت حرف الاضافة النسبية عندهم. ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من ولد القاسم بن إدريس. وربما قالوا في هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس أو ابن محمد بن عبد الله او ابن محمد بن القاسم، وكلهم من أعقاب ادريس، مزعماً لا مستند له إلا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه، مع ان البادية بعداء عن معرفة مثل هذه الانساب. والله اعلم بصحة ذلك.

وقد قال يَغْمراسن بن زيّان ابو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبهم الى ادريس كما يذكرونه، فقال برطانتهم ما معناه: ان كان هذا صحيحاً فينفعنا عند الله. واما الدنيا فانّما نلناها بسيوفنا. ولم تزل رياسة بني عبد الواد في بني القاسم لشدّة شوكتهم، واعتزاز عصبتهم، وكانوا بطونا كثيرة: فمنهم بنو يكنيمن بن القاسم. وكان منهم ويغرن بن مسعود بن يكنيمن واخواه يكنيمن وعمر، وكان أيضاً أعدوي بن يكنيمن الأكبر، ويقال

الاصغر . ومنهم أيضاً عبد الحق بن منغفاد من ولد ويغرن . وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاد واعدوى بن يكنيمن . وعبد الحق بن منغفاد هو الذي استنقذ الغَنائم من يد بني مرين ، وقتل المخضب بمسوف حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك . والمؤرخون يقولون عبد الحق بن معاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها دال ؛ وهو غلط ، وليس هذا اللفظ بهذا الضبط من لغة زناتة ، وإنما هو تصحيف منغفاد بميم ونون بعدها مفتوحتين ، وغين بعدها معجمة ساكنة وفاء مفتوحة ، والله أعلم .

ومن بطون بني القاسم بنو مطهر بن يمل بن يزكن[1] بن القاسم . وكان حمامة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن ، وابلى في حروب زناتة مع الموحدين ، ثم حسنت طاعته وانحياشه ومن بطون بني القاسم أيضاً بنو علي ؛ واليهم انتهت رياستهم ، وهم أشدهم عصبية وأكثرهم جمعاً ، وهم أربعة أفخاذ : بنو طاع الله وبنو دلول وبنو كمي وبنو معطي بن جوهر ، والاربعة بنو علي . ونصاب الرياسة في بني طاع الله لبني محمد بن زكدان ابن تيدوكسن بن طاع الله. هذا ملخص الكلام في نسبهم .

ولما ملك الموحدون بلاد المغرب الاوسط وبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سبباً لاستخلاصهم ؛ فاقطعوهم عامة بلاد بني

---

(١) كذا، وفي ب: يزكين، وفي نسخة مزكن. وفي نسخة: بنو مطهر بن يزكو.

يلومي وبني ومانوا، واقاموا بتلك المواطن، وحدثت الفتنة بين بني طاع الله وبني كمى الى ان قتل كندوز من بني كمى زيان ابن ثابت كبير بني محمد بن زكدان[1] وشيخهم. وقام بامرهم بعده جابر ابن عمه يوسف بن محمد؛ فثار من كندوز بزيان ابن عمه، وقتله به في بعض ايامهم وحروبهم. ويقال قتله غيلة، وبعث برأسه ورؤوس اصحابه الى يغمراسن بن زيان بن ثابت، فنصبت عليها القدور أثافي شفاية لنفوسهم من شأن ابيه زيان.

وافترق بنو كمي، وفر بهم عبد الله بن كندوز كبيرهم، فلحقوا بتونس. ونزل على الامير ابي زكرياء كما سنذكره بعد. واستبد جابر بن يوسف بن محمد برياسة بني عبد الواد. واقام هذا الحي من بني عبد الواد بضواحي المغرب الاوسط، حتى اذا فشل ريح بني عبد المؤمن، وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس، وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها، وكبس الامصار فاقتحمها، وانتهب بلاد زناتة، وقتل امراءهم، ودخل تلمسان ووهران واستباحهما وغيرهما من بلاد المغرب الاوسط، والح على تاهرت بالغارة وافساد السابلة وانتهاب الزرع، وحطم النعم، الى ان خربت وعفى رسمها لسني الثلاثين من المائة السابعة. وكانت تلمسان لذلك العهد نزلا للحامية ومناخاً للسيد من القرابة الذي

(١) كذا، وفي ب: زكراز. وفي نسخة: زكدار، وفي نسخة: زكداز.

يضم نثرها، ويذب عن انحائها. وكان المأمون استعمل على تلمسان اخاه السيد ابا سعيد، وكان غفلاً ضعيف التدبير. وغلب الحسن ابن حبون من مشيخة قومه كومية، وكان عاملاً على الوطن، وكانت في نفسه من بني عبد الواد ضغائن جرها ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية واهلها، فاغرى السيد ابا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه، فتقبض عليهم واعتقلهم.

وكان في حامية تلمسان لمة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم، واثبتهم عبد المؤمن في الديوان، وجعلهم مع الحامية. وكان زعيمهم في ذلك العهد ابراهيم بن اسماعيل بن علان، وشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد، فردوه فغضب وحمى انفه، واجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية، فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية الشرق، فاغتال الحسن بن حبون لحينه، وتقبض على السيد أبي سعيد، واطلق المشيخة من بني عبد الواد، ونقض طاعة المأمون، وذلك سنة اربع وعشرين. فطير الخبر الى ابن غانية فأغذ اليه السير. ثم بدا له في امر بني عبد الواد [1]، ورأى ان ملاك امره في خضد [2] شوكتهم وخفض جناحهم، فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم، ومكربهم في دعوة واعدهم لها. وفطن لتدبير ذلك جابر بن يوسف شيخ بني عبد

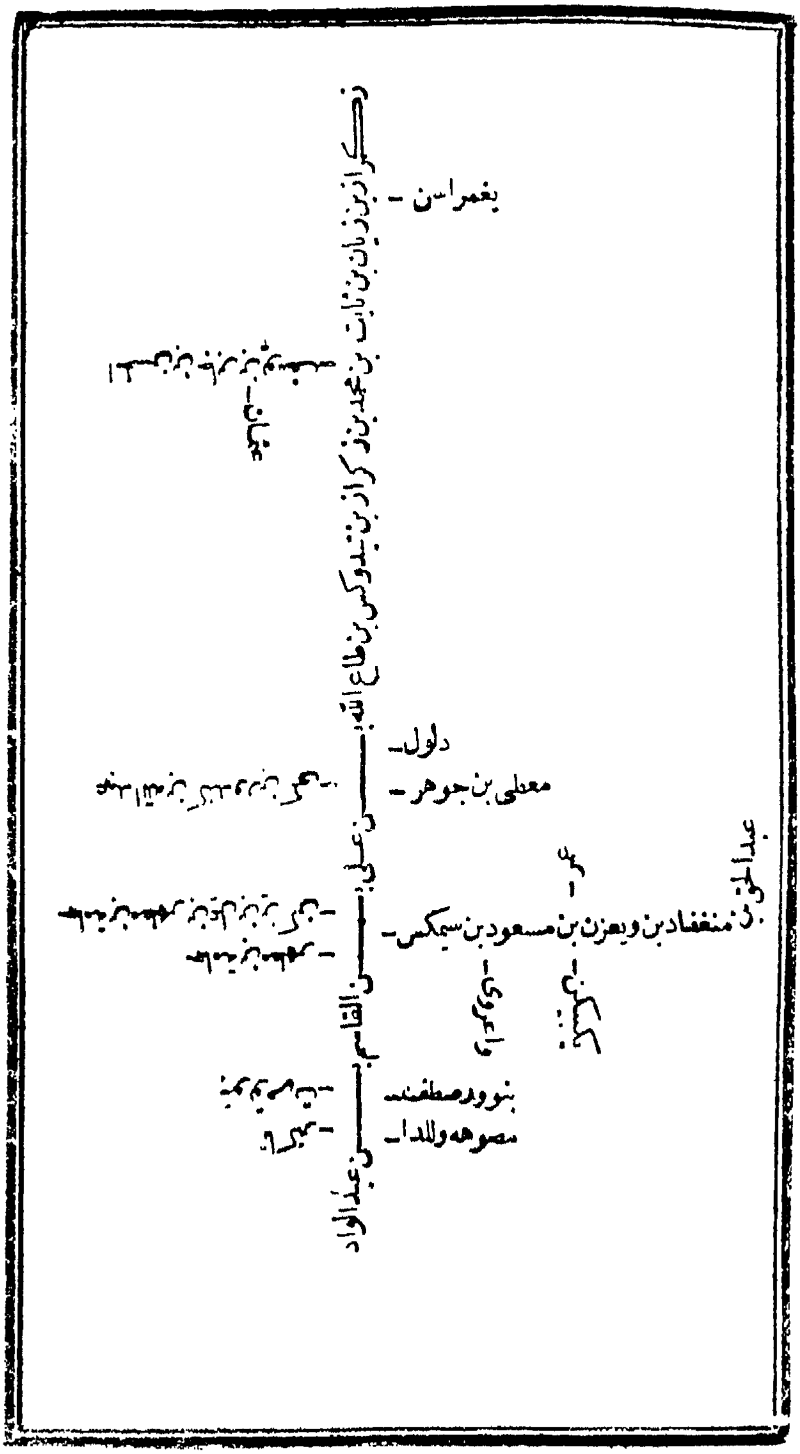
(١) كذا بالأصل في جميع النسخ، ويظهر هنا أن العبارة ناقصة. ومقتضى السياق: ثم بدا له في أمر بني عبد الواد شيء.

(٢) خضد الشجر قطع شوكه ـ قاموس.

الواد، فواعده اللقاء والمؤازرة، وطوى له على النث، وخرج ابراهيم بن علان الى لقائه، ففتك به جابر. وبادر الى البلد فنادى بدعوة المأمون وطاعته، وكشف لاهلها القنـاع عن مكر ابن علان بهم، وما اوقعهم فيه من ورطة ابن غانية، فحمدوا رأيه وشكروا جابراً على صنيعه، وجددوا البيعة للمأمون. واجتمع الى جابر في امره هذا كافة بني عبد الواد واحلافهم من بني راشد، وبعث الى المـأمون بطاعته واعتماله في القيام بدعوته، فخاطبه بالشكر، وكتب له العهد على تلمسان وسائر بلاد زناتة على رسم السادة الذين كانوا يلون ذلك من القرابة، فاضطلع بامر المغرب الاوسط، وكانت هذه الولاية ركاباً الى صهوة الملك الذي اقتعدوه. ثم انتقض عليه اهل ندرومة بعد ذلك، فنـازلهم، وهلك في حصارها بسهم غرب اثبته سنه تسع وعشرين.

وقام بالامر من بعده ابنه الحسن، وجدد له المأمون عهـده بالولاية، ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه لستة اشهر من ولايته. ودفع اليه عمه عثمان بن يوسف، وكان سيء الملكة كثير العسف والجور، فثارت به الرعايا بتلمسان واخرجوه سنة احدى وثلاثين، وارتضوا لمكانه ابن عمه زكران بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة فاستدعوه لها، وولوه على انفسهم وبلدهم، وسلموا له امرهم. وكان مضطلعاً بامر زناتة مستبداً برياستهم ومستولياً على سائر الضواحي، فنفس بنو مطهر عليه وعلى قومه بني علي اخوانهم ما

آتاهم الله مــن الملك ، واكرمهم به من السلطان. وحسدوا زكران وسلفه فيما صار لهم من الملك، فشاقوه ودعوا الى الخروج عليه . واتبعهم بنو راشد بن محمد احلافهم منذ عهد الصحراء ، وجمع لهم ابو عزة سائر قبائل بني عبد الواد، فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك في بعض ايامها سنة ثلاث وثلاثين . وقام بالامر من بعده أخوه يغمراسن بن زيان ، فوقع التسليم والرضى به من سائر القبائل ، ودان له بالطاعة جميع الامصار . وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله ، وكان له ذلك سلماً الى الملك الذي اورثه بنيه سائر الايام .



الخبر عن تلمسان وما تأدى الينا من أحوالها من لدن الفتح الى أن تأثل بها سلطان بني عبد الواد ودولتهم

هذه المدينة قاعدة المغرب الاوسط ، وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم ، ولم نقف على اخبارها فيما قبل ذلك . وما يزعم بعض العوام من ساكنها انها ازلية البناء ، وان الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية اكادير منها ، فامر بعيد عن التحصيل ، لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق الى المغرب ، وبنو اسرائيل لم يتسع ملكهم لافريقية فضلاً عما وراءها ، وانما هي من مقالات التشيع المجبول عليه اهل العالم في تفضيل ما ينسب اليهم او ينسبون اليه من بلد او ارض او علم او صناعة . ولم نقف لها على خبر اقدم من خبر ابن الرقيق بأن ابا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الاولى والثانية توغل في ديار المغرب ، ووصل الى تلمسان ، وبه سميت عيون المهاجر قريباً منها . وذكرها الطبري عند ذكر ابي قرة اليفرني واجلابه مع ابي حاتم والخوارج مع عمر ابن حفص بطبنة . ثم قال : فافرجوا عنه ، وانصرف ابو قرة الى مواطنه بنواحي تلمسان . وذكرها ابن الرقيق ايضاً في اخبار ابراهيم بن الاغلب قبل استبداده بافريقية ، وانه توغل في غزوه الى المغرب ونزلها ، واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم

سين [١] ومعناهما تجمع من اثنين ، يعنون الى البر والبحر .

ولما خلص ادريس الاكبر بن عبد الله بن الحسن الى المغرب الاقصى واستولى عليه، نهض الى المغرب الاوسط سنة اربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر بن صولات امير زناتة وتلمسان ، فدخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن ، وامكنه من تلمسان فملكها ، واختط مسجدها ، وصنع منبره ، وأقام بها اشهراً وانكفأ راجعاً الى المغرب. وجاء على اثره من المشرق اخوه سليمان بن عبدالله ، فنزلها وولاه امرها . ثم هلك ادريس، وضعف امرهم . ولما بويع لابنه ادريس من بعده ، واجتمع اليه برابرة المغرب، نهض الى تلمسان سنة تسع وتسعين وماية، فجدد مسجدها واصلح منبرها ، واقام بها ثلاث سنين ، ودوخ فيها بلاد زناتة ، واستوسقت له طاعتهم . وعقد عليها لبني محمد ابن عمه سليمان . ولما هلك ادريس الاصغر ، واقتسم بنوه اعمال المغربين باشارة امه كنزة، كانت تلمسان في سهمان عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان واعمالها لبني ابيه محمد بن سليمان . فلما انقرضت دولة الادارسة من المغرب ، وولي امره موسى بن ابي العافية بدعوة الشيعة ، نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة ، وغلب عليها اميرها لذلك العهد الحسن من ابي العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان،

(١) كذا، وفي ب: تلم سان، وفي نسخة تلم سن، وفي نسخة: تتم سين.

ففر عنها الى مليلة، وبنى حصناً لامتناعه بناحية نكور، فحاصره مدة ، ثم عقد له سلماً على حصنه .

ولما تغلب الشيعة على المغرب الاوسط اخرجوا اعقاب محمد ابن سليمان من سائر اعمال تلمسان ، فأخذوا بدعوة بني امية من وراء البحر واجازوا اليهم . وتغلب يعلى بن محمد اليفرني على بلاد زناتة والمغرب الاوسط، فعقد له الناصر الاموي عليها وعلى تلمسان اعوام اربعين وثلاثماية . ولما هلك يعلى ، وقام بامر زناتة بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر، فملك تلمسان اعوام ستين . وهلك في حروب صَنْهَاجَةَ ، وغلبوهم على بلادهم ، وانجلى الى المغرب الاقصى . ودخلت تِلِمْسان في عمالة صَنْهَاجة إذ انقسمت دولتهم ، وافترق أمرهم . واستقل بامارة زناتة وولاية المغرب زيري بن عَطِيَّة ؛ وطرده المنصور بن أبي عامر عن المغرب، فصار الى بلاد صنهاجة ، واجلب عليها ، ونازل معاقلها وامصارها : مثل تلمسان ووهران وتنس وأشير والمسيلة . ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المُعِزّ بن زيري على عمل المغرب سنة ست وتسعين ، واستعمل على تلمسان ابنه يعلى بن زيري ، واستقرت ولايتها في عقبه الى ان انقرض أمرهم على يد لمتونة . وعقد يوسف بن تاشفين عليها لمحمد بن تينَعْمَر المسوفي وأخيه تاشفين من بعده ، واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور بن الناصر صاحب القلعة

من ملوك بني حماد ، ونهض الى تلمسان وأخذ بمخنقها ، وكاد يغلب عليها كما ذكرنا ذلك كله في مواضعه .

ولما غلب عبد المؤمن لمتونة ، وقتل تاشفين بن علي بوهران خرّبها وخرّب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها ، وذلك أعوام أربعين من المائة السادسة . ثم راجع رأيه فيها ، وندب الناس الى عمرانها ، وجمع الايدي على رمّ ما تثلّم من أسوارها وعقد عليها لسليمان بن وانودين من مشايخ هنتاتة وآخى بين الموحدين وبين هذا الحيّ من بني عبد الواد بما بلي من طاعتهم وانحياشهم . ثم عقد عليها لابنه السيد أبي حفص ، ولم يزل آل عبد المؤمن من بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم وأهل بيتهم ، ويرجعون اليه أمر المغرب كله وزناتة أجمع ، اهتماماً بامرها واستعظاماً لعملها .

وكان هؤلاء الاحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الاوسط ، وملكوها وتقلبوا في بسائطها ، واحتازوا باقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها ، فإذا خرجوا الى مشايخهم بالصحراء خلفوا اتباعهم بالتلول لاعتمار ارضهم وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم . وكان بنو عبد الواد من ذلك فيما بين البطحاء وملوية ، ساحله وريفه وصحراءه . وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم الى تحصينها

وتشييد أسوارها ، وحشد الناس الى عمرانها ، والتناغي في تمصيرها واتخاذ الصروح والقصور بها والاحتفال في مقاصر الملك واتساع خطة الدور . وكان من أعظمهم اهتماماً بذلك واوسعهم فيه نظراً السيد أبو عمران موسى ابن أمير المؤمنين يوسف العشري ووليها سنة ست وخمسين على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن . واتصلت أيام ولايته فيها ، فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الاسوار عليها . ووليها من بعد السيّد ابو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن ، وتقبّل فيها مذهبه . ولما كان من أمر بني غانية وخروجهم من ميورقة سنة احدى وثمانين ما قدمناه وكبسوا بجاية فملكوها ، وتخطوا الى الجزائر ومليانة فغلبوا عليهما ، تلافى السيد ابو الحسن أمره بامعان النظر في تشييد اسوارها والاستبلاغ في تحصينها ، وسد فروجها ، وأعماق الحفائر نطاقاً عليها ، حتى صيرها امنع معاقل المغرب ، وأحصن امصاره. وتقبل ولاتها هذا المذهب من بعده في المعتصم بها . واتفق من الغريب ان اخاه السيد أبا زيد هو الذي دفع لحرب بني غانية ، فكان لهما في رقع الخرق والمدافعة عن الدولة آثار . وكان ابن غانية قد اجتمع اليه ذؤبان العرب من الهلاليين بافريقية ، وخالفهم زغبة احدى بطونهم الى الموحدين ، وتحيزوا الى زناتة المغرب الاوسط ، وكان مفزعهم جميعاً ومرجع نقضهم وأبرامهم الى العامل بتلمسان من السادة في مثواهم وحامي حقيقتهم . وكان ابن غانية

كثيراً ما يجلب على ضواحي تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها بمن معه من ناعق الفتنة الى ان خرب الكثير من امصارها مثل تاهرت وغيرها فاصبحت تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ، وأم هؤلاء الاحياء من زناتة المغرب ، والكافلة لهم المهيئة في حجرها مهاد نومتهم بما خربت المدينتان اللتان كانتا من قبل قواعد الدول السالفة والعصور الماضية وهما : ارشكول بسيف البحر، وتاهرتَ فيما بين الريف والصحراء قبلة البطحاء . وكان خراب هاتين المدينتين فيما خرب من امصار المغرب الاوسط في فتنة ابن غانية، وباجلاب هؤلاء الاحياء من زناتة وطلوعهم على اهلها بسوم الخسف والعيث والنهب ، وتخطف الناس من السابلة وتخريب العمران ، ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحدين : مثل قصر عجيسة وزرقة والخضراء وشلف ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات والقلعة ، فلم تبصر بها نار ولا لفحت بها لنافخ ضرمة، ولا صرخت لها آخر الدهر ديكة . ولم يزل عمران تلمسان يتزايد ، وخطتها تتسع ، والصروح بها بالاجر والقرميد تعالى وتشاد ؛ الى ان نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم وكرسياً لسلطانهم ؛ فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها المياه، فاصبحت اعظم امصار المغرب . ورحل اليها الناس من القاصية، ونفقت بها اسواق العلوم والصنائع ، فنشأ بها العلماء ، واشتهر فيها الاعلام . وضاهت

امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية . والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان وما إليها وكيف مهد الأمر لقومه وأصاره تراثا لبنيه

كان يَغْمْراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأساً ، واعظمهم في النفوس مهابة وجلالة ، واعرفهم بمصالح قبيله، واقواهم كاهلًا على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرياسة ، مهدت له بذلك آثار قبل الملك وبعده . وكان مرموقاً بعين التجلة مؤملًا للامر عند المشيخة، وتعظمة من امره عند الخاصة، ويفزع اليه في نوائبه العامة . فلما ولي هذا الامر بعد مهلك اخيه أبي عزّة زكدان بن زيان سنة ثلاث وثلاثين ، فقام به احسن قيام ، واضطلع باعبائه ، وظهر على بني مطهر وبني راشد الخارجين على اخيه ، واصارهم في جملته وتحت سلطانه . واحسن السيرة في الرعية، واستمال عشيره وقبيله واحلافهم من زِغْبَة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار ، واتخذ الالة ورتب الجنود والمسالح ، واستلحق العساكر من الروم والغزّ رامحة وناشبة . وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب ، وبعث في الجهات العمال ، ولبس شارة الملك والسلطان ، واقتعد الكرسي ومحا من اثار الدولة المؤمنية،

وعطل من الامر والنهي دستها ، ولم يترك مـن رسوم دولتهم والقاب ملكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش ، وتناول التقليد والعهد من يده تأنيساً للكافة ومرضاة للاكفاء من قومه. ووفد عليه لاول دولته ابن وضاح اثر دولة الموحدين ، اجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الاندلس ، فآثره وقرب مجلسه واكرم نزله ، وأحلّه من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له. ووفد في جملته ابو بكر بن خطاب المبايع لاخيه بمرسية ، وكان مرسلاً بليغاً ، وكاتباً مجيداً ، وشاعراً محسناً ، فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ . ولم يزل يغمراسن محامياً عن غيله محاربا لعدوه. وكانت له مع ملوك الموحدين من ال عبد المؤمن ومديلهم من ال ابي حفص مواطن في التمرس به ومنازلة بلده، نحن ذاكروه كذلك . وبينه وبين اقتاله بني مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملكه وقائع متعددة . وله على زناتة الشرق من توجين ومغراوة في فل جموعهم، وانتساف بلادهم وتخريب اوطانهم ايام مذكورة وآثار معروفة ، نشير الى جميعها ان شاء الله تعالى .

الخبر عن استيلاء الأمير أبي زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن في دعوته

ولما استقل يَغْمراسن بن زيان بامر تلمسان والمغرب الاوسط،

وظفر بالسلطان ، وعلا كعبه على سائر احياء زناتة ، نفسوا عليه ما آتاه الله من العز ، وكرّمه به من الملك ، فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة، وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة، فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم ، واحجرهم في حصونهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال وممتنع الامصار. وكانت له عليهم ايام مشهورة ووقائع مذكورة معروفة ، وكان متولي كبر هذه المشاقة عبد القوي بن العباس شيخ بني توجين اقتالهم من بني بادين، والعباس ابن منديل بن عبد الرحمن واخوته امراء مغراوة . وكان المولى الامير ابو زكرياء بن أبي حفص منذ استقل بأمر إفريقية ، واقتطعها عن الايالة المؤمنية سنة خمس وعشرين كما ذكرناه ، متطاولا الى احتياز المغرب والاستيلاء على كرسي الدعوة بمراكش ، وكان يرى ان بمظاهرة زناتة له على شأنه يتم ما يسمو إليه من ذلك ، فكان يداخل امراء زناتة ، فيرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحياء من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة . وكان يَغْمْراسِنُ منذ تقلّد طاعة آل عبد المؤمن، اقام دعوتهم بعمله متحيزاً اليهم سلما لوليهم وحرباً على عدوهم . وكان الرشيد منهُم قد ضاعف له البر والخلوص، وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة، وعاوده الاتحاف بانواع الالطاف والهدايا عام سبعة وثلاثين تقمنا لمسراته ، وميلًا اليه عن جانب اقتاله بني مرين المجلبين على المغرب والدولة . واحفظ الامير ابا زكرياء يحيى بن عبد الواحد صاحب

افريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد ، وهو من جواره بالمحل القريب ، واستكره ذلك. وبينما هو على ذلك إذ وفد عليه عبد القوي بن العباس ، وولد منديل بن محمد صريخاً على يغمراسن ، فسهلوا له امره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان ، وجمع كلمة زناتة ، واعتداد ذلك ركاباً لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين وانتظامه في امره ، وسلما لارتقاء ما يسمو اليه من ملكه ، وبابا للولوج على اهله ، فحركه املاؤهم وهزّه الى النعرة صريخهم ، واهاب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر الى الحركة على تلمسان ، واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين في عمله من بني سليم ورياح بظعنهم فاهطعوا لداعيه ، ونهض سنة تسع وثلاثين في عساكر ضخمة وجيوش وافرة، وسرح امام حركته عبد القوي بن العباس واولاد منديل ابن محمد لحشد من بأوطانهم من احياء زناتة واتباعهم وذؤبان قبائلهم واحياء زغبة احلافهم من العرب ، وضرب لهم موعداً لموافاتهم في تخوم بلادهم . ولما نزل زاغر قبلة تيطرى منتهى مجالات رياح وبني سليم في المغرب ، وافته هنالك احياء زغبة من بني عامر وسويد ، وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان ، فجمع عساكر الموحدين وحشد زناتة وظعن المغرب ، بعد ان قدم الى يغمراسن الرسل من مليانة والاعذار والبراءة والدعاء الى الطاعة ، فرجعهم بالخيبة .

ولما حلت عساكر الموحدين بساحة البلد ، وبرز يغمراسن وجموعه للقاء نضحتهم ناشبة السلطان بالنبل، فانكشفوا ولاذوا بالجدران ، واعجزوا من حماية الاسوار ، فاستمكنت المقاتلة من الصعود . ورأى يغمراسن ان قد احيط بالبلد، فقصد باب العقبة من ابواب تلمسان ملتفاً على ذويه وخاصته ، واعترضته عساكر الموحدين، فصمم نحوهم وجندل بعض ابطالهم، فافرجوا له ولحق بالصحراء . وانسلت الجيوش الى البلد من كل حدب، فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال . ولما تجلى غشي تلك الهيعة ، وحسر تيار الصدمة ، وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم ، وانعم الامير ابو زكرياء نظره فيمن يقلده امر تلمسان والمغرب الاوسط ، وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من دعوة عبد المؤمن والمدافعة عنها . واستكبر ذلك اشرافهم وتدافعوه ، وتبرأ امراء زناتة منه ضعفاً عن مقاومة يغمراسن ، وعلماً بانه الفحل الذي لا يقرع أنفه ، ولا يطرق غيله ، ولا يصد عن فرايسته . وسرح يغمراسن الغارات في نواحي المعسكر، فاختطفوا الناس من حوله، واطلوا من المراقب عليه . وخاطب يَغْمَرَاسن خلال ذلك الامير أبا زكرياء رغباً في القيام بدعوته بتلمسان ، فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش ، وسوغه على ذلك جباية اقتطعها له ، واطلق ايدي العمال ليغمراسن لجبايتها . ووفدت امه سوط النساء

لاشتراط القبول ، فاكرم موصلها واسنى جائزتها واحسن وفادتها ومنقلبها ، وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله . وفي اثناء طريقه وسوس اليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه ، واشاروا باقامة منافسيه من زناتة وامراء المغرب الاوسط شجا في صدره ومعترضاً عن مرامه ، والباسهم ما لبس من شارة السلطان وَزِيِّهِ فأجابهم . وقلد عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن منديل المغراوي وعلي بن منصور المليكشي من قومهم ووطنهم ، وعهد اليهم بذلك ، واذن لهم في اتخاذ الالة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم ، فاتخذوها بحضرته وبمشهد من ملوك الموحدين ، واقاموا مراسمها ببابه ، وأغذّ السير الى تونس قرير العين بامتداد ملكه ، وبلوغ وطره ، والاشراف على اذعان المَغرب لطاعته وانقياده لحكمه ، وادالة دعوة بني عبد المؤمن فيه بدعوته . ودخل يغمراسن بن زيان ووفى للامير أبي زكرياء بعهده ، واقام له الدعوة على سائر منابره ، وصرف الى مشانيه من زناتة وجوه عزائمه ، فأذاق عبد القوي بن العباس واولاد منديل نكال الحرب ، وسامهم سوء العذاب والفتنة ، وجاس خلال ديارهم وتوغل في بلادهم ، وغلبهم على الكثير من ممالكهم ، وشرد من الامصار والقواعد ولاتهم واشياعهم ودعاتهم ، ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وسوء ملكتهم وثقل عسفهم وجورهم . ولم يزل على تلك الحال الى ان كان من حركة صاحب

مراكش بسبب اخذ يغمراسن بالدعوة الحفصية ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل تامز زدكت ومهلكه هنالك

لما انقضت دولة بني عبد المؤمن ، وانتزى الثوار والدعاة بقاصية اعمالهم وقطعوها عن ممالكهم ، فاقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الاندلس واستبدّ بها ، وورى بالدعاء للمستنصر ابن الظاهر خليفة بغداد من العباسيين لعهده ، ودعا الامير أبو زكريا بن أبي حفص بافريقية لنفسه وسما الى جمع كلمة زناتة ، والتغلب على كرسي الدعوة بمراكش ، فنازل تلمسان وغلب عليها سنة اربعين . وقارن ذلك ولاية السعيد علي بن المأمون ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، وكان شهماً حازماً يقظاً بعيد الهمة ، فنظر في اعطاف دولته ، وفاوض الملأ في تثقيف طرافها وتقويم مائلها . واثار حفائظهم ما وقع من بني مرين في ضواحي المغرب ، ثم في امصاره واستيلائهم على مكناسة ، واقامتهم الدعوة الحفصية فيها كما نذكره . فجهز العساكر وازاح عللهم ، واستنفر عرب المغرب وقبائله ، واحتشد كافة المصامدة . ونهض من مراكش اخر سنة خمس واربعين يريد القاصية ، ويشرد بني مرين عن الامصار الدانية . واعترض العساكر والحشود بوادي بهت ،

وأغـذّ السير الى تازي ، فوصلته هنـالك طـاعة بني مرين كما نذكره . ونفر معه عسكر منهم ، ونهض الى تلمسان وما وراءها . ونجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد باهليهم وأولادهم الى قلعة تامز زدكت قبلة وجدة ، فاعتصموا بها .

ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يَغْمُراسن مؤدّياً للطاعة ثابتاً في مذاهب الخدمه ، ومتولياً من حاجات الخليفة بتلمسان لما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ، ومعذراً عن وصول يغمراسن ، فلجّ الخليفة في شأنه ولم يعذره . وأبي إلّا مباشرة طاعته بنفسه ، وساعده في ذلك كانون بن جرمون السفياني صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الجلة . ورجعوا عبدونا لاستقدامه ، فتثاقل خشية على نفسه . واعتمد السعيد الجبل في عساكره واناخ بها في ساحه واخذ بمخنقهم ثلاثاً ، ولرابعتها ركب مهجراً على حين غفلة من الناس في قايلتهم ليتطوف على المعتصم ، ويتقرى مكانه . وبصر به فارس من القوم يعرف بيوسف بن عبد المؤمن الشيطان ، كان اسفل الجبل للاحتراس ، وقريباً منه يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر ، فانقضوا عليه من بعض الشعاب ، وطعنه يوسف فاكبه عن فرسه . وقتل يعقوب بن جابر وزيره يحيى بن عطوش . ثم استلحموا لوقتهم موليه ناصحاً من المعلوجي وعنبراً من الخصيان ، وقائد جند النصارى اخو القمط ، ووليدا يافعاً من ولد السعيد . ويقال انما كان يوم عبّأ العساكر وصعد الجبل للقتال ، وتقدم امام

النـاس فاقتطعته بعض الشعاب المتوعرة في طريقه ، فتواثب به هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه ، وذلك لصفر من سنة ست واربعين . ووقعت النفرة في العساكر لطائر الخبر فاجفلوا ، وبادر يغمراسن الى السعيد ، وهو صريع بالارض ، فنزل اليه وحيّاه وفداه ؛ واقسم له على البراءة من هلكته ، والخليفة واجم بصرعه يجود بنفسه الى ان فاض ، وانتُهِبَ المعسكر بجملته ، واخذ بنو عبد الواد ما كان به من الاخبية والفازات . واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة التي كانت فيه : منهـا مصحف عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، يزعمون انه احد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته ، وانه كان في خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، حتى صـار في ذخائر لَمتونَة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ، ثم الى ذخائر الموحدين من خزائن لمتونة ، وهو لهذا العهد في خزائن بني مرين بفاس فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيّان حين غلبهم اياهم على تلمسان ، واقتحامها عَنْوَةً على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن ، فريسة السلطان أبي الحسن ، مقتحمها غلاباً سنة سبع وثلاثين كما نذكره . ومنهـا العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر ، المشتمل على مئين متعددة من حصبـانه يسمى بالثعبان ، وصار في خزائن بني مَرين منذ ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخـيرتهم ، الى ان تلف في البحر

عند غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن بمراسي بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد، الى ذخائر من امثاله وطرف من اشباهه بما يستخلصه الملوك لخزائنهم ويعنون به من ذخائرهم. ولما سكنت النعرة وركد عاصف تلك الهيمة نظر يغمراسن في شان مواراة الخليفة، فجهز ورفع على الاعواد الى مدفنه بالعبّاد بمقبرة الشيخ أبي مدين عفا الله عنه. ثم نظر في شان حرمه واخته تاعزونت الشهيرة الذكر، بعد ان جاءها واعتذر اليها مما وقع، واصحبهنّ جملة من مشيخة بني عبد الواد الى مأمنهم الحقوهن بدرعة عند تخوم طاعتهم، فكان له بذلك حديث جميل في الابقاء على الحرم، ورعي مراتب الملك. ورجع الى تلمسان، وقد خضدت شوكة بني عبد المؤمن وامنهم على سلطانه. والبقاء لله وحده.

الخبر عما كان بينه وبين بني مرين من الأحداث سائر أيامه

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحيّين من المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة، بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة، وكان التخم بين الفريقين من وادي صا الى فيكيك. وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلّب بني مرين على ضاحية المغرب يستجيشون ببني عبد الواد مع عساكر الموحدين على بني مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى إلى فاس الى القصر في سبيل المظاهرة للموحدين والطاعة لهم. وسنذكر في اخبار بني مرين

كثيراً من ذلك . فلما هلك السعيد واسف بنو مرين إلى ملك المغرب ، سما ليغمراسن امل في مزاحمتهم . وكان اهل فاس بعد تغلب أبي يحيى بن عبد الحق عليهم قد نقموا على قومه سوء السيرة، وتمشت رجالاتهم في اللياذ بطاعة الخليفة المرتضى ، ففعلوا فعلتهم في الفتك بعامل أبي يحيى ابن عبد الحق ، والرجوع الى طاعة الخليفة . واغذ ابو يحيى السير الى منازلهم ، فحاصرهم شهوراً . وفي اثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى ويغمراسن بن زيان في الاخذ بحجزة أبي يحيى بن عبد الحق عن فاس ، فاجاب يغمراسن داعيه ، واستنفر لها اخوانه من زناتة فنفر معه عبد القوي بن عطية بقومه من بني توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب ، ونهضوا جميعاً الى المغرب . وبلغ خبرهم الى أبي يحيى بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس، فجمر كتائبه عليها ، ونهض للقائهم في بقية العساكر ، والتقى الجمعان بايسلى من ناحية وجدة . وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك المكان انكشفت فيها جموع يغمراسن ، وهلك منهم يغمراسن بن تاشفين وغيره ، ورجعوا في فلهم الى تلمسان . واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر ايامه ، وربما تخللتها المهادنات قليلاً .

وكان بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها ، وكثيراً ما كان يثني عنه اخاه ابا يحيى من اجلها .

ونهض ابو يحيى بن عبد الحق سنة خمس وخمسين الى قتاله، وبرز اليه يغمراسن، وتزاحفت جموعهم بأبي سليط؛ فانهزم يغمراسن واعتزم ابو يحيى على اتباعه، فثناه عن ذلك اخوه يعقوب بن عبد الحق. ولما قفلوا الى المغرب، صمد يغمراسن الى سجلماسة، لمداخلة كانت بينه وبين المنبات من عرب المعقل، اهل مجالاتها وذئاب فلاتها، حدثته نفسه اهتبال الغرة في سلجماسة من اجلها، وكانت قد صارت الى ايالة أبي يحي بن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه في اخبارهم. ونذر بذلك ابو يحيى، فسابق اليها يغمراسن بمن حضره من قومه فثقفها وسد فرجها. ووصل يغمراسن عقب ذلك بعساكره، واناخ بها وامتنعت عليه، فافرج عنها قافلا الى تلمسان. وهلك ابو يحيى بن عبد الحق اثر ذلك منقلبه الى فاس، فاستنفر يغمراسن اولياءه من زناتة واحياء زغبة. ونهض الى المغرب سنة سبع وخمسين، وانتهى الى كلدامان. ولقيه يعقوب ابن عبد الحق في قومه فأوقع به، وولى يغمراسن منهزماً. ومر بطريقه بتافرسيت فانتسفها وعاث في نواحيها. ثم تداعوا للسلم ووضع اوزار الحرب، وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه ابا مالك لذلك فتولى عقده وابرامه. ثم كان التقاؤهما سنة تسع وخمسين براجر[1] قبالة بني يزناسن، واستحكم عقد الوفاق بينهما بعد ذلك، واتصلت المهادنة الى ان كان بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى.

(١) كذا، وفي ب: بواجر، وفي نسخة: بواخر.

الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم

كان يَغْمُراسِنُ من بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم طائفة من جند النصارى الذين كانوا في جملته، مستكثراً بهم معتدا بمكانهم ومباهيا بهم في المواقف والمشاهد. وناولهم طرفاً من حبل عنايته، واعتزوا به واستفحل امرهم بتلمسان، حتى اذا كانت سنة اثنتين وخمسين بعد مرجعه من بلاد توجين في احدى حركاته اليها، كانت قصة غدرهم الشنعاء التي احسن الله في دفاعها عن المسلمين. وذلك انه ركب في بعض ايامه لاعتراض الجنود بباب المغرمادين[1] من ابواب تلمسان. وبينما هو واقف في موكبه عند قايلة الضحى عدا عليه قائدهم، وبادر النصارى الى محمد بن زَيَّان أخي يَغْمُراسن فقتلوه واشار له بالنجوى، فبرز من الصف لاسراره وأمكنه من اذنه، فتنكَّبه النصراني[2] وقد خالطه روعة احس منها يغمراسن بمكره فانحاص منه. وركض النصراني أمامه يطلب النجاة. وتبين الغدر، وثارت بهم الدهماء من من الحامية والرعايا، فاحيط بهم من كل جانب، وتناولتهم ايدي الهلاك في كل مهلك قعصاً بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصي والحجارة حتى استلحموا، وكان يوما مشهوداً. ولم يستخدم من

(١) كذا، وفي ب: القرمادين. وفي نسخة النرمادين. وفي نسخة: الفزمادين.

(٢) يعود الضمير هنا إلى «قائدهم».

بعدها جند النصارى بتلمسان حذراً من غائلتهم . ويقال ان محمد ابن زيان هو الذي داخل القائد في الفتك باخيه يغمراسن ، وانه انما قتله عندما لم يتم لهم الامر تبريا من مداخلته ، فلم يمهله غاشي الهيعة للتثبت في شأنها . والله اعلم .

الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد إلى أيالة بني مرين

كان عرب المعقل منذ دخول عرب الهلاليين الى صحراء المغرب الاقصى أحلافاً وَشِيَعاً لِزَنَاتَة ، واكثر انحياشهم الى بني مرين إلا ذوي عُبَيْدِ الله منهم بما كانت مجالاتهم لصق مجالات بني عبد الواد أو مشاركة لها . ولما استفحل شأن بني عبد الواد بين ايدي ملكهم زاحموهم عنها بالمناكب ، ونبذوا اليهم العهد واستخلصوا دونهم المنبات من ذوي منصور اقتالهم فكانوا حلفاء وشيعة ليغمراسن ولقومه . وكانت سجلماسة في مجالاتهم ومنقلب رحلتهم ، وكانت قد صارت الى ملك بني مرين ثم استبد بها القطراني ؛ ثم ثاروا به ورجعوا الى طاعة المرتضى . وتولى كبر ذلك علي بن عمر كما ذكرناه في اخبار بني مرين . ثم تغلب المنبات على سجلماسة ، وقتلوا عاملها علي بن عمر سنة اثنتين وستين ، وآثروا يغمراسن بملكها ، وداخلوا اهل البلد في القيام بدعوته وحملوهم عليها . وجاأوا بيغمراسن ، فنهض اليها في قومه ، وامكنوه من قيادها فضبطها ، وعقد عليها لولده يحيى . وانزل

معه ابن أخته حنينة ، واسمه عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد ، وانزل معهما يغمراسن بن حمامة فيمن معهم من عشائرهم وحشمهم . فاقام ابنه يحيى اميراً عليها الى ان هلك ، فادال منه بعبد الملك ابن اخته ، فلم يزل والياً عليها الى ان غلب يعقوب بن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم، واطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب، فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن . وزحف اليها في العساكر والحشود من زناتة والعرب والبربر ، ونصبوا عليها الآت الحصار ، الى ان سقط جانب من سورها ، فاقتحموها منه عنوة في صفر سنة ثلاث وسبعين واستباحوها ، وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن معهم من بني عبد الواد وامراء المنبات ، وصارت الى طاعة بني مرين آخر الايام . والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده .

الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق

قد ذكرنا ما كان من شأن بني عبد المؤمن عند فشل دولتهم ، واستطالة بني مرين عليهم في الاستظهار ببني عبد الواد واتصال اليد بهم في الاخذ بحجرة عدوهم من بني مرين عنهم . ولما هلك المرتضى وولي ابو دبوس سنة خمس وستين ، وحمي وطيس فتنته مع يعقوب بن عبد الحق ، فراسل يغمراسن في

مدافعته ، واكد العهد واسنى الهدية ، فاجابه اليها يغمراسن ، وشن الغارات على ثغور المغرب واضرمها ناراً . وكان يعقوب بن عبد الحق محاصراً لمراكش فافرج عنها ورجع الى المغرب ، واحتشد جموعه ، ونهض الى لقائه . وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ ، وقد استكمل كل تعبيته ، وكانت الوقيعة على يغمراسن استبيحت فيها حرمه واستلحم قومه ، وهلك ابنه عمر ابو حفص اعز ولده عليه في اتراب له من عشيره : مثل ابن عبد الملك بن حنينة ، وابن يحيى بن مكن ، وعمر بن ابراهيم بن هشام ، فرجع عنه يعقوب بن عبد الحق الى مراكش حتى انقضى شأنه في التغلب عليها ، ومحا اثر بني عبد المؤمن منها ، وفرغ لمحاربة بني عبد الواد . وحشد كافة اهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل . ونهض الى بني عبد الواد سنة سبعين ، فبرز اليه يغمراسن في قومه واوليائهم من مغراوة والعرب ، وتزاحفوا بايسلى من نواحي وجدة ، فكانت الدبرة على يغمراسن . وانكشفت جموعه ، وقتل ابنه فارس ، ونجا بأهله بعد ان اضرم معسكره ناراً تفادياً من معرة اكتساحه . ونجا الى تلمسان فانحجر بها ، وهدم يعقوب بن عبد الحق وجدة ، ثم نازله بتلمسان ، واجتمع اليه هنالك بنو توجين مع اميرهم محمد بن عبد القوي ؛ وصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه ، وحاصروا تلمسان اياماً فامتنعت عليهم ، وافرجوا عنها . وولى كل الى عمله ومكان

ملكه ، حسبما نذكره في اخبارهم . وانعقدت بينهما المهادنة من بعد ذلك ، وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد، ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم الى ان كان من شأنهم ما نذكره.

الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وما كان بينهم من الأحداث

كانت احياء من مغراوة في مواطنهم الاولى من نواحي شلف قد سالمتهم الدول عند تلاشي ملكهم ، وساموهم الجباية فرضوا بها : مثل بني ورسيفين وبني يليت وبني ورتزمير . وكان فيهم سلطان لبني منديل بن عبد الرحمن من اعقاب آل خزر ملوكهم الاولى ، ومنذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه في خبرهم . فلما انتثر عقد الخلافة بمراكش ، وتشظت عصاها ، وكثر الثوار والخوارج بالجهات ، واستقل منديل بن عبد الرحمن وبنوه من بعده بتلك الناحية ، وملكوا مِلْيَانَة وتَنَس وَبَرْشك وَشرْشال وما اليها ، وتطاولوا الى متيجة فتغلبوا عليها . ثم مدوا ايديهم الى جبل وانشريش وما اليه، فتناولوا الكثير من بلاده، ثم ازاحهم عنها بنو عطية وقومهم من بني توجين المجاورون لها في مواطنهم باعلى شلف شرقي ارض السرسو[1] ، وكان ذلك لاول دخول احياء زناتة الناجعة بارض القبلة الى التلول، فتغلب

(١) كذا، وفي ب: في مواطنهم بأعالي شلب شرقي أرض السوس.

بنو عبد الواد على نواحي تلمسان الى وادي صا . وتغلب بنو توجين على مـا بين الصحراء والتل مـن بلد المدية ، الى جبل وانشريش ، الى مرات ، الى الجعبات . وصار التخم لملك بني عبد الواد سيك والبطحاء : فمن قبليها لمواطن بني توجين ، ومن شرقها مواطن مغراوة . وكانت الفتنة بين بني عبد الواد وبين هذين الحيين منذ اول دخولهم الى التلول ، وكان المولى الامير ابو زكرياء بن ابي حفص يستظهر بهذين الحيين على بني عبد الواد ويراغمهم بهم ، حتى كان من فتح تلمسان مـا قدمناه ، والبس جميعهم شارة الملك على ما ذكرناه ونذكره في اخبارهم ، فزاحموا يغمراسن بعدها بالمناكب وصرف هو اليهم وجه النقمات والحروب .

ولم يزل الشان ذلـك حتى انقرض ملك الحيين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعـلى يده ، ثم عـلى يد بني مرين كما يأتي ذكره . ولما رجع يغمراسن بن زيان من لقاة بني مرين بايسلى من نواحي وجدة التي كانت سنة سبع واربعين ، وكان معه فيها عبد القوي بن عطية بقومه من بني توجين ، وهلك مرجعه منها ، فنبذ يغمراسن العهد الى ابنه محمد الامير بعده ، وزحف الى بلاده فجاس خلالها ، ونازل حصونها فامتنعت عليه. واحسن محمد بن عبد القوي في دفاعه ، ثم زحف ثانية سنة خمسين اليهم، فنازل حصن تافركينت من حصونهم . وكان به على بني زيان

حـافد محمد بن عبد القوي ، فامتنع بـه في طائفة من قومه . ورحل عنه يغمراسن كظيما ، ولم يزل يغمراسن بعدهـا يشن الغارة عـلى بلادهم ويجمر الكتائب عـلى حصونهم . وكان بتافركينت صنيعه من صنائع بني عبد القوي، ونسبه في صنهاجة اهل ضاحية بجاية ، اختص بهذا الحصن ورسخت قدمه فيه ، واعتز بكثرة ماله وولده فأحسن الدفاع عنه ، وكان له مـع يغمراسن في الامتناع عليه اخبار مذكورة ، حتى سطا به بنو محمد بن عبد القوي حين شرهوا الى نعمته، وانفوا من استبداده فاتلفوا نفسه وتخطفوا نعمته ، فكان حتف ذلك الحصن في حتفه كما يأتي ذكره . وعندما شبت نار الفتنة بين يغمراسن وبين محمد بن عبد القوي ، وصل محمد يده بيعقوب بن عبد الحق . فلما نازل يعقوب تلمسان سنة سبعين بعد ان هدم وجدة ، وهزم يغمراسن بايسلي ، جاءه محمد بن عبد القوي بقومه مـن بني توجين ، واقام معه على حصارها . ورحلوا بعد الامتناع عليهم ، فرجع محمد الى مكانه ، ثم عـاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستماية بعد ايقاعه بيغمراسن في خرزوزة ، فلقيه محمد بن عبد القوي بالقصبات . واتصلت ايديهم على تخريب بلاد يغمراسن مليا ، فنازلوا تلمسان اياما ، ثم افترقوا ورجع كل الى بلده .

ولما خلص يغمراسن بن زيان من حصاره زخف الى بلادهم،

واوطأ عساكره ارضهم، وغلب على الضاحية، وخرب عمرانها الى ان تملكها بعده ابنه عثمان كما نذكر. واما خبره مع مغراوة فكان عماد رأيه فيهم التضريب بين بني منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التي كانت بينهم في رياسة قومهم. ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين، وهي الواقعة التي هلك فيها ولده عمر زحف بعدها الى بلاد مغراوة فتوغل فيها وتجاوزها الى من وراءهم من مليكش والثعالبة، وامكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين على شرط المؤازرة والمظاهرة على اخوته، فملكها يغمراسن يومئذ وصار الكثير من مغراوة الى ولايته، وزحفوا الى المغرب سنة سبعين. ثم زحف بعدها الى بلادهم سنة اثنتين وسبعين، فتجافى له ثابت بن منديل عن تنس بعد ان اثخن في بلادهم ورجع عنها، فاسترجعها ثابت. ثم نزل له عنها ثانياً سنة احدى وثمانين بين يدي مهلكه عندما تم له الغلب عليهم والاثخان في بلادهم، الى ان كان الاستيلاء عليها لابنه عثمان على نذكره.

الخبر عن انتزاء الزعيم ابن مكن ببلد مستغانم

كان بنو مكن هؤلاء من عالية القرابة من بني زيان يشاركونهم في نسب محمد بن زكدان بن تيدوكسن بن طاع الله، وكان لمحمد هذا اربعة من الولد كبيرهم يوسف: ومن ولده جابر بن يوسف اول ملوكهم، وثابت بن محمد. ومن ولده زيان

ابن ثابت ابو الملوك من بني عبد الواد ، ودرع بن محمد . ومن ولده عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع المشتهر بامه حنينة اخت يغمراسن بن زيان ومكن بن محمد . وكان له من الولد يحيى وعمرش ؛ وكان من ولد يحيى الزعيم وعلي ؛ وكان يغمراسن بن زيان كثيراً ما يستعمل قرابته في الممالك ويوليهم على العمالات ؛ وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الزعيم وغربهما الى الاندلس ؛ فاجازا من هنالك الى يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين ولقياه بطنجة في احدى حركات جهاده . وزحف يعقوب ابن عبد الحق الى تلمسان عامئذ وهما في جملته ؛ فادركتهما النعرة على قومهما وآثرا مفارقة السلطان اليهم ؛ فاذن لهما في الانطلاق ولحقا بيغمراسن بن زيان . حتى اذا كانت الواقعة عليه بخرزوزة سنة ثمانين كما قدمناه ، وزحف بعدها الى بلاد مغراوة ، وتجافى له ثابت بن منديل عن مليانة ، وانكفأ راجعاً الى تلمسان ، استعمل على ثغر مستغانم الزعيم بن يحيى بن مكن. فلما وصل الى تلمسان انتقض عليه، ودعا الى الخلاف، ومالأ عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه، فصمد اليه يغمراسن واحجره بها حتى لاذ منه بالسلم على الاجازة ، فعقد له واجازه . ثم اجاز له على اثره أباه يحيى ، واستقر بالاندلس الى ان هلك يحيى سنة اثنتين وتسعين . ووفد الزعيم بعد ذلك على يوسف بن يعقوب وسخطه لبعض النزعات ؛ فاعتقله وفر من محبسه . ولم

يزل الاغتراب مطوحاً به الى ان هلك . والبقاء لله .

ونشأ ابنه الناصر بالاندلس ، فكانت مثواه وموقف جهاده الى ان هلك . واما اخوه علي بن يحيى فاقام بتلمسان ، وكان من ولده داود بن علي كبير مشيخة بني عبد الواد وصاحب شوراهم . وكان منهم ايضاً ابراهيم بن علي ، عقد له ابو حمو الأوسط على ابنته فكان له منها ولد ذكر ، وكان لداود ابنه يحيى بن داود استعمله ابو سعيد بن عبد الرحمن في دولتهم الثانية على وزارته ، فكان من شأنه ما نذكره في اخبارهم . والامر لله .

الخبر عن شأن يغمراسن في معاقدته مع ابن الأحمر والطاغية على فتنة يعقوب بن عبد الحق والأخذ بحجزته

كان يعقوب بن عبد الحق لما اجاز الى الجهاد، واوقع بالعدو، وخرّب حصونهم ، نازل اشبيلية وَقُرْطُبَة ، وزلزل قواعد كفرهم . ثم اجاز ثانية ، وتوغل في دار الحرب واثخن فيها . وتخلى له ابن اشقيلولة عن مالقة فملكها . وكان سلطان الاندلس يومئذ الامير محمد المدعو بالفقيه ، ثاني ملوك بني الاحمر ، هو الذي استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد بما عهد له ابوه الشيخ بذلك . فلما استفحل امر يعقوب بالاندلس ، وتعاقب الثوار الى اللياذ به خشيه ابن الاحمر على نفسه ، وتوقع منه مثل فعلة

يوسف بن تاشفين بابن عباد ، فاعتمل في اسباب الخلاص مما توهم . وداخل الطاغية في اتصال اليد والمظاهرة عليه وكانت مالقة لعمر يحيى بن محلى[1] ؛ استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكها من يد ابن اشقيلولة ؛ فاستماله ابن الاحمر وخاطبه مقارنة ووعداً ، واداله بشلوبانية من مالقة طعمة خالصة له ؛ فتخلى عن مالقة اليها . وارسل الطاغية اساطيله في البحر لمنع الزقاق من اجازة السلطان وعساكره ، وراسلوا يغمراسن من وراء البحر في الاخذ بحجرة يعقوب ، وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلاً له عنهم . فبادر يغمراسن باجابتهم، وترددت الرسل منه الى الطاغية ومن الطاغية اليه كما نذكره . وبث السرايا والبعوث في نواحي المغرب ، فشغل يعقوب عن شان الجهاد حتى لقد سأله المهادنة ؛ وان يفرغ لجهاد العدو فابى عليه . وكان ذلك مما دعى يعقوب الى الصمود اليه ، ومواقعته بخرزوزة كما ذكرناه . ولم يزل شأنهم ذلك مع يعقوب بن عبد الحق وايديهم متصلة عليه من كل جهة ، وهو ينتهز الفرصة في كل واحد متى امكنه منهم حتى هلك وهلكوا . والله وارث الارض .

(١) كذا، وفي ب : علي .

الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بني حفص الذين كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم

كان زناتة يدينون بطاعة خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن ايام كونهم بالقفار ، وبعد دخولهم الى التلول . فلما فشل امر بني عبد المؤمن ، ودعا الامير ابو زكرياء بن ابي حفص بافريقية لنفسه ، ونصب كرسي الخلافة للموحدين بتونس ، انصرفت اليه الوجوه من سائر الافاق بالعُدْوَتَيْن ، واملوه للكرة ، واوفد زناتة عليه رسلهم من كل حي بالطاعة . ولاذ مغراوة وبنو توجين بظل دعوته ودخلوا في طاعته، واستنهضوه لتلمسان ؛ فنهض اليها وافتتحها سنة اربعين . ورجع اليها يَغْمُراسن واستعمله عليها وعلى سائر ممالكها ؛ فلم يزل مقيما لدعوته . واتبع اثره بنو مرين في إقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب ، وبعثوا اليه ببيعة مكناسة وتازى والقصر كما نذكره في اخبارهم ، الى ما دانوا به ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التمويل والاشادة بالطاعة والانقياد ، حتى غلبوا على مراكش وخطبوا باسم المستنصر على منابرها حيناً من الدهر . ثم تبين لهم بعد متناول تلك القاصية عليه ؛ فعطلوا منابرهم من اسماء اولئك، واقطعوهم جانب الوداد والموالاة . ثم سموا الى اللقب والتفنن في الشارة الملوكية كما تقتضيه طبيعة الدول واما يُغمراسن وبنوه فلم

يزالوا اخذين بدعوتهم واحداً بعد واحد ، متجافين عن اللقب أدباً معهم ، مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة منهم ، يوفدون بها كبار ابنائهم وأولي الرأي من قومهم . ولم يزل الشان ذلك . ولما هلك الامير ابو زكرياء ، وقام ابنه محمد المستنصر بالامر من بعده ، وخرج عليه اخوه الامير ابو اسحاق في احياء الدواودة من رياح ، ثم غلبهم المستنصر جميعاً ، ولحق الامير ابو اسحاق بتلمسان في اهله ، فاكرم يغمراسن نزلهم ، واجاز الى الاندلس للمرابطة بها والجهاد ، حتى اذا هلك المستنصر سنة خمس وسبعين ، واتصل به خبر مهلكه ، ورأى انه احق بالامر فاجاز البحر من حينه ، ونزل بمرسى هُنَيْن سنة سبع وسبعين . ولقّاه يغمُرَاسن مبرة وتوقيراً ، واحتفل بقدومه ، واركب الناس لتلقيه ، واتاه بيعته على عادته مع سلفه ، ووعده النصرة من عدوه والمؤازرة على امره . واصهر اليه يغمراسن في احدى بناته المقصورات في خيام الخلافة بابنه عثمان ولي عهده؛ فاسعفه واجمل في ذلك وعده . وانتقض محمد بن أبي هلال عامل بجاية على الواثق ، وخلع طاعته ، ودعا للامير ابي اسحق ، واستحثه للقدوم فاغذ اليه السير من تلمسان ، وكان من شأنه ما قدمناه في اخباره . فلما كانت سنة احدى وثمانين ، وزحف يغمراسن الى بلاد مغراوة ؛ وغلبهم على الضواحي والامصار ، بعث من هنالك ابنه ابراهيم ، وتسميه زناتة برهوم ، ويكنى أبا

عامر . اوفده في رجال من قومه على الخليفة أبي اسحاق
لاحكام الصهر بينهما ، فنزلوا منه على خير نُزل من اسناء الجراية
ومضاعفة الكرامة والمبرة ؛ وظهر من آثاره في حروب ابن أبي
عامر ما مدّ الاعناق اليه وقصر الشيم الزناتية على بيته . ثم انقلب
آخراً بظعينته محبوّاً محبوراً ، وابتنى بها عثمان لحين وصولها ،
واصبحت عقيلة قصره ، فكان ذلك مفخراً لدولته وذكراً له ولقومه.
ولحق الامير أبو زكرياء ابن الامير أبي اسحاق بتلمسان بعد خلوصه
من مهلكة قومه في واقعة الداعي ابن أبي عمارة عليهم بمرماجنة
سنة اثنتين وثمانين ؛ فنزل من عثمان بن يَغْمْراسن صهره خير نزل
براً واحتفاء وتكريماً وملاطفةً . وسربت اليه اخته من القصر
انواع التحف والانس ، ولحق به اولياؤه من صنائع دولتهم ،
وكبيرهم ابو الحسن محمد ابن الفقيه المحدّث أبي بكر بن سيّد الناس
اليَعْمُري فتفيّأوا من كرامة الدولة بهم ظلًّا وافراً ، واستنهضوه
الى تراث ملكه . وفاوض أبا مثواه عثمان بن يغمراسن في ذلك ؛
فنكره لما كان قد اخذه بدعوة صاحب الحضرة . واوفد عليه
رجال دولته بالبيعة على العادة في ذلك ؛ فحدث الامير ابو زكرياء
نفسه بالفرار عنه . ولحق بداود بن هلال بن عطاف امير البدو
من بني عامر احدى بطون زغبة ؛ فاجاره وابلغه مأمنه بحي
الدواودة امراء البدو بعمل الموحدين . نزل منهم على عطية بن
سليمان بن سباع كما قدمناه ، واستولى على بجاية سنة اربع وثمانين

بعد خطوب ذكرناها، واقتطعها وسائر عملها عن ملك عمه صاحب الدعوة بتونس أبي حفص، ووفى لداود بن عطاف واقطعه بوطن بجاية عملاً كبيراً افرده لجبايته، كان فيه ايقدارن بالخميس من وادي بجاية. واستقل الامير ابو زكرياء بمملكة بونة وَقُسَنْطِينَةَ وَبِجايَة والجزائر والزاب وما وراءها. وكان هذا الصهر وصلة له مع عثمان ابن يَغْمُراسن وبنيه. ولما نزل يوسف بن يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين، بعث الامير ابو زكرياء المدد من جيوشه الى عثمان بن يغمراسن؛ وبلغ الخبر بذلك الى يوسف بن يعقوب؛ فبعث اخاه أبا يحيى في العساكر لاعتراضهم والتقوا بجبل الزاب؛ فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلحموا هنالك. وتسمى المعركة لهذا العهد بمرسى الرؤوس. واستحكمت من اجل ذلك صاغية الخليفة بتونس الى بني مرين، واوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم الى حصار بجايَة، وبعث معهم الهدية الفاخرة. وبلغ خبرهم الى عثمان بن يغمراسن من وراء جدرانه، فتنكر لها واسقط ذكر الخليفة من منابره ومحاه من عمله؛ فنسي لهذا العهد. والله مالك الامور.

الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان في دولته من الأحداث

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة احدى

وثمانين ، واستعمل عليها ابنه عثمان ، وتوغل في بلاد مغراوة وملك ضواحيهم . ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تَنَس ؛ فتناولها من يده . ثم بلغه الخبر باقبال أخيه أبي عامر برهوم من تونس بابنة السلطان ابي اسحاق عرس ابنه ؛ فتلوم هنالك الى ان لحقه بظاهر مليانة ؛ فارتحل الى تلمسان واصابه الوجع في طريقه . وعندما احتل شربويه اشتد به وجعه ، فهلك هنالك آخر ذي القعدة من سنته . والبقاء لله وحده . فحمله ابنه ابو عامر على اعواده ، وواراه في خدر موريا بمرضه الى ان تجاوز بلاد مَغْراوَةَ الى سيك . ثم اغذ السير الى تِلِمْسان ؛ فلقيه اخوه عثمان بن يغمراسن ولي عهد ابيه في قومه ؛ فبايعه الناس واعطوه صفقة ايمانهم . ثم دخل الى تلمسان ؛ فبايعه العامة والخاصة . وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحاق وبعث اليه بيعته ؛ فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم . ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يطلب منه السلم ، لما كان ابوه يغمراسن اوصاه به .

حدثنا شيخنا العلامة ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي قال : سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان وكان قهرماناً بداره ، قال : اوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان – ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم – فقال له يا بني إن بني مَرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش ، لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا لوفود مددهم ، ولا يمكنني

أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها. فاياك واعتياد لقائهم، وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافىء حشد العدو بحشدك. ولعلك تصيّر بعض الثغور الشرقية معقلاً لذخيرتك. فعلقت وصية الشيخ بقلبه، واعتقد عليها ضمائره، وجنح الى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك. واوفد اخاه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدوة الأندلسية في اجازته الرابعة اليها؛ فخاض اليه البحر ووصله باركش؛ فلقاه براً وكرامة؛ وعقد له من السلم ما احب. وانكفأ راجعاً الى اخيه؛ فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية، كما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يَعْقوبَ بن عبد الحقّ، صرف وجهه الى الاعمال الشرقيّة من بلاد توجين ومَغراوَة وما وراءها من عمل الموحدين؛ فتغلب أولاً على ضواحي بني توجين ودوخ قاصيتها؛ وصار الى بلاد مغراوة كذلك؛ ثم الى متيجة؛ فانتسق نعمها وخطم زروعها. ثم تجاوز الى بِجايَةَ فحاصرها كما

نذكره بعد. وامتنعت عليه وانكفأ راجعاً في طريقه بمازونة فحاصرها واطاعته، وذلك سنة ست وثمانين. ونزل له ثابت بن منديل امير مَغْراوَةَ عن تَنَس؛ فاستولى عليها وانتظم سائر بلاد مغراوة في ايالته. ثم عطف في سنته على بلاد بوجين؛ فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة استعداداً لما يتوقع من حصار مغراوة اياها. ثم دلف الى تافر كنيت؛ فحاصرها واخذ بمخنقها. وداخل قائدها غالباً الخصي، من موالي محمد بن عبدالقوي، كان مولى سيدالناس منهم، فنزل له غالب عنها واستولى عليها وانكفأ الى تلمسان. ثم نهض الى بلاد بني توجين سنة سبع وثمانين؛ فغلبهم على وانشريش مثوى ملكهم ومنبت عزهم، وفرّ امامه اميرهم مولى بني زُرارة من ولد محمد بن عبد القوي. وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحي المدية في الاعشار واولاد عزيز من قومه. واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم عن تلك الضاحية. وهلك مولى زرارة في مفره. وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بني يدللتين من بني توجين، ونازل رؤساءهم اولاد سلامة بالقلعة المنسوبة اليهم مرات فامتنعوا عليه؛ ثم اعطوه ايديهم على الطاعة ومفارقة قومهم بني توجين الى سلطان بني يغمراسن؛ فنبذوا العهد الى بني محمد ابن عبد القوي امرائهم منذ العهد الاول. ووصلوا ايديهم بعثمان والزموا رعاياهم واعمالهم المَغَارم له، الى ان ملك وانشريش من بعدها كما نذكر ذلك في اخبارهم.

وصارت بلاد بني توجين كلها من عمله، واستعمل الحشم بجبل وانشريش. ثم نهض بعدها الى المدية، وبها اولاد عزيز من توجين فنازلها، وقام بدعوته فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بلمدية واليهم تنسب؛ فامكنوه منها سنة ثمان وثمانين؛ وبقيت في ايالته سبعة اشهر؛ ثم انتقضت عليه. وزحف الى ايالة اولاد عزيز وصالحوه عليها، واعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه لمحمد بن عبد القوي وبنيه، فاستقام امره في بني توجين، ودانت له سائر اعمالهم. ثم خرج سنة تسع وثمانين الى بلاد مغراوة لما كانوا الباً عليه لبني مرين في احدى حركاتهم على تلمسان؛ فدوخها وانزل ابنه ابا حمو بشلف مركز عملهم؛ فاقام به وقفل هو الى الحضرة. وتحيز فل مغراوة الى نواحي متيجة، وعليهم ثابت بن منديل اميرهم، فلم يزالوا بها. ونهض عثمان اليهم سنة ثلاث وتسعين من بعدها فانحجزوا بمدينة برشك، وحاصرهم بها اربعين يوماً، ثم افتتحها. وخاض ثابت بن منديل البحر الى المغرب؛ فنزل على يوسف بن يعقوب كما ذكرناه ونذكره. واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل توجين؛ فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى؛ ثم شغل بفتنة بني مرين كما نذكره بعد. والملك لله وحده.

الخبر عن منازلة بجاية وما دعا إليها

قد ذكرنا ان المولى ابا زكرياء الاوسط ابن السلطان أبي اسحاق من بني ابي حفص ، لحق بتلمسان عند فراره من بجاية امام شيعة الدعي ابن ابي عمارة ، ونزل على عثمان بن يَغْمَراسِنَ خير نزل . ثم هلك الدعي ابن ابي عمارة ، واستقل عمه الامير ابو حفص بالخلافة ، وبعث اليه عثمان بن يغمراسن بطاعته على العادة ، واوفد عليه وجوه قومه ، ودس الكثير من اهل بجاية الى المولي ابي زكرياء يستحثونه للقدوم ، ويعدونه اسلام البلد اليه . وفاوض عثمان بن يغمراسن في ذلك فأبى عليه ، فالحق البيعة بعمه الخليفه بالحضرة ؛ فطوى عنه الخبر وتردد في القبض أياماً . ثم لحق باحياء زغبة في مجالاتهم بالقفر ، ونزل على داود ابن هلال بن عطاف. وطلب عثمان بن يغمراسن من داود اسلامه فأبى عليه ، وارتحل معه الى اعمال بجاية ، ونزلوا على احياء الدواودة كما قدمناه . ثم استولى المولى ابو زكرياء بعد ذلك على بجاية في خبر طويل قد ذكرناه في اخباره. واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان ، وكانت سبباً لاستحكام الموالاة بين عثمان وبين الخليفة بتونس . فلما زحف الى عمل مغراوة سنة ست وثمانين ، وتوغل في قاصية المشرق ، اعمل الرحلة الى عمل بجاية ، ودوخ سائر اقطارها . ثم نازلها من بعد ذلك يروم كيدها بالاعتمال

في مرضاة الخليفة بتونس ، ويسر بذلك حسواً في ارتغاء ؛ فاناخ عليها بعساكره سبعا ؛ ثم افرج عنها منقلباً الى المغرب الاوسط ؛ فكان من فتح مازونة وتافركنيت ما قدمناه .

الخبر عن معاودة الفتنة مع بني مرين وشأن تلمسان في الحصار الطويل

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين على السلم المنعقدة بينه وبين بني عبد الواد لشغله بالجهاد ، وقام بالامر من بعده في قومه ابنه يوسف كبير ولده على حين اتبعهم انفسهم شان الجهاد . واسفهم يغمراسن وابنه بموالاة الطاغية وابن الاحمر فعقد يوسف السلم مع الطاغية لحينة ، ونزل لابن الاحمر عن ثغور الاندلس التي كانت لهم ، وفرغ لحرب بني عبد الواد ، واستتب له ذلك لاربع من مهلك ابيه ، دلف الى تلمسان سنة تسع وثمانين ، ولاذ منه عثمان بالاسوار فنازلها اربعين صباحاً ، وقطع شجراءها ونصب عليها المجانيق والالات . ثم احس بامتناعها فافرج عنها وانكفأ راجعاً . وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب ابيه في مداخلة ابن الاحمر والطاغية ، واوفد رسله عليهما فلم يغن ذلك عنه شيئاً . وكان مغراوة قد لحقوا بيوسف بن يعقوب على تلمسان فنالوا منها اعظم النيل . فلما افرجوا عن تلمسان نهض عثمان الى بلادهم فدوخها وغلبهم عليها ، وانزل بها ابنه ابا حمو

كما قدمناه. فلما كانت سنة خمس وتسعين نهض يوسف بن يعقوب حركته الثانية فنازل ندرومة؛ ثم ارتحل عنها الى ناحية وهران. واطاعة اهل جبل كيذرة وتاسكدلت رباط عبد الحميد ابن الفقيه ابي زيد اليزفاسني [1]، ثم كر راجعاً الى المغرب. وخرج عثمان بن يغمراسن، فأثخن في تلك الجبال لطاعتهم عدوه واعتراضهم جنده واستباح رباط تاسكدلت. ثم غزاه يوسف بن يعقوب ثالثاً سنة ست وتسعين ورجع الى المغرب. ثم اغزاه رابع سنة سبع وتسعين فنازل تلمسان، واحاط بها معسكره، وشرعوا في البناء. ثم افرج عنها لثلاثة اشهر، ومر في طريقه بوجدة، فامر بتجديد بنائها وجمع الفعلة عليها. واستعمل اخاه أبا يحيى بن يعقوب على ذلك، فاقام لشانه، ولحق يوسف بالمغرب. وكان بنو توجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب، وتولى كبر ذلك منهم اولاد سلامة امراء بني يدللتن منهم، واصحاب القلعة المنسوبة اليهم. فلما افرج عنها خرج اليهم عثمان بن يغمراسن، فدوخ بلادهم، وحاصرها بالقلعة ونال منهم اضعاف ما نالوا منه. وطال مغيبه في بلادهم؛ فخالفه ابو يحيى بن يعقوب الى ندرومة؛ فاقتحمها بمعسكره بمداخلة من قائدها زكرياء بن يخلف بن المطغرى صاحب تاونت. فاستولى بنو مرين على ندرومة وتاونت. وجاء يوسف بن يعقوب على اثرها فوافاهم ودلفوا جميعاً الى تلمسان.

(١) كذا، وفي ب: اليرناسي.

وبلغ الخبر الى عثمان بمكانه من حصار القلعة ، فطوى المراحل الى تلمسان ، فسبق اليها يوسف بن يعقوب ببعض يوم . ثم اشرفت طلائع بني مرين عشي ذلك اليوم ، فاناخوا بها في شعبان سنة ثمان وتسعين ، واحاط العسكر بها من جميع جهاتها . وضرب يوسف ابن يعقوب عليها سياجاً من الاسوار محيطاً بها ، وفتح فيه ابواباً مداخل لحربها ، واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة . واقام على ذلك سنين يغاديها بالقتال ويراوحها . وسرح عساكر لافتتاح امصار المغرب الاوسط وثغوره ، فملك بلاد مغراوة وبلاد بني توجين كما ذكرناه في اخباره . وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يعدوها كالاسد الضاري على فريسته ، الى ان هلك عثمان وهلك هو من بعده كما نذكره . والى الله المصير .

الخبر عن مهلك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبي زيان وانتهاء الحصار من بعده إلى غايته

لما اناخ يوسف بن يعقوب بعسكره على تلمسان ، انحجر بها عثمان وقومه واستسلموا ، والحصار آخذ بمخنقهم . وهلك عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعماية ، وقام بالامر من بعده ابنه ابو زيان محمد . أخبرني شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الآبلي[1] ، وكان في صباه قهرمان دارهم قال : هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس ، وكان قد اعد لشربه لبناً . فلما اخذ منه

(١) نسبة إلى آبلة، وهي مدينة في الشمال الغربي لمقاطعة مدريد.

الديماس وعطش ، دعـا بالقـدح وشرب اللبن ونام ، فلم يـكن باوشك ان فاضت نفسه . وكنا نرى معشر الصنائع انه داف فيه السم ، تفادياً من معرّة غلب عدوهم إياهم قال : وجاء الخادم الى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان ابي اسحاق ابن الامير أبي زكرياء ابن عبد الواحد بن أبي حفص صـاحب تونس واخبرها الخبر ؛ فجاءت ووقفت عليه واسترجعت وخيمت على الابواب بسدادها . ثم بعثت عن ابنيه محمد أبي زيان وموسى أبي حمو فعزّتها عـن ابيها . واحضر مشيخة بني عبد الـواد ، وعرضوا لهم بمرض السلطان ، فقال احدهم مستفهما عن الشان ومترجماً عن القوم : السلطان معنا آنفاً ، ولم يمتد الزمن لوقوع المرض ، فان يكن هلك فخبرونا ؛ فقال له ابو حمو : واذا هلك فما انت صانع ؟ فقال : إنّما نخشى من مخالفتك ، والا فسلطاننا اخوك الاكبر ابو زيان . فقام ابو حمو من مكانه ، واكب عـلى يد اخيه يقبلها ، واعطاه صفقة يمينه . واقتدى به المشيخة ؛ فانعقدت بيعته لوقته . واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم ، واجتمعوا اليه ، وبرزوا لقتال عدوهم على العادة ، فكأنّ عثمان لم يمت .

وبلغ الخبر الى يوسف بن يعقوب بمكانه مـن حصارهم ؛ فتفجع له وعجب من صرامة قومه من بعده . واستمر حصاره اياهم الى تمام ثماني سنين وثلاثة اشهر من يوم نزوله ، نالهم فيهـا من الجهد والجوع ما لم ينل امـة من الامم، واضطروا إلى اكل

الجيف والقطط والفيران ، حتى لزعموا انهم اكلوا فيها اشلاء الموتى من الاناسي ، وخربوا السقف للوقود ، وغلت اسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق ، بما تجاوز حدود العوائد . وعجز وجدهم عنه ، فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به ، مقداره اثنتي عشر رطلًا ونصف مثقالين ونصف من الذهب العين . وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ، ومن الضان سبعة مثاقيل ونصف . واثمان اللحمان من الجيف : الرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال ، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم ، والرطل من الجلد البقري ميتة او مذكى بثلاثين درهماً ، والهر الواحد بمثقال ونصف ، والكلب بمثله ، والفار بعشرة دراهم والحية بمثله ، والدجاجة بستة عشر درهماً ، والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك . والاوقية من الزيت باثنتي عشر درهماً ، ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين . ومن الفول بمثلها . ومن الملح بعشرة ، ومن الحطب كذلك . والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة اثمان المثقال . ومن الخس بعشرين درهماً ، ومن اللفت بخمسة عشر درهما . والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهماً ، والخيار بثلاثة اثمان الدينار ، والبطيخ بثلاثين درهماً ، والحبة من التين ومن الاجاص بدرهمين . واستهلك الناس اموالهم وموجودهم ، وضاقت احوالهم .

واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها ، واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها . ورحل اليها التجار

بالبضائع من الافاق ، واستبحرت في العمران بما لم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده، ووفدت عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية ، وكذلك رسل صاحب مصر والشام وهديتهم، واعتز اعتزازاً لا كفاء له كما يأتي في اخباره . وانهك الجهد حامية بني يَغْمُراسن وقبيلتهم واشرفوا على الهلاك ، فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة ؛ فكيف الله لهم الصنع الغريب . ونفس عن مخنقهم بمهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من المبدى اسخطته بعض النزعات الملوكية ؛ فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه ، وطعنه بخنجر قطع امعاءه ؛ وادرك فسيق الى وزرائه ومزقوا اشلاءه ؛ فلم يبؤ بشسع من نعل عبيدهم كما ذكرناه . والامر لله وحده .

واذهب الله العناءة عن آل زيان وقومهم وساكني مدينتهم ؛ فكأنّما نشروا من الاجداث . وكتبوا لها في سكتهم ما اقرب فرج الله استغراباً لحادثتها . حدثني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبُلي قال : جلس السلطان أبو زَيّان صبيحة يوم ذلك الفرج ، وهو يوم الاربعاء في خلوة من زوايا قصره ، واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمطامير المختومة ؟ فقال له : إنَّما بقي عولة اليوم وغدا ! فاستوصاه بكتمانها . وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه ابو حمُّو فاخبره فوجم لها ، وجلسوا سكوتاً لا ينطقون ؛ واذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصايف بنت

السلطان أبي اسحاق حظية ابيهم خرجت من القصر اليهم ؛ فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت : تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء ، وقد احيط بكم ، واسف لالتهامكم عدوكم ، ولم يبق الا فواق بكيئة لمصارعكم ؟ فأريحونا من معرة السبي ، واريحوا فينا انفسكم ، وقربونا الى مهالكنا . فالحياة في الذل عذاب ، والوجود بعدكم عدم . فالتفت ابو حمو الى اخيه ، وكان من الشفقة بمكان وقال : لقد صدقتك الخبر فما تنتظر فيهم؟ فقال : يا موسى ! ارجئني ثلاثاً ، لعل الله يجعل بعد عسر يسراً ، ولا تشاورني بعدها فيهن ، بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن ، وتعال إليّ نخرج مع قومنا الى عدونا فنستميت ، ويقضي الله ما شاء . فغضب له أبو حمّو ونكر الارجاء في ذلك ، وقال : إنا نحن والله نتربصّ المعرّة بهن وبانفسنا ، وقام عنه مغضباً ، وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء . قال ابن حجاف : وانا بمكاني بين يديه واجم ، لا املك متاخراً ولا متقدّماً ، إلى ان غلب عليه النوم فما راعني إلا حرسي الباب يشير إليّ أن اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين بسدّة القصر ؛ فلم اطق ارجع جوابه الا بالاشارة . وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعاً ؛ فاذنته واستدعاه . فلما وقف بين يديه قال له : ان يوسف بن يعقوب هلك الساعة ، وانا رسول حافده أبي ثابت اليكم . فاستبشر السلطان واستدعى اخاه وقومه ، حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم ،

وكانت احدى المقربات في الاثام. وكان من خبر هذه الرسالة أن يوسف بن يعقوب لما هلك، تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته، وتحيّز أبو ثابت حافده الى بني ورتاجن لخؤلة كانت له فيهم، فاستجاش بهم، واعصوصبوا عليه. وبعث الى اولاد عثمان بن يَغْمُراسن ان يعطوه الآلة، ويكونوا مفزعاً له ومأمناً إن اخفق مسعاه. على أنّه إن تمّ امره قوض عنهم معسكر بني مرين؛ فعاقدوه عليها. ووفى لهم لما تمّ أمره، ونزل لهم عن جميع الأعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم. وجأجأ بجميع الكتائب التي انزلها في ثغورهم، وقفلوا الى اعمالهم بالمغرب الاقصى. واستمكن السلطان أبو زيان من ثغور المغرب الأوسط كلها؛ الى ان كان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن شأن السلطان أبي زيان من بعد الحصار الى حين مهلكه

كان من اول ما افتتح به السلطان أبو زيّان أمره بعد الخروج من هوّة الحصار، وتناوله الاعمال من أيدي بني مرين، ان نهض من تِلِمْسان، ومعه اخوه ابو حمّو آخر ذي الحجة من سنة ست وسبعماية. فقصد بلاد مغراوة، وشرّد من كان هنالك منهم في طاعة بني مرين، واحتاز الثغور من ايدي عمالهم، ودوخ قاصيتها. ثم عقد عليها لمسامح مولاه، ورجع عنها. ونهض الى السرسو؛ وكان العرب قد تملكوه أيام الحصار؛ وغلبوا زناتة

عليه من سويد والديالم ومن اليهم من بني يعقوب بن عامر؛ فاجفلوا أمامه. واتبع آثارهم الى ان اوقع بهم وانكفأ راجعاً. ومر ببلاد بني توجين؛ فاقتضى طاعة من كان بقي بالجبل من بني عبد القوي والحشم فأطاعوه، ورياستهم يومئذ لمحمد بن عطية الأصمّ من بني عبد القوي. وقفل الى تلمسان لتسعة اشهر من خروجه، وقد ثقف أطراف ملكه، ومسح اعطاف دولته. فنظر في اصلاح قصوره ورياضه، ورمّ ما تثلم من بلده. واصابه المرض خلال ذلك؛ فاشتد وجعه سبعاً؛ ثم هلك أخريات شوال من سنة سبع. والبقاء لله وحده.

الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان

كانت الدعوة الحفصية بافريقية قد انقسمت بين اعياصهم في تونس وبجايّة واعمالها، وكان التخم بينها بلد عجيسة ووشتاتة. وكان الخليفة بتونس الامير ابو حفص ابن الامير أبي زكرياء الاول منهم، وله الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة. فكانت بيعة بني زيان له ودعاؤهم على منابرهم باسمه، وكانت لهم مع المولى الامير أبي زكرياء الاوسط صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينهم وبينه، وكانت الوحشة قد اعترضت ذلك عندما نازل عثمان بجاية كما قدمناه. ثم تراجعوا الى وصلتهم واستمروا عليها إلى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان، والبيعة

يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبي عصيدة بن الواثق ، والدعوة على منابر تلمسان باسمه ، وهو حاقد عليهم ولايتهم للامير ابي زكرياء الاوسط صاحب الثغر . فلما نزل يوسف بن يعقوب على تلمسان ، وبعث عساكره في قاصية المشرق ، واستجاش عثمان بن يَغْمُراسن بضاحية بجاية ؛ فسرح عسكراً من الموحدين لمدافعتهم عن تلك القاصية . والتقوا معهم بجبل الزان ، فانكشف الموحدون بعد معترك صعب واستلحمهم بنو مرين . ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط في ذلك المجال من الرؤوس واستحكمت المنافرة لذلك بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية ، فاوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة الموحدين تجديداً لوصلة سلفهم مع سلفه ، واغراء بصاحب بجاية وعمله . فساء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن ، واحفظه موالاة الخليفة لعدوه ، فعطل منابره من ذكره ، واخرج قومه وايالته عن دعوته . وكان ذلك آخر المائة السابعة . والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة أبو حمو الأوسط موسى بن عثمان وما كان فيها من الأحداث

لما هلك الامير أبو زيّان ، قام بالامر من بعده اخوه السلطان ابو حمو في اخريات سنة سبع كما قدمناه ، وكان صارماً يقظاً حازماً داهيةً قوي الشكيمة صعب العريكة ، شرس الاخلاق

مفرط الذكاء والحدة، وهو اول ملوك زناتة. رتّب مراسم الملك وهذب قواعده، وارهف لذلك لاهل ملكه حده، وقلب لهم مجنّ بأسه، حتى دلوا لعز الملك وتأدبوا بآداب السلطان. سمعت عريف بن يحيى أمير سويد من زِغْبَـةَ وشيخ المجالس الملوكِيَّة لزَناتة يقول، ويعنيه: موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة؛ وإنما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان، فحد حدودها وهذب مراسمها. ولقن عنه ذلك اقتاله وانظاره منهم، فتقبلوا مذهبه واقتدوا بتعليمه. انتهى كلامه. ولما استقل بالامر افتتح شأنه بعقد السلم مع سلطان بني مرين لاول دولته، فاوفد كبراء دولته على السلطان أبي ثابت، وعقد له السلم كما رضي. ثم صرف وجهه الى بني توجين ومغراوة، فردد اليهم العساكر، حتى دوخ بلادهم وذلل صعابهم. وشرد محمد بن عطية الاصم عن نواحي وانشِريش، وراشد بن محمد عن نواحي شلف وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فازاحه عنها. واستولى على العملين، واستعمل عليها، وقفل الى تِلِمْسان.

ثم خرج سنة عشر في عساكره الى بلاد بني توجين، ونزل تافركنيت، وسط بلادهم. فشرد الفل من اعقاب محمد بن عبد القوي عن وانشريش، واحتاز رياستهم في بني توجين دونهم. وادال منهم بالحشم وبني تيغرين. وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رياسة قومه في جبل وانشريش، وعقد ليوسف بن حسن من

اولاد عزيز على المدية واعمالها ، وعقد لسعد من بني سلامة بن علي على قومه بني يدللتن احدى بطون بني توجين ، واهل الناحية الغربية من عملهم . واخذ من سائر بطون بني توجين الرهن على الطاعة والجباية ، واستعمل عليهم جميعاً من صنائعه قائده يوسف ابن حبون الهواري ، واذن له في اتخاذ الالة . وعقد لمولاه مسامح على بلاد مَغْراوَةَ ، واذن له ايضاً في اتخاذ الآلة . وعقد لمحمد ابن عمه يوسف على مِلْيانَة ، وانزله بها ، وقفل الى تلمسان. والله أعلم.

الخبر عن استنزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان من قتله

كان هذا الغمر من مشيخة هذا المصر لوفور عشيره من مكلاته داخله وخارجه ، واسمه زيري باليـاء ، فتصرفت فيه العامة ، وصار زيرم بالميم . ولما غلب يغمراسن على بلاد مغراوة دخل اهل هذا المصر في طاعته . حتى اذا هلك حدثت هـذا الغمر نفسه بالانتزاء والاستبداد بملك برشك ، ما بين مغراوة وبني عبد الواد ، ومدافعة بعضهم ببعض . فاعتزم على ذلـك وامضاه ، وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين . ونهض اليه عثمان بن يغمراسن سنة اربع بعدها ، ونازله فامتنع . ثم زحف سنة ثلاث وتسعين الى مغراوة ، فلجأ ثابت بن منديل الى برشك وحاصره عثمان بها اربعين يوماً . ثم ركب البحر الى المغرب كما قلناه . واخذ زيرم بعده بطاعة عثمان بن يغمراسن ، دافعه بها ،

وانتقض عليه ، مرجعه الى تلمسان . وشغل بنو زيان بعدها بما دهمهم من شأن الحصار ، فاستبد زيرم هذا ببرشك واستفحل شأنه بها . واتقى بني مرين عند غلبهم على اعمال مغراوة وتردد عساكرهم فيها باخلاص الطاعه والانقياد . فلما انقشع ايالة بني مرين بمهلك يوسف بن يعقوب ، وخرج بنو عثمان بن يغمراسن من الحصار ، رجع إلى ديدنه من التمريض في الطاعة ، ومقاولة طرفها على البعد . حتى اذا غلب ابو حمو علـى بلاد مغراوة ، وتجاوزت طاعته هذا المصر الى ما وراءه ، خشيه زيري على نفسه ، وخطب منه الامان ، على ان ينزل له عن المصر . فبعث اليه صاحب الفتيا بدولته ابا زيد عبد الرحمن بن محمد الامام ، كان ابوه من اهل برشك ، وكان زيري قد قتله لاول ثورته غيلة . وفر ابنه عبد الرحمن هذا واخوه عيسى ، ولحقا بتونس فقرءا بها ، ورجعا الى الجزائر فاوطناها . ثم انتقلا الى مليانة ، واستعملهما بنو مرين في خطة القضاء بمليانة . ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبي زيان وأبي حمو مع عمال بني مرين وقوادهم بمليانه . وكان فيهم منديل بن محمد الكناني صاحب اشغالهم المذكور في اخبارهم . وكانا يقرئان ولده محمد، فاشاد على ابي زيان وابي حمو بمكانهم من العلم، ووقع ذلك من أبي حمو ابلغ المواقع، حتى اذا استقل بالامر ابتنى المدرسة بناحية المطمر من تلمسان لطلبة العلم . وابتنى لهما دارين عن جانبيها

وجعل لهما التدريس فيها في ايوانين معدين لذلك. واختصهما بالفتيا والشورى ، فكانت لهما في دولته قدم عالية. فلما طلب زيري هذا الامان من أبي حمو وان يبعث اليه من يأمن معه في الوصول الى بابه ، بعث اليه ابا زيد عبد الرحمن الاكبر منهما ، فنهض لذلك بعد ان استأذنه ان يثأر منه بابيه ان قدر عليه ، فاذن له. فلما احتل ببرشك اقام بها اياماً ، يغاديه فيها زيري ويراوحه بمكان نزله ، وهو يعمل الحيلة في اغتياله حتى امكنته. فقتله في بعض تلك الايام سنة ثمان وسبعماية ، وصار امر برشك الى السلطان أبي حمو وانمحى منها اثر المشيخة والاستبداد. والامور بيد الله سبحانه.

الخبر عن طاعة الجزائر واستنزال ابن علان منها وذكر أوليته

كانت مدينة الجزائر هذه من اعمال صَنْهاجة ، ومختطها بُلُكّين ابن زيري ، ونزلها بنوه من بعده. ثم صارت الى الموحدين ، وانتظمها بنو عبد المؤمن في امصار المغربين وافريقية. ولما استبد بنو أبي حفص بامر الموحدين ، وبلغت دعوتهم بلاد زَنَاتة. وكانت تلمسان ثغراً لهم ، واستعملوا عليها يَغْمُراسن وبنيه من بعده ، وعلى ضواحي مغراوة بني منديل بن عبد الرحمن ، وعلى وانشريش وما اليه من عمل بني توجين محمد بن عبد القوي وبنيه. وبقي ما

وراء هذه الاعمال الى الحضرة لولاية الموحدين من اهل دولته ، فكان العامل على الجزائر من الموحدين اهل الحضرة .

وفي سنة اربع وستين انتقضوا على المستنصر ومكثوا في ذلك الانتقاض سبعاً . ثم اوعز الى أبي هلال صاحب بجاية بالنهوض اليها في سنة احدى وسبعين ، فحاصرها اشهراً وافرج عنها . ثم عاودها بالحصار سنة اربع وسبعين ابو الحسن بن ياسين بعساكر الموحدين ، فاقتحمها عليهم عَنْوَةً واستباحها . وتقبض على مشيختها فلم يزالوا معتقلين بها الى ان هلك المستنصر . ولما انقسم امر بني أبي حفص ، واستقل الامير ابو زكرياء الاوسط بالثغور الغربية وابوه ، وبعثوا اليه بالبيعة ، وولّى عليهم ابن اكمازير . وكانت ولايتها لبطة[1] من قبل ، فلم يزل هو والياً عليها الى ان اسن وهرم . وكان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصاً به ، ومتصرفاً في اوامره ونواهيه ، ومصدراً لامارته . وحصل له بذلك الرياسة على اهل الجزائر سائر ايامه . فلما هلك ابن اكمازير حدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته ، فبعث عن اهل الشوكة من نظرائه ليلة هلاك اميره . وضرب اعناقهم واصبح منادياً بالاستبداد ، واتخذ الآلة ، واستركب واستلحق من الغرباء والثعالبة عرب متيجة ، واستكثر من الرجال والرماة . ونازلته عساكر بجاية مراراً ، فامتنع عليهم . وغلب مليكش على جباية الكثير من بلاد

(١) كذا، وفي ب : بياض بالأصل، وفي نسخة : لسطة، وفي نسخة : ليطة.

متيجة ، ونازله ابو يحيى بن يعقوب بمساكر بني مرين عند استيلائهم على البلاد الشرقية ، وتوغلهم في القاصية ، فاخذ بخنقها وضيق عليها . ومر بابن علان القاضي ابو العباس الغماري رسول الامير خالد الى يوسف بن يعقوب ؛ فاودعه الطاعة للسلطان والضراعة اليه في الابقاء ؛ فابلغ ذلك عنه وشفع له ؛ فاوعز الى اخيه أبي يحيى بمصالحته . ثم نازله الامير خالد من بعد ذلك ؛ فامتنع عليه . واقام على ذلك اربع عشرة سنة ، وعيون الخطوب تحرزه ، والايام تستجمع لحربه . فلما غلب السلطان أبو حمّو على بلاد بني توجين ، واستعمل يوسف بن حيون الهواري على وانشريش ، ومولاه مساماً على بلاد مغراوة ، ورجع الى تلمسان . ثم نهض سنة اثنتي عشرة الى بلاد شلف ، فنزل بها ، وقدم مولاه مساماً في العساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها ، وترس الجزائر ، وضيق حصارها حتى مسهم الجهد . وسأل ابن علان النزول على ان يستشرط لنفسه ، فتقبل السلطان اشتراطه . وملك السلطان ابو حمو الجزائر وانتظمها في اعماله . وارتحل ابن علان في جملة مسامح ، ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلف ؛ فانكفأ الى تلمسان وابن علان في ركابه ؛ فاسكنه هنالك ووفى له بشرطه الى ان هلك . والبقاء لله وحده .

الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأولية ذلك

لما خرج عبد الحق بن عثمان من اعياص الملك على السلطان أبي الربيع بفاس، وبايع له الحسن بن علي بن أبي الطلاق شيخ بني مرين بمداخلة الوزير رحُّو بن يعقوب كما قدمناه في اخبارهم. وملكوا تازى، وزحف اليهم السلطان ابو الربيع؛ فبعثوا وفدهم الى السلطان أبي حمو صريخاً. ثم اعجلهم ابو الربيع واجهضهم على تازى؛ فلحقوا بالسلطان أبي حمو، ودعوه الى المظاهرة على المغرب، ليكونوا رداء له دون قومهم. وهلك السلطان ابو الربيع خلال ذلك. واستقل بملك المغرب ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق؛ فطالب السلطان أبا حمو باسلام اولئك النازعين اليه؛ فأبى من اسلامهم واخفار ذمته فيهم. واجازهم البحر الى العدوة؛ فاغضى له السلطان ابو سعيد عنها وعقد له السلم. ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند اخيه السلطان أبي سعيد لما سعى به عنده، فنزع الى تلمسان. واجاره السلطان ابو حمو على اخيه؛ فاحفظه ذلك ونهض الى تلمسان سنة اربع عشرة. وعقد لابنه الامير أبي علي وبعثه في مقدمته، وصار هو في الساقة. ودخل اعمال تلمسان على هذه التعبية؛ فاكتسح بسائطها. ونازل وجدة؛ فقاتلها وضيق عليها. ثم تخطاها الى تلمسان؛ فنزل بساحتها. وانحجز موسى بن

عثمان من وراء اسوارها ، وغلب على ضواحيها ورعاياها. وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى شعارها وبلادها بالحطم والانتساف والعيث. فلما احيط به ، وثقلت وطأة السلطان عليه، وحذر المغبة منهم ، الطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرب امواله فيهم ، ويخادعهم عن نصائح سلطانهم ، حتى اقتضى مراجعتهم في شأن جاره يعيش بن يعقوب ، وادالته من اخته ، ثم بعث خطوطهم بذلك الى السلطان أبي سعيد ؛ فامتلأ قلبه منها خشية ، واستراب بالخاصة والاولياء ، ونهض الى المغرب على تعبيته ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه ، وشغلوا عن تلمسان واهلها برهة من الدهر ، حتى تم امر الله في ذلك عند وقته. والله تعالى أعلم.

الخبر عن مبدأ حصار بجاية وسرح الداعية اليه

لما خرج السلطان ابو سعيد الى المغرب ، وشغل عن تلمسان، فرغ ابو حمو لاهل القاصية من عمله. وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة اثناء هذه الغمرة ؛ فاحتل بوطن شلف ؛ واجتمع اليه اوشاب قومه. وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمو ، نهض اليه بعد ان استعمل ابنه ابا تاشفين على تلمسان ، وجمع له الجموع ، ففر امامه ناجياً الى مثوى اغترابه ببجاية. واقام بنو ابي سعيد بمعقلهم من جبال شلف على دعوته ،

فاحتل السلطان ابو حمو بوادي نهل ، فخيم به. وجمع اهل اعماله لحصار بني أبي سعيد شيعة راشد بن محمد ، واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه. وسرح العساكر لتدويخ القاصية. ولحق به هنالك الحاجب ابن أبي حي مرجعه من الحج سنة احدى عشرة وسبعماية ، فاغراه بملك بجاية ورغبه فيه. وكان له فيها طمع منذ رسالة السلطان أبي يحيى اليه. وذلك انه لمّا انتقض على اخيه خالد دعي لنفسه بِقُسَنْطِينَةَ. ونهض الى بجاية ، فانهزم عنها كما قدمناه في اخباره. واوفد على السلطان ابي حمو بعض رجال دولته مغرياً له بابن خلوف وبجاية. ثم بعث اليه ابن خلوف ايضاً يسأله المظاهرة والمدد ، فاطمعه ذلك في ملك بجاية. ولما هلك ابن خلوف كما قدمناه ، لحق به كاتبه عبد الله بن هلال ، فاغراه واستحثه ، وعداه عن ذلك شأن الجزائر. فلما استولى على الجزائر ، بعث مسامحاً مولاه في عسكر مع ابن أبي حي ، فبلغوا الى جبل الزان. وهلك ابن أبي حي ، ورجع مسامح. ثم شغله عن شأنها زحف. وفرغ من امر عدوه ، ونزل بلد شلف كما ذكرنا آنفاً. ولحق به عثمان بن سبّاع بن يحيى ، وعثمان بن سباع بن شبل امير الدواودة ، يستحثونه لملك الثغور الغربية من عمل الموحدين ، فاهتز لذلك وجمع له الجموع : فعقد لمسعود ابن عمه ابي عامر برهوم على عسكر وامره بحصار بجاية ، وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مِليانَة على عسكر ، ولمولاه مسامح على عسكر آخر. وسرحهم الى بجاية

وما وراءها لتدويخ البلاد. وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم، وسرحه مع العرب من الدواوده وزغبة على طريق الصحراء. وانطلقوا الى وجههم ذلك، وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه. وتوغلوا في البلاد الشرقية، حتى انتهوا الى بلاد بونة. ثم انقلبوا من هنالك، ومروا في طريقهم بقسنطينة، ونازلوها اياماً. وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها، فاستباحوه. ثم مروا ببني باورار، فاستباحوها واضرموها واكتسحوا سائر ما مروا عليه. وحدثت بينهم المنافرة حسداً ومنافسة، فافترقوا ولحقوا بالسلطان. واقام مسعود بن برهوم محاصراً لبجاية، وبنى حصناً باصفون لمقامته. وكان يسرح الجيوش لقتالها، فتجول في ساحتها ثم رجع الى الحصن. ولم يزل كذلك حتى بلغه خروج محمد بن يوسف، فاجفل عنها على ما نذكره الآن، فلم يرجعوا لحصارها الا بعد مدة. والله تعالى أعلم.

الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بني توجين وحروب السلطان معه

لما رجع محمد بن يوسف من قاصية المشرق كما قدمناه، وسابقه الى السلطان موسى بن علي الكردي، وجوانحه تلتهب غيظاً وحقداً عليه. وسعى به عند السلطان، فعزله عن مليانة، فوجم لها. وسأله زيارة ابنه الامير أبي تاشفين بتلمسان، وهو ابن اخته فاذن له. واوعز الى ابنه بالقبض عليه، فأبي عن ذلك. واراد هو

الرجوع الى معسكر السلطان ؛ فخلى سبيله . ولما وصل اليه تنكر له وحجبه ؛ فاستراب وملأ قلبه الرعب . وفر من المعسكر ولحق بالمدية . ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان من بني توجين . فيقال انه اوثقه اعتقالاً حتى غلبه قومه على بغيته من الخروج معه ، لما كان السلطان ابو حمو يوسقهم به من نزعاته . فاخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب . وزحفوا الى السلطان بمعسكره من نهل ؛ فلقيهم في عساكره ؛ فكانت الدبرة على السلطان ، ولحق بتلمسان ، وغلب محمد بن يوسف على بلاد بني توجين ومغراوة ، ونزل مليانة . وخرج السلطان من تلمسان لايام من دخولها ، وقد جمع الجموع ، وازال العلل . واوعز الى مسعود ابن عمه برهوم بمكانه من حصار بجاية ، بالوصول إليه بالعساكر ، ليأخذ بحجرتهم من ورائهم . وخرج محمد بن يوسف من مليانة لاعتراضه ، واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز ؛ فلقيه ببلاد مليكش وانهزم محمد من يوسف . ولجأ الى جبل موصاية ، وحاصره بها مسعود بن برهوم أياماً ، ثم افرج عنه . ولحق بالسلطان ؛ فنازلوا جميعاً مليانة . وافتتحها السلطان عنوة وجيء بيوسف بن حسن اسيراً من مكمنه ببعض المسارب ؛ فعفا عنه واطلقه . ثم زحف الى المدية ؛ فلكها واخذ الرهن من اهل تلك النواحي ؛ وقفل الى تلمسان . واستطال محمد بن يوسف على النواحي ؛ ففشت دعوته في تلك القاصية . وخاطب مولانا السلطان ابا يحيى بالطاعة ؛ فبعث

اليه بالمدية والآلة ؛ وسوغه سهام يغمراسن بن زيان من افريقية . ووعده بالمظاهرة وغلب سائر بلاد بني توجين . وبايع له بنو تيغرين اهل جبل وانشريش ؛ فاستولى عليه . ثم نهض السلطان الى الشرق سنة سبع عشرة ، وملك المدية ، واستعمل عليها يوسف ابن حسن لمدافعة محمد بن يوسف ، واستبلغ في اخذ الرهن منه ومن اهل العمالات وقبائل زناته والعرب ، حتى من قومه بني عبد الواد . ورجع الى تلمسان ، ونزلهم بالقصبه ، وهي الغور الفسيحة الخطة ، تماثل بعض الامصار العظيمة ، اتخذها للرهن . وكان يبالغ في ذلك ، حتى كان يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط . وتجاوز ذلك الى اهل الامصار والثغور من المشيخة والسوقة ، فملأ تلك القصبة بابنائهم واخوانهم. وشحنها بالامم بعد الامم ، واذن لهم في ابتناء المنازل واتخاذ النساء . واختط لهم المساجد ، فجمعوا بها لصلاة الجمعة . ونفقت بها الاسواق والصنائع . وكان حال هذه البنية من اغرب ما حكي في العصور عن سجن . ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد بني توجين الى ان هلك السلطان . والبقاء لله وحده .

الخبر عن مقتل السلطان أبي حمو وولاية ابنه أبي تاشفين من بعده

كان السلطان ابو حمو قد اصطفى مسعود ابن عمه برهوم ، وتبناه من بين عشيرته وأولي قرباه لمكان صرامته ودهائه ،

واختصاص ابيه برهوم المكنى ابا عامر بعثمان بن يغمراسن شقيقه من بين سائر الاخوة؛ فكان يؤثره على بنيه ويفاوضه في شؤونه، ويصله الى خلواته. وكان قد دفع الى ابنه عبد الرحمن ابا تاشفين أتراباً له من المعلوجي يقومون بخدمته في مرباه ومنشأه، كان منهم هلال المعروف بالقَطْلاني، ومُسامح المسمّى بالصغير، وفرج ابن عبد الله وظافر ومهدي وعلي بن تاكورت وفرج الملقّب شَقُّورة، وكان الصقهم واعلقهم بنفسه تلاد له منهم يسمى هلالا، وكان ابو حمو كثيراً ما يقرعه ويوبخه ارهافاً في اكتساب الخلال، وربما يُقْذِعُ في تقريعه لما كان عفا الله عنه فحاشاً فتحفظه لذلك. وكان مع ذلك شديد السطوة متجاوزاً بالعقاب حدوده في الزجر والادب، فكان اولئك المعلوجي تحت رهب منه، وكانوا يغرون لذلك مولاهم ابا تاشفين بابيه، ويبعثون غيرته بما يذكرون لهمن اصطفائه ابن ابي عامر دونه. وقارن ذلك أنّ مسعود بن أبي عامر أبلى في لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبي حمو البلاء الحسن عند ما رجع من حصار بجاية، فاستحمد له السلطان ذلك، وعيّر ولده عبد الرحمن بمكان ابن عمّه هذا من النجابة والصرامة يستجد له بذلك خلالا ويغريه بالكمال. وكان عمه ابو عامر ابراهيم بن يَغْمُراسن مثرياً بما نال من جوائز الملوك في وفاداته، وما اقطع له ابوه واخوه سائر ايامها.

ولما هلك سنة ست وتسعين استوصي أخاه عثمان بولده فضمّهم

ووضع تراثهم بمودع ماله ، حتى يؤنس منهم الرشد في احوالهم. حتى اذا كانت غزاة ابنه أبي سرحان مسعود هذه، وعلا فيها ذكره وبعد صيته ؛ رأى السلطان ابو حمو ان يدفع إليه تراث ابيه لاستجماع خلاله ؛ فاحتمل اليه من المودع. ونمي الخبر الى ولده أبي تاشفين وبطانته السوء من المعلوجي ؛ فحسبوه مال الدولة قد احتمل اليه لبعد عهدهم عما وقع في تراث أبي عامر ابيه ، واتهموا السلطان بايثاره بولاية العهد دون ابنه ؛ فاغروا ابا تاشفين بالتوثُّب على الأمر ، وحملوه على الفتك بشتويه مسعود بن أبي عامر ، واعتقال السلطان أبي حمو ليتم له الاستبداد. وتحيَّنوا لذلك قايلة الماجرة عند منصرف السلطان من مجلسه ، وقد اجتمع اليه ببعض حجر القصر خاصة من البطانة ، وفيهم مسعود بن أبي عامر والوزراء من بني الملاح . وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخلصهم السلطان لحجابته سائر ايامه، وكان مسمًّى الحجابة عندهم قهرمانة الدار والنظر في الدخل والخرج ، وهم اهل بيت من قُرْطُبَةَ كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم ، وربما دفعوا الى النظر في ذلك ثقة بامانتهم ؛ نزل اولهم بتِلِمْسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الاولى ، وزادوا اليها الفلاحة . واتصلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه ، وكان لهم في دولة أبي حمو مزيد حظوة وعناية ؛ فولى على حجابته منهم لاول دولته محمد بن ميمون بن الملاح ، ثم ابنه محمد الاشقر من بعده، ثم ابنه ابراهيم بن محمد من بعدهما. واشترك معه

من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح ؛ فكانا يتوليان مهمه بداره ويحضران خلوته مع خاصته ؛ فحضروا يومئذ مع السلطان بعد انقضاء مجلسه كما قلناه ؛ ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش ابن عبد الملك بن حنينة ، ومن الموالي معروف الكبير ابن أبي الفتوح بن عنتر من وُلدِ نصر بن علي امير بني يزناتن من توجين وكان السلطان قد استوزره ، فلما علم ابو تاشفين باجتماعهم هجم ببطانته عليهم ، وغلبوا الحاجب على بابه حتى ولجوه متسايلين بعد ان استمسكوا من اغلاقه ، حتى اذا توسطوا الدار اعتوروا السلطان باسيافهم فقتلوه . وخام ابو تاشفين عنها ، فلم يعرجوا عليه . ولاذ ابو سرحان منهم ببعض زوايا الدار ، واستمكن من غلقها دونهم ، فكسروا الباب وقتلوه ، واستلحموا من كان هنالك من البطانة ، فلم يفلت الا الاقل . وهلك الوزراء بنو الملاح ، واستبيحت منازلهم . وطاف الهاتف بسكك المدينة بان ابا سرحان غدر بالسلطان ، وأنّ ابنه ابا تاشفين ثار منه ، فلم يخفَ على الناس الشأن . وكان موسى بن علي الكردي قائد العساكر قد سمع الصيحة وركب الى القصر ، فوجده مغلقاً دونه ، فظن الظنون ، وخشي استيلاء مسعود على الامر ، فبعث عن العباس بن يَغْمُراسن كبير القرابة ، فاحضره عند باب القصر ، حتى اذا مر بهم الهاتف واستيقن مهلك أبي سرحان ، ردّ العباس على عقبه الى منزله . ودخل الى السلطان ابي تاشفين ، وقد ادركه الدهش من الواقعة ،

فثبته ونشطه لحقه، واجلسه بمجلس ابيه، وتولى له عقد البيعة على قومه خاصّةً وعلى الناس عامة، وذلك آخر جمادى الاولى من تلك السنة. وجهز السلطان الى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم، واصبح مثلًا في الآخرين. والبقاء لله.

واشخص السلطان لأول بيعتة سائر القرابة الذين كانوا بتلمسان من ولد يغمراسن، واجازهم الى العدوة حذراً من مغبّة ترشيحهم، وما يتوقع من الفتن على الدولة من قبلهم، وقلد حجابته مولاه هلالاً، فاضطلع باعبائها، واستبد بالعقد والحل والابرام والنقض صدراً من دولته، الى ان نكبه حسبما نذكره. وعقد ليحيى بن موسى السنوسي من صنائع دولتهم على شِلْف وسائر اعمال مغراوة، وعقد لمحمد بن سلامة بن علي على عمله من بلاد بني يدللتن من توجين، وعزل اخاه سعداً، فلحق بالمغرب. وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية الشرق، وجعل اليه حصار بجاية، واغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين؛ فاستكمل ما شرع فيه ابوه من ذلك واربى عليه؛ فاحتفلت القصور والمصانع في الحسن ما شاءت، واتسمت اخباره على ما نذكره.

الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين الى محمد ابن يوسف بجبل وانشريش واستيلائه عليه

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبي حمو عنه كما ذكرناه قد تغلب على جبل وانشريش ونواحيه، واجتمع إليه الفلُّ من مَغْرَاوَةَ ، فاستفحل امره ، واشتدت في تلك النواحي شوكته. وأهمّ السلطان أبا تاشفين أمره ، فاعتزم على النهوض اليه ، وجمع لذلك ، وازاح العلل. وخرج من تِلِمْسان سنة تسع عشرة ، واحتشد سائر القبائل من زَنَاتَةَ والعرب ، وأناخ على وانشريش ، وقد اجتمع به توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف. وكان بنو تيغرين من بني توجين ، بطانة ابن عبد القوي ، يرجعون في رئاستهم الى عمر بن عثمان بن عَطِيَّة حسبما نذكره ، وكان قد استخلص سواه من بني توجين دونه فاسفه بذلك ، وداخل ابا تاشفين ، ووعده ان ينحرف عنه ؛ فاقتحم السلطان عليهم الجبل وانحجروا جميعاً بحصن توكال ، فخالفهم عمر بن عثمان في قومه الى السلطان بعد ان حاصرهم ثمانياً ، فتخرم الجمع واختل الامر وانفض الناس فاقتحم الحصن. وتقبض على محمد بن يوسف ، وجيء به اسيراً الى السلطان وهو في موكبه ، فمدد عليه ، ثم وخزه برمحه. وتناوله الموالي برماحهم فأقعصوه وحمل رأسه على القناة الى تلمسان ، فنصب بشرفات البلد. وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريش

وعمال بني عبد القوي ، ولسعيد العربي من مواليه على عمل المدية . فزحف الى الشرق ، فاغار على أحياء رياح وهم بوادي الجنان حيث الثنية المفضية من بلاد حمزة الى القبلة ، وصبح احياءهم فاكتسح اموالهم ومضى في وجهه الى بجاية ، فعرس بساحتها ثلاثاً ، وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه ، فظهر له وجه المعذرة لاوليائهم في استحصانها لهم . وقفل الى تِلِمْسان الى ان كان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التي كان فيها حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الأمر عن قومه برهة من الدهر

لما رجع السلطان ابو تاشفين من حصار بجاية سنة تسع عشرة اعتمل في ترديد البعوث الى قاصية الشرق ، والالحاح بالغزو على بلاد الموحدين ، فاغزاها جيوشه سنة عشرين ، فدوخوا ضواحي بجاية وقفلوا . ثم اغزاهم ثانية سنة احدى وعشرين ، وعليهم موسى بن علي الكردي ، فانتهى الى قسنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فافرج عنها ، وابتنى حصن بكر لاول مضيق الوادي ، وادي بجاية . وانزل به العسكر لنظر يحيى بن موسى قائد شلف ، وقفل الى تلمسان . ثم نهض موسى بن علي ثالثة سنة اثنتين وعشرين فدوخ نواحي بجاية ونازلها أياماً . وامتنعت عليه فافرج عنها . ووفد سنة ثلاث وعشرين على السلطان حمزة بن عمر بن ابي الليل كبير

البدو بافريقية صريخاً على صاحب إفريقيَة مولانا السلطان أبي يحيى ، فبعث معه العساكر من زَنَاتَة وعامتهم من بني توجين وبني راشد ، وأمّر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائده موسى بن علي الكردي ، ففصلوا الى افريقية ، فخرج السلطان للقائهم ، فانهزموا بنواحي مَرْمَجَنَّة. وتخطفتهم الايـدي فاستلحموا ، وقتل مسامح مولاه ، ورجع موسى بن علي بالفلّ فاتهمه السلطان بالادهان ، وكان من نكبته ما نذكر في اخباره. وسيّر العساكر سنة اربع وعشرين فدوخت نواحي بجاية ، ولقيه ابن سيد الناس فهزموه ، ونجـا الى البـلد .

ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين مشيخة سُلَيْم : حمزة ابن عمر بن أبي الليل وطالب بن مهلهل ، الفحلان المتزاحمان في رياسة الكعوب . ومحمد بن مسكين من بني القوس كبراء حكيم ، فاستحثوه للحركة واستصرخوه على افريقية ، وبعث معهم العساكر لنظر قائده موسى بن علي . ونصب لهم ابراهيم بن أبي بكر الشهيد من اعياص الحفصيّين . وخرج مولانا السلطان ابو يحيى من تونس للقائهم ، وخشيهم على قُسَنْطينة ، فسابقهم اليها ، فأقام موسى بن علي بعساكره على قسنطينة . وتقدم ابراهيم بن أبي بكر الشهيد في احياء سليم الى تونس ، فملكها كما ذكرناه في اخبارهم . وامتنعت قسنطينة على موسى بن علي ، فافرج عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعاد الى تلمسان . ثم اغزاه السلطان سنة ست وعشرين

في الجيوش ، وعهد اليه بتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور ، فنازل قسنطينة وأفسد نواحيها . ثم رجع الى بجاية فحاصرها ، حتى اذا اعتزم على الاقلاع ورأى ان حصن بكر غير صالح لتجمير الكتائب عليها لبعده ، ارتاد للبناء عليها فيا هو اقرب منه ، فاختط بمكان سوق الخميس على وادي بجاية مدينة لتجهيز الكتائب بها على بجاية ، وجمع الايدي على بنائها من الفعلة والعساكر ، فتمت لاربعين يوماً ، وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة ، وانزل بها عسكرا يناهر ثلاثة آلاف . واوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث كانت ، والادم وسائر المرافق حتى الملح ، واخذوا الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جبايتهم . فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت اسعارها .

وبعث مولانا السلطان ابو يحيى جيوشه وقواده سنة سبع وعشرين ، فسلكوا الي بجاية على جبل بني عبد الجبار ، وخرج بهم قائدها ابو عبد الله بن سيّد الناس الى ذلك الحصن . وقد كان موسى بن علي عند بلوغ خبرهم اليه استنفر الجنود من ورائه ، وبعث الى القواد قبله بالبراز فالتقى الجمعان بناحية تامزيزدكت ، فانكشف ابن سيد الناس ومات ظافر الكبير مقدم الموالي من المعلوجي بباب السلطان واستبيح معسكرهم . ولما سخط السلطان قائده موسى بن علي ونكبه كما نذكره في اخباره

اغرى يحيى بن موسى السنوسي في العساكر الى افريقية ومعه القواد، فعاثوا في نواحي قسنطينة وانتهوا الى بلد بونة ورجعوا. وفي سنة تسع وعشرين بعدها وفد حمزة بن عمر على السلطان أبي تاشفين صريخاً، ووفد معه او بعده عبد الحق بن عثمان، فحل الشول من بني مرين. وكان قد نزل على مولانا السلطان أبي يحيى منذ سنين، فسخط بعض احواله ولحق بتلمسان، فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيوشه لنظر يحيى بن موسى. ونصب لهم محمد ابن أبي بكر بن أبي عمران من اعياص الحفصيين، ولقيهم مولانا السلطان ابو يحيى بالرياس من نواحي بلاد هوارة، وانخذل عنه احياء العرب من اولاد مهلهل الذين كانوا معه، وانكشفت جموعه واستولوا على ظعائنه بما فيها من الحريم. وعلى ولديه احمد وعمر، فبعثوا بهم الى تلمسان، ولحق مولانا السلطان ابو يحيى بقسنطينة وقد اصابه بعض الجراحة في حومة الحرب. وسار يحيى بن موسى وابن أبي عِمْران الى تونس، فاستولوا عليها. ورجع يحيى بن موسى عنهم بجموع زناتة لاربعين يوماً من دخولها، فقفل الى تلمسان، وبلغ الخبر الى مولانا السلطان أبي يحيي بقفول زناتة عنهم، فنهض الى تونس، واجهض عنها ابن أبي عمر بعد ان كان أوفد من بجاية على ملك الغرب ابنه ابا زكرياء يحيى، ومعه ابو محمد بن تافراكين من مشيخة الموحدين، صريخاً على أبي تاشفين فكان ذلك داعية الى انتقاض ملكه كما نذكره بعد. وداخل

السلطان ابوتاشفين بعض اهل بجاية ، ودلوه على عورتها ، واستقدموه فنهض إليها ودخلها ، ونذر بذلك الحاجب ابن سيّد الناس فسابقه إليها ، ودخلها يوم نزوله عليها ، وقتل من اتهمه بالمداخلة ، وانحسم الداء . واقلع السلطان ابو تاشفين عنها ، وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بني عبد الواد على الجيش الذي بتامزيزدكت ، واوعز اليه ببناء حصن اقرب الى بجاية عن تامزيزدكت ، فبناه بالياقوتة من اعلى الوادي قبالة بجاية . فاخذ بمخنقها واشتد الحصار الى ان اخذ السلطان ابو الحسن بحجرتهم ؛ فانجفلوا جميعاً الى تلمسان ؛ وتنفس مخنق الحصار عن بجاية . ونهض مولانا السلطان ابو يحيى بجيوشه من تونس الى تامزيزدكت سنة اثنتين وثلاثين ؛ فخربها في ساعة من نهار كأن لم تغن بالامس ؛ حسبما ذكرنا ذلك في أخباره . والله تعالى اعلم .

الخبر عن معاودة الفتنة مع بني مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبي تاشفين بن أبي حمو

كان السلطان ابو تاشفين قد عقد السلم لاول دولته مع السلطان أبي سعيد ملك المغرب ؛ فلما انتقض عليه ابنه عمر سنة اثنتين وعشرين من بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجلماسة ؛ بعث ابنه القعقاع الى ابي تاشفين في الاخذ بحجرة أبيه عنه؛ ونهض الى مراكش فدخلها. وزحف اليه السلطان ابو سعيد؛

فبعث ابو تاشفين قائده موسى بن علي في العساكر الى نواحي تازى؛ فاستباح عمل كارت واكتسح زروعه وقفل. واعتدها عليه السلطان ابو سعيد، وبعث ابو تاشفين وزيره داود بن علي بن مكن رسولاً الى السلطان أبي علي بسجلماسة، فرجع عنه مغاضباً. وجنح ابو تاشفين بعدها الى التمسك بسلم السلطان أبي سعيد، فعقد لهم ذلك واقاموا عليها مدة. فلما وفد ابن مولانا السلطان أبي يحيى على السلطان أبي سعيد ملك المغرب، وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه في اخبارهم، وهلك السلطان ابو سعيد، نهض السلطان ابو الحسن الى تلمسان بعد ان قدم رسله الى السلطان أبي تاشفين في ان يقلع جيوشه عن حصار بجاية، ويتجافى للموحدين عن عمل تدلس فابى واساء الرد، واسمع الرسل بمجلسه هجر القول. واقذع لهم الموالي في الشتم لمرسلهم بمسمع من أبي تاشفين؛ فاحفظ ذلك السلطان ابا الحسن، ونهض في جيوشه سنة اثنتين وثلاثين الى تلمسان؛ فتخطاها الى تاسالة وضرب بها معسكره واطال المقامة. وبعث المدد الى بجاية مع الحسن البطوي من صنائعه، وركبوا في اساطيله من سواحل وَهْران. ووافاهم مولانا السلطان ابو يحيى ببجاية؛ وقد جمع لحرب بني عبد الواد وهدم تامزيزدكت؛ وجاء لموعد السلطان أبي الحسن معه ان يجتمعا بعساكرهما لحصار تلمسان؛ فنهض من بجاية الى تامزيزدكت واجفل منها عسكر بني عبد الواد وتركوها قواء. ولحقت بها عساكر الموحدين؛ فعاثوا

فيها تخريباً ونهباً. وانطلقت الايدي على الاكتساح بما كان فيها من الاقوات والادم، فنسفت نسفاً والصقت جدرانها بالارض. وتنفس مخنق بجاية من الحضار، وانكمش بنو عبد الواد الى وراء تخومهم.

وفي خلال ذلك انتقض أبو علي ابن السلطان أبي سعيد على اخيه، وصمد من مقره بسجلماسة الى درعة، وفتك بالعامل واقام فيها دعوته، كما نذكر ذلك بعد. وطار الخبر الى السلطان أبي الحسن بمحله من تاسالة؛ فنكص راجعاً الى المغرب لحسم دائه؛ وراجع السلطان ابو تاشفين عزه وانبسطت عساكره في ضواحي عمله؛ وكتب الكتائب وبعث بها مدداً للسلطان أبي عليّ. ثم استنفر قبائل زناتة، وزحف الى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين ليأخذ بحجرة السلطان أبي الحسن على أخيه، وانتهى الى ثغر تاوريرت. ولقيه هنالك تاشفين ابن السلطان أبي الحسن في كتيبة جرها ابوه معه هنالك لسد الثغور، ومعه منديل ابن حمامة شيخ تيربيغين من بني مرين في قومه. فلما برزوا اليه انكشف ورجع الى تلمسان. ولما تغلب السلطان ابو الحسن على اخيه وقتله سنة اربع وثلاثين، جمع لغزو تلمسان وحصارها، ونهض اليها سنة خمس، وقد استنفد وسعه في الاحتفال بذلك. واحاطت بها عساكره وضرب عليها سياج الاسوار وسرادقات الحفائر اطبقت عليهم، حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا اليهم.

وسرح كتائبه الى القاصية من كل جهة ؛ فتغلب على الضواحي وافتتح الامصار جميعاً ، وخرب وجدة كما يأتي ذكر ذلك كله . والح عليها بالقتال يغاديها ويراوحها ، ونصب المجانيق ، وانحجر بها مع السلطان أبي تاشفين زعماء زناتة من بني توجين وبني عبدالواد وكان عليهم في بعض ايامها اليوم المشهور الذي استلحمت فيه ابطالهم وهلك امراؤهم . وذلك ان السلطان ابا الحسن كان يباكرهم في الاسحار ؛ فيطوف من وراء اسواره التي ضرب عليهم شرطاً يرتب فيه المقاتلة ، ويثقف الاطراف ويسد الفروج ويصلح الخلل ، وابو تاشفين يبث العيون في ارتصاد فرصة فيه . واطاف في بعض الايام منتبذاً عن الجملة فكمنوا له ؛ حتى اذا سلك ما بين البلد والجبل انقضوا عليه يحسبونها فرصة قد وجدوها ؛ وضايقوه حتى كاد سرعان الناس ان يصلوا اليه . واحس اهل المعسكر بذلك ؛ فركبو زرافات ووحداناً . وركب ابناه الاميران ابو عبد الرحمن وابو مالك جناحا عسكره وعقابا جحافله ، وتهاوت اليهم صقور بني مرين من كل جو فانكشف عسكر البلد ورجعوا القهقرى ، ثم ولوا الادبار منهزمين لا يلوي احد منهم على احد . واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه ؛ فكان الهالك يومئذ بالروم اكثر من الهالك بالقتل . وهلك من بني توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريش ، ومحمد بن سلامة

ابن علي كبير بني يدللتن وصاحب القلعة تاوعزدوت[1] وما اليها من عملهم، وهما ما هما في زناتة، الى اشباه لهما وأمثال استلحموا في هذه الوقائع؛ فقص هذا اليوم جناح الدولة وحطم منها؛ واستمرت منازلة السلطان أبي الحسن اياها الى آخر شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين؛ فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلاباً. ولجأ السلطان أبو تاشفين الى باب قصره في لمة من اصحابه، ومعه ولداه عثمان ومسعود، ووزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من اعياص بني مرين، وهو الذي لحق بهم من تونس كما ذكرناه. وسيأتي ذكره وخبره. ومعه يومئذ ابنا اخيه ابو رزين وابو ثابت؛ فانعوا دون القصر مستميتين الى ان استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصي رماح؛ فطيف بها. وغصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكظت ابوابها بالزحام، حتى لقد كب الناس على اذقانهم وتواقعوا فوطئوا بالحوافر وتراكمت اشلاؤهم ما بين البابين، حتى ضاق المذهب بين السقف ومسلك الباب، فانطلقت الايدي على المنازل نهباً واكتساحاً. وخلص السلطان الى المسجد الجامع، واستدعى رؤوس الفتيا والشورى: أبا زيد عبد الرحمن، وابا موسى عيسى ابني الامام، قدمها من اعماله لمكان معتقده في اهل العلم، فحضرا ورفعا اليه امر الناس، ومـا نالهم من معرّة ووعظاه فاناب. ونادى مناديه برفع الايدي عن ذلك، فسكن

(١) كذا، وفي ب: صاحبة قائمة تاوغزوت.

الاضطراب واقصر العيث. وانتظم السلطان ابو الحسن أمصار المغرب الأوسط وعمله الى سائر اعماله، وتاخم الموحدين بثغوره، وطمس رؤوس الملك لآل زيّان ومعالمه، واستتبع زناتة عصباً تحت لوائه من بني عبد الواد وتوجين ومَغْراوَة، واقطعهم ببلاد المغرب أسهاماً ادالهم بها من تراثهم باعمال تلمسان، فانقرض ملك آل يَغْمُراسِن برهة من الدهر الى ان اعاده منهم اعياص سموا اليه بعد حين عند نكبة السلطان أبي الحسن بالقَيْرَوان كما نذكره، فاومض بارقه وهبّت ريحه. والله يؤتي ملكه من يشاء.

الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم ومصائر أمورهم

واختصصناهم بالذكر لما طار من شهرتهم وارتفع من صيتهم: فأمّا موسى بن علي الحاجب الهالك مع السلطان، فاصله من قبيلة الكرد من اعاجم المشرق، وقد اشرنا الى الخلاف في نسبهم بين الامم. وذكر المسعودي منهم أصنافاً سماهم في كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان الى آخرين منهم، وان مواطنهم ببلاد أذْرَبَيْجان والشام والموصل، وان منهم نصارى على رأي اليعقوبيّة وخوارج على رأي البراءة من عثمان وعلي. انتهى كلامه. وكان منهم طوائف بجبل شهرزور من عراق العرب، وعامتهم يتقلبون في الرحلة وينتجعون لسائمتهم مواقع الغيث، ويتخذون

الخيام لسكناهم من اللبود، وجل مكاسبهم الشاء والبقر من الانعام، وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة ورياسات ببغداد ايام تغلّب الاعاجم على الدولة واستبدادهم بالرياسة. ولما طمس ملك بني العبّاس، وغلب الططر على بغداد سنة ست وخمسين وستماية، وقتل ملكهم هلاون آخر خلفاء العباسيين، وهو المستعصم. ثم ساروا في ممالك العراق واعماله، فاستولوا عليها، وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فراراً أمام الططر لما كانوا يدينون به من المجوسيّة. وصاروا في ايالة الترك، فاستنكف اشرافهم وبيوتاتهم من المقام تحت سلطانهم. واجاز منهم الى المغرب عشيرتان يعرفان ببني لوين وبني تابير فيمن اليهم من الأتباع، ودخلوا المغرب لآخر دولة الموحدين. ونزلوا على المرتضى بمَرّاكُش، فأحسن تلقيهم واكرم مثواهم، واسنى لهم الجراية والاقطاع، واحلهم بالمحل الرفيع من الدولة.

ولما انتقض امر الموحدين بحدثان وصولهم صاروا الى ملكة بني مرين، ولحق بعضهم بيغمراسن بن زيّان، ونزع الى صاحب إفريقية يومئذ المستنصر، بيت من بني تابير لا اعرفهم؛ كان منهم محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار، صاحب مولانا السلطان أبي يحيى واخرون غيره: منهم وكّان من أشهر من بقي في ايالة بني مرين منهم. ثم من بني تابير علي بن حسن بن صاف واخوه سلمان ومن بني لوين خضر بن محمد، ثم بنو محمود، ثم بنو بوصة. وكانت

رياسه بني تابير لسلمان وعلي ، ورياسة لوين لخضر بن محمد . وكادت تكون الفتنة بينهم كما كانت في مواطنهم الاولى ؛ فاذا تعدوا للحرب توافت اليهم اشياعهم من تِلِمْسان ، وكان نصالهم بالسهام لما كانت القسي سلاحهم . وكانت من اشهر الوقائع بينهم وقيعة بفاس سنة اربع وسبعين وستماية ؛ جمع لهـا خضر رئيس بني لوين وسلمان وعلي رئيسا بني تابير ، واقتتلوا خارج باب الفتوح . وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حيـاء منهم ؛ فلم يعرض لهم . وكان مهلك سلمان منهم بعد ذلك مرابطاً لثغر طريف عـام تسعين وستماية ، وكان لعلي بن حسن ابنه موسى اصطفاه السلطان يوسف بن يعقوب . وكشف له الحجاب عن داره ، وربي بين حرمه ؛ فتمكنت له دالة سخط بسببها بعض الاحوال مما لم يرضه ، فذهب مغاضباً ودخل الى تلمسان ايام كان يوسف بن عبد الحق محاصراً لها ؛ فتلقاه عثمان بن يَغْمُراسن من التكرمة والترحيب بما يناسب محله وقومه ومنزلته من اصطناع السلطان . واشار يوسف ابن يعقوب على ابيه باستمالته فلقيـاه في حومة القتـال ، وحادثه واعتذر له بكرامة القوم إياه فحضه على الوفاء لهم ، ورجع الى السلطان فخبَّره الخبر فلم ينكر عليه . واقام هو بتلمسان ، وهلك ابوه علي بالمغرب سنة سبع وسبعماية .

ولما هلك عثمانُ بن يَغْمُراسن زاده بنوه اصطناعاً ومداخلةً ، وخلطوه بانفسهم ، وعقدوا له على العساكر لمحاربة اعدائهم ، وولوه

الأعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والحجابة. ولما هلك السلطان ابو حمو، وقام بامره ابنه ابو تاشفين، وكان هو الذي تولى له أخذ البيعة على الناس، غص بمكانه مولاه هلال. فلما استبدّ عليه، وكان كثيراً ما ينافس موسى بن علي وينافسه، فخشي على نفسه واجمع على اجازة البحر للمرابطة بالأندلس، فبادره هلال وتقبض عليه وغربه الى العدوة ونزل بغرناطة، وانتظم في الغزاة المجاهدين، وأمسك عن جراية السلطان، فلم يمد اليها يداً ايام مقامه، وكانت من انزه ما جاء به وتحدث بها الناس فاغربوا، وانفذت جوانح هلال لها حسداً وعداوة، فاغرى سلطانه بخطاب ابن الاحمر في استقدامه؛ فاسلمه اليه. واستعمله السلطان في حروبه وعلى قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر الى إفريقيّة للقاء مولانا السلطان أبي يحيى سنة سبع وعشرين. وكانت الدبرة عليه. واستلحمت زَناتة، ورجع في الفل؛ فاغرى هلال السلطان والقى في نفسه التهمة به. ونمي ذلك اليه؛ فلحق بالعرب الدواودة، وعقد مكانه على محاصرة بجاية ليحيي بن موسى صاحب شلف، ونزل هو على سليمان ويحيى ابني علي بن سبّاع بن يحيى من امراء الدواودة المذكورين في اخبارهم؛ فلقوه مبرة وتعظيما، واقام بين احيائهم مدة. ثم استقدمه السلطان ورجّعه الى محله من مجلسه. ثم تقبض عليه لاشهر، واشخصه الى الجزائر فاعتقله بها، وضيّق عليه محبسه ذهابا مع اغراض منافسة هلال، حتى اذا اسخط

هلالا استدعاه من محبسه اضيق ما كان ، فانطلق اليه. فلما تقبّض على هلال قلد موسى بن علي حجابته ، فلم يزل مقيما لرسمها الى يوم افتحم السلطان ابو الحسن تِلِمْسان ، فهلك مع أبي تاشفين وبنيه في ساحة قصرهم كما قلناه . وانقضى امره . والبقاء لله .

وانتظم بنوه بعد مهلكه في جملة السلطان ابي الحسن ، وكان كبيرهم سعيد قد خلص من بين القتلى في تلك الملحمة بباب القصر بعد هدء من الليل مثخناً بالجراح ، وكانت حياته بعدها تعد من الغرائب ، ودخل في عفو السلطان الى ان عادت دولة بني عبد الواد ، فكان له في سوقها نفاق كما نذكره والله غالب على امره .

واما يحيى بن موسى فأصله من بني سنوس احدى بطون كومية ، ولهم ولاء في بني كمي ، بالاصطناع والتربية . ولما فصل بنو كمي الى المغرب قعدوا عنهم ، واتصلوا ببني يغمراسن فاصطنعوهم ، ونشأ يحيى بن موسى في خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم . ولما كان الحصار ولّاه أبو حمو مهمه من الطواف بالليل على الحرس بمقاعدهم من الاسوار ، وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار ، وضبط الابواب ، والتقدم في حومة القتال ، وكان له اعوان على ذلك من خدامه ، قد لزموا الكون معه في البكر والاصال والليل والنهار ، وكان يحيى هذا منهم ، فعرفوا له خدمته وذهبوا الى اصطناعه . وكان اول ترشيحه ترديده أبي يوسف يعقوب بمكانه من حصارهم فيما يدور بينهم من المضاربة ، فكان يجلّي في ذلك

ويؤتي من غرض مرسله . ولما خرجوا من الحصار اوفوا به على رتب الاصطناع والتنويه .

ولما ملك ابو تاشفين استعمله بشلف مستبداً بها ، واذن له في اتخاذ الالة . ثم لما عزل موسى بن علي عن حرب الموحدين وقاصية الشرق عزله به ، وكانت المِدْيَةُ وتَنَس من عمله . فلما نازل السلطان ابو الحسن تلمسان راسله في الطاعة والكون معه ، فتقبله وجأجأ به من مكان عمله ؛ فقدم عليه بخيمه على تلمسان ؛ فاختصه باقباله ورفع مجلسه من بساطه ، ولم يزل عنده بتلك الحال الى ان هلك بعد افتتاح تلمسان . والله مصرف الاقدار .

واما هلال فأصله من سُبِيّ النصارى القطلونيّين ، اهداه السلطان ابن الاحمر الى عثمان بن يَغْمَراسن ، وصار الى السلطان أبي حمُّو ، فاعطاه ولده ابا تاشفين فيما اعطاه من موالي المعلوجي[1] ، ونشأ معه تربيًا ، وكان مختصًا عنده بالمداخلة والدالة ، وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو . ولما ولي بعده ابنه ابو تاشفين ولّاه على حجابته ، وكان مهيباً فظاً غليظاً . فقعد مقعد الفصل ببابه وارهب الناس سطوته ، وزحزح المرشحين عن رتب المماثلة الى التعلق باهدابه ، فاستولى على امر السلطان . ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب ، واستأذن السلطان في الحج وركب

(١) كذا بالأصل، وفي ب: المعلوجين. وفي كتاب (أزهار الرياض في أخبار عياض): الأعلاج، جمع علج، بمعنى الموالي. وهو الأصح.

اليه من هُنَيْن بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعديد والعدة والاقوات والمقاتلة واقام كاتبه الحاج محمد بن حونته [1] بباب السلطان على رسم النيابة عنه . واقلع سنة اربع وعشرين فنزل بالاسكندرية ، وصحب الحاج من مصر في جملة الامير عليهم ، ولقي في طريقه سلطان السودان من مالي منسى موسى ، واستحكمت بينهما المودة . ثم رجع بعد قضاء فرضه الى تِلِمْسَان ، فلم يجد مكانه من السلطان . ولم يزل بعد ذلك يتنكر له وهو يسايسه بالمداراة والاستجداء الى ان سخطه ؛ فتقبض عليه سنة تسع وعشرين واودعه سجنه ؛ فلم يزل معتقلاً الى ان هلك من وجع اصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بايام ؛ فكان آية عجباء في تقارب مهلكهما واقتران سعادتهما ونحوسهما . وقد كان السلطان ابو الحسن يتبع الموالي الذين شهدوا مقتل السلطان أبي حَمُّو ، وافلَت هلال هذا من عقابه بموته . والله بالغ حكمه .

الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان

كان بنو جرار هؤلاء من فصائل تيدوكسن [2] بن طاع الله وهم بنو جرار بن يعلى بن تيدوكسن ، وكان بنو محمد بن زكدان

(١) كذا، وفي ب: ابن حواته.
(٢) كذا، وفي ب: نيدوكسن.

يغصون بهم مذ اول الامر، حتى صار الملك اليهم واستدوا به. فجروا على جميع الفصائل من عشائرهم ذيل الاحتقار. ونشأ عثمان ابن يحيى بن محمد بن جرار من بينهم مرموقاً بعين التجلّة والرياسة، وسعى عند السلطان أبي تاشفين بأن في نفسه تطاولاً للرئاسة فاعتقله مدة، وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان أبي سعيد فآثر محله واكرم نزله، واستقر بمثواه فنسك وزهد. واستأذن السلطان عند تغلبه على تلِمْسان في الحج بالناس فاذن له، وكان قائد الركب من المغرب الى مكة سائر ايامه، حتى اذا استولى السلطان ابو الحسن على اعمال الموحدين وحشد اهل المغرب من زناتة والعرب لدخول افريقية اندرج عثمان هذا في جملته؛ واستأذنه قبيل القيروان في الرجوع الى المغرب فاذن له. ولحق بتلمسان فنزل على اميرها من ولده الامير أبي عِنان، كان قد عقد له على عملها، ورشحه لولاية العهد بولايتها، فازدلف اليه بما بثه من الخبر عن احوال ابيه، فتلطف فيا اودع سمعه من تورط ابيه في مهالك افريقية، واياسه من خلاصه، ووعده بمصير الامر اليه على ألسنة الحزى والكهان. وكان يتظنن فيه أن لديه من ذلك علماً، وعلى تفيئة ذلك كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان. وظهر مصداق ظنه واصابة قياسه، فاغراه بالتوثب على ملك ابيه بتلمسان والبدار الى فاس لغلب منصور ابن اخيه أبي مالك عليها، وكان استعمله جده ابو الحسن هنالك واراه آية

سلطانه وشواهد ملكه. وتحيل في اشاعة مهلك السلطان أبي الحسن والقائه على الالسنة حتى اوهم صدقه. وتصدى الامير أبو عنان للامر، وتسايل اليه الفل من عساكر بني مرين، فاستلحق وبث العطاء واعلن بالدعاء لنفسه في ربيع سنة تسع واربعين، وعسكر خارج تلمسان للنهوض الى المغرب. ثم استعمل عثمان بن جرار على تلمسان وعملها وارتحل إلى المغرب كما نذكره في اخبارهم. ولما فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيّه، واتخذ الآلة واعاد من ملك بني عبد الواد رسماً لم يكن لآل جرار، واستبد أشهراً قلائل الى ان خلص اليه من آل زيان من ولد عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن من طمس معالمه، وخسف به وبداره، وأعاد أمر بني عبد الواد في نصابه، حسبما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من ال يغمراسن وما كان فيها من الأحداث

كان الامير يحيى جدهما من اكبر ولد يَغْمْراسن بن زيّان، وكان ولي عهده بعد مهلك اخيه عُمَر الاكبر. ولما تغلّب يغمراسن على سِجِلماسة سنة احدى وستين وستماية استعمله عليها، فاقام بها أحوالا، وولد له هنالك ابنه عبد الرحمن. ثم رجع الى تلمسان فهلك بها، ونشأ عبد الرحمن بسجلماسة، ولحق بتلمسان بعد ابيه، فاقام مع بني ابيه الى ان غصّ السُّلطان بمكانه وغربه الى

الاندلس ، فمكث فيها حيناً وهلك في مرابطته بثغر قَرمونَة في بعض ايام الجهاد. وكان له بنون اربعة : يوسف وعثمان والزعيم وابراهيم ، فرجعوا الى تلمسان واوطنوها اعواماً ، حتى اذا استولى السُّلطان ابو الحسَن على ملكهم واضاف الى دولته دولتهم نقلهم من تلمسان الى المغرب في جملة اعياصهم. ثم سألوا اذنه في المرابطة بثغور الاندلس التي في عمله ؛ فاذن لهم وفرض لهم العطاء وانزلهم بالجزيرة؛ فكانت لهم في الجهاد مواقف مذكورة ومواطن معروفة. ولما استنفر السُّلطان ابو الحسَن زناتة لغزو إفريقية سنة ثمان واربعين كانوا في جملته مع قومهم بني عبد الواد وفي رايتهم ، ومكانهم معلوم بينهم. فلما اضطرب امر السُّلطان أبي الحسَن ، وتألب عليه الكعوب من بني سُلَيم اعراب افريقية ، وواضعوه الحرب بالقيروان ، كان بنو عبد الواد اول النازعين عنه اليهم. فلما كانت النكبة والحجز بالقيروان ، وانطلقت ايدي الاعراب على الضواحي ، وانتقض المغرب من سائر أعماله ، أذنوا لبني عبد الواد في اللحاق بقطرهم ومكان عملهم ، فمروا بتونس واقاموا بها أياماً. وخلص الملأ منهم نجياً في شأن أمرهم ومن يقدمون عليهم ، فاصفقوا بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن ، واجتمعوا عليه لعهده بهم يومئذ ، وقد خرجوا به الى الصحراء واجلسُوه بباب مصلى العيد من تونس على درقة. ثم ازدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس ، يسلمون عليه بالامارة ، ويعطونه

الصفقة على الطاعة والبيعة ، حتى استكملوا جميعاً ، ثم انطلقوا به الى رجالهم . واجتمع مغراوة ايضاً الى اميرهم علي بن راشد ابن محمد بن ثابت بن منديل الذي ذكرناه من قبل ، وتعاهدوا على الصحابة إلى اعمالهم والمهادنة آخر الايام واستئثار كل بسُلطانه وتراث سلفه ، وارتحلوا على تفيئة ذلك جميعاً الى المغرب . وشنت البوادي عليهم الغارات في كل وجه ، فلم يظفروا منهم بقلامة الظفر : مثل وقيفن وبرية واهل جبل بني ثابت . ولما مروا ببجاية وكان بها فل من مغراوة وتوجين ، نزلوا بها منذ غلبوا على اعمالهم ، وصاروا في جند السُّلطان ، فارتحلوا معهم . واعترضهم بجبل الزاب برابرة زواوة ، فاوقعوا بهم . وظهر من نجدتهم وبلائهم في الحروب ما هو معروف لاوليهم . ثم لحقوا بشلف فتلقتهم قبائل مغراوة ، وبايعوا سلطانهم علي بن راشد فاستوسق ملكه .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثاني

١٣

دار الكتاب اللبناني بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

المجلد السابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وانصرف بنو عبد الواد والاميران ابو سعيد وابو ثابت بعد ان احكموا العهد وابرموا الوثاق مع علي بن راشد وقومه . وكان في طريقهم بالبطحاء احياء سويد ، ومن معهم من احلافهم ، قد نزلوا هنالك مع شيخهم ونزمار بن عريف ، منهزمهم من تاسالة ، امام جيوش السلطان ابي عنان ؛ فاجفلوا من هنالك ونزل بنو عبد الواد مكانهم ؛ وكان في جملتهم جماعة من بني جرار بن تيدوكسن ، كبيرهم عمران بن موسى ؛ ففرّ الى ابن عمه عثمان بن يحيى بن جرار بتلمسان ؛ فعقد له على حرب ابي سعيد واصحابه ؛ فنزع الجند الذين خرجوا معه الى السلطان أبي سعيد . وانقلب هو الى تلمسان ، والقوم في اثره ؛ فادرك بطريقه وقتل . ومر السلطان الى البلد ؛ فثارت العامة بعثمان بن جرار ؛ فاستأمن لنفسه من السلطان فأمّنه ؛ ودخل الى قصره آخر جمادى الآخرة من سنة تسع واربعين ؛ فاقتعد اريكته واصدر اوامره واستوزر واستكتب

وعقد لاخيه أبي ثابت الزعيم على ما وراء بابه من شؤون ملكها، وعلى القبيل والحروب، واقتصر هو على القاب الملك واسمائه ولزم الدعة. وتقبض لاول دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار؛ فاودعه المطبق الى ان مات في رمضان من سنته؛ ويقال قتيلا. وكان من أول غزوات السلطان غزاته الى كومية، وذلك ان كبيرهم ابراهيم بن عبد الملك كان شيخاً عليهم منذ حين من الدهر، وكان ينتسب في بني عابد، وهم قوم عبد المؤمن بن علي من بطون كومية. فلما وقع هذا الهرج بتلمسان حسب انه لا تتجلى غيابته، وحدثته نفسه بالانتزاء فدعا لنفسه، واضرم بلاد كومية وما اليها من السواحل ناراً وفتنة. وجمع له السلطان ابو ثابت، ونهض الى كومية فاستباحهم قتلا وسبياً، واقتحم هُنَين، ثم ندرومة بعدها. وتقبض على ابراهيم بن عبد الملك الخارج، فجاء به معتقلا الى تلمسان واودعه السجن؛ فلم يزل به الى ان قتل بعد اشهر. وكانت أمصار المغرب الاوسط وثغوره لم تزل على طاعة السلطان أبي الحسن والقيام بدعوته، وبها عماله وحاميته. واقربها الى تِلِمْسان مدينة وَهْران؛ كان بها القائد عبُّو بن سعيد بن أجّانا من صنائع بني مَرين؛ وقد ضبطها وثقفها وملأها اقواتاً ورجلا وسلاحاً؛ وملأ مرساها اساطيل، فكان اول ما قدموه من اعمالهم النهوض اليه؛ فنهض السلطان ابو ثابت بعد أن جمع قبائل زَناتة والعرب، ونزل على وهران

وحاصرها اياماً . وكان في قلوب بني راشد أحلافهم مرض ، فداخلوا قائد البلد في الانتقاض على السلطان أبي ثابت ، ووعدوه الوفاء بذلك عند المناجزة ، فبرز وناجزهم الحرب ، فانهزم بنو راشد وجروا الهزيمة على من معهم . وقتل محمد بن يوسف بن عنان ابن فارس أخي يَغْمَراسن بن زيان من اكابر القرابة ، وانتهب المعسكر . ونجا السلطان ابو ثابت الى تلمسان الى ان كان ما نذكره .

الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر بن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها

كان السلطان ابو الحسن بعد واقعة القيروان قد لحق بتونس ؛ فاقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الاعياص من الموحدين لطلب تونس واحداً بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم . وبينما هو يؤمل الكرّة ووصل المدد من المغرب الاقصى إذ بلغه الخبر بانتثار السلك اجمع ؛ وبانتقاض ابنه وحافده ، ثم استيلاء أبي عِنان على المغرب كلِّه ، ورجوع بني عبد الواد ومَغْراوَة وتوجين الى ملكهم بالمغرب الاوسط . ووفد عليه يعقوب بن علي أمير الدواودة ؛ فاتفق مع عريف بن يحيى ، امير سويد وكبير مجلس السلطان ، على ان يغرياه ببعث ابنه الناصر الى المغرب الأوسط للدعوة التي كانت قائمة له بأمصاره في الجزائر ووهران وجبل وانشريش ، وكان به

نصر بن عمر بن عثمان بن عطية قائماً بدعوته، وان يكون عريف ابن نصر في جملة الناصر لمكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية. وكان ذلك من عريف تفاديا من المقام بتونس، فاجاب اليه السلطان وبعثهم جميعاً، ولحق الناصر ببلاد حُصَيْن فأعطوه الطاعة وارتحلوا معه. ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا اليه وتألبوا معه، وارتحلوا يريدون منداس. وبينما الامير ابو ثابت يروم معارضة الغزو الى وَهران إذ فجأه الخبر بذلك، فطير به الى السلطان أبي عنان. وجاء العسكر من بني مرين مدداً صحبة أبي زيان ابن اخيه أبي سعيد، كان مستنفراً بالمغرب منذ نهوضهم الى القَيْروان. وبعث عنه ابوه، فجاء مع المدد من العساكر والمال. ونهض ابو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خمسين، وبعث الى مغراوة بالخبر فقعدوا عن مناصرته. ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هنالك في جموعه بوادي ورك آخر شهر ربيع الاول، فانكشفت جموع العرب وانهزموا. ولحق الناصر بالزاب، فنزل على ابن مزني ببسكرة، إلى ان اصحبه من رجالات سليم من اوصله الى ابيه بتونس. ولحق عريف بن يحيى بالمغرب الاقصى، واحتلّ عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجلسهم، فحصل على البغية. ورجع العرب كلهم الى طاعة أبي ثابت وخدمته، واستراب بصغير ابن عامر بن ابراهيم، فتقبض عليه واشخصه معتقلاً مع البريد الى تلمسان، فاعتقل بها الى ان اطلق بعد حين. وقفل ابو ثابت الى

تلمسان فتلوم بها اياماً. ثم نهض إلى وَهْران في جمادى من سنته، فحاصرها اياماً ثم افتتحها عنوةً، وعفا عن علي بن اجانا القائم بها بعد مهلك اخيه عبُّو وعلى من معه. واطلق سبيلهم واستولى على ضواحي وهران وما اليها، ورجع الى تلمسان، وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغراوة، وقد كان استجرّها ما قدمناه من قعودهم عن نصره؛ فنهض اليهم في شوال من سنته والتقوا في عدوة وادي رهيو فاقتتلوا ملياً. ثم انكشفت مغراوة ولحقوا بمعاقلهم، واستولى أبو ثابت على معسكرهم، وملك مازونة، وبعث ببيعتها الى اخيه السلطان أبي سعيد. وكان على اثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحاقه بعد الهزيمة بالمغرب

كان السلطان ابو الحسن بعد واقعة القيروان وحصار العرب إياه، قد طال مقامه بتونس. واستدعاه اهل المغرب الاقصى وانتقض عليه اهل بلاد الجريد، وبايعوا للفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى؛ فاجمع الرحلة الى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين؛ فعصفت به الريح وادركه الغرق؛ فغرق اسطوله على سواحل بجاية؛ ونجا بدمائه الى بعض الجزر هنالك،

حتى لحقه اسطول من اساطيله ، فنجا فيه الى الجزائر وبها حمو ابن يحيى بن العسري قائده وصنيعة ابيه ، فنزل عليه . وبادر اليه اهل ضاحيتها من مليكش والثعالبة ، فاستخدمهم وبث فيهم العطاء . واتصل خبره بونزمار بن عريف وهو في احياء سويد ؛ فوفد عليه في مشيخة من قومه . ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريش من بني تيغرين ، وعديّ بن يوسف بن زيّان ابن محمد بن عبد القوي الثائر بنواحي المدَيَة من ولد عبد القوي، فاعطاه الطاعة . واستحثوه للخروج معهم فردهم للحشد ، فجمعوا من اليهم من قبائل العرب وزناتة . وبينما الامير أبو ثابت ببلاد مَغراوَةَ محاصراً لهم في معاقلهم ، إذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة احدى وخمسين ؛ فعقد السلم معهم ورجع الى قتال هؤلاء ؛ فأخذ علي منداس وخرج الى السرسو قبلة وانشريش . واجفل امامه ونزمار ، وجموع العرب الذين معه . ولحق به هنالك مدد السلطان أبي عنان قائدهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطي ؛ فاتبع ابو ثابت آثار العرب وشرّدهم . ولحقت احياء حصين بمعقلهم من جبل تيطرى . ثم عطف على المدية ففتحها ، وعقد عليها لِعِمْران بن موسى الجلولي من صنائعهم . ثم نهض الى حُصَيْن فافتتح عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة ، واعطوا ابناءهم رهناً عليها فتجاوزها الى وطن حمزة فدوخها ، واستخدم قبائلها من العرب والبربر ، والسلطان ابو الحسن اثناء ذلك مقيم بالجزائر . ثم قفل أبو ثابت الى تِلِمْسان ،

وقد كان استراب يحيى بن رحو وعسكره من بني مرين، وانهم داخلوا السلطان ابا الحسن، وبعث فيه الى السلطان أبي عنان فأداله بعيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب؛ فبعثه قائداً على الحصة المرينية؛ فتقبض على يحيى بن رحو ولحقوا مع أبي ثابت بتلمسان. ثم اجازوا الى المغرب، واعتز السلطان ابو الحسن بعد منصرفهم بابنه الناصر مع اوليائه من زناتة والعرب؛ فاستولى على المدية وقتل عثمان بن عيسى الجلولي. ثم تقدم الى مليانة فملكها والى تيمزوغت كذلك. وجاء على اثره السلطان ابو الحسن ابوه، وقد اجتمعت اليه الجموع من زُغبة وزناتة، ومن عرب افريقِيَة سليم ورياح: مثل محمد بن طالب بن مهلهل ورجال من عشيره، وعمر بن علي بن احمد الدواودي واخيه أبي دينار ورجالات من قومها. وزحف على هذه التعبية، وابنه الناصر امامه. فاجفل علي بن راشد وقومه مغراوة عن بلادهم الى البطحاء. وطيّر الخبر الى أبي ثابت فوافاه في قومه وحشوده، وزحفا جميعاً الى السلطان أبي الحسن. والتقى الجمعان بتنغمرين من شلف، وصابروا ملياً. وانكشف السلطان ابو الحسن وقومه، وطعن الناصر بعض فرسان مغراوة فاثبته وهلك آخر يومه. وقتل محمد ابن علي بن العَزَفيّ قائد اساطيله وابن البواق والقبائلي كاتبه. واستبيح معسكره وما فيه من متاع وحرم، وخلص بناته الى وانشريش، وبعث بهن ابو ثابت الى السلطان أبي عنان بعد

استيلائه على الجبل . وخلص السلطان ابو الحسن الى احياء سويد بالصحراء ؛ فنجا به ونزمار بن عريف الى سجلماسة كما نذكره في اخباره . ودوخ ابو ثابت بلاد بني توجين وقفل الى تِلِمْسان .

الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبي ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل علي بن راشد بتنس على أثر ذلك

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومغراوة فتن قديمة سائر ايامهم ؛ قد ذكرنا الكثير منها في اخبارهم . وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حين قتل راشد بن محمد في جلائه أمامهم بين زواوة . ولما اجتمعوا بعد نكبة القيروان على اميرهم علي بن راشد ، وجاءوا من افريقية الى اوطانهم من بني عبد الواد ، لم يطيقوهم حينئذ ان يغلبوهم . فرجعوا الى توثيق العقد وتاكيد العهد ؛ فأبرموه واقاموا على الموادعة والتظاهر على عدوهم ، وعروق الفتنة تنبض في كل منهم . ولما جاء الناصر من افريقية ، وزحف اليه ابو ثابت ، قعد عنه علي بن راشد وقومه ؛ فاعتدها عليهم واسرّها في نفسه . ثم اجتمعوا بعد ذلك للقاء السلطان أبي الحسن حتى انهزم ومضى الى المغرب . فلما رأى أبو ثابت ان قد كفى عدوه الأكبر ، وفرغ لعدوه الأصغر نظر في الانتقاض عليهم . فبينما هو يروم اسباب ذلك إذ بلغه الخبر بأنّ بعض رجالات بني كمي من مَغراوَةَ جاؤوا الى تِلِمْسان ليغتالوه ؛ فحمي لها انفه .

واجمع لحربهم. وخرج من تلمسان فاتحة اثنتين وخمسين. وبعث في احيـاء زغبة وبني عامر وسويد؛ فجـاءوه بفارسهم وراجلهم وظعائنهم. وزحف الى مغراوة فخاموا عن لقائه، وتحصنوا بالجبل المطل على تَنَس؛ فحاصرهم فيه اياما اتصلت فيها الحروب وتعددت الوقائع. ثم ارتحل عنهم فجـال في نواحي البلد، ودوخ اقطارها واطاعته مليـانة والمَدية وبرشك وشرشال. ثم تقدم بجموعه الى الجزائر؛ فأحاط بها وفيها فل بني مرين، وعبد الله ابن السلطان أبي الحسن؛ تركه هنالك صغيراً في كفالة علي بن سعيد بن أجانا، فغلبهم على البلاد واشخصهم في البحر الى المغرب. واطاعته الثعالبة ومليكش وقبائل حُصَيْن. وعقد على الجزائر لسعيد بن موسى بن علي الكردي، ورجع الى مغراوة فحاصرهم بمعقلهم الاول، بعد ان انصرفت العرب الى مشاتيها؛ فاشتد الحصار على مغراوة واصاب مواشيهم العطش؛ فانحطت دفعة واحدة من على اعلى الجبل تطلب المورد؛ فأصابهم الدهش. ونجا ساعتئذ علي بن راشد الى تنس، فاحاط به ابو ثابت اياماً. ثم اقتحمها عليه غلاباً منتصف شعبان من سنته، فاستعجل المنية وتحامل على نفسه فذبح نفسه، وافترقت مغراوة من بعده وصارت أوزاعاً في القبائل. وقفل ابو ثابت الى ان كان من حركة السلطان ما نذكره.

الخبر عن استيلاء السلطان أبي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية

لما لحق السلطان ابو الحسن بالمغرب، وكان من شأنه مع ابنه أبي عنان إلى ان هلك بجبل هَنْتاتَة ما نذكره في اخبارهم. فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبي عنان، وفرغ لعدوه. وسما لاسترجاع الممالك التي انتزعها ابوه ممن توثب عليها؛ وكان قد بعث اليه علي بن راشد؛ من مكان امتناعه بجبل تَنَس يسأل منه الشفاعة؛ فرد ابو ثابت شفاعته واحفظه ذلك. وبلغه مقتل علي بن راشد؛ فاجمع غزو تلمسان، ونذر بذلك ابو سعيد واخوه؛ فخرج ابو ثابت لحشد القبائل من زَنَاتَة والعرب منتصف ذي القعدة، ونزل بوادي شلف. واجتمع الناس اليه، ووصلته هنالك بيعة تدلس في ربيع سنة ثلاث وخمسين. غلب عليها الموحدين جابر الخراساني من صنائعهم، وبلغه بمكانه ذلك زحف السلطان أبي عنان؛ فرجع الى تلمسان؛ ثم خرج الى المغرب. وجاء على اثره اخوه السلطان أبو سعيد في العساكر من زناتة ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد؛ إذ كان جمهورهم قد لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يحيى وابنه من ولاية بني مرين؛ فزحفوا على هذه التعبئة. وزحف السلطان ابو عنان في امم المغرب من زناتة والعرب المعقل والمصامدة وسائر طبقات الجنود والحشد،

وانتهوا جميعاً الى انكاد من بسيط وجدة ؛ فكان اللقاء هنالك اخر ربيع الثاني من سنة ثلاث وخمسين. وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المعسكر وقت القائلة، وبعد ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق اهل المعسكر في حاجاتهم، فاعجلوهم عن ترتيب المصاف. وركب السلطان أبو عنان لتلافي الامر، فاجتمع اليه اوشاب من الناس وانتقض سائر المعسكر، ثم زحف اليهم فيمن حضره وصدقوهم القتال ؛ فاختل مصافهم ومنحوا اكتافهم وخاضوا بحر الظلماء. واتبع بنو مرين اثارهم، وتقبض على أبي سعيد ليلتئذ فقيد اسيرا الى السلطان، فاحضره بمشهد الملأ ووبخه. ثم تل الى محبسه وقتل لتاسعة من ليالي اعتقاله. وارتحل ابو عنان الى تلمسان، ونجا الزعيم ابو ثابت بمن معه من فل عبد الواد، ومن خلص اليه منهم ذاهبا الى بجايَةَ ليجد في ايالة الموحدين وليجة من عدوه، فبيتته زواوة في طريقة. وابعد عن صحبه وارجل عن فرسه. وذهب راجلاً عارياً، ومعه رفقاء من قومه: منهم ابو زيان محمد ابن اخيه السلطان أبي سعيد، وابو حمو موسى ابن اخيهم يوسف، ووزيرهم يحيى بن داود بن مكن. وكان السلطان ابو عنان اوعز الى صاحب بجاية يومئذ المولى ابي عبد الله حفيد مولانا السلطان أبي بكر بان يأخذ عليهم الطرق ويذكي في طلبهم العيون، فعثر عليهم بساحه البلد. وتقبض على الامير أبي ثابت الزعيم وابن اخيه محمد بن أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود

وادخلوا الى بجاية. ثم خرج صاحبها الامير ابو عبد الله الى لقاء السلطان أبي عِنان، واقتادهم في قبضة اسره فلقيه بمعسكره بظاهر المِدْيَة، فاكرم وفادته وشكر صنيعه، وانكفأ راجعا الى تلمسان فدخلها في يوم مشهود. وحمل يومئذ ابو ثابت وزيره يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المحفل، فكان شأنهما عجباً. ثم سيقا ثاني يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد، فقتلا قعصاً بالرماح وانقضى ملك آل زيان، وذهب ما اعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان، الى ان كانت لهم الكرة الثالثة على يد أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن المتمليها الى هذا العهد على ما نذكره، ونستوفي من اخباره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن دولة السلطان ابي حمو الأخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الأحداث لهذا العهد

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في إيالة اخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان، هو وولده ابو حمو موسى، وكان متكاسلاً عن مراتب الظهور، متجافيا عن التهالك في طلب العز، جانحاً الى السكون ومذاهب اهل الخير. حتى اذا عصفت بدولتهم رياح بني مرين، وتغلب السلطان ابو عنان عليهم وابتزّهم ما كان بايديهم من الملك، وخلص ابنه ابو حمو موسى مع عمه أبي ثابت الى الشرق، وقذفت النوى بيوسف مع اشراف قومه الى المغرب

فاستقر به. ولما تقبض على ابي ثابت بوطن بجاية اغفل امر أبي حمو من بينهم ونبت عنه العيون؛ فنجا الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراكين؛ فاكرم نزله واحله بمكان اعياص الملوك من مجلس سلطانه ووفر جرايته، ونظم معه آخرين من فلّ قومه. واوعز السلطان ابو عنان اليه بانزعاجهم عن قرارهم في دولته، فحمي لها انفه وابى عن الهضيمة لسلطانه، فاغرى ذلك السلطان ابا عنان بمطالبته. وكانت حركته الى افريقية ومنابذة العرب من رياح وسليم لعهده ونقضهم لطاعته كما نستوفي في اخباره.

ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه اجتمع امراء الدواودة من رياح الى الحاجب أبا محمد بن تافراكين، ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالمغرب من غربته، وانهم ركابه لذلك ليجلب على نواحي تِلِمْسان ويحصل للسلطان ابي عنان شغلًا عنهم. وسألوه ان يجهز عليه ببعض آلة السلطان. ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن، وكان يومئذ في احياء يعقوب بن علي وجواره، فاصلح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه الى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر. وارتحل معهم من الدواودة عثمان بن سباع ومن احلافهم بني سعيد دعار بن عيسى بن رحاب وقومه، ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان، واخذوا على القفر. ولقيهم اثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان، فقويت عزائمهم على ارتجاع ملكهم ورجع عنهم صولة بن يعقوب. وأغذ

السير الى تلمسان وبها الكتائب المجمَّرة من بني مرين. واتصل خبر أبي حمُّو بالوزير الحسن من عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان والمتغلب على ولده السعيد الخليفة من بعده؛ فجهز المدد الى تلمسان من الحامية والاموال. ونهض اولياء الدولة من اولاد عريف بن يحيى امراء البدو من العرب في قومهم من سويد ومن اليهم من العرب لمدافعة السلطان أبي حمو واشياعه؛ فانفض جمعهم وغلبوا على تلك الموطن. واحتل السلطان ابو حمو وجموعه بساحة تلمسان واناخوا ركائبهم عليها ونازلوها ثلاثاً، ثم اقتحموها في صبيحة الرابعة. وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميراً عليها في لمة من قومه، فنزل على صغير بن عامر امير القوم؛ فاحسن تجلته واصحبه من عشيرته الى حضرة ابيه. ودخل السلطان ابو حمو الى تلمسان يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الاول سنة ستين، واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد اريكته وبويع بيعة الخلافة. ورجع الى النظر في تمهيد جوانب ملكه واخرج بني مرين عن امصار مملكته.

الخبر عن اجفال أبو حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب. ثم عوده اليها

كان القائم بامر المغرب من بعد السلطان أبي عنان وزيره الحسن بن عمر، كافل ابنه السعيد، أخذ له البيعة على الناس،

فاستبد عليه وملك امره ؛ وجرى على سياسة السلطان المالك ؛ واقتفى اثره في الممالك الدانية والقاصية في الحماية والنظر لهم وعليهم . ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبي حمو عليها ؛ قام في ركائبه وشاور الملأ في النهوض اليه ؛ فاشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر ؛ فسرح لها ابن عمه مسعود بن رحّو بن علي بن عيسى بن ماساي من بني فردود ؛ وحكمه في اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الاموال واتخاذ الالة ؛ فزحف الى تلمسان . واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو واشياعه من بني عامر ؛ فافرج عنها ولحق بالصحراء . ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان ، وخالفه السلطان أبو حمو الى المغرب فنزل ببسيط انكاد . وسرح اليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عمه عامر بن عبو بن ماساي في عسكر من كتائبه ووجوه قومه ؛ فاوقع بهم العرب وابو حمو ومن معهم واستباحوهم . وطار الخبر الى تلمسان ، واختلفت اهواء من كان بها من بني مرين . وبدا ما كان في قلوبهم من المرض ، لتغلب الحسن بن عمر على سلطانهم ودولتهم ، فتحيزوا زرافات لمبايعة بعض الاعياص من آل عبد الحق . وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه ، وكان في قلبه مرض من ذلك فاغتنمها ، وبايع لمنصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الاعياص المنفرد بالتجلة . وارتحل به وبقومه من بني مرين الى المغرب ، وتجافى عن تِلِمْسان وشأنها ، واعترضهم

عرب المعقل في طريقهم الى المغرب ؛ فأوقع بهم بنو مرين وصمموا لطيتهم. ورجع السلطان ابو حمو الى تلمسان ، واستقر بحضرته ودار ملكه. ولحق به عبد الله بن مسلم فاستوزره واستنام اليه؛ فاشتد به ازره وغلب على دولته كما نذكره الى ان هلك. والبقاء لله وحده.

الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوعه من ايالة بني مرين الى أبي حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصائر أموره

كان عبد الله بن مسلم هذا ، من وجوه بني زردال ، من بني بادين اخوة بني عبد الواد وتوجين ومصاب ؛ الا ان بني زردال اندرجوا في بني عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم. ونشأ عبد الله بن مسلم ، في كفالة موسى بن علي - لعهد السلطان أبي تاشفين مشهوراً بالبسالة والاقدام ، طار له ذكر ، وحسن بلاؤه في حصار تلمسان. ولمّا تغلّب السلطان ابو الحسن على بني عبد الواد ، وابتزهم ملكهم واستخدمهم ؛ وكان ينتقي أولي الشجاعة والاقدام منهم ، فيرمي بهم ثغور المغرب. ولما اعترض بني عبد الواد ، ومر به عبد الله هذا ذكر له شأنه ونمت بيأسه ؛ فبعثه الى درعة واستوصى عاملها به ؛ فكان له عنه غناء ؛ وفي مواقعه مع خوارج العرب بلاء حسن ؛ جذب ذلك بضبعية ورقى عند السلطان منزلته وعرفه على قومه.

ولما كانت نكبة السلطان ابي الحسن بالقيروان ، ومرج أمر المغرب ، وتوثب ابو عنان على الامر ، وبويع له بتلمسان ، واستجمع حافده منصور بن أبي مالك عبد الواحد لمدافعته ، وحشد حامية الثغور للقائه ، وانفضت جموعه بتازى ، وخلص الى البلد الجديد ونازله ، وكان عبدالله بن مسلم في جملته . ولما نازله السلطان أبو عنان ، واتصلت الحرب بينهم أياماً ، كان له فيها ذكر . ولما رأى انهم احيط بهم سبق الناس الى السلطان أبي عِنان ، فرعى سابقته وقلده عمل درعة ، فاضطلع بها مدة خلافته ، وتأكدت له ايام ولايته مع عرب المعقل وصلة وعهد ضرب بها في مؤاخاتهم بسهم . وكان السلطان ابو عنان عند خروج اخيه ابي الفضل عليه ، ولحقه بجبل ابن حميدي من معاقل درعة ، اوعز اليه بان يعمل الحيله في القبض عليه ؛ فداخل ابن حميدي ووعده وبذل له ؛ فاجاب واسلمه . وقاده عبد الله بن مسلم اسيراً الى اخيه السلطان أبي عِنان فقتله . ولما استولى السلطان ابو سالم رفيق أبي الفضل في مثوى اغترابهما بالأندلس على بلاد المغرب ، من بعد مهلك السلطان أبي عنان ، وما كان اثره من الخطوب ، وذلك آخر سنة ستين ، خشيه ابن مسلم على نفسه ، ففارق ولايته ومكان عمله . وداخل اولاد حسين امراء المعقل في النجاة به الى تلمسان فاجابوه ، ولحق بالسلطان أبي حمو في ثروة من المال وعصبة من المشير وأولياء من العرب ؛ فسر بمقدمه وقلده لحينه وزارته وشد

به اواخي سلطانه وفوض اليه تدبير ملكه، فاستقام امره وجمع القلوب على طاعته. وجاجأ بالمعقل من مواطنهم الغربية، فاقبلوا اليه وعكفوا على خدمته. واقطعهم بمواطن تلمسان وآخى بينهم وبين زِغْبَةَ؛ فعلا كعبه واستفحل امره، واستقامت رياسته، الى ان كان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى. والله تعالى أعلم.

الخبر عن استيلاء السلطان أبي سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب بعد ان ولي عليها ابي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ومآل أمره

لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب، ومحا اثره الخوارج على الدولة سما الى امتداد ظله الى اقصى تخوم زناتة، كما كان لابيه واخيه، وحركه الى ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الى تلمسان بجباية عمله؛ فاجمع امره على النهوض الى تلمسان، وعسكر بظاهر فاس منتصف احدى وستين. وبعث في الحشود فتوافت ببابه واكتملت، ثم ارتحل اليها. وبلغ الخبر الى السلطان ابي حمو ووزيره عبد الله بن مسلم؛ فنادوا في العرب من زغبة والمعقل كافة؛ فاجابوهم الا شرذمة قليلة من الاحلاف، وخرجوا بهم الى الصحراء ونازل حللهم بعسكره. ولما دخل السلطان ابو سالم وبنو مرين تِلِمْسان خالفوهم الى المغرب، فنازلوا وطاط، وبلاد مَلْوِيّة وكرسيف، وحطموا زروعها وانتسفوا اقواتها

وخربوا عمرانها. وبلغ السلطان ابا سالم ما كان من صنيعهم، فاهمه امر المغرب واجلاب المفسدين عليه. وكان في جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان ابن السلطان أبي تاشفين، ويكنى بابي زيان، ويعرف بالقبي[1]، ومعناه العظيم الراس، فدفعه للامر واعطاه الآلة، وكتب له كتيبة من توجين ومغراوة كانوا في جملته، ودفع اليه اعطياتهم، وانزله قصر ابيه بتلمسان؛ وانكفأ راجعاً الى حضرته، فاجفلت العرب والسلطان ابو حمو امامه وخالفوه الى تلمسان، فاجفل عنها ابو زيان وتحيز الى بني مرين بامصار الشرق من البطحاء ومليانة ووهران واوليائهم من بني توجين وسويد من قبائل زغبة. ودخل السلطان ابو حمو ووزيره عبد الله بن مسلم الى تلمسان، وكان صغير بن عامر هلك في مذهبهم ذلك. ثم خرجوا فيمن اليهم من كافة العرب المعقل وزغبة في اتباع أبي زيان، ونازلوا بجبل والشريش فيمن معه الى ان غلبوه عليه، وانفض جمعه، ولحق بمكانه من ايالة بني مرين بفاس. ورجع السلطان ابو حمو الى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بني مرين، فافتتح كثيرها وغلب على مليانة والبطحاء. ثم نهض الى وهران ونازلها أياماً واقتحمها غلاباً، واستلحم بها من بني مرين عدداً. ثم تغلب على المدية والجزائر، وانزعج عنها بني مرين فلحقوا باوطانهم. وبعث رسله الى السلطان أبي سالم؛ فعقد معه السلم

(١) كذا، وفي نسخة: بالقبي.

ووضعوا اوزار الحرب . ثم كان مهلك السلطان أبي سالم سنة اثنتين وستين . وقام بالامر من بعده عمر بن عبد الله بن علي من ابناء وزرائهم مبايعاً لولد السلطان أبي الحسن واحداً بعد آخر، كما نذكره عند ذكر أخبارهم .

الخبر عن قدوم أبي زيان بن السلطان أبي سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله

كان ابو زيان هذا، وهو محمد ابن السلطان أبي سعيد عثمان ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يَغَمْراسَن، لما تقبض عليه مع عمه أبي ثابت ووزيرهم يحيى بن داود بجباية من اعمال الموحّدين، وسيقوا الى السلطان أبي عِنان؛ فقتل ابا ثابت وزيره واستبقى محمدا هذا واودعه السجن سائر ايامه؛ حتى اذا هالك واستوسق امر المغرب لأخيه أبي سالم من بعد خطوب وأحوال يأتي ذكرها؛ امتن عليه السلطان ابو سالم واطلقه من الاعتقال ونظمه بمجلسه في مراتب الاعياص، واعده لمزاحمة ابن عمه. وحدث بينه وبين السلطان أبي حمو سنة اثنتين وستين بين يدي مهلكه نكراء بعد مرجعه من تلمسان، ومرجع أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين من بعده؛ فحقق السعي فيما نصبه له. وسما له في أبي زيان هذا أمل ان يستأثر بملك ابيه، وراى ان يحسن الصنيع فيه فيكون فيئة له؛ فاعطاه الآلة ونصبه للملك، وبعثه الى وطن تلمسان،

وانتهى الى تازى [1]. ولحقه الخبر هنالك بمهلك السلطان أبي سالم. ثم كانت فتن واحداث نذكرها في محلها. وأجلب عبد الحليم بن السلطان أبي علي بن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس، واجتمع اليه بنو مرين، ونازلوا البلد الجديد. ثم انفض جمعهم، ولحق عبد الحليم بتازى كما نذكره في موضعه. ورجا من السلطان أبي حمو المظاهرة على امره، فراسله في ذلك واشترط عليه كبح ابن عمه أبي زيان، فاعتقله مرضاة له، ثم ارتحل الى سجلماسة كما نذكر بعد. ونازله في طريقه اولاد حسين من المعقل بحللهم واحيائهم؛ فاستغفل ابو زيان ذات يوم المتوكلين به، ووثب على فرس قائم حذاه وركضه من معسكر عبد الحليم الى حلة اولاد حسين مستجيراً بهم فاجاروه. ولحق ببني عامر على حين جفوة، كانت بين السلطان أبي حمو وبين خالد ابن عامر اميرهم ذهب لها مغاضباً، فاجلب به على تلمسان. وسرح اليهم السلطان ابو حمو عسكراً فشردهم عن تلمسَان. ثم بذل المال لخالد بن عامر على ان يقصيه الى بلاد رياح ففعل، واوصله الى بلاد الدواودة فاقام فيهم. ثم دعاه ابو الليل بن موسى شيخ بني يزيد، وصاحب وطن حمزة وبني حسَن ومـا اليه، ونصبه للامر مشافهة وعناداً للسلطَان أبي حمو. ونهض اليه الوزير عبد الله بن مسلم في عسَاكر

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ، ولم يذكرها ياقوت في معجم البلدان. وفي كتـاب المغرب، تأليف الصديق بن العربي: تازة.

بني عبد الواد وحشود العرب وزناتة ، فأيقن ابو الليل بالغلب وبذل له الوزير المال ، وشرط له التجافي عن وطنه على ان يرجع عن طاعة أبي زيان ففعل . وانصرف الى بجاية ، ونزل على المولى أبي اسحاق ابن مولانا السلطان أبي يحيى اكرم نزل . ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبي حمو ، وتمت المهادنة ، وانعقد السلم على اقصاء أبي زيان عن بجاية المتاخمة لوطنه ، فارتحل الى حضرة تونس . وتلقاه الحاجب ابو محمد بن تافراكين ، قيوم دولة الحفصيين لذلك لعهد ، من المبرة والترحيب واسناء الجراية به وترفيع المنزلة بما لم يعهد بمثله من الاعياص . ولم يزل حاله على ذلك الى ان كان من امره ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن قدوم أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ثانية من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله

كان العرب من سُوَيد إحدى بطون زُغْبَة فيئة لبني مرين وشيعة ، من عهد اميرهم عريف بن يحيى ، مع السلطان أبي الحسن وابنه أبي عِنان ؛ فكانوا عند بني عبد الواد في عداد عدوهم من بني مَرين ، مع صاغية الدولة لبني عامر أقتالهم ؛ فكانوا منابذين لبني عبد الواد آخر الأيام . وكان كبيرهم ونزمار بن عريف أوطن كَرْسيف ، في جوار بني مرين ، مذ مهلك السلطان ابي عِنان ، وكان مرموقاً لديهم بعين التَجِلّة ، يرجعون الى رأية

ويستنيمون إلى قوله . وأهمّه شأن إخوانه في موطنهم ، ومع اقتالهم ببني عامر ؛ فاعتزم على نقض الدولة من قواعدها ، وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرّح محمد بن عثمان حافد أبي تاشفين لمعاودة الطلب بملكه . ووافق ذلك نفرة استحكمت بين السلطان أبي حمّو وأحمد بن رحّو بن غانم ، كبير اولاد حسين من المعقل ، بعد ان كانوا فيئة له ولوزيره عبد الله بن مسلم ، فاغتنمها عمر بن عبد الله . وخرج أبو زيّان محمد بن عثمان سنة خمس وستين ، فنزل في حلل المَعْقِل بِمَلْوِيّة . ثم نهضوا الى وطن تِلِمْسَان ، وارتاب السلطان أبو حمّو بخالد بن عامر أمير بني عامر ، فتقبّض عليه واودعه المُطبِق[1] . ثم سرح وزيره عبد الله بن مسلم في عساكر بني عبد الواد والعرب ، فاحسن دفاعهم وانفضت جموعهم ورحلهم الى ناحية الشرق ، وهو في اتباعهم الى ان نزلوا بالمسيلة من وطن رياح ، وصاروا في جوار الدواودة . ثم نزل بالوزير عبدالله ابن مُسْلِم داء الطاعون ، الذي عاود اهل العُمْران عامئذ من بعد ما اهلكهم سنة سبع واربعين قبلها ؛ فانكفا به ولده وعشيره راجعين ، وهلك في طريقه واوصلوا شلوه الى تلمسان فدفن بها . وخرج السلطان ابو حمو لمدافعة عدوه ، وقد فتّ مهلك عبدالله في عضده . ولما انتهى الى البَطحاء وعسكر بها ، ناجزته جموع السلطان أبي زيّان الحرب ، واطلت راياته على المعسكر فداخلهم العرب وانفضوا ،

---

(١) السجن تحت الأرض.

واعجلهم الامر عن افنيتهم وازودتهم فتركوها وانفضوا. وإتسلل أبوحمّو يبغي النجاة إلى تِلِمْسان. وأضرب ابو زيّان فسطاطه بمكان معسكره، وسابقه احمد بن رحّو أمير المعقل الى منجاته فلحقه بسيك. وكر اليه السلطان أبو حمّو فيمن معه من خاصته، وصدقوه الدفاع فكبا به فرسه، وقطع رأسه. ولحق السلطان ابو حمو بحضرته، وارتحل ابو زيان، والعرب في اتباعه إلى ان نازلوا بتلمسان أياماً. وحدثت المنافسة بين المعقل وزغبة، واسف زغبة استبداد المعقل عليهم وانفراد أولاد حُسَيْن برأي السلطان دونهم؛ فاغتنمها ابو حمّو واطلق اميرهم خالد بن عامر من محبسه؛ واخذ عليه الموثق من الله ليخذلنّ الناس عنه ما استطاع؛ وليرجعن بقومه عن طاعة أبي زيان؛ وليفرقن جموعه. فوفى له بذلك، ونفس عنه المخنق، وتفرقت احزابهم. ورجع ابو زيان الى مكانه من إيالة بني مَرين، واستقام أمر السلطان أبي حمّو وصلحت دولته بعد الالتياث، الى ان كان من امره ما نذكره.

الخبر عن حركة أبي حمو على ثغور المغرب

كان ونزمار من عريف متولي كبر هذه الفتن على أبي حمو، وبعث الاعياص عليه واحداً بعد واحد، بما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه. وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب. وكان جاره محمد من زكدان كبير بني علي من بني ونكاسن، الموطّنين

بجبل دبدو ؛ كانت ايديهما عليه واحدة . فلما سكن غرب الثوار عنه ؛ وازاحهم عن وطنه الى المغرب ؛ وانعقد سلمه معهم ؛ رأى ان يغزو هذين الاميرين في ثغورهما ؛ فاعتمل الحركة الى المغرب فاتح سنة ست وستين . وانتهى الى دَبْدو وكرسيف . واجفل ونزمار ؛ فامتنع بمعاقل الجبال ؛ فانتهب ابو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعيث سائر النواحي . وقصد محمد من زكدان أيضاً في مَعْقِلِ دَبْدو ؛ فامتنع بحصنه الذي اتخذه هنالك . وعاج عليه أبو حمو بركابه ؛ وجاس خلال وطنه ؛ وشمل بالتخريب والعيث نواحي بلده ؛ واتكفأ راجعاً الى حضرته ؛ وقد عظمت في تخوم بني مرين وثغورهم نكايته ؛ وثقلت عليهم وطأته ؛ وانعقدت بينهما تعديل المهادنة والسلم . وانصرفت عزائمه إلى بلاد إفريقِيَة ؛ فكانت حركته الى بِجايَةَ من العام المقبل ؛ ونكبته عليها كما نذكر ان شاء الله تعالى .

الخبر عن حركة السلطان أبي حمو الى بجاية ونكبته عليها

كان صاحب بجاية المولى الأمير أبو عبد الله ؛ لما استولى عليها ؛ وعادت اليه العودة الثانية سنة خمس وستين كما ذكرناه في اخباره ؛ زحف بعدها الى تدلس ؛ فغلب عليها بني عبد الواد ؛ وانزل بها عامله وحاميته . ثم اظلم الجو بينه وبين صاحب قُسَنْطِينَةَ السلطان أبي العباس ابن عمه الامير أبي عبدالله ؛ لما جرت بينهما المتاخمة في

العمالات ، فنشأت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حماية تدلس ، والحت عليها عساكر بني عبد الواد بالحصار. واحيط بها ؛ فاوفد رسله على السلطان أبي حمو صاحب تِلِمْسان في المهادنة على النزول له عن تدلس ؛ فتسلّمها ابو حمو وأنزل بها حاميته. وعقد معه السلم ، وأصهر اليه في ابنته ، فاجـابه وزفها اليه ؛ فتلقاها قبيله ووزراؤه بآخر عملهم من حدود بجاية. وفرغ صاحب بجاية لشأنه ، وكان اثناء الفتنة معه ، قد بعث الى تونس عن ابي زيان ابن عمّه السلطان أبي سعيد لينزله بتدلس ، ويشغل به السلطـان ابا حمو عن فتنته.

وكان من خبر أبي زيّان هذا انه اقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبي محمد بن تافراكين كما ذكرناه ، الى ان دس اليه مرضى القلوب من مشيخة بني عبد الواد بتلمسان بالاجـلاب على السلطان أبي حمو ، ووعدوه من انفسهم الجنوح معه فصغى اليها واعتدها ، وارتحل يريد تخوم تلمسان وعمل بجاية. ومرّ بقسنطينة فتجافى عن الدخول اليها ، وتنكر لصاحبها. وبلغ خبره السلطـان ابا العباس صاحبها يومئذ ؛ فاجمع امره في صده عن وجهه وحبسه بقسنطينة ؛ واتصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية. وكان شديـد الوطأة على اهل بلده ، مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد ، حتى لقد ضرب اعناق خمسين منهم قبل ان يستكمل سنتين في ملكه. فاستحكمت النفرة وساءت الملكة ، واعضل الداء ، وفزع اهل البلد الى مداخلة

السلطان أبي العباس في استنقاذهم من ملكة العسف والهلاك، بما كان اتيح له من الظهور على امـيرهم، فنهض اليها آخر سنة سبع وستين. وبرز الامير ابو عبد الله للقائه بلبرو، الجبل المطل على تاكررت. وصبحه السلطان ابو العباس بمعسكره هنالك؛ فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجياً بنفسه. ومرت الجنود تعادى في اثره حتى ادركوه، فاحاطوا به وقتلوه قعصاً بالرماح، عفا الله عنه. واجاز السلطان أبو العباس الى البلد؛ فدخلها منتصف يومه لعشرين من شعبان. ولاذ الناس به من دهش الواقعة، وتمسكوا بدعوته واتوه طاعتهم. فانجلت الغيابة واستقام الامر، وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو، فأظهر الامتعاض لمهلكه والقيام بثأره، يُسِرُّ من ذلك حسواً في ارتغاء. ونهض يجر الامم الى بجـاية من العرب وزناتة والحشد، حتى اناخ بها وملأ بخيامه الجهات بساحتها، وجنح السلطان الى مبارزته، فتمسك به اهل البلد ولاذوا بمقامه، فاسعفهم وطير البريد الى قُسَنْطِينَةَ؛ فاطلق ابا زيان من الاعتقال وسوغه الملابس والمراكب والآلة. وزحف به مولاه بشير في عسكره الى ان نزل حذاء معسكر أبي حمو. واضطربوا[1] محلتهم بسفح بني عبد الجبار، وشنوا الغارات على معسكر أبي حمّو صباح مساء، لما كان نمي اليهم من مرض قلوب جنده والعرب

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ. ولا معنى لها هنا. ومقتضى السياق: وضربـوا مضاربهم في محلتهم...

الذين معه. وبدا للسلطان أبي حمّو ما لم يحتسب من امتناعها. وكان قد تقدم اليه بعض سماسرة الفتن بوعد على لسان المشيخة من اهل البلد اطمعه فيها، ووثق بان ذلك يغنيه عن الاعتداء، فاستبق اليها واغفل الحزم فيما دونها. فلما امتنعت عليه اطبق الجو على معسكره، وفسدت السابلة على العير الميرة، واستحكم الزبون في احياء معسكره بظهور العدو المساهم في الملك. وتبادرت رجالات العرب سوء المغبة وسطوة السلطان؛ فتمشوا بينهم في الانفضاض وتحينوا لذلك وقت المناوشة؛ وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع قتالهم وامر بضرب الفساطيط مضايقة للاسوار؛ متسنمة وعراً من جبل لم يرضه أهل الرأي. وخرج رجال البلد على حين غفلة؛ فجاولوا من كان بتلك الاخبية من المقاتلة، فانهزموا امامهم وتركوها بايديهم فزقوها بالسيوف. وعاين العرب على البعد انتهاب الفساطيط فاجفلوا، وانفض المعسكر باجمعه. وحمل السُّلطان ابو حمو اثقاله للرحلة، ثم اجهدوه عنها فتركها، وانتهب مخلفه اجمع. وتصايح الناس بهم من كل حدب، وضاقت المسالك من ورائهم وامامهم، وكظت بزحامهم، وتواقعوا لجنوبهم، فهلك الكثير منهم، وكانت من غرائب الواقعات، تحدث الناس بها زماناً. وسيقت حظاياه الى بجاية، واستأثر منهنّ الامير أبو زيان بحظيته الشهيرة ابنة يحيى الزابي، ينسب الى عبد المؤمن بن علي. وكان اصهر فيها الى ابيها ايام

تقلبه في الاغتراب ببلاد الموحّدين كما سبق، وكانت اعلق بقلبه من سواها، فخرجت في مغانم الامير أبي زيـان. وتحرج عن مواقعتها حتى اوجده اهل الفتيا السبيل الى ذلك، بحنث زعموا وقع من السلطان أبي حمّو في نسائه. وخلص السلطان ابو حمو من هوة ذلك العطب بعد غصة الريق، ونجا الى الجزائر لا يكاد يرد النفس من شناعة ذلك الهول. ثم خرج منها ولحق بتلمسان، واقتعد سرير ملكه. واشتدت شوكة أبي زيّان ابن عمّه، وتغلب على القاصية، واجتمعت اليه العرب، وكثر تابعه. وزاحم السلطان ابا حمو بتلك الناحية الشرقية سنين تباعاً نذكر الآن اخبارها.

الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المدية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه

لما انهزم السلطان ابو حمو بساحة بجاية عشيّ يومه من اوائل ذي الحجة، خاتم سبع وستين، قرع الامير أبو زيان طبوله، واتبع اثره، وانتهى الى بلاد حُصَيْن من زِغْبَة. وكانوا سئمين من الهضيمة والعسف، إذ كانت الدول تجريهم مجرى الرعايا المعتدة في المغرم، وتعدل بهم عن سبيل اخوانهم من زغبة امامهم ووراءهم؛ فارتكبوا صعب الشقاق لمغبة العز، وبايعوه على الموت الأحمر، ووثقوا بمعتصمهم من جبل تيطرى ان دهمهم عسكر

السلطان. ثم اجلبوا على المدية[1] وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبي حمو لنظر وزرائه: عِمْران بن موسى بن يوسف، وموسى بن برغوث ووادفل بن عبو بن حمّاد؛ ونازلوهم اياماً؛ ثم غلبوهم على البلد. وملكها الامير أبو زيان، ومنّ على الوزراء ومشيخة بني عبد الواد، وترك سبيلهم الى سلطانهم. وسلك الثعالبة في سبيل حُصَيْن في التجافي عن ذل المغرم؛ فاعطوه يد الطاعة والانقياد للامير أبي زيان. وكانت في نفوس اهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم؛ فاستمالهم بها سالم بن ابراهيم بن نصر أمير الثعالبة الى طاعة الامير أبي زيان. ثم دعا ابو زيان اهل مليانة الى مثلها فاجابوه. واعتمل السلطان ابو حمو نظره في الحركة الحاسمة لرأيهم؛ فبعث في العرب وبذل المال، واقطع البلاد على اشتطاط منهم في الطلب. وتحرك الى بلاد توجين، ونزل قلعة ابن سلامة سنة ثمان وستين، يحاول طاعة أبي بكر بن عريف أمير سويد. فلم يلبث ان انحرف عنه أيضاً خالد بن عامر، ولحق بأبي بكر ابن عريف، واجتمعا على الخلاف عليه، ونقض طاعته. وشنوا الغارة على معسكره، فاضطرب وأجفلوا وانتهبت محلاته واثقاله، ورجع الى تلمسان. ثم نهض الى مليانة فافتتحها، وبعث الى رياح

(١) كذا في النسخة الجزائرية. وفي النسخة المصرية (طبع بولاق): المرية. والمدية بلدة من بلاد بني توجين في المغرب الأوسط. والمرية مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. والأصح هنا: المدية. ولم يذكر ياقوت المدية في معجم البلدان.

على حين طاعتهم اليه من يعقوب بن علي بن احمد وعثمان بن يوسف ابن سليمان بن علي أميري الدواودة ، لما كان وقع بينهما وبين السلطان مولانا أبي العباس من النفرة ؛ فاستنهضوه للحركة على الامير أبي زيان وبعدها الى بجاية . وضمنوا له طاعة البدو من رياح ، وبعثوا اليه ذمتهم على ذلك فردها وثوقاً بهم ، ونهض من تِلمْسان ، وقد اجتمع اليه الكثير من عرب زُغْبَة . ولم يزل اولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر في احيائهم منحرفين عنه بالصحراء . وصمم اليهم فاجفلوا امامه ، وقصد المخالفين من حصين والامير أبي زيان الى معتصمهم بجبل تيطرى . وأَغَذّ إليه السير يعقوب بن علي وعثمان بن يوسف بن معهم من جموع رياح ، حتى نزلوا بالقطعة حذاهم . وبادر اولاد عريف وخالد بن عمر الى الدواودة ليشردوهم عن البلاد ، قبل ان تتصل يد السلطان بيدهم ، فصبحوهم يوم الخميس اخريات ذي القعدة من سنة تسع وستين . ودارت بينهم حرب شديدة ، واجفل الدواودة اولاً ، ثم كان الظهور لهم آخراً . وقتل في المعركة من زِغْبَةَ عدد ويئسوا من صدّهم عما جاؤا اليه ، فانعطفوا الى حصين والامير أبي زيان ، وصعدوا اليهم بناجعتهم ، وصاروا لهم مدداً على السلطان أبي حَمّو ، وشنوا الغارة على معسكره ، فصمدوا نحوه وصدقوه القتال ، فاختل مصافه ، وانهزمت عساكره ، ونجا بنفسه الى تلمسان على طريق الصحراء . وأجفل الدواودة الى الى وطنهم ، وتحيز كافة العرب من زغبة الى الامير أبي زيان ،

واتبع آثار المنهزمين ، ونزل بسيرات . وخرج السلطان ابو حمو في قومه ومن بقي معه من بني عامر . وتقدم خالد الى مصادمته ففلّه السلطان واجفل القوم من ورائه . ثم تلطف في مراسلته وبذل له المال ، واوسع له في الاشتراط فنزع اليه والتبس بخدمته . ورجع الامير ابو زيان الى اوليائه من حُصَيْن مُتَمَسِّكاً بولاية اولاد عريف . ثم نزع محمد بن عريف الى طاعة السلطان ، وضمن له العدول باخيه عن مذاهب الخلاف عليه ، وطال سعيه في ذلك فاتهمه السلطان . وحمله خالد بن عامر عدوه على نكبته ، فتقبض عليه واودعه السجن . واستحكمت نفرة اخيه أبي بكر ، ونهض السلطان بقومه وكافة بني عامر اليه سنة سبعين . واستغلظ أمر أبي بكر لجموع الحارث من بني مالك ومن وراءهم من حصين ، واعتصموا بالجبال من دراك وتيطرى . ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالم من الحرث ؛ فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مداشيرها . وامتنع عليه ابو بكر ومن معه من الحارث وحصين والامير أبو زيان بينهم ؛ فارتحل عنهم وعطف على بلاد اولاد عريف وقومهم من سويد ، فلأها عيثاً . وخرب قلعة ابن سلامة ، بما كانت احسن أوطانهم . ورجع الى تلمسان وهو يرى ان كان قد شفا نفسه في اولاد عريف ، وغلبهم على اوطانهم ، ورفع عليهم منزلة عدوهم ؛ فكان من لحاق أبي بكر بالمغرب ؛ وحركة بني مرين ما نذكره .

الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو وبني عامر بالدوسن من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطري الى احياء رياح

ولما تقبض ابو حمو على محمد بن عريف، وفرّق شمل قومه سويد، وعاث في بلادهم اجمع؛ رأى اخوه الاكبر أبو بكر علي الصريخ بملك المغرب؛ فارتحل اليه بناجعته من بني مالك اجمع من احياء سويد والديالم والعطاف؛ حتى احتل بسائط مَلْوِيَّة من تخوم المغرب. وسار الى اخيه الاكبر ونزمار بمقره من قصر مراده الذي اختطه بارجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم، لما كان ملاك امرهم بيده، ومصادرهم عن آرائه، خطة ورثها عن ابيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه ابي الحسن وابنه أبي عنان. فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه، وتمنوا برأيه، واستناموا الى نصيحته. فلما قدم عليه اخوه ابو بكر مستجيشاً بملك المغرب، واخبره باعتقال اخيه الآخر محمد؛ قدح عزائمه؛ واوفد اخاه ابا بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هنتاتة؛ وظفره بعامر بن محمد بن علي النازع الى الشقاق في معتصمه؛ فلقوه في طريقه ولقاهم مبرة وتكرمة. واستصرخوه لاستنقاذ اخيهم فأجاب صريخهم، ورغبوه

في ملك تلمسان وما وراءها ، فوافق صاغيته الى ذلك بما كان في نفسه من الموجدة على السلطان أبي حمو ، بقبوله على من ينزع اليه من عربان المَعْقِل ، أشياع الدولة وبدوها ، وما كان بعث اليه في ذلك ، وصرف عن استماعه ؛ فاعتزم على الحركة الى تِلِمْسان ؛ والقى زمامه بيد ونزمار ؛ وعسكر بساحة فاس . وبعث الحاشرين في الثغور والنواحي من المغرب ؛ فتوافت الحشود ببابه ؛ وارتحل بعد قضاء النسك من الاضحى سنة احدى وسبعين . واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وكان معسكراً بالبطحاء ؛ فانكفأ راجعاً الى تلمسان ؛ فبعث في اوليائه من عبيد الله والاحلاف من عرب المعقل ؛ فصموا عن اجابته ونزعوا الى ملك المغرب ؛ فاجمع رأيه على التحيز الى بني عامر ؛ واجفل غرة المحرم سنة اثنتين وسبعين. واحتل السلطان عبد العزيز تِلِمْسان في يوم عاشوراء بعدها . واشار ونزمار بن عريف بتسريح العساكر في اتباعه ؛ فسرح السلطان وزيره ابا بكر بن غازي بن الكاس ؛ حتى انتهى الى البطحاء . ثم لحق به هنالك ونزمار ، وقد حشد العرب كافة ، واغذ السير في اتباع السلطان أبي حمو وبني عامر . وكانوا قد ابعدوا المذهب ، ونزلوا على الدواودة ، وسرحني اليهم يومئذ السلطان عبد العزيز يحملهم على طاعته ، والعدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم. وسرح فرج بن عيسى بن عريف الى حُصَيْن لاقتضاء طاعتهم ، واستدعاء أبي زيان الى حضرته ، او نبذهم عهده ؛ وانتهينا جميعاً

إلى أبي زيان ، ففارقه اولياؤه ولحق باولاد يحيى بن علي بن سبّاع من الدواودة . وانتهيت انا اليهم فحفظت عليهم الشأن في جواره كما كانت مرضاة السلطان ، وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر ، واوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن غازي فدلوهما على طريقه ؛ واغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوسن ، آخر عمل الزاب من جانب المغرب ففضوا جموعهم ، وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو باموال وامتعته وظهره . ولحق فلهم بمصاب ، ورجعت العساكر من هنالك ، فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التي منها ربا ولون سمعون[1] وما اليها ؛ فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها ؛ وانكفوا راجعين الى تلمسان . وفرق السلطان عماله في بلاد المغرب الاوسط من وهران ومليانة والجزائر والمدية وجبل وانشريش . واستوسق به ملكه ، وانزاح عنه عدوه . ولم يبق به يومئذ إلّا ضرمة من نار الفتنة ببلاد مَغْراوَةَ بوعد من ولد علي بن راشد ، سخط خالد في الديوان ، ولحق بجبل بني سعيد . واعتصم به فجمر السلطان الكتائب لحصاره ، وسرح وزيره عمر بن مسعود لذلك كما ذكرناه في أخبار مغراوة واحتقر شأنه . وأوفدت انا عليه يومئذ مشيخة الدواودة ، فأوسعهم حباً وكرامة ، وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكر السنتهم . واستمر الحال الى ان كان ما نذكره .

(١) كذا، وفي نسخة : منها ريا بن سمعون .

الخبر عن اضطراب المغرب الأوسط ورجوع أبي زيان الى تيطري واجلاب أبي حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحي

كان بنو عامر بن زغبة شيعة خالصة لبني عبد الواد مذ اول امرهم، وخلص سويد لبني مرين كما قدمناه، فكان من شان عريف وبنيه عند السلطان أبي الحسن وبنيه ما هو معروف. فلما استبيحت احياؤهم بالدوسن مع أبي حمو، ذهبوا في القفر اشفاقا ويأساً من قبول بني مرين عليهم لكان ونزمار بن عريف واخوانه من الدولة، فحدبوا على سلطانهم ابي حمو يتقلبون معه في القفار. ثم نزع اليهم رحو بن منصور فبمن اطاعه من قومه عُبَيْد الله من المَعْقِل. واجلبوا على وَجْدَة فاضطرم للنفاق على الدولة نارا، وخشي حصين مغبة امرهم مع السلطان بما اتسموا به من الشقاق والعناد، فمدوا ايديهم الى سلطانهم أبي زيان، واوفدوا مشيختهم لاستدعائه من حلة اولاد يحيى بن علي فاحتل بينهم، واجلبوا به على المدية فملكوا نواحيها، وامتنع عليهم مصرها، واستمر الحال على ذلك. اواضطرب المغرب الاوسط على السلطان، وانتقضت به طاعته. وسرح الجيوش والعساكر الى قتال مغراوة وحصين، واجتمع ابو حمو وبنو عامر على قصده بتلمسان؛ حتى اذا احتلوا قاياً منها دسَّ السلطان عبد العزيز بعض شيعته الى خالد بن عامر ورغبة في المال

والحظ منه؛ وكان ابو حمو قد اسفه بمخالطة بعض عشيره وتعقب رايه برأي من لم يسم الى خطته. ولم يرتض كفاءته؛ فجنح الى ملك المغرب، ونزع يده من عهد أبي حمو. وسرح السلطان عبد العزيز عسكره الى خالد؛ فأوقع بأبي حمو ومن كان معه من العرب عبيد الله وبني عامر، وانتهب معسكره وامواله، واحتقبت حرمه وحظاياه الى قصر السلطان. وتقبض على مولاه عطية فمنّ عليه السلطان واصاره في حاشيته، ونجا بنفسه الى تيكورارين آخر بلاد الصحراء؛ فنزل بها منفرداً عن اهله وحاشيته ووزرائه. واصفقت زناتة على خدمة ملك المغرب. ووافق هذا الفتح عند السلطان فتح بلاد مغراوة، وتغلب وزيره أبي بكر بن غازي على جبل بني بو سعيد، وتقبض على حمزة ابن علي بن راشد في لمة من اصحابه؛ فضرب اعناقهم وبعث بها الى سدّة السلطان، وصلب أشلاءهم بساحة مِلْيانَة؛ فتظاهر الفتح واكتمل الظهور. واوعز السلطان الى وزيره أبي بكر بن غازي بالنهوض الى حصين؛ فنهض اليهم وخاطبني وانا مقيم ببسكرة في دعايته بان احتشد اولياءه من الدواودة ورياح، والتقى الوزير والعساكر على حصين تيطرى فنازلناه اشهراً. ثم انفض جموعهم وفروا من حصنهم وتمزقوا كل ممزق، وذهب أبو زَيّان على وجهه، ولحق ببلاد واركلى قبلة الزاب لبعدها عن منال الجيوش والعساكر؛ فاجاروه واكرموا نزله. وضرب الوزير على حصين والثعالبة المغارم

الثقيلة ، فاعطوها عن يد وبهظهم باقتضائها ، ودوخ قاصية الثغور ، ورجع الى تلمسان عالي الكعب عزيز السلطان ظاهر اليد . وقعد له السلطان بمجلسه يوم وصوله قعوداً فخماً ، وصل فيه اليه ، واوصل من صحبه من وفود العرب والقبائل ، فقسم فيهم بره وعنايته وقبوله كل على شاكلته . واقتضى من امراء العرب زغبة ابناءهم الأعزّة رهناً على الطاعة . وسرحهم لغزو أبي حمو بمنتبذه من تيكورارين فانطلقوا لذلك . وهلك السلطان عبد العزيز لليال قلائل من مقدم وزيره وعساكره اواخر شهر ربيع الاخر من سنة اربع وسبعين ، لمرض مزمن كان يتفادى بالكتمان والصبر من ظهوره . وانكفأ بنو مرين راجعين الى ممالكهم بالمغرب بعد ان بايعوا لولده دارجاً خماسياً ، ولقبوه بالسعيد ، وجعلوا أمره إلى أبي بكر بن غازي ، فملك امرهم عليهم . واستمر حاله كما نذكره في اخباره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن عودة السلطان أبي حمو الأخير الى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك

لما هلك السلطان عبد العزيز ، ورجع بنو مرين الى المغرب ، نصبوا من أعياص بني يَغْمراسَن لمدافعة أبي حمو من بعدهم عن تلمسان ، ابراهيم بن السلطان أبي تاشفين ، كان ناشئاً بدولتهم منذ مهلك ابيه . وتسلل من جملتهم عَطِيَّة بن موسى مولى السلطان أبي

حمو ؛ وخالفهم الى البلد غداة رحيلهم ؛ فقام بدعوة مولاه . ودافع ابراهيم بن تاشفين عن مرامه ؛ وبلغ الخبر الى اولياء السلطان أبي حمو من عرب المعقل اولاد يغمور بن عبيد الله ؛ فطيروا اليه النجيب على حين غلب عليه الياس . واجمع الرحلة الى بلاد السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه ؛ فأغذّ السير من مطرح اغترابه . وسابقه ابنه، ولي عهده في قومه عبد الرحمن ابو تاشفين، مع ظهيرهم عبد الله بن صغير فدخلوا الى البلد . وتلاهم السلطان لرابعة من دخولهم ، وعاود سلطانه واقتعد اريكته ، وكانت احدى الغرائب . وتقبض ساعتئذ على وزرائه، اتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه ؛ فاودعهم السجن وذبحهم ليومهم حنقاً عليهم . واستحكمت لها نفرة خالد وعشيره، وخلصت ولاية اولاد عريف بن يحيى لمنافرة بني عامر اياه ، واقبال السلطان عبد العزيز عليه . ووثق بمكان ونزمار كبيرهم في تسكين عادية ملوك العرب عنه ، ورجع الى تمهيد وطنه . وكان بنو مَرين عند انفضاضهم الى مغربهم قد نصبوا من أقيال مغراوة، ثم من بني منديل علي بن هارون بن ثابت بن منديل ، وبعثوه الى شلف مزاحمة للسلطان أبي حمو ، ونقضاً لاطراف ملكه . وأجلب ابو زيان ابن عمه على بلاد حُصَيْن ؛ فكان من خبره معهما ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن رجوع أبي زيان بن السلطان أبي سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها

كان الامير أبو زيّان ابن السلطان أبي سعيد، لما هلك السلطان عبد العزيز، وبلغه الخبر بنجاته من واركلى، نهض منها الى التلول، واسفّ الى الناجعة التي كان منتزياً بها ومساهماً لأبي حمو فيها، فاقتطعها لدعوته كما كانت. ورجع اهلها الى ما عرفوا من طاعته؛ فنهض السلطان ابو حمو الى تمهيد نواحيه وتثقيف اطراف ملكه؛ ودفع الخوارج عن ممالكه؛ وظاهره على ذلك أميرا البدو من زغبة أبو بكر ومحمد ابنا عريف بن يحيى. دس إليهما بذلك كبيرهما ونزمار، واخذهما بمناصحة السلطان ومخالصته؛ فركبا من ذلك اوضح طريق واسهل مركب. ونبذ السلطان العهد الى خالد وعشيره؛ فضاقت عليهم الارض ولحقوا بالمغرب لسابقة نزوعهم الى السلطان عبد العزيز. وابتدأ السلطان بما يليه؛ فازعج بمظاهرتهما علي بن هارون عن أرض شِلف سنة خمس وسبعين بعد حروب هلك في بعضها اخوه رحمون بن هارون. وخلص الى بجاية؛ فركب منها السفين الى المغرب؛ ثم تخطى السلطان ابو حمو الى ما وراء شَلف. وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه، بعد ان نزع اليه الكثير من اوليائه حصين والثعالبة، بما بذل لهم من المال، وبما سيموا من طول الفتنة؛ فشارطه على الخروج من وطنه الى

جيرانهم من رياح على اتاوة تحمل اليه ؛ فقبل ووضع اوزار الحرب وفارق مكان ثورتـه . وكان لمحمد بن عريف فيهـا أثر محمود ، واستألف سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلد الجزائر ، بعد أن كان أخبّ في الفتنة واوضع ، فاقتضى له من السلطان عهده من الامـان والولاية على قومه وعمله . وقلد السلطان ابنيه ثغور اعماله ؛ فانزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن ابراهيم من تحت استبداده ، وابنه أبا زيان بالمدية . وانقلب السلطان الى حضرته بتلمسان بعد ان دوّخ قاصيته ، وثقف اطراف عمله ، واصلح قلوب اوليائه ، واستالف شيعة عدوه ؛ فكان فتحاً لا كفاء له من بعد مـا خلع من ربقة الملك ، ونزع من لبوس السلطان . فانتبذ عن قومه وممالكه الى قاصية الارض ، ونزل في جوار من لا ينفذ امره ، ولا يقوم بطاعته . والله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير وانتقاض أبي بكر بن عريف وبيعتهما للامير أبي زيان ورجوع أبي بكر الى الطاعة

كان خالد بن عامر ، وعبد الله ابن اخيـه صغير ، وسائر اخوانهم من ولد عامر بن ابراهيم ، لحقوا بالمغرب صريخاً ببني مرين لما وقع بينهم وبين أبي حمو من الفعلة التي فعل خالد معه . ويئس عبد الله بن صغير من صريخهم ، بما عقد ونزمـار بن عريف من

السلم بين صاحب المغرب وصاحب تِلِمْسان، فخاض القفر بمن معه من قومه، ولحق بوطن زِغْبَةَ، وأجلب على جبل راشد، وبه العَمُّور احلاف سُوَيْد من بني هلال. فاعترضتهم سويد، ودارت بينهم حرب شديدة، كان الظهور فيها لسويد عليهم. وفي خلال ذلك، فسد بين السلطان وبين أبي بكر بن عريف بسبب صاحب وانشريش يوسف بن عامر بن عثمان، اراده السلطان على النزول عن عمله؛ فغضب له ابو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما؛ ووصل يده بعبد الله بن صغير بعد الواقعة. ودعاه الى بيعة أبي زيّان فأجابه، واوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من مجالات رياح، فوصل معهم ونصبوه للامر، وتحيّز محمد بن عريف الى السلطان في جموع سويد. ونهض السلطان من تلمسان فاتح سنة سبع وسبعين فيمن معه من قبائل بني عبد الواد وعرب المعقل وزغبة، ودسّ الى اولياء أبي زيان يرغّبهم في المواعد. وحكم أبا بكر في الاشتراط عليه؛ ففاء الى الطاعة والمخالصة. ورجع أبو زيان الى مكانه من حلل الدواودة، واغذ السلطان السير الى حضرته فتملّى اريكته؛ وحدث بعد ذلك ما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه

لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن

اخيه صغير ، قفل من المغرب يئساً من مظاهرة بني مرين ؛ فخفق السعي في صريخه بهم لما كانوا عليه من افتراق الامر كما ذكرناه قبل. ووصل معه ساسي بن سليم في قومه بني يعقوب ، وتظاهر الحيان على العيث في بلاد السلطان أبي حمّو. واجتمع اليهم ابناء الفتنة من كل أوب ، واجلبوا على الاطراف وشنوا الغارة في البلاد. وجمع اولاد عريف لحربهم قومهم من سويد واحلافهم من العطاف ، وبعثوا بالصريخ الى السلطان ؛ فسرح لحرب عدوه وعدوّهم ابنه ابا تاشفين ولي عهده في قومه ؛ وبرز لذلك في العساكر والجنود. ولما انتهى الى بلاد هُوارَة ، واضطرب معسكره بها ، اعجله صريخ اوليائه من مناخ الركاب ؛ فاستعجل الرحلة ولحق باوليائه اولاد عريف ومن معهم من اشياع الدولة من زغبة. وأغذّ السير الى وادي مينا بشرقي القلعة ؛ فتراءى الجمعان وتواقفوا لِلّقاء سائر يومهم. واستضاؤا باضرام النيران مخافة البيات ، واصبحوا على تعبية. وتمشت الرجالات في مواضعة الحرب ؛ فأعجلهم مناشبة القوم ، وتزاحفت الصفوف ، واعلم الكماة ، وكشفت الحرب عن ساقها ، وحمي الوطيس ، وهبت الريح المبشرة ، فخفقت لها رايات الامير وهدرت طبوله. ودارت رحى الحرب ، وصمدت اليها كتائب العرب ، فتردى فيها الابطال منهم وانكشفوا ؛ واجلت المعركة عن عبد الله بن صغير صريعاً ؛ فأمر ابو تاشفين فاجتز رأسه وطير به البريد الى ابيه. ثم عثرت المواكب

باخيه مَلُوك من صغير مع العباس ابن عمه موسى بن عامر ، ومحمد ابن زيان من وجوه عشيرهم متواقمين لجنوبهم ، متضاجعين في مراقدهم كأنما اتعدوا للردى ؛ فوطئتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام المواكب . واطلقت العساكر أعِنّتها في اتباع القوم ؛ فاستاقوا نعمهم واموالهم . وكثرت يومئذ الانفال ، وغشيهم الليل فتستروا بجناحه . ولحق فلهم بجبل راشد ، واضطرب[1] أبو تاشفين ابنتيه بمنتهى ظهوره ، وملأه السرور بما صنع الله على يده ، وما كان له ولقومه من الاثر في مظاهرة اوليائه . وطار له بها ذكر على الايام ، ورجع الى ابيه بالحضرة مملوء الحقائب بالانفال ، والجوانح بالسرور ، والايام بالذكر عنه وعن قومه ، ومضى خالد لوجهه في فلٍّ من قومه . ولحق بجبل راشد الى ان كان من امره ما نذكره ان شاء الله . والله أعلم .

الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبي زيان ثم ملك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبي زيان الى بلاد الجريد

كان سالم بن ابراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على فحص متيجة منذ انقراض مليكش ، وكانت الرياسة فيهم لأهل بيته حسبما ذكرناه في اخبارهم عند ذكر المَعْقِل . ولما كانت فتنة أبي

(١) كذا، ومقتضى السياق: وضرب أبنيته، وأبنيته هنا يقصد بها خيامه أو فساطيطه . . .

زَيَّان بعد نكبة أبي حَمُّو على بجاية ، وهبت ريح العرب ، واستغلظ امرهم ، كان سالم هذا أول من غمس يده في تلك الفتنة ، ومكر بعلي بن غالب من بيوتات الجزائر ، كان مغرباً عنها من لدن تغلب بني مَرين على المغرب الأوسط أيام أبي عِنان . ولحق بها عند ما اظلم الجو بالفتنة ، واستحكمت نفرة اهل الجزائر عن أبي حَمُّو ؛ فاظهر بها الاستبداد واجتمع اليه الاوشاب والطغام . ونكره سالم أمير الضاحية لطمعه في الاستيلاء على الجزائر ؛ فداخل في شأنه الملأ من اهل المدينة ؛ وحذرهم منه انه يروم الدعوة للسلطان أبي حمو ؛ فاستشاطوا نفرة وثاروا به ؛ حتى إذا رأى سالم أنّه قد احيط بـه تخلصه من ايديهم واخرجه الى حيّه واتلفه هنالك . وحوّل دعوة الجزائر الى الامير ابي زيان تحت استبداده ؛ حتى اذا كان من أمر بني مرين وحلول السلطان عبد العزيز بتلمسان ما قدمناه ؛ اقام دعوتهم في الجزائر الى حين مهلكه ورجوع أبي حَمُّو الى تلمسان . واقبل حينئذ جيش أبي زَيَّان الى تيطرى ؛ فاقـام سالم هذا دعوته في احيائه وفي بلد الجزائر خشية عـلى نفسه من السلطان أبي حمو ، لما كان يعتمد عليه في الادالة من أمره بالجزائر بأمر ابن عمه . ولما كان من خروج ابي زيان الى احياء رياح عـلى يد محمد بن عريف ما قدمناه ؛ واقتضى سالم عهده من السلطان وولي ابنه على الجزائر واقام سالم على امره من الاستبـداد بتلـك الاعمال واستضافة جبايتهـا لنفسه .

واوعز السلطـان الى عماله باستيفاء جبايتها ؛ فاستراب وبقي في امره على المداهنة .

وحدثت اثر ذلك فتنة خالد بن عامر ؛ فتربص دوائرها رجاء ان يكون الغلب له ؛ فيشتغل السلطان عنه . ثم بدا له ما لم يحتسب ، وكان الغلب للسلطان ولاوليائه . وكان قد حدثت بينه وبين محمد بن عريف عداوة ؛ فخشي ان يحمل السلطان على النهوض إليه ؛ فبادر بالانتقاض على أبي حمو . واستقدم الامير أبا زيان فقدم عليه ، وجأجأ بخالد بن عامر والمخالفين معـه من العرب ، فوصلوا اليه اول سنة ثمان وسبعين ، وعقد بينهم حلفاً مؤكداً ، واقام الـدعوة للامير أبي زيان بالجزائر . ثم زحفوا الى حصار مليانة ، وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم ، ورجعوا الى الجزائر فهلك خالد بن عامر على فراشه ودفن بها . وولي امر قومـه من بعده المسعود ابن اخيه صغير ؛ ونهض اليهم السلطان ابو حمو من تلمسان في قومه واوليـائه من العرب ؛ فامتنعوا بجبـال حُصَيْن . وناوشتهم جيوش السلطان القتال باسافل الجبل ؛ فغلبوهم عليها وانفضت الناجمة عنهم من الديالم والعطاف وبني عامر ؛ فلحقوا بالقفر . ورأى سالم واصحابه أن قـد أُحيط بهم فلاذ بالطاعة ، وحمل عليها اصحابه . وعقد لهم السلطان من ذلك ما ارادوه ، على أن يفارقوا الامير أبا زيان ففعلوا . وارتحل عنهم فلحق ببلاد ريغ ، ثم اجازها الى نفطة من بلاد الجريد ، ثم الى توزر ؛ فنزل

على مقدمها يحيى بن يملول ؛ فاكرم نزله واوسع قراه إلى ان كان من امره ما نذكر .

ورجع السلطان أبو حمّو الى تِلِمْسان ، وفي نفسه من سالم حزازة لكثرة اضطرابه ومسارعته الى الفتن ، حتّى توسط فصل الشتاء ، وابعدت العرب في مشاتيها ؛ فنهض من تلمسان في جيوش زناتة ؛ واغذ السير ؛ فصبح فحص متيجة بالغارة الشعواء . واجفلت الثعالبة فلحقوا برؤوس الجبال ، وامتنع سالم بجبل بني خليل . وبعث ابنه واولياءه الى الجزائر ؛ فامتنعوا بها وحاصروها اياماً . ثم غلبوه على مكامنه ؛ فانتقل الى بني مَيْسَرَة من جبال صَنْهاجَة . وخلّف أهله ومتاعه ، وصار الكثير من الثعالبة الى الطاعة ، واسهلوا بأمان السلطان وعهده الى فحص متيجة . وبعث هو اخاه ثابتاً الى السلطان ؛ فاقتضى له العهد ؛ ونزل من رأس ذلك الشاهق الى ابنه أبي تاشفين ؛ فأوصله الى السلطان احدى ليالي العشر الأواخر من رمضان ، فأخفر عهده وذمة ابنه ، وتقبض عليه صبيحة ليلته . وبعث قائده الى الجزائر فاستولى عليها واقام دعوته بها ، واوفد عليه مشيختها فتقبض عليهم ، وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن برغوث ، ورجع الى تلمسان فقضى بها عيد النحر . ثم أخرج سالم بن ابراهيم من محبسه الى خارج البلاد ، وقتل قعصاً بالرماح ، ونصب شلوه ، واصبح مثلًا في الآخرين . والبقاء لله .

وعقد السلطان لابنه المنتصر على مِليانَة واعمالها ، ولابنه أبي

زيّان على وهران. وراسله ابن يملول صاحب تُوزَر، وصهره ابن مُزني صاحب بَسْكَرَة، وأولياؤهما من الكعوب والدواودة، لما اهمهم أمر السلطان أبي العباس. وخافوه على أمصارهم؛ فراسلوا أبا حمو يضمنون له مسالمة أبي زيان، على ان يوفي له بما اشترط له من المال، وعلى ان يشب نار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين ليشغل السلطان ابا العباس عنهم، على حين عجز أبي حمو عن ذلك وضعف الدولة عنه. فاوهمهم من نفسه القدرة واطمعهم في ذلك. وما زال يراجعهم ويراجعونه بالمقاربة والوعد، الى ان احيط بابن يملول، واستولى السلطان على بلده فلحق بيسكرة، وهلك بها لسنة من خروجه آخر سنة احدى وثمانين. وبقي ابن مزني من بعده متعللاً بتلك الاماني الكاذبة، الى ان ظهر امره وتبين عجزه؛ فراجع طاعة السلطان أبي العباس واستقام على الموادعة. ولحق الامير ابو زيان بحضرة السلطان بتونس، فنزل بها اكرم نزل مؤملاً منه المظاهرة على عدوه. والحال بالمغرب الاوسط لهذا العهد على ما شرحناه مراراً، من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الامصار. وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها الى مراكزها بسيف البحر، وتضاؤل قدرتها عن قدرتهم، واعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الاموال، واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الامصار، والقنوع بالتضريب بينهم والاغراء بعضهم ببعض. والله ولي الامور.

قسمة السلطان الأعمال بين ولده وما حدث بينهم من التنافس

كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد: كبيرهم ابو تاشفين عبد الرحمن. ثم بعده اربعة لأم واحدة، كان تزوجها بمَيْلَةَ من أعمال قُسَنْطِينَةَ أيام جولته في بلاد الموحدين كبيرهم المنتصر. ثم ابو زيان محمد. ثم عمر، ويلقب عُمَير. ثم بعدهم ولد كثيرون أبناء علات. وكان ابو تاشفين ولي عهده، وقد رفعه على الباقين، واشركه في امره، واوجب له الحق على وزراء دولته؛ فكان لذلك رديفه في ملكه ومظهر سلطانه. وكان مع ذلك يتعاهد اولئك الاخوة الاشقاء بحنوه، ويقسم لهم من ترشيحه والنجي في خلوته، فيغص ابو تاشفين منهم. فلما استفحل امر السلطان، وانمحت من دولته اثار الخلاف، اعمل نظره في قسمة الاعمال بين ولده، وترشيحهم للامارة، والبعد بهم عن اخيهم أبي تاشفين، ان يصيبهم مكروهه عند ايناس الغيرة منهم: فولى المنتصر كبيرهم على مليانة واعمالها، انفذه اليها، ومعه اخوه عمر الاصغر في كفالته. وولى اخاهما الاوسط أبا زيان، على المِدْيَة وما اليها من بلاد حصين. وولى ابنه يوسف بن الزابية على تدلس ما اليها من آخر اعماله. واستقر ابوهما على ذلك. ثم كان من انتقاض سالم الثعالبي بالجزائر ما قدمناه؛ فنمي الى السلطان ان ابنه ابا زيان داخله في الخلاف. فلما فرغ من امر سالم كما مر، وطرد أبا زيان ابن عمه عن أعماله إلى الجريد، أعمل نظره في نقل ابنه

أبي زيان من المدية إلى ولاية وهران واعمالها بعدا به عن العرب المجلبين في الفتن، وانزل معه بعض وزرائه عينا عليه، واقام واليا عليها . والله أعلم .

وثبة أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه

كان أول شيء حدث من منافسة أبي تاشفين لاخوته، أنّ السلطان لما ولى ابنه أبا زيان على وهران وأعمالها، طلبه أبوتاشفين في ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهراً، وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته في كتابها حتى يرى المخلص من ذلك؛ فأقام الكاتب يطاوله . وكان في الدولة لئيم من سفلة الشرط يدعي بموسى بن يخلف، صحبهم أيام الاغتراب بتيكورارين، أيام مَلَكَ تلمسان عليهم عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن كما مر . وخلا له هنالك وجه السلطان أبي حمو وابنه؛ فتقرب اليه بخدمته ورعاها له . فلما رجع السلطان الى تلمسان بعد مهلك عبد العزيز، قدّمه واثره واستخلصه؛ فكان من اخص بطانته . وكان أبو تاشفين أيضاً استخلصه، وجعله عيناً على أبيه . وكان هو أيضاً يغص بابن خلدون كاتب السلطان، ويغار من تقدمه عنده ويغري به ابا تاشفين جهده؛ فدس اليه اثناء هذه المطاولة ان الكاتب ابن خلدون إنّما مطله بالكتاب خدمة لأبي زيان أخيه، وايثاراً له عليه، فاستشاط لها أبو تاشفين وترصده منصرفه من القصر الى بيته بعد التراويح، في إحدى ليالي رمضان سنة ثمانين في رهط من الاوغاد كان

يطوف بهم في سكك المدينة، ويطرق بهم بيوت اهل السرو والحشمة في سبيل الفساد؛ فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتاً. وغدا الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام في ركائبه وبثّ الطلب عن اولئك الرهط في جوانب المدينة. ثم بلغه أنّ ابنه ابا تاشفين صاحب الفعلة؛ فأغضى وطوى عليها جوانحه، واقطع ابا تاشفين مدينة وَهْران كما وعده. وبعث ابنه ابا زيان على بلاد حُصَيْن والمدية كما كان. ثم طلب ابو تاشفين من ابيه ان تكون الجزائر خالصة له؛ فاقطعه إيّاها. وانزل بها من اخوته يوسف بن الزابية، بما كان شيعة له من بينهم وفيئة في صحبته ومخالصته؛ فاقام والياً عليها. والله أعلم

حركة السلطان أبي حمو على ثغور المغرب الأقصى ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة

كان السلطان ابو العباس ابن السلطان أبي سالم ملك بني مرين بالمغرب الاقصى، قد نهض في عساكره سنة احدى وثمانين [1] الى مَرّاكُش، وبها الامير عبد الرحمن بن بويفلوسن بن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه. وكان قد سوغ له مراكش واعمالها عند ما اجلب معه على البلد الجديد سنة خمس وسبعين كما في اخبارهم. واستقر الامير عبد الرحمن بمراكش. ثم حدثت الفتنة

(١) كذا، وفي ب: سنة ثلاث وثمانين.

بينه وبين السلطـان احمد ، ونهض اليه من فاس ؛ فحاصره اولى وثانية ، يفرج فيهما عنه . ثم نهض اليه سنة اربع وثمانين ؛ فحاصره واخذ بمخنقه واطال الحصار . وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المَعْقِل من العرب منتقضاً على السلطان . وقد بعث السلطان العساكر الى احيـائه ؛ فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه بسجلماسة ورجعوا . وأقام هو بصحرائه منتقضاً . فلما جهد الحصار الامير عبد الرحمن بمراكش ، بعث أبا العشائر ابن عمه منصور ابن السلطان أبي علي الى يوسف بن علي بن غانم ، ليجلب به على فاس وبلاد المغرب ؛ فياخذ بحجرة السلطان وينفس من مخنقه ؛ فسار يوسف بن علي مع أبي العشائر الى السلطان أبي حمّو بتلمسان يستنجده على هذا الغرض لقدرته عليه دون العرب ؛ بما له من العساكر والابهة ؛ فأنجده على ذلك . وقدم ابنه ابا تاشفين معهم ، وخرج هو في أثرهم فساروا الى المغرب . ونزل يوسف بن علي بقومه قريباً من مكناسة ، ومعه الامـيران ابو العشائر وابو تاشفين . وجاء ابو حمو من خلفهم فحاصر تازى سبعـاً ، وخرب قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان .

وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيله ؛ وكان هنالك عرب المنبات من المعقل قد دخلوا للميرة ؛ فاهاب بهم ونزمـار بن عريف وليّ الدولة من عرب سويد ؛ وهو نازل بقصر مرادة من احواز تازى ؛

فاستألفهم لمدافعة أبي حمو وابنه . وخرج بهم علي بن مهدي . ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف خمس وثمانين؛ فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب؛ واتبعهم علي بن مهدي بمن معه من المنبات . واجفل أبو حمو عن تازى، ومر بمرادة قصر وزمار فهدمه وعاث فيه، وانكفأ راجعاً الى تلمسان. وفارق ابنه ابو تاشفين اصحابه ابا العشائر والعرب، ولحق بابيه الى ان كان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بحصن تاجحومت

ولما استولى السلطان أبو العباس على مَرَّاكُش كما قلناه، رجع الى دار ملكه بفاس وقد اسفه السلطان ابو حمو باجلابه على وطنه هو وابنه ابو تاشفين مع العرب ايام مغيبه بمراكش؛ فاجمع الرحلة الى تلمسَان، وخرج في عساكره. وراجع يوسف بن علي الطاعة، ورحل معه في جموعه . وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو؛ فتردد بين الحصار بتلمسان ومفارقتها . وكان بينه وبين ابن الأحمر صاحب الاندلس مواصلة، ولابن الأحمر دالة على السلطان أبي العباس كما مر . فكان يخفض له الشان في قصد تلمسان ويلبثه عنها فيعطيه المقادة في ذلك، فيملل هو السلطان أبا حمو بأن السلطان أبا العباس لا يصل اليه . ثم أجمع السلطان أبو العباس امره،

ونهض على حين غفلة مغذاً الى تلمسان . وتقدم الخبر الى أبي حمو فاجمع مفارقة تلمسان بعد أن أظهر لأوليائه وأهل دولته أنه على الحصار . ثم خرج حين غشيه الليل الى معسكره بالصفيف ؛ وافتقده أهل بلده من صبيحتهم ؛ فتبادر أكثرهم اليه متعلقين بأذياله خوفا من معرة العدو ثم ارتحل يطوي المراحل الى البطحاء ودخل السلطان أبو العباس تلمسان ، واستولى عليها ، وجهز العساكر لأتباع أبي حمو وقومه ؛ فأجفل من البطحاء ولحق بتاجحمومت ؛ فاعتصم بمعقلها . ولحق به ابنه المنتصر من مليانة بما كان معه من الذخيرة ؛ فاستمد بها وأقام هنالك عازماً على الامتناع والله تعالى أعلم .

رجوع السلطان أبي العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبي حمو الى ملكه بتلمسان

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان ، طير كتبه ورسله بفتحها الى ابن الأحمر صاحب الأندلس ، ويعتذر له عن مخالفة رأيه في الحركة اليها . وقد كان ابن الاحمر اسفه ذلك الى ما انضم اليه من النزعات الملوكية التي يؤسف بها بعضهم بعضاً ، وهو يطوي جوانحه عليها واطلع على فساد طاعة السلطان أبي العباس في أهل دولته ونغل ضمائرهم له ؛ فأزعج لوقته موسى بن السلطان أبي عنان من أعياص ملكهم ، كان عنده بالاندلس ،

وجهزه بما يحتاج اليه وبعث في خدمته مسعود بن رحو بن ماساي وزيرهم المشهور ، واركبه السفن الى سبتة ؛ فنزلوا بسَاحتها اول ربيع سنة ست وثمـانين واستولوا عليها . ثم تقدموا الى فاس ؛ فنازلوا دار الملك أياماً ، وبها محمد بن عثمان القائم بدولة السُّلطَـان أبي العباس والمستبد عليه ، واشتدوا في حصارها ، وتوافت اليهم الامداد والحشود ، فداخله الخور والقي بيده . ودخل السُّلطَان موسى الى دار الملك تاسع عشر ربيع الاول من السَنة ، وجلس عـلى اريكته ، واتاه الناس طاعتهم . وطار الخبر الى السلطَان أبي العباس بتلمسَان ، وقد تجهز الاتبـاع لأبي حُمّو ونزل على مرحلة من تلمسَان بعد أن أغراه ونزمـار بن عريف امـير سويد بتخريب قصور الملك بتلمسَان ، وكانت لا يعبر عن حسنها ، اختطها السُّلطَان ابو حمو الاول وابنه ابو تاشفين ، واستدعى لها الصناع والفعلة من الاندلس ، لحضارتهـا وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسَان . فبعث اليهما السُّلطَان ابو الوليد صاحب الاندلس بالمهرة والحذاق من اهل صناعة البناء بالاندلس ؛ فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبسَاتين بما اعيا على الناس بعدهم ان يأتوا بمثله ؛ فاشار ونزمار على السُّلطَان ابي العباس بتخريب هذه القصور واسوار تلمسَان انتقاماً بزعمه من ابي حمو ، واخذاً بالثار منه فيما اعتمده من تخريب دار الملك بتازى ، وتخريب قصره هو بمرادة ؛ فاتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر . وبينما هو في ذلـك ، وهـو يروم السفر لاتبـاع

أبي حمو ، إذ جاءه الخبر بان السلطان موسى ابن عمه السلطان أبي عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس واقتعد اريكتهم ؛ فكر راجعاً الى المغرب لا يلوي على شيء ، وترك تلمسان لشأنها ، وكان من امره ما يأتي ذكره في أخباره . وطار الخبر الى السلطان أبي حمو بمكانه من تاجحمومت ؛ فأغذّ السير الى تلمسان ودخلها ، وعاد الى ملكه بها . وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها ، ورجع دولة بني عبد الواد وسلطانهم بتلمسان . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تجدد المنافسة بين ولد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك لهم وولايته

كان التنافس بين هؤلاء الولد خفياً على الناس ، بما كان السلطان ابوهم يدامل بينهم ويداري بعضهم عن بعض . فلما خرجوا امام بني مرين وعادوا الى تلمسان ، صار تنافسهم الى العداوة . واتهم أبو تاشفين اباه بممالأة اخوته عليه؛ فشمر لعقوقه وعداوته. وشعر السلطان بذلك ؛ فعمل الحركة الى ناحية البطحاء مورياً باصلاح العرب ، ومعتزما على لقاء ابنه المنتصر بمليانة ، ليصل به جناحه ويتخطى الى الجزائر ؛ فيجعلها دار ملكه بعد ان استخلف بتلمسان ابنه ابا تاشفين وحالفه على المناصحة . واطلع موسى بن يخلف على خبية السلطان في ذلك ؛ فدس بها الى أبي تاشفين على عادته؛

فطار به الاسف كل مطار. واغذ السير من تلمسان فيمن معه من العسكر، وصبح أباه باسافل البطحاء قبل ان يتصل بالمنتصر. وكشف له القناع عن النكير والتسخط على ما بلغه؛ فحلف له السلطان على ذلك وارضاه بالرجوع معه الى تلمسان فرجعا جميعاً.

خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله اياه

لما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمنتصر، دسّ اليه مع خالصة من اهل دولته يعرف بعلي بن عبد الرحمن بن الكليب بأحمال من المال يودعها عنده، الى ان يجد السبيل لحاجة نفسه. وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص اليه. واطلع موسى بن يخلف على ذلك؛ فأطلع ابا تاشفين على الخبر؛ فبعث في اثره من حاشيته من اغتال ابن كليب في طريقه. وجاء اليه بالمال والكتب، فاطلع منها على حقيقة امرهم وانهم متربصون به؛ فاستشاط وجاهر اباه وغدا عليه بالقصر؛ فوقفه على الكتاب وبالغ في عذله. وتحيز موسى بن يخلف إلى أبي تاشفين، وهجر باب السلطان واغرى به ابنه؛ فغدا على ابيه بالقصر بعد أيام وخلعه، واسكنه بعض حجر القصر. ووكل به واستخلص ما كان معه من الاموال والذخيرة. ثم بعث به الى قصبة وهران؛ فاعتقله بها. واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته، وذلك آخر ثمان وثمانين. وبلغ الخبر الى المنتصر بمليانة وأبي زيان وعُمَير؛ فلحقوا

بقبائل حُصَيْن واستذموا بهم؛ فاذموهم وازلوهم عنـدهم بجبل تيطرى. وجمع ابو تاشفين العساكر واستألف العرب من سُوَيْد وبني عامر، وخرج في طلب المنتصر واخوته، ومر بمليانة فملكها. ثم تقدم الى جبل تيطرى، وأقام في حصارهم به، وهم ممتنعون عليه. والله تعالى أعلم.

خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه في السفين الى المشرق

لما طال مقام أبي تاشفين على تيطرى لحصار اخوته، ارتاب بأمر أبيه وطول مغيبه عنه. وشاور أصحابه في شأنه؛ فأشاروا بقتله واصفقوا على ذلك؛ فبعث أبو تاشفين ابنه أبا زيان في لمة من حاشيته: فيهم ابن الوزير عِمْران بن موسى، وعبد الله ابن الخراساني؛ فقتلوا من كان معتقلاً بتِلِمْسان من ابناء السلطان، وتقدموا الى وهران. وسمع أبو حمو بقدومهم؛ فأوجس الخليفة منهم، واطلع من جدران القصبة ينادي بالصريخ في اهل البلد؛ فتبادروا اليه من كل جهة وتدلى لهم بحبل وصله من عمامته التي كان متعمماً بها؛ فتناولوه حتى استقر بالارض واجتمعوا عليه. وكان الرهط الذين جاؤا لقتله بباب القصر، وقد اغلقه دونهم. فلما سمعوا الهيعة واستيقنوا الأمر، طلبوا النجاة بدمائهم. واجتمع على السلطان اهل البلد. وتولى كبر ذلك خطيبهم، وجددوا له

البيعة . وارتحل من حينه الى تلمسان ؛ فدخلها اوائل سنة تسع وثمانين ؛ وهي يومئذ عورة بما كان بنو مرين هدموا اسوارها وازالوا حصنها . وبعث فيمن كان مخلفاً بأحياء بني عامر من اكابرهم ووجوههم ؛ فقدموا عليه . وطار الخبر الى ابي تاشفين بمكانه من حصار تيطرى ، فانكفأ راجعاً الى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب ، وبادره قبل ان يستكمل امره فاحيط به . ونجا الى مأذنة المسجد الجامع ؛ فاعتصم بها . ودخل ابو تاشفين القصر ، وبعث في طلبه . واخبر بمكانه ؛ فجاء اليه بنفسه واستنزله من المأذنة . وادركته الرقة ؛ فجهش بالبكاء وقبل يده وغدا به الى القصر . واعتقله ببعض الحجر هنالك ورغب اليه ابوه في تسريحه الى المشرق لقضاء فرضه ؛ فشارط بعض تجار النصارى المترددين الى تلمسان من القيطلان على حمله الى الاسكندرية ، واركبه السفين معهم باهله من فرضة وهران ذاهباً لطيبة موكلا به . واقبل ابو تاشفين على القيام بدولته . والله تعالى أعلم .

نزول السلطان أبو حمو ببجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان ابو حمو السفين ذاهباً الى الاسكندرية ، وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجاية ، داخل صاحب السفين في ان ينزله ببجاية فاسعفه لذلك . فخرج من الطارمة التي كان بها معتقلاً ،

وصار الموكلون به في طاعته . وبعث الى محمد بن أبي مهدي قائم الاسطول بجاية المستبد على اميرها من ولد السلطان أبي العباس ابن أبي حفص . وكان محمد بن وارث خالصة المنتصر بن أبي حمّو من ناشئة دولتهم ، قد خلص الى بجاية من تيطرى بعد ما تنفس الحصار عنهم ، فبعثه ابن أبي مهدي الى السلطان أبي حمو بالاجابة الى ما سأل . وأنزله بجاية آخر سنة تسع وثمانين ، وأسكنه بستان الملك المسمى بالرفيع . وطير بالخبر الى السلطان بتونس ، فشكر له ما أتاه من ذلك ، وأمره بالاستبلاغ في تكرمته ، وأن يخرج عساكر بجاية في خدمة ابي حمو الى حدود عمله متى احتاج اليها . ثم خرج السلطان أبو حمّو من بجاية ، ونزل متيجة ، واستنفر طوائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه . ونهض يريد تِلِمْسان . واعصوصب قومه بنو عبد الواد على أبي تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال ، فنابذوا السلطان أبا حمو واستصعب عليه امرهم . وخرج الى الصحراء ، وخلف ابنه أبا زيّان في جبال شِلْف مقيماً لدعوته . وبلغ الى تامة من ناحية المغرب . وبلغ الخبر الى أبي تاشفين ، فبعث عسكراً الى شلف مع ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبدالله بن مسلم ، فتواقعوا مع أبي زيان بن السلطان أبي حمو فهزمهم . وقتل ابا زيان ابن أبي تاشفين ووزيره ابن مسلم ، وجماعة من بني عبد الواد . وكان أبو تاشفين لما بلغه وصول ابيه الى تامة ، سار اليه من تلمسان في

جموعه. فأجفل أبو حمو الى وادي صا[1]، واستجاش بالأحلاف من عرب المعقل هنالك فجاؤا لنصره. وعاود تامة فنزلها، وأقام أبو تاشفين قبالته. وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله، فولى منهزماً الى تلمسان وأبو حمو في أتباعه. ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة في طائفة من العسكر لمحاولة العرب في التخلي عن أبي حمو، فانتهز أبو حمو به الفرصة وهزمه وقبض عليه. وبلغ الخبر الى أبي تاشفين بتلمسان، وكان يؤمل الحج عند سعادة فيما توجه فيه فأخفق سعيه. وانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه، وخرج هارباً من تلمسان مع أوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء. ودخل السلطان أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسعين. وقدم عليه ابناؤه، فأقاموا معه بتلمسان، فطرق المنتصر ابنه المرض فهلك بها لأيام عن دخوله تلمسان، واستقر الأمر على ذلك. والله أعلم.

نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان أبي حمو

لما خرج أبو تاشفين من تلمسان أمام أبيه، واتصل بأحياء سويد، أجمعوا رأيهم على الاستنجاد بصاحب المغرب؛ فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس، وسلطان بني مرين صريخين على شأنهما؛ فقبل وفادتهما

(١) هو وادي (زا) ويقع عن يمين وادي ملوية، ونطقه عندهم بين الصاد والزاي.

ووعدهما بالنصر من عدوهما. وأقام أبو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين ابي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس وشيجة ود وعقيدة وصلة، ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة ابي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على امره منذ اول دولته؛ فبعث اليه ابو حمو في الدفاع عنه باجازة ابي تاشفين من المغرب اليه، فلم يجبه صاحب المغرب لذلك وفاء بذمته؛ وعلله بالقعود عن نصره. وألح عليه ابن الاحمر في ذلك؛ فتعلل بالمعاذير. وكان ابو تاشفين قد عقد لاول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف ابن علال حلفاً اعتقد الوفاء به؛ فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه؛ فلم يزل يفتل للسلطان في الذروة والغارب؛ ويلوي عن ابن الاحمر المواعيد حتى اجابه السلطان إلى غرضه.

وسرح ابنه الامير أبا فارس، والوزير محمد بن علال في العساكر لمصارخة أبي تاشفين. وفصلوا من فاس اواخر احدى وتسعين، وانتهوا الى تازى. وبلغ خبرهم الى السلطان أبي حمو؛ فخرج من تلمسان وجمع اشياعه من بني عامر والجراح بن عبيدالله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان، واقام بالغيران من جهاته. وبلغ الخبر الى ابي تاشفين؛ فقدم الى تلمسان وجدد المكر والخديعة شيطان الشر والفتنة موسى بن يخلف؛ فاستولى عليها واقام دعوة أبي تاشفين فيها؛ فطير أبو حمو ابنه عمير اليه؛ فصبحه بها لليلة من مسيره؛ فأسلمه اهل البلد. وتقبض عليه،

وجاء به اسيرا الى ابيه بمكانه من الغيران ؛ فوبخه ابو حمو على فعاله . ثم اذاقه اليم عقابه ونكاله ، وامر بـه فقتل اشنع قتلة . وجاءت العيون الى ابي فارس ابن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو واعرابه بالغيران ؛ فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه . وسار امـامهم سليان بن ناجي من الاحلاف احدى بطون المعقل، يدلُّ بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من احياء الخراج في مكان مقامتهم بالغيران . وناوشوهم القتال فلم يطيقوهم لكثرتهم وولوا منهزمين . وكبا بالسلطان أبي حمو فرسه ؛ فسقط وادركه بعض فرسانهم وعرفه ؛ فقتلوه قعصاً بالرماح . وجاءوا برأسه الى الوزير ابن علال وأبي تاشفين ، وجاءوا بابنه عُمَيْر اسيراً . وهمَّ ابو تاشفين اخوه بقتله فمنعوه اياماً ؛ ثم امكنوه منه فقتله . ودخل ابو تاشفين الى تلمسان آخر سنة احدى وتسعين . وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد ، حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المـال . ثم قفلوا الى المغرب واقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب ، ويخطب له على منابره ، ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه، الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى .

مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب

كان السلطان ابو حمو قد ولى على الجزائر ابنه أبا زيّان ،

لما عاد الى ملكه بتلمسان ، واخرج منها ابا تاشفين . فلما قتل أبو حمو بالغيران كما قلناه ، خرج ابو زيان من الجزائر ناجياً الى احياء حُصَيْن يؤمل الكرة بهم والاخذ بثأر أبيه واخيه ، فاشتملوا عليه واجابوا صريخه . ثم وفد عليه امراء بني عامر من زغبة يدعونه لملكه ، فسار اليهم . وقام بدعوته وطاعته شيخهم المسعود بن صغير ، ونهضوا جميعاً إلى تلمسان في رجب سنة اثنتين وتسعين فحاصروها اياماً . ثم سرب ابو تاشفين المال في العرب ، فافترقوا عن أبي زيان . وخرج اليه ابو تاشفين ، فهزمه في شعبان من السنة . ولحق بالصحراء واستألف احياء المعقل ، وعاود حصار تلمسان في شوال . وبعث ابو تاشفين ابنه صريخاً الى المغرب ، فجاءه بمدد من العسكر . ولما انتهى الى تاوريرت افرج أبو زيان عن تلمسان ، واجفل الى الصحراء . ثم اجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب، فوفد عليه صريخاً ؛ فتلقاه وبر مقدمه . ووعده النصر من عدوه ، وأقام عنده الى حين مهلك أبي تاشفين . والله تعالى أعلم .

وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكاً على تلمسان ومقيماً فيها لدعوة صاحب المغرب أبي سالم ، ومؤديا الضريبة التي فرضها عليه منذ ملك ، وأخوه الامير ابو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده في النصر عليه . حتى تغير السلطان ابو العباس على أبي

تاشفين في بعض النزعات الملوكية ؛ فأجاب داعي أبي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان ؛ فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين، وانتهى الى تازى ، وكان ابو تاشفين قد طرقه مرض ازمن به ، ثم هلك منه في رمضان من السنة . وكان القائم بدولته احمد بن العز من صنائعهم ، وكان يمت اليه بخؤولة ؛ فولى بعده مكانه صبياً من ابنائه وقام بكفالته . وكان يوسف بن أبي حمو وهو ابن الزابية والياً على الجزائر من قبل أبي تاشفين ؛ فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب ودخل تلمسان؛ فقتل أحمد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه أبي تاشفين . فلما بلغ الخبر الى السلطان أبي العباس صاحب المغرب خرج الى تازى ، وبعث من هنالك ابنه ابا فارس في العساكر ، ورد ابا زيان بن ابي حمو إلى فاس ووكل به. وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان؛ فملكها وأقام فيها دعوة أبيه. وتقدم وزير أبيه صالح بن حمو الى مِلْيانَةَ ؛ فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية . واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجحمومت . وأقام الوزير صالح يحاصره ، وانقرضت دعوة بني عبد الواد من المغرب الأوسط . والله غالب على امره .

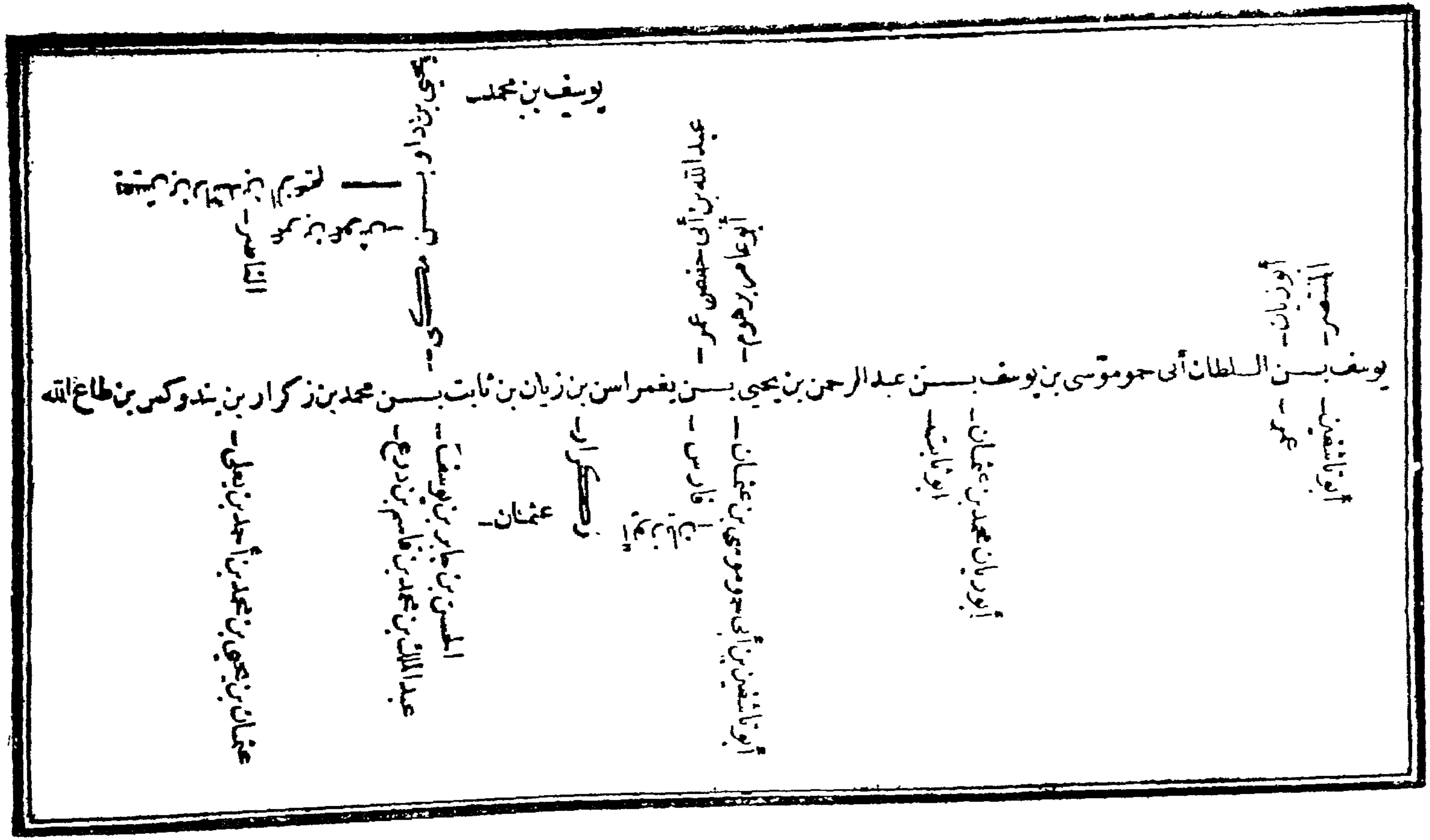
وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الأوسط

كان السلطان ابو العباس بن أبي سالم ، لما وصل الى تازى ،

وبعث ابنه ابا فارس الى تلمسان؛ فملكها اقام هو بتازى يشارف احوال ابنه ووزيره صالح الذي تقدم ليفتح البلاد الشرقية. وكان يوسف بن علي بن غانم امير اولاد حسين بن المَعْقِل قد حج سنة ثلاث وتسعين، واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق. وتقدمت الى السلطان فيه واخبرته بمحله من قومه؛ فاكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب؛ يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك. فلما قدم يوسف بن علي بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها، وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها. وشرع في المكافأة عنها بتخيُّر الجياد والبضائع والثياب، حتى استكمل من ذلك ما رضيه، واعتزم على انفاذها مع يوسف بن علي حاملها الاول. وانه يرسله من تازى ايام مقامته تلك؛ فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه في محرم سنة ست وتسعين. واستدعوا ابنه ابا فارس من تِلِمْسان؛ فبايعوه بتازى وولوه مكانه. ورجعوه الى فاس، واطلقوا ابا زيان بن أبي حمو من الاعتقال. وبعثوا به الى تلمسان اميراً عليها، وقائماً بدعوة السلطان أبي فارس فيها؛ فسار اليها وملكها. وكان اخوه يوسف ابن الزابية قد اتصل باحياء بني عامر ويروم ملك تلمسان والاجلاب عليها؛ فبعث اليهم ابو زيان عند ما بلغه ذلك. وبذل لهم عطاء جزيلا على ان يبعثوا به اليه؛ فاجابوا الى ذلك واسلموه الى ثقات أبي زيان. وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه

منهم ، فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى أخيه أبي زيان ؛ فسكنت احواله وذهبت الفتنة بذهابه ، واستقامت امور دولته ، وهم على ذلك لهذا العهد . والله غالب على امره .

وقد انتهى بنا القول في دولة بني عبد الواد من زَناتَة الثانية ، وبقي علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم الى بني مَرين منذ اول الدولة : وهم بنو كمي من فصائل علي بن القاسم اخوة طاع الله ابن علي ، وخبر بني كندوز امرائهم بمراكش . فلنرجع الى ذكر اخبارهم ، وبها نستوفي الكلام في اخبار بني عبد الواد . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .



يوسف بن السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن يندوكس بن طاع الله
يوسف بن محمد
يحيى بن داود
عبد الله بن أبي حفص عمر
أبو عامر برهوم
أبو زيان
المنتصر
أبو زيان محمد بن عثمان
أبو ثابت
فارس
عثمان
عثمان بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يعلى

بنو كمي

الخبر عن بني كمي احدى بطون بني القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا إلى بني مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة

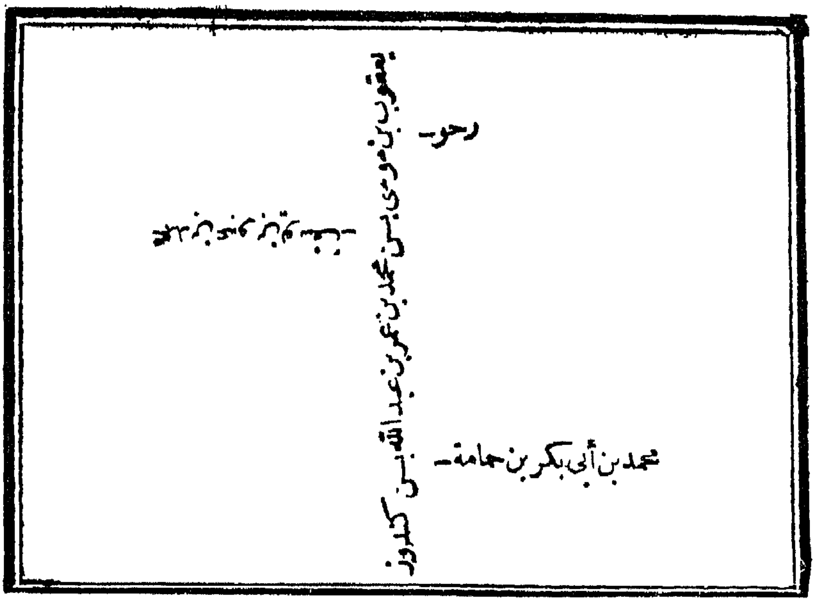
تقدم لنا اول الكلام في بني عبد الواد أنّ بني كمي هؤلاء من شعوب القاسم ، وأنّهم بنو علي بن يمل بن يركن بن القاسم ، اخوة بني طاع الله وبني دلوك وبني معطي بن جوهر بن علي. وذكرنا ما كان بين بني طاع الله وبين اخوانهم وبين بني كمي من الفتنة ، وكيف قتل كندوز بن عبد الله ، كبير بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله ، وأنّ جابر بن يوسف بن محمد القائم بالامر من بعده ثار منهم بزيان ، وقتل به كندوزاً غيلة او حرباً ، وبعث براسه الى يغمراسن بن زيان ، فنصب عليه اهل بيته القدور شفاية لنفوسهم . واستمر الغلب بعدها على بني كمي ، فلحقوا بحضرة تونس ، وكبيرهم اذ ذاك عبد الله بن كندوز . ونزلوا على الامير ابي زكرياء ، حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدّمنا ذكره . وطمع عبد الله في الاستبداد بتلمسان ؛ فلم يتفق ذلك . ولما هلك مولانا الأمير أبو ذكرياء ، ولي ابنه

المستنصر، اقام عبد الله صدراً من دولته. ثم ارتحل هو وقومه الى المغرب، ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبيل فتح مرّاكُش، فاهتز يعقوب لقدومه واحلّه بالمكان الرفيع من دولته. وأنزله وقومه بجهات مراكش، واقطعهم البلاد التي كفتهم مهاتهم. وجعل السلطان انتجاع إبله وراحلته في أحيائهم. وقدّم على رعايتها حسان بن أبي سعيد الصبيحي وأخاه موسى، وصلا في لفيفة من بلاد الشرق، وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها. واقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويبعدون في نجعتها الى ارض السوس. واوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المستنصر صاحب افريقية، سنة خمس وستين، مع عامر ابن اخيه ادريس كما قدمناه. والتحم بنو كمي ببني مرين، واصبحوا احدى بطونهم. وهلك عبد الله بن كندوز، وصارت رئاستهم من بعده لابنه عمر ابن عبد الله. فلما نهض يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الى المغرب الاوسط، وشغل بحصار تلمسان، وتحدث الناس بما نزل بعبد الواد من بني مرين، اخذت بني كمي الحمية، وامتعضوا لقومهم، واجمعوا الخلاف والخروج على السلطان. ولحقوا بالحاحة سنة ثلاث وسبعماية، واستولوا على بلاد السوس؛ فخرج اليهم اخو السلطان الامير بمراكش يعيش بن يعقوب؛ فناجزوه الحرب بتادرت وغلبوه، واستمروا على خلافهم. ثم عاود محاربتهم بتامطريت سنة اربع بعدها؛ فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم. وقتل عمر بن

عبد الله وجماعة من كبرائهم، وفروا امامه الى الصحراء، ولحقوا بتلمسان. وهدم يعيش بن يعقوب تارودنت قاعدة ارض السوس. وقام بنو كندوز بعدها بتلمسان نحواً من ستة اشهر. ثم توجسوا للغدر من ولد عثمان بن يَغْمَراسِن؛ فرجعوا الى مراكش. واتبعتهم عساكر السلطان، وابلى منهم في القتال عنهم محمد بن أبي بكر بن حمامة بن كندوز، وخلصوا الى منجاتهم مشردين بصحراء السوس، الى ان هلك السلطان يوسف بن يعقوب. وراجعوا طاعة الملوك بالمغرب؛ فعفوا لهم عما سلف من هذه الجريرة. وعاودوهم الى مكانهم من الولاية؛ فامحضوا النصيحة والمخالصة. وكان اميرهم من بعد عمر ابنه محمد، اقام في امارتهم سنتين [1]. ثم ابنه موسى ابن محمد من بعده كذلك. واستخلصه السلطان ابو الحسن ايام الفتنة بينه وبين أخيه ابي علي، لعهد ابيهما السلطان أبي سعيد ومن بعده؛ فكانت له في المدافعة عن نواحي مراكش اثار وايام. ثم هلك موسى بن محمد؛ فولّى السلطان ابو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى. ولما غلب على تلمسان؛ واصار بني عبد الواد في خوله وجنوده، تمشت رجالاتهم وتباثوا اشجانهم. حتى اذا كانت واقعة القيْرَوان المشهورة، وتواقف السلطان مع بني سليم، داخلهم يعقوب بن موسى في ان ينخذل عن السلطان اليهم ببني عبد الواد ومن اليهم من مغْراوة وتوجين، وواعدهم لذلك

(١) كذا، وفي نسخة: أقام في إمارتهم سنين.

ثم مشي في قومه وكافة بني عبد الواد ، فاجابوه الى ذلك . ولحقوا جميعاً ببني سليم ؛ فجروا بذلك الهزيمة على السلطان ؛ وكانت نكبة القيروان المشهورة . ولحق بعدها بنو عبد الواد بتلمسان ، وولوه امرهم في بني يَغَمْراسن . وهلك يعقوب بن موسى بافريقية ، ولحق اخوه رحّو بالمغرب . وكان السلطان أبو عِنان قد استعمل على جماعتهم وعملهم عبُّو بن يوسف بن محمد ، وهو ابن عمهم دنيا ؛ فاقام فيهم كذلك حتى هلك ؛ فولي من بعده ابنه محمد بن عبُّو . وهم على ذلك لهذا العهد ، يعسكرون للامير بمراكش ، ويتولون من خدمة السلطان هنالك ما لهم فيه الغَناء والكفاية . وكأنهم بمعزل عن بني عبد الواد ، لاستحكام العداوة بينهم بمقتل زيان بن ثابت . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

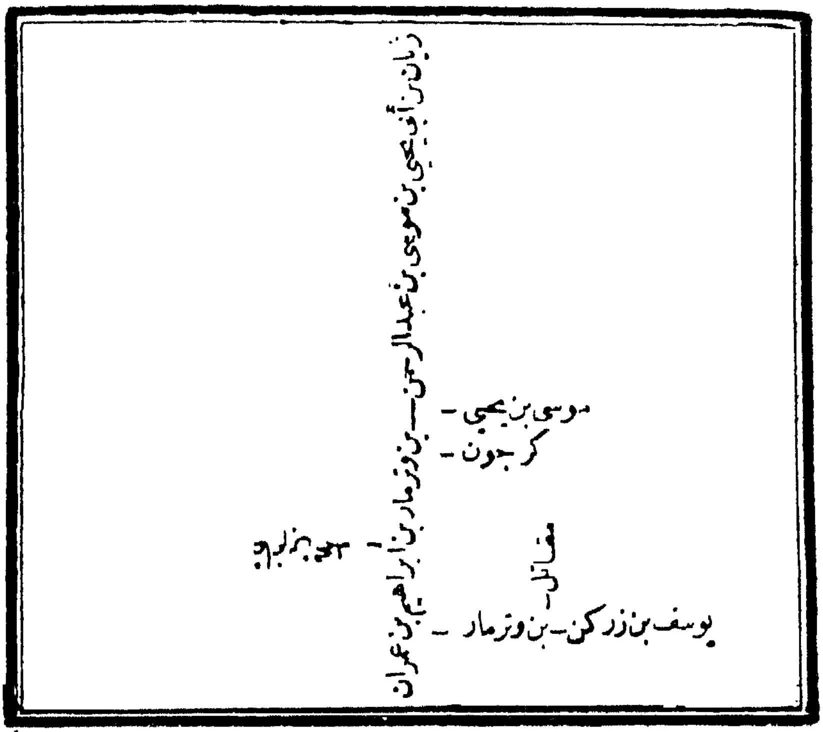


الخبر عن بني راشد بن محمد بن بادين
وذكر أوليتهم وتصاريف أحوالهم

وانما قدمنا ذكرهم قبل استتمام بطون بني بادين لأنهم لم يزالوا احلافاً لبني عبد الواد ومن جملتهم ؛ فكانت اخبارهم من اخبارهم. واما راشد ابوهم فهو اخو بادين. واختص بنوه كما قلنا ببني عبد الواد، وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم ابيهم. وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة تاسالة، وبنو ورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد. وكان جبل هوارة موطناً لبني يلومان الذين كان لهم الملك كما قدمناه. ولما اضمحل امر بني يلومان وذهبت دولتهم ؛ زحف بنو راشد هؤلاء من موطنهم بجبل راشد الى بسائط مديونة وبني ورنيد ؛ فشنوا عليهم الغارات ؛ وطالت بينهم الحرب الى ان غلبوهم على مواطنهم والجؤهم الى الاوعار : فاستوطن بنو ورنيد الجبل المطل على تلمسان، واستوطن مديونة جبل تاسالة. وملك بنو راشد بسائطهم القبلية ؛ ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد ؛ وهو بلد بني يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لاول الاسلام؛ وكان منهم ابو قرة الصفري كما قدمناه. وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمد، الامير الذي قتله جوهر الصقلي قائد الشيعة كما ذكرناه في اخبارهم. ويعلى هذا هو الذي اختط بهذا الجبل

مدينة ايفكان التي هدمها جوهر يوم قتله. فلما ملك بنو راشد هذا الجبل، استوطنوه وصار حصناً لهم، ومجالاتهم في ساحته القبلية، الى ان غلبهم العرب عليها لهذا العهد، والجؤهم الى الجبل. وكان غلب بني راشد على هذه الاوطان بين يدي دخول بني عبد الواد الى المغرب الأوسط، وكانوا شيعة لهم واحلافاً في فتنتهم مع بني توجين وبني مرين. وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عِمْران، وكان القائم بها لاول دخولهم ابراهيم بن عمران. واستبد عليه اخوه ونزمار، وقام بامرهم الى ان هلك، فولي ابنه مقاتل بن ونزمار، وقتل عمه ابراهيم. وتفرقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم وبني ونزمار، إلّا ان رياسة بني ابراهيم اظهر، فولي بعد ابراهيم ابنه ونزمار. وكان معاصراً ليغمراسن بن زيان وطال عمره؛ فلما هلك لتسعين من المائة السابعة؛ ولي امرهم غانم ابن اخيه محمد بن ابراهيم. ثم كان فيهم من بعده موسى بن يحيى بن ونزمار، لا ادري معاقباً لغانم او توسطهما احد. ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم، صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن، وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن بن ونزمار بن ابراهيم. وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن ونزمار، وانقرض امر بني عبد الواد واشياعهم. ونقل بنو مرين رؤوس زناتة أجمع الى المغرب الاقصى؛ فكان بنو ونزمار هؤلاء ممن صار الى

المغرب واوطنوه ؛ الى ان صار الامر لبني عبد الواد في الكرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف. وكان شيخ بني راشد لعهده زيان بن أبي يحيى بن موسى المذكور ، اقبل اليهم من المغرب من إيالة بني مَرين ، فاتهمه ابو حمو بمداخلتهم ، فتقبض عليه واعتقله مدة بوهران. وفر من معتقله فلحق بالمغرب ، وارتحل بين احيائهم مدة. ثم راجع الطاعة واقتضى العهد من السلطان أبي حمو ، وولاه على قومه. ثم تقبض عليه ، واعتقاله الى ان قتله بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعماية ، وانقرض امر بني ونزمار بن ابراهيم. واما بنو ونزمار بن عمران ؛ فقام بامرهم بعد مقاتل بن ونزمار اخوه تورزكن بن ونزمار ؛ ثم ابنه يوسف تورزكن ؛ ثم آخرون من بعدهم لم تحضرني اسماؤهم ؛ الى ان غلب عليهم بنو ونزمار بن ابراهيم. وقد ذهبت لهذا العهد رياسة اولاد عمران جميعاً ، وصار بنو راشد خولاً للسلطان وجباية ، وبقيتهم على الحال التي ذكرنا. والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين.



بنو توجين

الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط وأولية ذلك ومصادره

كان هذا الحي من اعظم احياء بني بادين واوفرهم عدداً . كانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريش من ارض

السرسو ، وهو المسمى لهذا العهد نهر واصل . وكان بارض السرسو بجهة الغرب منهم بطون من لواتة ، وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة . ثم صارت ارض السرسو لبني توجين هؤلاء ، واستضافوها الى مواطنهم الاولى . صارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة . وكانت رياستهم أيام صنهاجة لِعَطِيّة ابن دافلتن ، وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق . ولما كانت فتنة حَمّاد بن بُلُكّين مع عمه باديس ، ونهض اليه باديس من القيروان ، حتى احتل بوادي شلف ، تحيز اليه بنو توجين هؤلاء ، وكانت لهم في حروب حماد آثار مذكورة . وكان لقمان بن المعتز اظهر من عطية بن دافلتن ، وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة الاف . واوفد لقمان ابنه يَدّر على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشاً . فلما انهزم حماد رعى لهم باديس انحياشهم اليه ، وسوّغ لهم ما غنموه ، وعقد للقمان على قومه ومواطنه ، وعلى ما يفتحه من البلاد بدعوته . ثم انفرد برياستهم بعد حين بنو دافلتن . ويقال إنه دافلتن بن أبي بكر بن الغلب . وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطيّة بن مناد بن العباس بن دافلتن ، وكان يلقب عطية الحيو . وكانت بينهم لعهده وبين بني عبد الواد حروب ، كان متولي كبرها من بني عبد الواد شيخهم لذلك العهد اعدوى بن يكنمن ابن القاسم ؛ فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى ان غلبهم بنو عبد الواد اخراً على مواطنهم كما نذكره .

ولما هلك عطية الحيو ، قام بأمرهم ابنه العباس ، وكانت له آثار في الاجلاب على ضواحي المغرب الاوسط . ونقض طاعة الموحدين ، الى ان هلك سنة سبع وستماية ، دس عليه عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن بوجان من اغتاله فقتله . وقام بامرهم من بعده ابنه عبد القوي ؛ فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكر . وكان من اشهر بطون بني توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللتن وبنو نمزي وبنو مادون وبنو زنداك وبنو وسيل وبنو قاضي وبنو مامت ، ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن . ثم بنو تيغرين وبنو يرناتن وبنو منكوش ، ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو رسوغين . ونسب بني زنداك دخيل فيهم ؛ وانما هم من بطون مغراوة . وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوي بن العباس بن عطية الحيو ، هكذا رأيت نسبه لبعض مؤرخي زناتة المنكوشي . وكانت رياسة بني توجين جميعاً عند انقراض امر بني عبد المؤمن لعبد القوي بن العباس بن عطية الحيو ، واحياؤهم جميعاً بتلك المجالات القبلية .

فلما وهن امر بني عبد المؤمن وتغلب مَغْراوَةُ على بسائط متيجة ، ثم على جبل وانشريش ، نازعهم عبد القوي وقومه امر وانشريش ، وغالبوهم الى ان غلبوهم عليه ، واستقر في ملكهم . واوطنه بنو تيغرين وبنو منكوش من أحيائهم ؛ ثم تغلبوا على منداس واوطنها احياء بني مدن جميعاً . وكان الظهور منهم لبني

يدللتن ، ورياسة بني يدللتن لبني سلامة. وبقي بنو يرناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة وانشريش . وكان من احلاف بني عطية الحيو بنو تيغرين منهم خاصة ، واولاد عزيز بن يعقوب ، ويعرفون جميعاً بالحشم . ولما تغلبوا على الاوطان والتلول ، وازاحوا مغراوة عن المدية ووانشريش وتافركينت ، واستأثروا بملكها وملك الاوطان من غربيها : مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ، ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن العباس والكل لامره . فصار له ملك بدوي لم يفارق فيه سكنى الخيام ، ولا ابعاد النجعة ، ولا ايلاف الرحلتين . ينتهون في مشاتيهم الى مصاب والزاب ، وينزلون في المصايف بلادهم هذه من التل . ولم يزل هذا شأن عبد القوي وابنه محمد ، الى ان تنازع بنوه الأمر من بعده ، وقتل بعضهم بعضاً . وتغلب بنو عبد الواد على عامة اوطانهم واحيائهم ، واستبد عليهم بنو يرناتن وبنو يدللتن ؛ فصاروا الى بني عبد الواد . وبقي اعقابهم بجبل وانشريش ، الى ان انقرضوا كما نذكر .

وكان عبد القوي لما غلب مغراوة على جبل وانشريش ، اختط حصن مرات ، بعد ان كان منديل المغراوي شرع في اختطاطه ؛ فبنى منه القصبة ولم يكمله ؛ فاكمله محمد بن عبد القوي من بعدهم . ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية ، وصارت لهم خلافة الموحدين ، نهض الامير ابو زكرياء الى المغرب الاوسط ، ودخلت في طاعته قبائل صنهاجة ، وفرت زناتة امامه . وردد اليهم

الغزو ؛ فاصاب منهم . وتقبض في بعض غزواته على عبد القوي ابن العباس من بني توجين ؛ فاعتقله بالحضرة . ثم منّ عليه واطلقه على ان يستألف له قومه ؛ فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر . ونهض الامير ابو زكرياء بعدها الى تلمسان ، فكان عبد القوي وقومه في جملته . حتى اذا ملك تلمسان ، ورجع الى الحضرة عقد لعبد القوي هذا على قومه ووطنه ، واذن له في اتخاذ الآلة ، فكانت اول مراسم المُلك لبني توجين هؤلاء . وكانت حالهم مع بني عبد الواد تختلف في السلم والحرب . ولما هلك السعيد على يدي يَغَمْراسن وقومه كما ذكرناه ، استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة لغزو المغرب ، ومسابقة بني مرين اليه ، فنفر معه عبد القوي في قومه سنة سبع وأربعين . وانتهوا الى تازى ، واعترضهم ابو يحيى بن عبد الحق أمير بني مرين في قومه ، فنكصوا وأتبعهم الى انكاد ، فكان اللقاء ، وانكشفت جموع بني بادين ، وكانت الهزيمة التي ذكرناها في اخبار بني عبد الواد . وهلك عبد القوي مرجعه منها في سنته بالموضع المعروف ماحنون[1] من مواطنهم . وتصدى للقيام بأمرهم بعده ابنه يوسف ؛ فمكث في تلك الامارة اسبوعاً . ثم قتله على جدث ابيه اخوه محمد بن عبد القوي ، وولي عهد ابيه سابع مواراته . وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صَنهاجة بجبال المدية ؛ فأقام بها

(١) كذا، وفي نسخة: ماحيون.

هو وبنوه. واستقل محمد برياسة بني توجين، واستغلظ ملكه، وكان الفحل الذي لا يقرع أنفه. ونازعه يَغْمَراسِنُ امره ونهض الى حربه سنة تسع واربعين. وعمد الى حصن تافراكنيت؛ فنازله وبه يومئذ حافده علي بن زيّان بن محمد في عصابة من قومه، فحاصره اياماً وامتنعت عليه؛ فارتحل عنها. ثم تواضعوا اوزار الحرب، ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من غزو بني مرين في بلادهم فاجاب. ونهضوا سنة سبع وخمسين، ومعهم مغراوة، فانتهوا الى كلدامان ما بين تازى وأرض الريف. ولقيهم يعقوب بن عبد الحق في جموعه، فانكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه. وكانت بينه بعد ذلك وبين يَغْمَراسن فتن وحروب؛ فنازله فيها بجبل وانشريش مرات وجاس خلال وطنه. ولم يقع بعدها بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك، وسموّه الى التغلّب على زناتة اجمع وبلادهم، وكانوا جميعاً منحاشين الى الدعوة الحفصية. وكان محمد بن عبد القوي كثير الصاغية الى السلطان المستنصر.

ولما نزل النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين. وطمعوا في ملك الحضرة، بعث المستنصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوهم اليه، وخف من بينهم محمد بن عبد القوي في قومه ومن احتشد من اهل وطنه، ونزل على السلطان بتونس. وابلى في جهاد العدو، واحسن البلاء، وكانت له في ايامه معهم

مقامات مذكورة، ومواقف عند الله محتسبة معدودة. ولما ارتحل العدو عن الحضرة، واخذ محمد بن عبد القوي في الانصراف الى وطنه، اسنى السلطان جائزته وعم بالاحسان وجوه قومه وعساكره، واقطعه بلد مقرة وأوماش من وطن الزاب، واحسن منقلبه. ولم يزل بعد ذلك متعلقاً بطاعته مستظهراً على عدوه بالانحياش اليه. ولما استغلظ بنو مرين على يَغَمْراسن بعد استيلائهم على امصار المغرب واستبدادهم بملكه، وصل محمد يده بهم في الاستظهار على يَغَمْراسن، واوفد ابنه زيان بن محمد عليهم.

ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تِلِمْسان سنة سبعين، واوقع بيغمراسن في ايسلي من انكاد الواقعة التي هلك فيها ابنه فارس، نهض الى محمد بن عبد القوي للقائه. ومر في طريقه بالبطحاء، وهي يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن فهدمها. ولقي يعقوب ابن عبد الحق بساحة تلمسان مباهياً بآلته فاكرم يعقوب وفادته وبر مقدمه. ونازلوها اياماً، فامتنعت عليهم واجمعوا على الافراج. وتأذن لهم يعقوب بن عبد الحق ليتلومن عليها الى ان يلحق محمد وقومه ببلادهم، حذراً عليهم من غائلة يغمراسن ففعل، وملأ حقائبهم باتحافه، وجنب لهم ماية من الجياد العتاق بالمراكب الثقيلة، واراح عليهم الف ناقة حلوب، وعمهم بالصِلات والخلع الفاخرة، واستكثر لهم من السلع والفازات والاخبيات والحملان. وارتحلوا، ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبل وانشريش،

واتصلت حروبه مع يغمراسن ، وكثر إجلابه على وطنه ، وعيثه في بلاده. وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب بن عبد الحق، وإتحافه بالعتاق من الخيل ، والمستجاد من الطُرَف. حتى كان يعقوب اذا اشترط على يغمراسن في مهادنته يجعل سلمهم من سلمه ، وحربهم من حربه. وبسببهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنه ثمانين ، لما اشترط عليه ذلك ، ولجّ في قبوله فنهض اليه ، واوقع به بخرزوزة ، ثم اناخ عليه بتلمسان. ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي ؛ فلقيه في القصبات ، وعاثوا في نواحي تلمسان نهباً وتخريباً. ثم أذن يعقوب محمداً وقومه في الانطلاق الى بلادهم ، وتلوّم هو بمكانه من ضواحي تلمسان بعدة منجاتهم الى مكانهم من وانشريش ، حذراً عليهم من اعتراض يغمراسن. ولم يزل شأنهم ذلك الى ان هلك يغمراسن بشدبوية من بلاد مغراوة ، خاتمة احدى وثمانين.

وفي خلال استغلاظ بني مرين على بني عبد الواد ، استوسق لمحمد هذا ملكه ؛ فتغلب على اوطان صنهاجة بجبال المدية. واخرج الثعالبة من جبل تيطرى ، بعد ان غدر بمشيختهم وقتلهم ؛ فانزاحوا عنه الى بسائط متيجة واوطنوها. واستولى محمد على حصن المدية، وهو المسمى باهله لَمْدِيّة - بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب آخرها _ وهم بطن من بطون صنهاجة. وكان المختط لها بُلُكّين بن زيري. ولما استولى محمد عليها وعلى

ضواحيها ، انزل بها اولاد عزيز بن يعقوب من حشمه ، وجعلها لهم موطناً وولاية . وفر بنو صالح ابن اخيه يوسف بن عبد القوي من مكانهم بين صنهاجة ، منذ مقتل ابيه يوسف كما ذكرناه . ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية ؛ فلقوهم مبرة وتكريماً . وأقطعوا لهم بضواحي قُسَنْطِينَـةَ ، وكانوا يعوّلون عليهم ايام حروبهم وفي مواطن قتالهم . وكان من اظهرهم عمر بن صالح ، وابناه صالح ويحيي بن عمر ، وحافده يحيي بن صالح بن عمر ، في آخرين مشاهير.

وأعقابهم لهذا العهد بنواحي قسنطينة . وفي إيالة الملوك من آل أبي حفص ، يعسكرون معهم في غزواتهم ، ويبلون في حروبهم ، ويقومون بوظائف خدمتهم . وكان الوالي من اولاد عزيز على المدية حسن بن يعقوب ، وبنوه من بعده يوسف وعلي ، كانت مواطنهم ما بين المدية وموطنهم الاول ماحنون . وكان بنو يدللتن أيضاً من بني توجين ، قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت . ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن علي مقيماً على طاعة محمد بن عبد القوي وقومه ؛ فاتصل ملك محمد بن عبد القوي في ضواحي المغرب الاوسط ما بين مواطن بني راشد الى بلاد صنهاجة بنواحي المدية ؛ وما في قبلة ذلك من بلاد السرسو وجباله الى ارض الزاب . وكان يبعد الرحلة في مشتاه ؛ فينزل الدوسن ومقرة والمسيلة ؛ ولم يزل دأبه ذلك . ولما هلك يغَمراسن سنة احدى وثمانين كما ذكرناه ، استجدت الفتنة بين عثمان ابنه ، وبين محمد

ابن عبد القوي ، فنهد إليه عثمان في جموعه من بني عبد الواد والعساكر سنة اثنتين وثمانين ؛ فحاصره بجبل وانشريش وامتنع عليه ؛ فعاث في نواحي وطنه وقفل الى تلمسان . وهلك محمد بن عبد القوي على اثر ذلك سنة أربع وثمانين ، وولي من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه . وقتله أخوه موسى لسنة او نحوها من بعد مهلك أبيه . وأقام موسى بن محمد في إمارة بني توجين نحو من عامين .

وكان أهل مرات من اشد اهل وطنه شوكة واقواهم غائلة؛ فحدثته نفسه ان يستلحم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم ؛ فاجمع لذلك ونزلها ونذروا بشأنه ورايه فيهم ؛ فاستماتوا جميعاً وثاروا به فقاتلهم . ثم انهزم مثخناً بالجراحة وألجأوه الى مهاوي الحصن ؛ فتردى منها وهلك . وولي من بعده عمر بن أخيه اسماعيل ابن محمد مدة اربعة أعوام . ثم غدر به اولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه ، وولوا كبيرهم بن زيان ، وكان حسن الولاية عليهم . يقال ما ولي فيهم بعد محمد مثله. وفي خلال هذه الولايات استغلظ عليهم بنو عبد الواد ، واشتدت وطأة عثمان بن يَغَمْراسن عليهم بعد مهلك ابيهم محمد ؛ فنهض اليهم سنة ست وثمانين . وحاصرهم بجبل وانشريش ، وعاث في اوطانهم ، ونقل زروعها الى مازونة حين غلب عليها مغراوة . ثم نازل حصن تافركنيت وملكها ، بمداخلة القائد بها غالب الخصي مولى سيد الناس بن محمد ، وقفل

الى تلمسان . ثم نهض الى اولاد سلامة بقلعة تاوغزوت، وامتنعوا عليه مراراً ، ثم اعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بني محمد بن عبد القوي ، فنبذوا لهم العهد ، وصاروا الى إيالة عثمان بن يغمراسن . وفرضوا لهم المغارم على بني يدللتن . وسلك عثمان ابن يغمراسن مسلك التضريب بين قبائل بني توجين وتحريضهم على ابراهيم بن زيان اميرهم؛ فغدا عليه زكدان بن أعجمي شيخ بني مادون وقتله بالبطحاء في احدى غزواته لسبعة اشهر من ملكه . وولي من بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوي، بايع له بنو تيغرين، واختلف عليه سائر بني توجين، فأقام بعض سنة . وعثمان بن يغمراسن في خلال هذا يستألف بني توجين شعباً فشعباً الى ان نهض إلى جبل وانشريش فملكه . وفر أمامه موسى بن زرارة الى نواحي المدية ، وهلك في مفره ذلك.

ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها ؛ فملكها بمداخلة لَمديَّة من قبائل صَنهاجة . غدروا باولاد عزيز وامكنوه منها ؛ ثم انتقضوا عليه لسبعة اشهر ورجعوا الى إيالة اولاد عزيز ؛ فصالحوا عثمان بن يوسف على الإتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوي وبنيه ؛ فملك عثمان بن يغمراسن على عامة بلاد بني توجين . ثم شغل بما دهمه من مطالبة بني مرين ايام يوسف بن يعقوب ، فولّى على بني توجين من بني محمد بن عبد القوي ابو بكر بن ابراهيم بن محمد مدة من عامين ، اخاف فيها الناس ، واساء السيرة.

ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده اخـاه عطية المعروف بالأصم ، وخالفهم اولاد عزيز وجميع قبائل توجين ؛ فبايعوا ليوسف بن زيان بن محمد. وزحفوا الى جبل وانشريش ؛ فحاصروا عطية وبني تيغرين عاماً او يزيد. وكان يحيى بن عَطِيَّة كبير بني تيغرين هو الذي تولى البيعة لعطيَّة الاصم. فلما اشتد بهم الحصار ، واستفحل امر يوسف بن يعقوب وبني مرين ، نزع يحيى الى بني مرين. وقدم على يوسف بن عبد الحق بمكانه من حصار تلمسان. ورغّبه في ملك جبل وانشريش ؛ فبعث معه الجيوش لنظر أخيـه ابي سرحان ثم أخيه أبي يحيى. وكان نهوض أبي يحيى سنة احـدى وسبعماية ؛ فتوغل في قاصية الشرق. ولما رجع صمد الى جبل وانشريش ؛ فهدم حصونه وقفل. ونهض ثانية الى بلاد بني توجين؛ فشردهم عنها. واطاعه اهل تافركنيت. ثم انتهى الى المدية ؛ فافتتحها صلحاً واختط قصبتها. ورجع الى اخيه يوسف بن يعقوب؛ فانتقض اهل تافركنيت بعد صدوره عنهم. ثم راجع بنو عبد القوي بصائرهم في التمسك بالطاعة. ووفدوا على يوسف بن يعقوب ؛ فتقبل طاعتهم واعادهم الى بلادهم وأقطعهم. وولى عليهم علي ابن الناصر بن عبد القوي ؛ وجعل وزارته ليحيى بن عطية فغلبه على دولته ، واستقام ملكه. وهلك خلال ذلك ؛ فعقد يوسف ابن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الأصم. واستقام على طاعته وقتاً ؛ ثم انتقض بين يدي مهلكه سنة ست ، وحمل قومه على الخلاف.

ولما هلك يوسف بن يعقوب ، وتجافى بنو مرين من بعدها لبني يغمراسن عن جميع الأمصار التي تملكوها بالمغرب الاوسط ؛ فاستمكن بنو يغمراسن منها ، ودفعوا المتغلبين عليها . ولحق الفَلُّ من اولاد عبد القوي ببلاد الموحدين ؛ فحلوا من دولتهم محل الايثار والتكرمة . وكان للعباس بن محمد بن عبد القوي مع الملوك من آل أبي حفص مقام الخلة والمصافاة الى ان هلك ، وبقي عقبه في جند السلطان . ولما خلا الجو من هؤلاء المرسخين ، تغلب على جبل وانشريش من بعدهم كبير بني تيغرين ، وهو يحيى بن عطية بن يوسف بن المنصور . ويزعمون انهم دخلاء في بني تيغرين ، وان المنصور هو احمد بن محمد من اعقاب يعلى بن محمد سلطان بني يفرن . فاقام يحيى بن عطية هذا في رياستهم اياماً ، ثم هلك ، وقام بامره من بعده أخوه عثمان بن عطية . ثم هلك وولي من بعده ابنه عمر بن عثمان . واستقل مع قومه بجبل وانشريش . واستقل اولاد عزيز بالمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف وعلي بن حصان بن يعقوب ، والكل في طاعة أبي حمُّو سلطان بني عبدالواد بما غلبهم على امرهم ، وانتزع الرياسة من بني عبد القوي (١) امرائهم ، الى ان خرج على السلطان أبي حمو محمد ابن عمه يوسف بن يَغَمْراسن . ولحق باولاد عزيز ؛ فبايعوه . وداخلوا في شأنه عمر ابن عثمان كبير بني تيغرين وصاحب جبل وانشريش ؛ فاجابهم واصفق

(١) كذا ، وفي نسخة : من بني عبد الواد .

معهم سائر الاعشار ومنكوشة وبنو يرناتن. وزحفوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبي حمو في معسكره بتهل ففضوه، وكان من شأن فتنته معهم ما ذكرناه في أخبار بني عبد الواد، الى ان هلك السلطان أبي حمو. وولي ابنه ابو تاشفين؛ فنهض اليهم في العساكر. وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالصة محمد بن يوسف لأولاد عزيز دون قومه؛ فداخل السلطان ابا تاشفين في الانحراف عنه. فلما نزل بالجبل، ولحق محمد بن يوسف بحصن توكال ليمتنع به، نزع عمر بن عثمان، ولحق بأبي تاشفين، ودله على مكامن الحصن؛ فدلف اليه ابو تاشفين واخذ بمخنقه. وافترق عن محمد بن يوسف اولياؤه واشياعه؛ فتقبض عليه وقيد اسيراً الى السلطان أبي تاشفين؛ فقتل بين يديه قعصاً بالرماح سنة تسع عشرة. وبعث برأسه الى تلمسان، وصلب شلوه بالحصن الذي امتنع به ايام انتزائه. ورجع أمر وانشريش الى عمر بن عثمان هذا، وحصلت ولايته لأبي تاشفين الى ان هلك بتلمسان في بعض ايامهم مع بني مرين، اعوام نازلهم السلطان ابو الحسن كما ذكرنا في أخبار الحصار.

ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب الأوسط استعمل السلطان ابو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل، وكان خيرَ والٍ وفاء بأزمّة الطاعة، وخلوصاً في الولاية، وصدقاً في الانحياش، واحساناً للملكة، وتوفيراً للجباية. ولما كانت نكبة السلطان أبي الحسن

بالقيروان، وتطاول الاعياص من زناتة الى استرجاع ملكهم، انتزى بضواحي المدية من آل عبد القوي عَدِي بن يوسف ابن زيان بن محمد بن عبد القوي، وناغى الخوارج في دعوتهم، واشتمل عليه بنو عزيز هؤلاء وبنو يرناتن جيرانهم، وزحف الى جبل وانشريش لينال من الحشم مديلي امرهم والمداخلين لعدوهم في قطع دابرهم، وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان، وبايع نصر لمسعود بن بوزيد بن خالد بن محمد بن عبد القوي من اعقابهم، خلص اليه من جملة عدي بن يوسف حذراً على نفسه من اصحابه. وقاتلهم عدي وقومه؛ فامتنعوا عليهم ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه. ثم دخل عدي في جملة السلطان أبي الحسن لماخلص من تونس الى الجزائر، وبقي مسعود بينهم وملكه ابو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك بتلمسان هو وقومه. فلم يزل هنالك الى ان غلبه السلطان أبو عِنان؛ فصار في جملته بعد ان فر الى زواوة. واستنزله منها ونقله الى فاس، وانقضى ملكهم ودولتهم، وانقطع أثر بني محمد بن عبدالقوي. وأقام نصر بن عثمان في ولاية جبل وانشريش وعقد له السلطان أبو عِنان عليه سائر دولته. ولم يزل قائماً بدعوة بني مَرين من بعده إلى أن غلبهم السلطان أبوحُمّو الاخير، وهو موسى بن يوسف على الأمر؛ فأعطاه نصر الطاعة. ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبين بني عبد الواد اعوام سبعين وسبعماية. وقاموا

بدعوة أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو ؛ فانحاش نصر ابن عمر اليهم ، واخذ بدعوة الامير أبي زيان حيناً . ثم هلك ايام تلك الفتنه ، وقام بامرهم من بعده اخوه يوسف بن عمر متقبلًا مذاهبه . وهو لهذا العهد ، وهو سنة ثلاث وثمانين ، صاحب جبل وانشريش ، وحاله مع أبي حمو مختلف في الطاعة والخلاف . والله مالك الامور لا رب غيره .

فللوا

محمد بن عيسى بن موسى بن محمد

عمر

عدى بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى بن العباس بن عطية الحيو بن مناد بن العباس بن دافلتن بن أبى بكر بن الغلب

ابراهيم

عمر بن اسمعيل

موسى بن زرارة

مسعود بن يوزيد بن خالد

محمد بن عطية بن ابراهيم

سيد الناس

موسى

يحيى بن صالح بن عمر بن صالح بن يوسف

زيان بن يوسف بن موسى

بنو سلامة

الخبر عن بني سلامة اصحاب قلعة تاوغزوت ورؤساء بني يدللتن من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليتهم ومصائرهم

كان بنو يدللتن هؤلاء من شعوب بني توجين واشدهم شوكة واوفرهم عدداً ، وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون . وكان بنو عبد القوي ملوك بني توجين يعرفون لهم ذلك ، ويوجبون لهم حقه . ولما دخلوا الى التلول بعد انقراض بني يلومي وبني ومانوا ؛ نزل بنو قاضي منهم وبنو مادون بأرض منداس ؛ فاوطنوها . وجاء بنو يدللتن على اثرهم ؛ فأوطنوا الجعبات وتاوغزوت ؛ ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى . ثم هلك فقام بامرهم ابنه مناد بن نصر ، ثم أخوه علي بن نصر من بعده ، ثم ابنه ابراهيم بن علي من بعده . ثم هلك وقام بامرهم اخوه سلامة بن علي ، على حين استفحل ملك عبد القوي وبنيه ؛ فاستفحل امره هو في قومه ؛ واختط القلعة تاوغزوت المنسوبة اليه والى بنيه ؛ وكانت من قبل رباطاً لبعض المنقطعين من عرب سُوَيْد . ويزعم بنو سلامة هؤلاء انهم دخلاء في نسب توجين ، وأنهم من العرب ، ثم من بني سليم بن منصور . وجاء جدهم

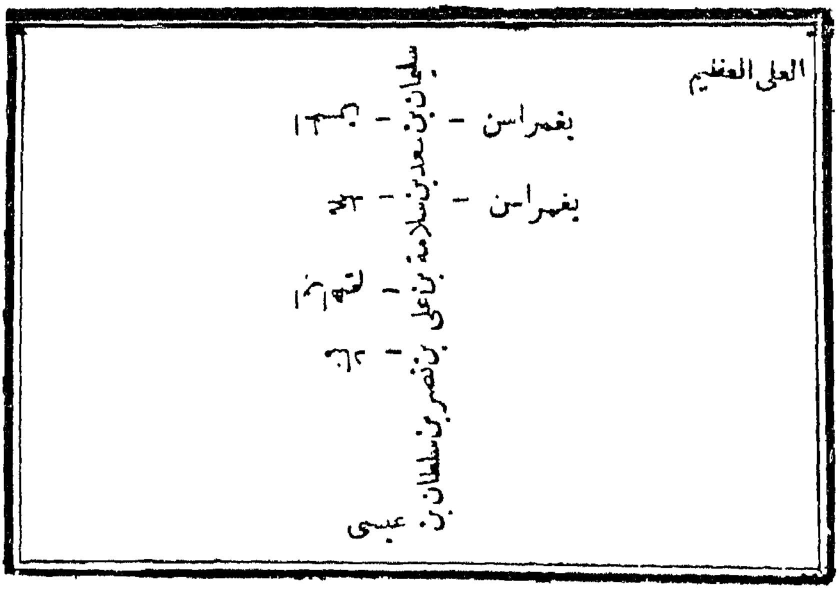
عيسى او سلطان نازعاً عن قومه لدم اصابه فيهم ؛ فخلطه شيخ بني يدللتن من بني توجين بنفسه ؛ وكفل بنيه من بعده ؛ فكانت له سبباً في رياسته على بني يدللتن وبنيه بعده .

ولما هلك سلامة بن علي قام بامرهم من بعده ابنه يَغْمَراسِن ابن سلامة ، على حين استغلظ بنو عبد الواد على بني توجين بعد مهلك محمد بن عبد القوي سلطانهم الاكبر . فكان عثمان بن يغمراسن يتردد الى بلادهم بالغزو ، ويطيل فيهـا العيث . ونازل في بعض غزواته قلعتهم هذه ، وبها يغمراسن ؛ فامتنع عليه . وخالفه يوسف ابن يعقوب وبنو مرين الى تلمسـان ؛ فاجفـل عن القلعة . وسابق بني مرين الى دار ملكه . واتبعه يغمراسن بن سلامة مغيراً في اعقابه ؛ فكر إليه بالمكان المعروف بتليوان . ودارت بينهم هنالك حرب هلك فيها يغمراسن بن سلامة ، وقام بالأمر بعده اخوه محمد بن سلامة . فاذعن لطاعة عثمان بن يغمراسن ، وخالف بني محمد بن عبد القوي ، وجمل الاتاوة على قومه ووطنه لملوك بني عبد الواد ؛ فلم تزل عليهم لملوك تلمسان . ولحق اخوه سعد بالمغرب ، وجاء في جملة السلطان يوسف بن يعقوب في غزوته التي حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل ؛ فرعى لسعد بن سلامة هجرته اليـه ، وولاه على بني يدللتن والقلعة . وفر أخوه محمد بن سلامة ؛ فلحق بجبـل راشد . وأقام هنالـك الى ان هلك يوسف بن يعقوب ، ورجع أمر المغرب الأوسط لبني عبد الواد ؛ فوضعوا الاتاوات

على بني توجين واصاروهم للجباية. ولم يزل سعد على ولايته الى أن هلك أبو حمو وولي ابو تاشفين؛ فسخط سعـداً. وبعث عن أخيه محمد من جبل راشد؛ فولاه مكانه.

ولحق سعد بالمغرب، وجاء في جملة السلطان أبي الحسن. ودخل اخوه محمد مع أبي تاشفين؛ فانحصر بتلمسان. وولي سعد بن سلامة مكانه، ثم هلك محمد في بعض ايام الحصار وحروبه. ولما انقرض امر بني عبد الواد رغب سعد من السلطان تخلية سبيله لقضاء فرضه؛ فحج وهلك مرجعه من الحج في طريقه. وعهد الى السلطان أبي الحسن واستوصاه ببنيه، على لسان وليّه عريف بن يحيي كبير بني سويد. فولّى السلطان ابو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بني يدللتن والقلعة. وانقرض امر السلطان أبي الحسن، وعاد الامر الى أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن؛ فكانت بينه وبينهم ولاية وانحراف. وكان اولياؤهم من العرب بني سويد من زغبة بما كانوا جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة؛ فطمع ونزمار بن عريف شيخهم في التغلب على وطن بني يدللتن؛ ومانعه دونه سليمان هذا وبالغ في دفاعه؛ الى ان ملك السلطان ابو عِنان بلاد المغرب الاوسط. ورعى لونزمـار وابنه عريف حق انحياشهم اليه وهجرتهم الى قومه؛ فاقطع ونزمار بن عريف القلعة وما اليها وجباية بني يدللتن اجمع. والحق سليمان ابن سعد بن سلامة في جنده ووجوه عسكره، الى ان هلك السلطان

وعاد الامر لبني عبد الواد على يد أبي حمو الاخير ؛ فولى سليمان على القلمة وعلى قومه . واستغلظ العرب عليه ؛ فاستراب سليمان هذا ونذر بالشر منه ؛ فلحق باولاد عريف . ثم راجع الطاعة ؛ فتقبض عليه واغتاله ؛ وذهب دمه هدراً . ثم غلبه العرب على عامة المغرب الاوسط ، واقطع القلمة وبني يدللتن لاولاد عريف استئلافاً لهم . ثم اقطعهم بني مادون ثم منداس ؛ فاصبحت بطون توجين كلها خولا لسويد وعبيداً لجبايتهم ؛ إلّا جبل وانشريش فانه لم يزل لبني تيغرين ؛ والوالي عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه . ونظم ابو حمو اولاد سلامة في جنده ، واثبتهم في ديوانه ، واقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم . وهم على ذلك لهذا العهد . ولله الخلق والامر . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .



الخبر عن بني يرناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والامارة وذكر أوليتهم ومصائرهم

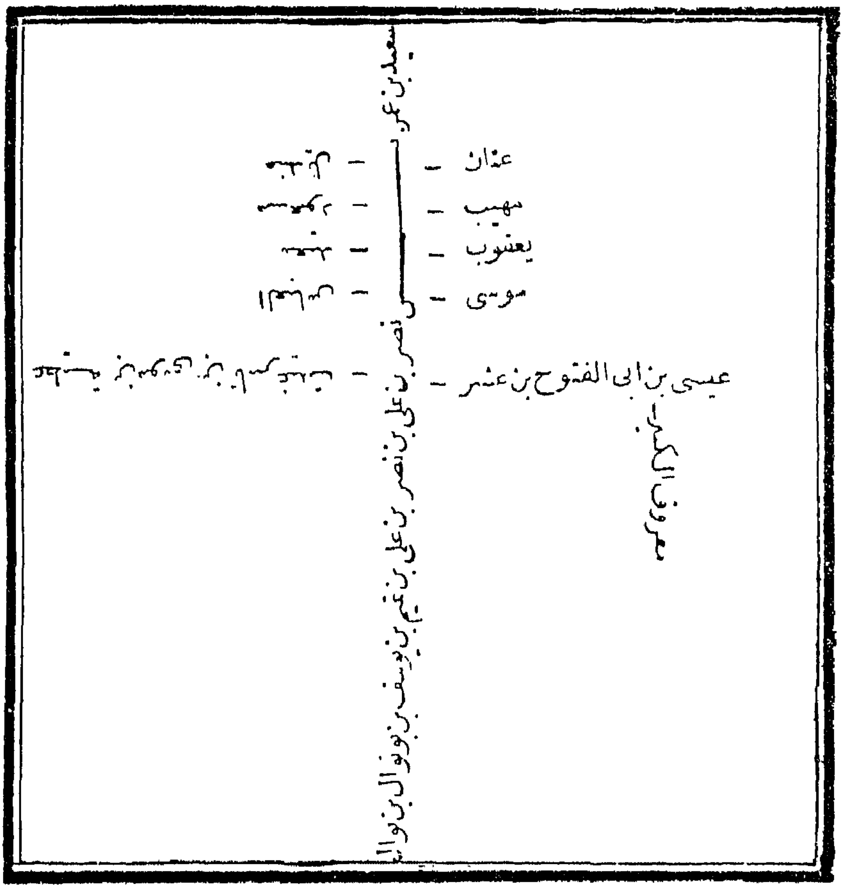
كان بنو يرناتن هؤلاء ، من اوفر قبائل بني توجين واعزهم جانباً ، واكبرهم صيتاً .

ولما دخل بنو توجين الى تلول المغرب الأوسط ، أقاموا بمواطنهم الاولى ما بين ماحنون وورينه . ثم يعودون من القبلة يجولون جانبي نهر واصل من اعلى وادي شلف . وكانت رياستهم في بني نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال . وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم . وكان عبد القوي بن العباس وابنه محمد امراء بني توجين ، يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم ، وما يؤنسون من عظيم عنائهم . وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يولي عليهم من الحشم اولاد عزيز . وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عبُّو بن حسن بن عزيز . وقد كان اصهر مهيب بن نصر الى عبد القوي في ابنته ؛ فانكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب ؛ فشرفت خولته بمحمد بن عبد القوي وعلا كعبه في امارته . ثم ولي بعده ابنه علي بن نصر ، وكان له من الولد نصر وعنتر وآخرون يعرفون بامهم ، واسمها تاسرغينت . وولي بعده ابنه نصر بن علي ؛ فطال امد امارته في قومه . واختلف بنو عبد القوي وغلبهم بنو عبد الواد على ما بايديهم ؛ فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه ؛

فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته، وكان ولوداً. فيقال انه خلف ثلاثة عشر من البنين ما منهم إلّا صاحب حرب او مقنب. ومن مشاهيرهم عمر الذي قتله السلطان ابو الحسن بمرات حين سعى به انه داخل في اغتياله؛ ففر وادرك؛ فقتل بمرات. ومنهم منديل الذي قتله بنو تيغرين أيام ولوا علي بن الناصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز. ومنهم عنان، ومات قتيلًا في حصار تلمسان أيام أبي تاشفين. ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف في آخرين معروفين عندهم. هذا شأن اولاد نصر بن علي بن نصر بن مهيب.

وأما ولد عنتر اخيه؛ فكان منهم أبو الفتوح بن عنتر. ثم من ولده عيسى بن أبي الفتوح؛ فكان رئيساً على بني ابيه. وكانت احدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن، وادعت الحمل من سيّدها أبي الفتوح، وجاءت بأخ لعيسى، سمّيّ معرفاً؛ فربي بدارهم. واستوزره أبو حمو وابنه من بعده. وبلغ المبالغ في دولتهم وكان يدعى معرّف الكبير. ولحق به أيام رياسته في دولة أبي حمو الاول اخوه عيسى بن أبي الفتوح مغاضباً لقومه؛ فسعى له في الولاية على بني راشد وجباية أوطانهم. وانزله بلد سعيدة، فكانت له بها امارة. وكان له من الولد ابو بكر وعبّو وطاهر وونزمار. وعندما غلب بني مرين على بني عبد الواد ولّاهم السلطان ابو الحسن على بني يرناتن متداولين. وأما ولد تاسرغينت من

بني علي بن نصر بن مهيب؛ فلم يكن لهم ذكر في رياسة قومه. إلّا أن بعض وصائفهم سقطت أيضاً إلى دار أبي تاشفين؛ فولدت غلاماً يعرف بعطيّة بن موسى. نشأ في دارهم؛ فنسب الى بني تاسرغينت مولاه، وتناولته النجابة في خدمتهم؛ فولوه الاعمال النبيهة. وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الأخير على شلف وما اليه. وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بني يرناتن، وملكوا عليهم يعود وماحنون. وبقيت صبابتهم بجبل وربنة. وعليهم لهذا العهد امير من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب، يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالاتاوة. وبيد الله تصاريف الامور.



بنو مرين وأنسابهم وشعوبهم

الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة التي استتبعت سائر زناتة وانتظمت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصادره

قد ذكرنا ان بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين، وذكرنا

نسب واسين في زناتة، وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ ابن جديج بن فاتن بن يدّر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص ابن المعز بن ابراهيم بن سحيك بن واسين، وأنهم اخوة بني يلومي ومديونة. وربما يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما. بين صا[1] وملوية. وذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع اخوانهم بني بادين بن محمد، وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر ايامهم. وكان الغلب أولاً لبني بادين بن محمد لكثرة عددهم؛ فانهم كما ذكرنا خمسة بطون: بنو عبد الواد وتوجين ومصاب، وبنو زردال واخوانهم بنو راشد بن محمد. وكانوا اهل تلول المغرب الأوسط دونهم. وبقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فيكيك الى سجلماسة الى ملوية. وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب. ويذكر نسابتهم ان الرياسة فيهم قبل تلك العصور كانت لمحمد بن ورزين[2] بن فكوس بن كوماط بن مرين، وانه كان لمحمد اخوة آخرون يعرفون بامهم تنالفت. وكان بنو عمه ونكاسن بن فكوس. وكان لمحمد من الولد سبعة: شقيقان وهما حمامة وعسكر. وابناء علات امهات اولاد، وهم سنكمان وسكميان وسكم ووراغ وقزونت[3] وتسمى هذه الخمسة في لسانهم تيريعين، ومعناه عندهم الجماعة.

(١) كذا، وهو وادي (زا).
(٢) كذا، وفي نسخة: ورزير.
(٣) كذا، وفي نسخة: فرونت.

يزعمون أن محمداً لما هلك قام بامره في قومه ابنـه حمامة ، وكان الاكبر . ثم من بعده اخوه عسكر ، وكان له من الولد ثلاثة : نكوم وابو يكنى ، ويلقب المخضب ، وعلي ويلقب لأعُدَر. ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب ؛ فلم يزل اميراً عليهم الى أن كان امر الموحدين. وزحف عبد المؤمن الى تاشفين بن علي بن يوسف ؛ فحاصره بتلمسان . وسرح الشيخ ابا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الاوسط ، وجمع له بنو بادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرين ومغراوة ؛ ففض الموحدون جموعهم واستلحموا اكثرهم . ثم راجع بنو يلومي وبنو بادين طاعتهم ، واخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ونصيحتهم . ولحق بنو مرين بالقفر ؛ فلما غلب عبد المؤمن على وهران واستولى على اموال لمتونة وبعث ذخيرتهم بتلك الغنائم الى جبل تينملل حيث داره ، ومن اين كان منبعث الدعوة . وبلغ الخبر الى بني مرين بمكانهم من الزاب ، وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر ؛ فأجمع اعتراضها بقومه . ولحق العير بوادي تلاغ ؛ فاحتازها من ايدي الموحدين . واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها اولياءه من زناتة ، وسرحهم مع الموحدين لذلك ؛ فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاءً حسناً . وكان اللقاء في فحص مسون ، وانكشف بنو مرين ، وقتل المخضب بن عسكر ، واكتسح بنو عبد الواد حللهم ، وذلك سنة اربعين وخمساية . فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم ومجالات قفرهم ، وقام بامرهم من بعد المخضب

أبو بكر ابن عمه حمامة بن محمد الى ان هلك ؛ فقام بـامره ابنه محيو ؛ ولم يزل مطاعـاً فيهم الى ان استنفـرهم المنصور لغزاة الأركة ؛ فشهدوها وابلوا البلاء الحسن . واصابت محيو يومئذ جراحة انتقضت عليـه مرجعه منها ؛ فهلك بصحراء الزاب سنة احدى وتسعين وخمساية . وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما نذكره إن شاء الله تعالى .

عبدالمؤمن بن علي بن

سلطان

تيربيعين -
سكم - عمر
سكان -
سكمان -
وراغ -
هروت -

الكومي

ابن عباد بن يحيى -

اسمعيل بن عيسى بن يحيى بن وسنان -

عمر بن عثمان بن يوسف بن

منصور بن

الخبر عن امارة عبد الحق بن محيو المستقرة في بنيه وامارة ابنه عثمان من بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيها من الأحداث

لما هلك محيو بن أبي بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه ، وكان له من الولد عبد الحق ووسناف ويحياتن . وكان عبد الحق أكبرهم ؛ فقام بامر بني مرين ، وكان خير امير عليهم قياماً بمصالحهم وتعففاً عما في ايديهم ، وتقويماً لهم على الجادة ونظراً في العواقب ، واستمرت ايامهم . ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستماية مرجعه من غزاة العقاب ، وقام بامر الموحدين من بعده ابنه يوسف المستنصر ، نصبه الموحدون للامر غلاماً لم يبلغ الحلم . وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك ؛ فاضاع الحزم واغفل الامور . وتواكل الموحدون بما ارخى لهم من طيل الدالة عليه . ونفس عن مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر ؛ فضاعت الثغور وضعفت الحامية . وتهاونوا بامرهم ، وفشلت ريحهم . وكان هذا الحي لذلك العهد بمجالات القفار ، من فيكيك الى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم . وكانوا يطرقون في صعودهم الى التلول والارياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف الى وطاط ، ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الاولى : مثل مكناسة بجبال تازى ، وبني يرنيان من

مغراوة الموطنين قصور وطاط من أعالي ملوية. فيتقلبون بتلك الجهات عام المربع والمصيف، وينحدرون الى مشاتيهم بما امتاروه من الحبوب لاقواتهم. فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة، وتخطوا اليها القفر، ودخلوا ثناياه، وتفرقوا في جهاته. وارجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنه، واكتسحوا بالغارة والنهب عامة بسائطهم. ولجأت الرعايا الى معتصماتهم ومعاقلهم، وكثر شاكيهم. واظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة؛ فآذنوهم بالحرب وأجمعوا لغزوهم وقطع دابرهم. واغرى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا علي بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش، وسرحه الى السيد أبي ابراهيم ابن امير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من امارة فاس. واوعز اليه ان يخرج لغزو بني مرين، وأمره أن يثخن ولا يستبقي. واتصل الخبر ببني مرين وهم في جهات الريف وبلاد بَطوِيّة؛ فتركوا اثقالهم بحصن تازوطا، وصمدوا إليهم. والتقى الجمعان بوادي نكور؛ فكان الظهور لبني مرين والدَّبَرَة على الموحدين. وامتلأت الأيدي من اسلابهم وامتعتهم، ورجعوا الى تازى وفاس عراة يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند اهل المغرب بالمشعلة يوارون به سوءاتهم لكثرة الخصب عامئذ، واعتمار الفدن بالزرع واصناف الباقلا. حتى لقد سميت الواقعة يومئذ بعام المشعلة.

وصمد بنو مرين بعدها الى تازى؛ ففلوا حاميتها اخرى. ثم

اختلفت بنو محمد رؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو عسكر ابن محمد، لمنافسة وجدوها في انفسهم من استقلال بني عمهم حمامة ابن محمد بالرياسة دونهم ، بعد ان كان اومض عندهم منها في عسكر وابنه المخضب ايماض من اخلف بارقه . فحالفوا عبد الحق أميرهم وقومه الى مظاهرة أولياء الموحدين ، وحامية المغرب من قبائل رياح الموطنين بالهبط وازغار لحديث عهدهم بالتوحش والعز منذ انزال المنصور اياهم بذلك القطر من افريقية؛ فتحيزوا اليهم وكاثروهم على قومهم .

وصمدوا جميعاً للقاء بني مَرين سنة اربع عشرة ، ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها . وهلك فيها اميرهم عبد الحق وكبير بنيه ادريس . وتذامر لهلكهما بنو مَرين . وجلى في تلك الحومة حمامة بن يصليتن من بني عسكر ، والامير ابن محيو السكمي . فانكشفت رياح آخراً، وقتل منهم ابطال . وولّى بنو مَرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو ادريس ، وشهرته بينهم ادرغال ، ومعناه برطانتهم الاعور . وكان لعبد الحق من الولد عشرة ، تسعة ذكور وأختهم ورتطليم : فادريس وعبد الله ورحو لامرأة من بني علي اسمها سوط النساء ، وعثمان ومحمد لامرأة من بني ونكاسن اسمها النوار بنت تصاليت ، وأبو بكر لامرأة من بني تنالفت وهي تاغزونت بنت أبي بكر بن حفص ، وزيان لامرأة من بني ورتاجن ، وأبو عياد لامرأة من بني وللو احدى بطون

عبد الواد واسمها أم الفرج، ويعقوب لأم اليمن بنت محلي من بطوية. وكان أكبرهم ادريس الهالك مع ابيه عبد الحق؛ فقام بأمر بني مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان؛ بايعه لوقته حمامة ابن يصليتن ولمير بن محيو ومن اليهما من مشيخة قومهما. واتبعوا منهزمة رياح وأثخنوا فيهم. وثار عثمان بأبيه وأخيه حتى شفا نفسه منهم ولاذوا بالسلم، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه والى قومه كل سنة. ثم استشرى من بعد ذلك داء بني مرين واعضل خطبهم، وكثر الثوار بالمغرب، وامتنع عامة الرعايا عن المغرم، وفسدت السابلة. وأعتصم الامراء والعمال من السلطان فمن دونه بالامصار والمدن، وغلبوا اولئك على الضاحية. وتقلص ظل الحكام عن البدو جملة. وافتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والدفاع؛ فمدوا الى البلاد يداً. وسار بهم اميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه، ويضع المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم في امره؛ فبايعه من الظواعن الشاوية والقبائل الآهلة: هوارة وزكارة، ثم تسول ومكناسة، ثم بطوية وفشتالة، ثم سدراتة وبهلولة ومديونة. ففرض عليهم الخراج والزمهم المغارم، وفرق فيهم العمال. ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها اليه على رأس كل حول، على ان يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم. ثم غزا ظواعن زناتة سنة عشرين، وأثخن

فيهم حتى اذعنوا ، وقبض ايديهم عما امتدت اليه من الفساد والنهب . وعطف بعدها على رياح أهل أزغار والهبط واثار به بابيه ؛ فأثخن فيهم وأبادهم . ولم يزل دأبه ذلك الى أن هلك باغتيال علجة سنة سبع وثلاثين .

وقام بامر بني مرين من بعده اخوه محمد بن عبد الحق ؛ فتقبل سنن اخيه في تدويخ بلاد المغرب واخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوضائع من ظواعنه وبدوه وسائر رعاياه . وبعث الرشيد ابا محمد بن وانودين لحربهم . وعقد له على مكناسة ؛ فدخلها وأجحف باهلها في المغارم . ثم نزل بنو مرين بتيجدوغير من ضواحيها ؛ فنادى في عساكره وخرج اليهم ؛ فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين . وبارز محمد بن أدريس بن عبد الحق قائداً من الروم ، واختلفا ضربتين هلك العلج باحداها ، وانجرح محمد في وجهه بالاخرى . واندمل جرحه ؛ فصار أثر في وجهه لقب من اجله أبا ضربة . ثم شدّ بنو مرين على الموحدين ؛ فانكشفوا ورجع ابن وانودين الى مكناسة مفلولا . وبقي بنو عبد المؤمن اثناء ذلك في مرض من الايام ، وتثاقل عن الحماية . ثم أومضت دولتهم آخراً إيماض الخمود . وذلك انه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة اربعين وستماية ، وولي أخوه علي وتلقب بالسعيد ، وبايعه أهل المغرب ، انصرفت عزائمه الى غزو بني مرين وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك الوطن ؛ فأغزى عسكر الموحدين لقتالهم ،

ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الروم. فنهضوا سنة اثنتين واربعين في جيش كثيف يناهز عشرين ألفاً فيما زعموا . وزحف اليهم بنو مرين بوادي ياباش ؛ وصبر الفريقان ، وهلك الامير محمد بن عبد الحق في الجولة بيد زعيم من زعماء الروم . وانكشفت بنو مرين واتبعهم الموحدون ، ودخلوا تحت الليل ؛ فلحقوا بجبال غياثة من نواحي تازى واعتصموا بها أياماً . ثم خرجوا الى بلاد الصحراء ؛ وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق ؛ فقام بأمرهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن دولة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق مديل الأمر لقومه بني مرين وفاتح الأمصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

لما ولي أبو يحيى بن عبد الحق أمر بني مرين سنة اثنتين واربعين ، كان من اول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه ، أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين عشائر بني مرين . وأنزل كلًّا منهم في ناحية تسوغها سائر الايام طعمة . فاستركبوا الرجل اتباعهم ، واستلحقوا من غاشيتهم ، وتوفرت عساكرهم . ثم نبضت نار المنافسة بين احيائهم ، وخالف بنو عسكر جماعتهم ، وصاروا الى الموحدين ؛ فحرضوهم على أبي يحيى بن عبد الحق وبني حمامة وأغروهم بهم. وبعثوا الصريخ الى يغمراسن بن زيان،

فوصل في قومه الى فاس . واجتمعوا جميعاً الى قائد الموحدين . وأعطوا الرهن على صدق البلاء في الامير أبي يحيى وأتباعه . وصمدوا إليه حتى انتهوا الى وزغة ، ثم الى كرت . واعجزهم فانكفوا راجعين الى فاس . ونذر يغمراسن بغدو الموحدين ؛ فخرج في قومه مع أوليائه بني عسكر. وعارضهم الامير أبو يحيى بوادي سبو ؛ فلم يطق حربهم . ورجع عنهم عسكر الموحدين بما صرخ في معسكرهم من موت الخليفة السعيد . ثم بعثوا اليهم لملاطفتهم في الفيئة الى الطاعة ومذاهب الخدمة، القائد عنبر الخصي مولى الخليفة في حصة من الروم والناشبة ؛ فتقبض عليهم بنو عسكر وتمسكوا بهم في رهنهم . وقتلوا كافة النصارى ؛ فأطلق أبناءهم ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان . ثم رجع بنو عسكر الى ولاية أميرهم أبي يحيى . واجتمع بنو مرين لشأنهم وتملكوا الاعمال. ثم مدوا عينهم الى تلك الامصار؛ فنزل أبو يحيى بجملته جبل زرهون. ودعا أهل مكناسة الى بيعة الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص صاحب افريقية ، لما كان يومئذ على دعوته وفي ولايته ؛ فحاصرها وضيق عليها بقطع المرافق وترديد الغارات ومعاودة الحرب ؛ الى ان أذعنوا لطاعته؛ فافتتحها صلحاً بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبي الحسن بن أبي العافية.

وبعثوا بيعتهم الى الامير أبي زكرياء ، وكانت من إنشاء أبي المطرف بن عُمَيْرة ، كان قاضياً فيهم يومئذ ؛ فأقطع السلطان

ليعقوب ثلث جبايتها . ثم أحسّ الامير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد، ومن قبيله الاستيلاء. فاتخذ الآلة. وبلغ الخبر الى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها الى دعوة ابن أبي حفص؛ فوجم لها وفاوض الملأ من أهل دولته في أمره، وأراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيئاً فشيئاً : فابن أبي حفص اقتطع افريقية . ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الأوسط ، وأقاموا فيها دعوة ابن أبي حفص ، وأطمعوه في الحركة الى مراكش بمظاهرتهم. وابن هود اقتطع عدوة الاندلس، وأقام فيها دعوة بني العباس، وابن الأحمر في الجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبي حفص . وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب ، ثم سموا الى تملك الامصار . ثم افتتح أميرهم أبو يحيى مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبي حفص ، وجاهر بالاستبداد . ويوشك إن رضينا هذه الدنيّة ، وأغضينا عن هذه الواقعات، ان يختلّ الامر او تنقرض الدعوة . فتدامروا وامتعضوا وتداعوا للصمود اليهم ؛ فجهز السعيد عساكره . واحتشد عرب المغرب وقبائله ، واستنفر الموحدين والمصامدة ، ونهض من مراكش سنة خمس واربعين يريد مكناسة : وبني مرين أوّلاً ، ثم تلمسان ويغمراسن ثانياً ، ثم افريقية وابن أبي حفص آخراً . واعترض العساكر والحشود بوادي بهت . ووصل الامير أبو يحيى الى معسكره متوارياً عنهم عيناً لقومه ، حتى صدقهم كنه الخبر .

وعلم ان لا طاقة له بهم ؛ فأفرج عن البلاد . وتناذر بنو مرين بذلك من أماكنهم ؛ فتلاحقوا به واجتمعوا اليه بتازوطا من بلاد الريف . ونزل سعيد مكناسة ، ولاذ أهلها بالطاعة وسألوا العفو عن الجريرة . واستشفعوا بالمصاحف ، برز بها الاولاد على رءوسهم ، وانتظموا مع النساء في صعيد حاسرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل . فعفا عنهم وتقبل فيئهم ، وارتحل الى تازى في اتباع بني مَرين . واجمع بنو اوطاس الفتك بأبي يحيى بن عبد الحق غيرة ومناسفة ، ودس اليه بذلك مهيب من مشيختهم ؛ فترحل عنهم الى بلاد بني يزناسن ، ونزل بعين الصفا .

ثم راجع نظره في مسالمة الموحدين والفيئة الى أمرهم ومظاهرتهم على عدوهم يَغَمْراسِن وقومه من بني عبد الواد ، ليكون فيها شفاء نفسه منهم ؛ فأوفد مشيخة قومه عليه بتازى ؛ فأدوا طاعته وفيئته ؛ فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التي أتوها . وسألوه ان يستكفي بالأمير أبي يحيى في أمر تلمسان ويغمراسن ، على ان يمده بالعساكر رامحة وناشبة ؛ فاتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العَصَبِيَّةِ ، فأمرهم السعيد بالعسكرة معه ؛ فأمده الامير أبو يحيى بخمسماية من قبائل بني مَرين . وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد بن يحيى بن أبي بكر بن حمامة ، وخرجوا تحت رايات السلطان . ونهض من تازى يريد تِلمْسان وما وراءها ،

وكان من خبر مهلكه على جبل تامزردكت بيد بني عبد الواد ما ذكرناه في اخبارهم .

ولما هلك وانفضت عساكره متسابقين الى مراكش ، وجمهورهم مجتمعون الى عبد الله بن الخليفة السعيد ولي عهده ، وتحت رايات أبيه . وطار الخبر بذلك الى الامير أبي يحيى ابن عبد الحق ، وهو بجهات بني يزناسن . وقد خلص اليه هنالك ابن عمه أبو عياد . وبعث بني مرين من تيار تلك الصدمة ، فانتهز الفرصة وأرصد لعسكر الموحدين وفلهم بكرسيف؛ فأوقع بهم وامتلأت أيدي بني مرين من أسلابهم ، وانتزعوا الآلة من أيديهم . وأصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو ، واتخذ الموكب الملوكي . وهلك الامير عبد الله بن السعيد في جوانب تلك الملحمة، ويئسوا للموحدين بعدها من الكرة. ونهض الأمير أبو يحيى وقومه الى بلاد المغرب مسابقين اليه يَغَمْراسن بن زيّان بما كان ملوك الموحدين ، اوجدوهم السبيل الى ذلك باستجاشة على بني مرين أيام فتنتهم معهم ؛ فكانوا يبيحونه حرم المغرب ويوطئونه عساكر قومه ما بين تازى الى فاس الى القصر مع عساكر الموحدين ؛ فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيها لولا ما كبحهم فأس بني مرين وجذع من أنوفهم .

وكان أول ما بدأ به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال وطاط ؛ فافتتح حصونهم بعلوية ودوخ جبلهم . ثم رحل الى فاس ، وقد

أجمع امره على انتزاعها من ملكة بني عبد المؤمن ، واقامة الدعوة لابن أبي حفص بهـا وبسائر نواحيها . والعامل بها يومئذ السيد أبو العباس ؛ فأناخ عليها بركابه . وتلطف في مداخلة اهلها ، وضمن لهم جميل النظر وحميد السيـاسة . وكف الأيدي عنهم ، والحماية لهم بحسن المغبة ، وصـالح العائدة ؛ فأجابوه ووثقوا بعهده وعنائه، وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته، وانتحال الدعوة الحفصية بأمره . ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن يأساً من صريخهم وكثرتهم . وحضر أبو محمد الفشتالي ، وأشهده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم ، وحسن الملكة والكفالة . وتقبّل مذاهب العدل فيهم ؛ فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة . وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح . ودخل الى قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد، فاتح ست وأربعين. وأخرج السيد أبا العباس من القصبة ، وبعث معه خمسين فارساً أجازوه ام ربيع ورجعوا . ثم نهض الى منازلة تازى، وبها السيد أبو علي ، فنازلهـا أربعة أشهر . ثم نزلوا على حكمه ، فقتلهم ومنّ على آخرين منهم . وسد ثغرها ، وثقف أطرافها ، وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لأخيه يعقوب بن عبد الحق . ورجع الى فاس ، فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة ، وجددوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم . ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح ،

فتملك الامير أبو يحيى هذه البلاد الاربعة أمهات أمصار المغرب. واستولى على نواحيها الى وادي أم ربيع ، فأقام فيها دعوة ابن أبي حفص ، وبعث بها اليه . واستبد بنو مرين بملك المغرب الاقصى، وبنو عبد الواد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص بافريقية . وخمد ذبال آل عبد المؤمن ، وركدت ريحهم ، وآذنت بالانقراض دولتهم ، واشرف على الفناء أمرهم . والى الله عاقبة الامور.

الخبر عن انتقاض أهل فاس على أبي يحيى بن عبد الحق وظفره بهم بعد ايقاعه بيغمراسن وقومه بايسلي

لما ملك الأمر أبو يحيى بن عبد الحق بمدينة فاس سنة ست وأربعين ، استولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد . وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن السيد أبي ابراهيم اسحاق الذي كان قائد عسكر الموحدين في حربهم مع بني مرين عام المشعلة ، ابن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. كان السعيد تركه والياً بقصبة رباط الفتح من سلا ؛ فاستدعاه الموحدون وبايعوه بيعة الخلافة . وقام بأمرهم ؛ فلما تغلب الامير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه ؛ خرج الى بلاد فازاز والمعدن لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها . واستعمل على فاس مولاه السعود بن خرباش ، من جماعة الحشم احلاف

بني مرين وصنائعهم . وكان الامير أبو يحيى استبقى بها من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عيصهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة . وكان فيهم طائفة من الروم ، استخدمهم الى نظر قائدهم شأنه ، وكانوا من حصة السعود هنالك . ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة ، وفتكوا بالسعود عاملهم وقلبوا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش سكيت الحلبة ومخلف المضمار . وكان المتولي لكبر تلك الثورة بن حشار المشرف وأخوه وابن أبي طاطو[1] وابنه ، اجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المُغَيلي ، زعيم فئة الشورى بينهم يومئذٍ وتوامروا فيها . وأغروا قائد الروم بقتل السعود ، وعدوا عليه بمقعد حكمه من القَصَبَة ، وهاجوه ببعض المحاورات فغضت . ورثب عليه الرومي ؛ فقتله وطاف برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع وأربعين . وانتهبت داره ، واستبيحت حرمه . ونصبوا قائد الروم لضبط البلد ، وبعثوا بيعتهم الى المرتضى . واتصل الخبر بالأمير أبي يحيى ، وهو منازل بلد فازاز ؛ فأفرج عنها . وأغذ السير الى فاس ؛ فأناخ بعساكره عليها . وشمر لحصارها ، وقطع السابلة عنها . وبعثوا الى المرتضى بالصريخ ؛ فلم يرجع اليهم قولاً ؛ ولا ملك لهم ضراً ولا نفعاً ؛ ولا وجه لما نزل بهم وجهاً . حاشا إنّه استجاش

---

(١) كذا، وفي ب: طاهر.

بالأمير أبي يحيى يَغَمْراسن بن زيان على أمره، وأغراه بعدوه، وأمله لكشف هذه النازلة عمن انحاش الى طاعته.

وتعلّقت اطماع يغمراسن بطروق بلاد المغرب؛ فاحتشد لحركته. ونهض من تلمسان للأخذ بحجزة الأمير أبي يحيى عن فاس، واجابة صريخ الخليفة لذلك. وبلغ الأمير أبا يحيى خبر نهوضه اليه لتسعة اشهر من منازلته البلد؛ فجمر الكتائب عليها. صمد اليه قبل وصوله من تخوم بلاده، والتقى الجمعان بايسلي من بسائط وجدة؛ فتزاحف القوم وأبلوا. وكانوا ملحمة عظيمة، هلك فيها عبد الحق محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد. ثم انكشف بنو عبد الواد، وهلك يغمراسن ابن تاشفين من أكابر مشيختهم، ونجا يَغَمْراسن بن زيّان الى تِلمْسان. وانكفأ الامير ابو يحيى الى معسكره للأخذ بخنق فاس فسقط في أيدي أهلها؛ ولم يجدوا وليجة من دون طاعته، فسألوا الامان؛ وبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة؛ وقدره مائة الف دينار؛ فتحملوها. وأمكنوه من قياد البلد؛ فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين. وطالبهم بالمال؛ فعجزوا ونقضوا شرطه؛ فحق عليهم القول. وتقبض على القاضي أبي عبد الرحمن وابن أبي طاطو وابنه، وابن حشار وأخيه المتولين كبر الفعلة فقتلهم، ورفع على الشرفات رؤوسهم. وأخذ الباقين بغرم المال طوعاً او كرهاً؛ فكان ذلك مما عبّد رعية فاس وقادهم لأحكام

بني مرين. وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد؛ فخشعت منهم الاصوات وانقادت الهمم؛ ولم يحدثوا بعدها انفسهم بغمس يد في فتنة. والله مالك الارض ومن عليها.

الخبر عن تغلب الأمير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها

لما كمل للأمير أبي يحيى فتح مدينة فاس، واستوسق امر بني مرين بها، رجع الى ما كان فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها. ودوّخ اوطان زناتة، واقتضى مغارمهم وحسم علل الثائرين فيها. ثم تخطّى الى مدينة سَلا ورِباط الفتح سنة تسع وأربعين؛ فملكها وتاخم الموحِّدين بثغرها. واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق، وعقد له على ذلك الثغر، وضم اليه الاعمال. وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى، فاهمه الشأن. وأحضر الملأ من الموحِّدين وفاوضهم، واعتزم على حرب بني مرين. وسرح العساكر سنة خمسين؛ فاحاطت بسلا؛ فافتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى. وعقد عليها لأبي عبد الله بن أبي يعلو من مشيخة الموحدين. وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسع وأربعين الى محاربة بني مرين في جموع الموحدين وعساكر الدولة، صمد بنو مرين للقائه. والتقى الجمعان بايملولين؛ ففضوا جموعه؛ وكانت الدبرة عليه والظهور لهم. ثم كان بعدها فتح سَلا، وغلب الموحدين

عليها. وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه، ومعاودة الخروج بنفسه الى غزوهم لما خشي من امتداد أمرهم. وتقلص ملك الموحدين؛ فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وبعث الحاشرين في الجهات؛ فاجتمع اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة. وأغذّ السير تلقاءهم، حتى اذا انتهى الى جبال بهلولة من نواحي فاس، وصمد اليه الامير أبو يحيى في عساكر بني مرين، ومن اجتمع اليهم من دونهم. والتقى الجمعان هنالك. وصدقهم بنو مرين القتال؛ فاختل مصاف السلطان؛ وانهزمت عساكره واسلمه قومه. ورجع الى مراكش مفلولاً. واستولى القوم على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه، وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة، واستاقوا سائر الكراع والظهر، وامتلأت ايديهم من الغنائم. واعتزّ امرهم، وانبسط سلطانهم، وكان يوماً له ما بعده. واغرى اثر هذه الحركة عساكر بني مرين تادّلا [1] واستباح بني جابر حاميتها من جشم ببلد أبي نفيس، واستلحم أبطالهم، وألان من حدّهم، وخضد من شوكتهم. وفي اثناء هذه الحروب كان مقتل علي بن عثمان ابن عبد الحق، وهو ابن أخي الامير أبي يحيى. شعر منه بفساد الدخلة والاجتماع للتوثب به؛ فدس لابنه أبي حديد مفتاح بقتله؛ بجهات مكناسة سنة إحدى وخمسين. والله تعالى أعلم.

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ، وفي معجم البلدان: تادلة.

الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان في ذلك من الأحداث

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بني مرين على ما صار في ايديهم من بلاد المغرب، وعادوا الى مدافعيهم عن صبابة الدولة التي تحلبت اليها شفاههم، لو اطاقوا المدافعة عنها، وملك بنو مرين عامة بلاد التلول؛ اعتزم الامير أبو يحيى بعدها على الحركة الى بلاد القبلة لفتح سجلماسة ودرعة وما اليها سنة ثلاث وخمسين؛ فافتتحها بمداخلة من ابن القطراني . غدر بعامل الموحدين، فتقبض عليه وأمكن منها الأمير ابا يحيى؛ فملكها وما اليها من درعة وسائر بلاد القبلة . وعقد عليها لابنه أبي حديد . وبلغ الخبر الى المرتضى؛ فسرح العساكر سنة اربع وخمسين لاستنقاذها . وعقد عليهم لابن عطوش من مشيخة الموحدين، فأغذّ الامير أبو يحيى السير اليها وابنه أبو حديد مفتاح . وأحس به ابن عطوش؛ ففر راجعاً الى مراكش. ثم نهض سنة خمس وخمسين الى محاربة يَغَمْراسِن. ولقيه بأبي سليط؛ فأوقع به واعتزم على اتباعه؛ فثناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق؛ لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن؛ فرجع . ولما انتهى الى القرمدة هذه، بلغه ان يغمراسن قصد سجلماسة لمداخلة من بعض اهلها . أطمعه في ملكها؛ فأغذ السير اليها بجموعه ودخلها . ولصبيحة دخوله، وصل يغمراسن لشأنه . فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط في يديه ويئس

من غلابه ، ودارت بينهم حرب تكافيا فيها . وهلك سليمان ابن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي يحيى . وانقلب يغمراسن الى بلده . وعقد الامير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ، ليوسف بن يزكاسن . واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربي وداود بن يوسف . وانكفأ راجعاً الى فاس . والله تعالى أعلم .

الخبر عن مهلك الأمير أبي يحيى وما كان أثر ذلك من الأحداث التي تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالأمر

لما رجع الامير ابو يحي من حرب يَغَمْراسن بسجلماسة ، أقام اياماً بفاس . ثم نهض الى سجلماسة متفقداً لثغورها ؛ فانقلب منها عليلاً . وهلك حتف أنفه على سرير ملكه في رجب سنة ست وخمسين ، امضى ما كان عزماً ، وأطول الى تناول الملك يداً . اختطفته المنون عن شأنه ، ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس ، ضجيعاً للمولى أبي محمد الفشتالي كما عهد لأهل بيته . وتصدى للقيام بامره ابنه عمر ، واشتمل عليه عامة قومه . ومالت المشيخة وأهل الحل والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق ، وكان غائباً عن مهلك أخيه بتازى فلما بلغه الخبر اسرع اللحاق بفاس ، وتوجهت اليه وجوه الاكابر . وأحس عمر بصاغية الناس إليه . وحرضه اتباعه على الفتك به ؛ فاعتصم بالقصبة . وسعى الناس في الاصلاح بينهما ؛

فتفادى يعقوب من الأمر، ودفعه الى ابن أخيه، على أن يكون له بلاد تازى وبطوية وملوية. ولما لحق بتازى، واجتمع اليه كافة بني مَرين، عذلوه فيما كان منه فاستلام. وحملوه على العودة في الامر، ووعدوه من انفسهم المظاهرة والمؤازرة فأجاب، وبايعوه وصمدوا الى فاس. وبرز عمر للقائه؛ فانتهى الى المسجدين. ولما تراءى الجمعان خذله جنوده واسلموه؛ فرجع الى فاس مفلولاً. وجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة. ونزل له عن الامر؛ فاجابه الى ذلك. ودخل السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس مملكاً سنة سبع وخمسين، وتمشت طاعته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم ربيع وسجلماسة وقصر كتامة. واقتصر عمر على إمارة مكناسة؛ فتملكها أياماً. ثم اغتاله من عشيره عمر وابراهيم ابنا عمه: عثمان بن عبد الحق، والعباس ابن عمه محمد ابن الحق؛ فقتلوه وثاروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه. وهلك لعام وبعض عام من امارته؛ فكفى يعقوب شأنه. واستقام سلطانه، وذهب المنازع والمشاق عن امره. وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه الأمير أبي يحيى سما له الامل في الاجلاب على المغرب؛ فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومَغراوة، وأطمعهم في غيل الاسود. ونهضوا الى المغرب حتى انتهوا الى كلدامان. وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق الى لقائهم؛ ففلهم ورجعوا على تعبية ومرّ يَغْمراسن ببلاد بطوية؛ فاحرق وانتسف واستباح؛ وأعظم

فيها النكاية . ورجع السلطان الى فاس ، وتقبل مذهب أخيه الامير أبي يحيى في فتح امصار المغرب وتدويخ اقطاره . وكان مما أكرمه الله به أن فتح امره باستنقاذ مدينة سَلا من أيدي النصارى؛ فكان له فيها اثر جميل وذكر خالد؛ على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن فجاءة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم

كان يعقوب بن عبد الله [1] قد استعمله الامير ابو يحيى على مدينة سَلا لما ملكها كما ذكرناه . فلما استرجعها الموحدون من يده؛ أقام يتقلب في جهاتها مرصداً لاهلها وحاميتها . ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال؛ فذهب مغاضباً حتى نزل غبولة . والطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا ليعتدها ذريعة لما اسر في نفسه؛ فتمت له الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فاراً الى أزَمّور . وخلف أمواله وحرمه؛ فتملك يعقوب ابن عبد الله البلد . وجاهر بالخلعان ، وصرف الى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم، وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح . فتحاوروا في ذلك ، وكثرت سفن المترددين بينهم ، حتى كثروا أهلها واهتبلوا غرة يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم . وثاروا بسلا ، وسبوا الحرم وانتهبوا

(١) كذا، وفي نسخة: عبد الحق.

الاموال ، وضبطوا البلد . وامتنع يعقوب بن عبدالله برباط الفتح ، وطار الصريخ الى السلطان أبي يوسف . وكان بتازى متشرفاً لاحوال يغمراسن ، فنادى في قومه ، وطاروا باجنحة الخيول . ووصلها ليوم وليلة ، وتلاحقت به امداد المسلمين من اهل الديوان والمطّوّعة . ونازلها اربع عشرة ليلة ، ثم اقتحمها عليهم عنوة ، واثخن فيهم بالقتل . ثم رمّ بالبناء ما كان متثلّماً من سورها الغربي ، حيث امكنت منه الفرصة في البلد . وتناول البناء فيه بيده . والله لا يضيع عمل عامل .

وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان ، فخرج من رباط الفتح وأسلمه؛ فضبطه السلطان وثقفه. ثم نهض الى بلاد تامسّنا[1] وأنفى؛ فملكها وضبطها. ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة ؛ فامتنع به . وسرح السلطان ابنه ابا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته. وسار الى لقاء يغمراسن لقاءة المهادنة ؛ فلقيه بوادي محرمان. وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب. ورجع السلطان الى المغرب؛ فخرج عليه بنو أخيه اولاد أدريس . ولحقوا بقصر كتامة . وشايعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رايه ، واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن أدريس ؛ فيمن اليهم من العشير والصنائع؛ فنهض اليهم واعتصموا بجبال غمارة. ثم استنزلهم

(١) أوردها ياقوت في معجم البلدان: تامست. وفي كتاب أزهار الرياض ج ١ ص ٢٦٥ : تامسنا.

واسترضاهم. وعقد لعامر بن أدريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس او يزيدون من المطوعة من بني مَرين، أغراهم الى العدوة لجهاد العدو وحملهم، وفرض لهم. وشفع بها عمله في واقعة سلا؛ وهو أول جيش أجاز من بني مَرين؛ فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد. تقبل سبيلهم فيها خلفهم من بعدهم حسبما نذكره.

وأقام يعقوب بن عبد الله خارجاً بالنواحي منتقلاً في الجهات، الى ان قتله طلحة بن محلي بساقية غبُولة من ناحية سَلا سنة ثمان وستين، فكفى السلطان شأنه. وكان المرتضى منذ توالت عليهم الوقائع، واستمر الظهور لبني مَرين، انحجز في جدرانه وتوارى بالاسوار عن عدوه، فلم يسم الى لقاء زحف، ولا حدث نفسه الى شهود حرب. واستأسد بنو مَرين على الدولة، وشرهوا الى التهام البقيه، واسفوا الى منازلة مَرّاكُش دار الخلافة، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان أثر ذلك من نزوع أبي دبوس إليه وكيف نصبه للأمر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره، استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم. ورأى انه اوهن لدولتهم

وأقوى لامره عليهم. وبعث قومه واحتشد اهل ممالكه، واستكمل تعبيته. وسار حتى انتهى الى ايكليز [١]، فاعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة. ثم نزل بمقرها، واخذ بمخنقها. وعقد المرتضى على حربهم للسيد أبي العلاء ادريس المكنى بأبي دبوس ابن السيد ابي عبدالله ابن ابي حفص بن عبد المؤمن، فعبّأ كتائبه ورتب مصافه. وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة، فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها، استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق، وكانوا يسمونه برطانتهم ايعجوب [٢]. ففت مهلكه في عضدهم، وارتحلوا عنها الى عملهم، واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم ربيع. وعليهم يحيى بن عبدالله بن وانودين، فاقتتلوا في بطن الوادي. وانهزمت عساكر الموحدين. وكان في مسيل الوادي، كدى تحسر عنها غمر الماء وتبدو كأنها أرجل؛ فسميت الواقعة بها أم الرجلين. ثم سعى بعض سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى، في ابن عمه وقائد حربه السيّد أبي دبوس بطلبه الامر لنفسه. وشعر بالسعاية؛ فخشي بادُرة المرتضي. ولحق بالسلطان أبي يوسف مدخله الى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين نازعاً اليه؛ فأقام عنده ملياً. ثم سأل منه الاعانة على امره بعسكر يمده، وآلة يتخذها لملكه، ومال يصرفه في

---

(١) كذا، وفي نسخة: أيكلين.

(٢) كذا، وفي نسخة: المعجوب.

ضروراته . على أن يشركه في الغنيمة والفتح والسلطان ؛ فأمده بخمسة آلاف من بني مرين ، وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة . وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل ممالكه ومن سواهم أن يكونوا يداً معه . وسار في الكتائب حتى شارف الحضرة . ودس الى أشياعه ومن يداخله من الموحدين في أمره ؛ فثاروا بالمرتضى وأجهضوه عنها ؛ فلحق بأزَمّور مستجيشاً بصهره ابن عطوش. ودخل أبو دبوس الحضرة في المحرم فاتح خمس وستين ، وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى ، واقتاده اسيراً الى أبي دبوس. فبعث مولاه مزاحماً ، اجتز رأسه في طريقه ، واستقل بالخلافه وصبابة آل عبد المؤمن . ثم بعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة؛ فعتا واستنكف . ونقض العهد وأساء الخطاب ؛ فنهض اليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب ؛ فخام عن اللقاء وانحجر بمراكش. ونازله السلطان أياماً تباعاً . ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزرع ، وينسف الاقوات . وعجز ابو دبوس عن دفاعه ؛ فاستجاش عليه بيغمراسن بن زيان ليفتّ في عضده ، ويشغله من ورائه ، ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما نذكر لو امهلته الايام ، وانفسح له الاجل .

الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق
ويغمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتضريبه

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مَرّاكُش، وقعد على براثنه للتوثُّب عليه، لم يجد ابو دبوس وليجة من دون قصده، إلّا استجاشته بيغمراسن وقومه عليه، ليأخذوا بحجزته عنه، ويشغلوه من ورائه. فبعث اليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوّه. وأكد العهد واسنى الهديّة، وشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه. وشن الغارات على ثغور المغرب، وأضرمها ناراً؛ فاهاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب ليثاً عادياً، وارهف منه عزماً ماضياً. وأفرج يعقوب عن مراكش بعزم النهوض الى تلمسان، ونزل بفاس، وتلوم بها اياماً حتى أخذ أهبة الحرب، وأكمل استعدادها. ورحل فاتح سنة ست وستين، وسلك على كرسيف، ثم على تافراطا وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ، وعبّأ كل منهم كتائبه ورتب مصافه. وبرز النساء سافرات الوجوه في سبيل التحريض، يحيين ويعدين ويرغبن. ولما فاء الفيء ومال النهار، وكثر حشود المغرب جموع بني عبد الواد ومن اليهم، انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم. وهلك ابو حفص عمر كبير ولد يَغْمُراسن وولي عهده في جماعة من عشيره، ذكرناهم في أخباره. وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه؛ فكان لهم ردءاً الى أن

خلصوا من المعترك، ووصلوا الى بلادهم في جمادى من سنتهم. وعاد السلطان أبو يوسف الى مكانه من حصار مَرّاكُش. والله أعلم.

الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من ال أبي حفص

كان الأمير أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس وعشرين طموحاً الى ملك مراكش، مقر الدعوة، ومنبعث الدولة، وأصل الخلافة. وكان يؤمل لذلك زَناتَة، وإلّا فلما دونه من خضد شوكة آل عبد المؤمن، وتقليم أظفار بأسهم، وردّهم على أعقابهم ان يخلصوا اليه. وتغلب على تِلِمْسان سنة أربعين. ودخل يغمراسن بن زيّان في دعوته، وصار فئة له وشيعته على عدوه كما ذكرناه؛ فوصل به جناحه للمدافعة. وناغاه بنو مرين في مراسلة ابن أبي حفص ومخاطبته، وتخفيض الشأن عليه فيما يهمه من شأن عدوه، وحمل ما يفتحون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة: مثل فاس ومكناسة والقصر. وكان هو يلاطفهم بالتحف والهدايا، ويريهم البر في الكتاب والخطاب والمعاملة وتكريم الوفد، غير سبيل آل عبد المؤمن فكانوا يجنحون بذلك الى تجديد مراسلته، وايفاد قرابتهم عليه. وولي ابنه المستنصر من بعده سنة سبع وأربعين؛ فتقبل مذاهب أبيه؛ وأوفى عليها بالايماز اليهم بمنازلة مراكش، وضمان الانفاق

عليهم فيها ؛ فكان يبعث لذلك احمالاً من المال والسلاح واعداد وافرة من الخيل بمراكبها للحملان ؛ ولم يزل دأبه ذلك معهم . ولما فعل ابن أبي دبوس فعلتـه في نقض العهـد ، واستجمع السلطان لمنازلته ، قدم بين يدي عمله مراسلة الخليفة المستنصر ، يخبره الخبر ، ويتلطف له في استنزال المدد ؛ فـاوفد عليه ابن أخيه عـامر بن ادريس بن عبد الحق ؛ وأصحبه عبد الله بن كندوز العبد الوادي كبير بني كمي ، وقريع بني يغمراسن ، الـذي ثار يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه في أخبارهم . وكان خلص اليه من حضرة المستنصر ، فلقاه مبرة وتكريماً . وأوفد معهما الكاتب أبـا عبد الله محمد بن محـمد الكناني من صنائع دولة آل عبد المؤمن ، كان نزع الي أخيه الامير أبي يحيى لما رأى من اختلال الدولة ، وانزله مكناسة ، وآثره بالصحبة والخلة . فجمع له يعقوب بن عبد الحق في هذا الوفد من الاشراف من يحسن الرياسة، ويعرب عما في الضمائر ، ويدل على شرف مرسله . فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين ، وأدوا رسالتهم وحركوا له جوار المظاهرة على صاحب مراكش وكبح عنانه ، فحن واهتز سروراً من أعواده ، ولقاهم مبرة التكريم وأحسن النزل . ورد الامـير عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز لوقتهما . وتمسك بالكناني من بينهم لمصاحبة وفده ، فطال مقامه عنده الى أن كان من فتح مراكش ما نذكره .

ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة تسع وستين بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده، أبا زكرياء يحيى بن صالح الهنتاتي، مع جماعة من مشيخة الموحدين في مرافقة محمد الكناني. وبعث معهم الى السلطان هدية سنية يلاطفه بها ويتاحفه، انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقاه. ووقف رضاه وهمته على الاستكثار منه، فحسن موقعها وتحدث بها، وانقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلطف محمد الكناني في ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش، فتم له. وشهده وفد الموحدين، فعظم سرورهم وانقلبوا محبورين مسرورين. واتصلت بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبدالحق الى أن هلك وجرى ابنه الواثق من بعده على سننه، فبعث اليهم سنة سبع وسبعين هديّة حافلة، بعث بها القاضي أبا العباس الغَماريّ قاضي بجاية، فعظم موقعها. وكان لأبي العباس الغماري بالمغرب ذكر تحدث به الناس. والله أعلم.

الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يَغْمَراسن، ورأى أن قد كفّ من غربه ورد من كيده وكيد أبي دبوس صريخه، صرف حينئذ عزائمه الى منازلة مراكش، والعودة الى مضايقتها

كما كان لأول امره. ونهض لغزاته من فاس في شعبان من سنته. ولما أجاز أم ربيع، بث السرايا، وسرح الغارات. وأطلق الأيدي والأعنّة للنهب؛ فحطموا من زروعها وانتسفوا آثارهـا. وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه. ثم غزا عرب الخلط من جشم بِتادَلا؛ فأثخن فيهم واستباحهم. ثم نزل وادي العبيد، ثم غزا بلاد صنهاجة. ولم يزل ينتقل ركابه بانحاء البلاد المراكشية وأحوازها، حتى حصرت صدور بني عبد المؤمن وقومه. وأغراهم اولياء الدولة من عرب جَشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوه؛ فجمع لذلك وبرز في جيوش ضخمة وجموع وافرة. واستجره أبو يوسف بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ؛ فيستمكن منه حتى نزل عفو. ثم كر اليه والتحم القتال؛ فاختل مصافه وفر عساكره. وانهزم يريد مراكش؛ فادركوه دون أمله. واعتاقه اجله؛ فطعن في مفره وخر صريعاً لليدين والفم واحتز رأسه. وهلك بمهلكه وزيره عِمْران، وكاتبه علي بن عبد الله المُغَيْلي. وارتحل السلطان أبو يوسف الى مراكش. وفر من كان بها من الموحدين؛ فلحقوا بجبل تينملل. وبايعوا لاسحق أخي المرتضى، فبقي ذبالة هنالك سنين. ثم تقبض عليه سنة اربع وسبعين، وسيق الى السلطان هو وابو سعيد ابن عمه السيد أبي الربيع والقبائلي واولاده فقتلوا جميعاً. وانقرض امر بني عبد المؤمن. والله وارث الارض ومن عليها.

وخرج الملأ واهل الشورى من الحضرة الى السلطان، فامنهم ووصلهم . ودخل مراكش في بروز فخم فاتح سنة ثمان وستين . وورث ملك آل عبد المؤمن وتولاه ، واستوسق امره بالمغرب ، وتطامن الناس لبأسه ، وسكنوا لظل سلطانه. واقام بمراكش الى رمضان من سنته . واغزى ابنه الامير ابا مالك الى بلاد السوس فافتتحها واوغل في ديارها ودوخ اقطارها . ثم خرج بنفسه الى المغرب لبلاد دَرْعَة ، فاوقع بهم الواقعة المشهورة التي خضدت من من شوكتهم . ورجع لشهرين من غزاته . ثم اجمع الرحلة الى الى داره بفاس فعقد على مَرّاكُش واعمالها لمحمَّد بن علي من كبار اوليائهم ، ومن اهل خؤلته ، وكان من طبقة الوزراء، حسبما يأتي التعريف به وبعشيره . وانزله بقصبة مراكش ، وجعل المصالح في اعمالها الى نظره . وعهد اليه بتدويخ الاقطار ، ومحو آثار بني عبد المؤمن . وفصل الى حضرته واراح بسلا ، فكان من خبر عهده لابنه ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن عهد السلطان لابنه أبي مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه ادريس واجازتهم الى الاندلس

لما تلوّم السلطان بسلا، منصرفه من رباط الفتح ، واراح بها ركابه ، عرض له طائف من المرض ، ووعك وعكا شديدا . فلما أبلّ جمع قومه ، وعهد بامره فيهم لابنه أبي مالك عبد الواحد

كبير ولده، بما علم من اهليته لذلك. واخذ له البيعة عليهم، واعطوها طواعية. واسف القرابة من ولد اخويه عبدالله وادريس لانهما سوط النساء، ووجدوا في انفسهم لما يرون انّ عبد الله وادريس أكابر ولد عبد الحق، ولهما التقدم على من بعدهما من ولده، وانهما احق بالامر. فمادت هيف الى اديانها، ونفسوا على ابن السلطان ما اخذ له من البيعة والعهد. ونزعوا عنه الى جبل علودان من جبال غَمارَة، عشّ خلافهم، ومدرج فتنتهم، وذلك سنة تسع وستين. ورياستهم يومئذ لمحمد بن ادريس وموسى بن رحو ابن عبدالله. وخرج معهم ولد أبي عيّاد بن عبد الحق. واغزاهم السلطان ولده أبا يعقوب يوسف في خمسة آلاف من عسكره؛ فاحاط بهم واخذ بمخنقهم. ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره، ومعه مسعود بن كانون شيخ سفيان. ثم خرج في اثرهم السلطان أبو يوسف، واجتمع معسكرهم بتافركا ونازلوهم ثلاثا. وهلك في حروبهم منديل بن ورتطليم. ولما رأوا أنْ قد أحيط بهم سألوا الأمان؛ فبذله وانزلهم. واستل سخائمهم، ومسح ما في صدورهم، ووصل بهم الى حضرته. وسألوا منه الاذن في اللحاق بتلمْسان حياءً من كبر ما ارتكبوا؛ فاذن لهم. واجازوا البحر الى الاندلس، وخالفهم عامر بن ادريس، لما انس من صاغية السلطان اليه؛ فتخلف عنهم بتلمسان حتي توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان تلمسان كما نذكره الآن.

واحتل بنو ادريس وعبد الله وابن عمهم عياد بالاندلس ، على حين اقفر من الحامية جوها ، واستأسد العدو على ثغرها. وتحلبت شفاههم لالتهامها ، فاحتلوها اسوداً ضارية ، وسيوفاً ماضية ، معودين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال. مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة الغزو وبسالة التوحش ؛ فعظمت نكايتهم في العدو واعترضوا شجى في صدره دون الوطن الذي كان طعمة له في ظنه. وارتدوه على عقبه ، ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر ، وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم. وزاحموا امير الاندلس في رياستها بمنكب ؛ فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من اهل العدوة من اعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من امم البرابرة. وتناقلوها ، وساهموه في الجباية ، بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستمروا على ذلك لهذا العهد. وحسن اثرهم فيها كما سنذكره بعد في اخبار القرابة. ثم اعمل السلطان نظره في غزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف الى تلمسان ووواقعته على يغمراسن وقومه بايسلي

لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المؤمن ، وفتح مراكش ، واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين ، وعاد الى فاس كما ذكرناه ، تحرك ما كان في نفسه من ضغائن يَغَمْراسن وبني

عبد الواد ، وما اسفوا به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده. ورأى أنّ واقعة تلاغ لم تشف صدره ، ولا أطفأت نار موجدته ؛ فاجمع امره على غزوهم. واقتدر بما صار اليه من الملك والسلطان على حشر اهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم ؛ فعسكر بظاهر فاس. وسرح ولده وولي عهده أبا مالك الى مَرّاكش في خواصه ووزرائه ، حاشرين في مدائنها وضواحيها ، وقبائل العرب والمصامدة ، وبني ورا وغَمْرَة وصَنْهاجة ، وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة ، وحامية الامصار من جند الروم وناشبة الغزو. فاستكثر من اعدادهم ، واستوفى حشدهم. واحتفل السلطان بحركته ، وارتحل من فاس سنة سبعين وستماية وتلوّم بِمَلْوِيّة الى ان لحقته الحشود ، وتوافت اليه امداد العرب من قبائل جشم اهل تامسنا ، الذين هم سُفيان والخُلط والعاصم وبنو جابر ، ومن معهم من الأَثْبج ، وقبائل ذوي حسّان والشبانات من المعقل اهل السوس الاقصى ، وقبائل رياح اهل أزغار والهبط. فاعترض هنالك عساكره ، وعبّأ مواكبه ؛ فيقال بلغت ثلاثين الفاً. وارتحل يريد تلمسان. ولما انتهى الى انكاد ، وافته رسل ابن الاحمر هنالك ، ووفد المسلمين بالاندلس صريخاً على العدو. ويستجيشون باخوانهم المسلمين ويسألونه الاعانة؛ فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم. ونظر في صرف الشواغل عن ذلك ، وجنح الى السلم مع يَغْمُراسن. وصوب الملأ في ذلك رأيه لما كانوا عليه من ايثار الجهاد. وانتدب

جماعة من المشيخة الى السعي في اصلاح بينهما ، والكف عن غرب عداوتهما .

وساروا الى يَغْمراسن ؛ فوافوه بظاهر تلمسان قد اخذ اهبة الحرب واستعد للقاء . واحتشد زَنَاتة اهل ممالكه بالشرق من بني عبد الواد وبني راشد ومغراوة واحلافهم من العرب زغبة . فلجّ في ذلك واستكبر ، وصم عن اسعافهم . وزحف في جموعه والتقى الجمعان بوادي ايسلى من بسائط وَجْدَة ، والسلطان ابو يوسف قد عبأ كتائبه ، ورتب مصافه . وجعل ولديه الأميرين أبي مالك وأبي يعقوب في الجناحين . وسار في القلب ؛ فدارت بينهم حرب شديدة ، انجلت عن مهلك فارس بن يغمراسن ، وجماعة من بني عبد الواد . وكاثرتهم حشود المغرب الاقصى وقبائله ، وعسكر الموحدين والبلاد المراكشية ؛ فولوا الادبار . وهلك عامة عسكر الروم لثباتهم بثبات السلطان ؛ فطحنتهم رحى الحرب . وتقبض على قائدهم بيرنبس . ونجا يغمراسن بن زيان في فلّه مدافعاً دون اهله الى تلمسان . ومر بفساطيطه ؛ فأضرمها ناراً . وانتهب معسكره ، واستبيحت حرمه . واقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خرّبها ، واضرع بالتراب اسوارها ، والصق بالرغام جدرانها . ثم نهض الى تلمسان ؛ فحاصرها اياماً واطلق الايدي في ساحاتها بالنهب والعيث . وشن الغارات على البسائط ؛ فاكتسحها سبياً ونسفها نسفاً .

وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي ، وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه ، له في ذلك اخبار مذكورة. وكان مهلكه في شوال من هذه السنة. ووصله بمثواه من حصارها محمد بن عبد القوي أمير بني توجين ، ومستصرخه على بني عبد الواد ، لما نال منه يغمراسن من ضيم القهر وذل الغلب والتحيُّف. وصله في كافة قبيله مباهياً بآلته ؛ فاكرم السلطان أبو يوسف وفادته ، واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه . واتخذوا زينة السلاح لمباهاته . واقام محاصراً لتلمسان معه أياماً حتى وقع الياس وامتنع البلد ، واشتدت شوكة حاميته. ثم أجمع السلطان ابو يوسف على الافراج عنها ، واشار على الامير محمد بن عبد القوي وقومه بالفصول قبل قفوله ، وان يغذُّوا السير الى بلادهم . وملأ حقائبهم باتحافه ، وجنب لهمماية من المقربات بمراكبها ، واراح عليهم الف ناقه حلوب . وعمهم بالصلات من الخلع والكساء الفاخرة. واستكثر لهم السلاح والفازات والفساطيط ، وحملهم على الظهر ، وارتحلوا وتلوّم السلطان أياماً لمنجاتهم الى مقرهم من جبل وانشريش حذراً من غائلة يغمراسن في انتهاز فرصة فيهم .

ثم قفل الى فاس ودخلها مفتتح احدى وسبعين . وهلك ولده الامير ابو مالك ولي عهده لأيام من مقدمه ، فاسف لمهلكه . ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده ، ورجع الى حاله في افتتاح بلاد المغرب . وكان في غزوته هذه ملك حصن تاونت ، وهو معقل

مَطْغَرَة ، وشحنه بالاقوات لما رآه ثغراً مجاوراً لعدوه . واسلمه لنظر هارون شيخ مطغرة . ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه . واقام هارون بحصن تاونت ، ودعا لنفسه . ولم يزل يغمراسن يردد الغزو اليه حتى فر من الحصن واسلمه سنة خمس وسبعين . ولحق بالسلطان أبي يوسف كما ذكرناه في اخباره عند ذكر قبيلة مطغرة . وكان من شأنه ما ذكرناه هنالك .

الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة وفرض الأتاوة عليهم وما قارن ذلك من الأحداث

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة ، مذ اوّل دولة الموحدين من اعظم عمالاتهم واكبر ممالكهم ، بما كانت ثغر العدوة ومرقى الاساطيل ، ودار انشاءة الآلة البحرية ، وفرضة الجواز الى الجهاد . فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بني عبد المؤمن . وقد ذكرنا ان الرشيد كان عقد على أعمالها لأبي علي بن خلاص من اهل بَلَنْسِيَة ، وانه بعد استفحال الامير أبي زكرياء بافريقية ، ومهلك الرشيد ، صرف الدعوة اليه سنة أربعين . وبعث اليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم . وولّى على طنجة يوسف بن محمد ابن عبد الله بن احمد الهمداني المعروف بابن الأمين ، قائداً على الرجل الاندلسيين ، وضابطاً للقصبة . وعقد الأمير أبو زكرياء على سَبْتَةَ لأبي يحيى ابن أبي زكرياء ، ابن عمه يحيى الشهيد ، ابن الشيخ

أبي حفص فنزل بها. فاستراب أبو علي بن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقاً في البحر؛ فرحل بجملته الى تونس في السفن. واراح ببجاية؛ فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين. ويقال بل هلك في سفينته، ودفن ببجاية. ولما هلك الامير ابو زكرياء في سنة سبع بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المستنصر، وطردوا ابن الشهيد، وقتلوا العمّال الذين كانوا معه، وصرفوا الدعوة الى المرتضى. وتولى كبر ذلك حجبون الزنداحي[1] بمداخلة أبي القاسم العزفي كبير المشيخة بسبتة، وأعظمهم تجلة. ونشأ في حجر أبيه الفقيه الصالح أبي العباس احمد مكفوفاً بالجلالة، مغذّواً بالعلم والدين، بما كان له فيهما قدم الى أن هلك. فأوجب أهل البلد لابنه ما عرفوه لحقه وحق ابيه من قبله؛ فكانوا يفزعون اليه في المهات. ويسلمون له في الشورى؛ فاغري الزنداحي بهذه الفعلة ففعلها، فعقد المرتضى لأبي القاسم العزفي على سبتة مستقلّاً من غير اشراف أحد من السادة ولا من الموحدين. واكتفى بغنائه في ذلك الثغر. وعقد لحجبون الزنداحي على قيادة الأساطيل بالمغرب، فورثها عنه بنوه الى أن زاحمهم العزفي بمناكب رياسته؛ فقوضوا عن سبتة: فمنهم من نزل بمالقة على بني الاحمر، ومنهم من نزل ببجاية على آل أبي حفص. ولهم

(١) كذا، وفي ب: الرنداحي. وفي نسخة: الدفداجي.

في الدولتين آثار تشهد برياستهم . واستقل الفقيه ابو القاسم العزفي برياسة سَبْتَةَ ، وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد .

وكانت طنجة تالية سبتة في سائر الاحوال وتبعاً لها ؛ فاتبع ابن الامين صاحبها امارة الفقيه أبي القاسم . ثم انتقض عليه لسنته واستبد ، وخطب لابن أبي حفص ، ثم للعباسي ، ثم لنفسه . وسلك فيها مسلك العزفي في سبتة . ولبثوا كذلك ما شاء الله حتى اذا ملك بنو مرين المغرب ، وانبثوا في شعابه ، ومدوا اليد الى ممالكه فتناولوها ، ونازلوا معاقله وحصونه فاقتحموها . وهلك الامير ابو يحيى بن عبد الحق وابنه عمر من بعده . وتحيز بنوه في ذويهم واتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة واصيلا ، فاوطنوا ضاحيتها ، وافسدوا سابلتها ، وضيقوا على ساكنها ، واكتسحوا ما حواليها . وشارطهم ابن الامين على خراج معلوم ، على ان يكفوا الاذية ، ويحموا الحوزة ، ويصلحوا السابلة . فاتصلت يده بايديهم ، وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم . ثم مكروا واضمروا الغدر . ودخلوا في بعض ايامهم متأبطين السلاح ؛ وفتكوا بابن الامين غيلةً ؛ فثارت بهم العامة لحينهم . واستلحموا لمصرع واحد سنة وستين . واجتمعوا الى ولده وبقيت في ملكتهم خمسة أشهر . ثم استولى عليها العزفي ؛ فنهض اليها بعساكره من الرجل براً وبحراً واستولى عليها . وفر ابن الامين ، ولحق بتونس ، ونزل على المستنصر . واستقرت طنجة في ايالة العزفي ، فضبطها وقام بامرها ،

وولى عليها من قبله . واشرك الملأ من اشرافه في الشورى . ونازلها الأمير ابو مالك سنة ست وستين ؛ فامتنعت عليه . واقامت على ذلك ستاً ، حتى اذا انتظم السلطان ابو يوسف بلاد المغرب في ملكته ، واستولى على حضرة مراكش ، ومحا دولة بني عبد المؤمن ، وفرغ من أمر عدوه يغمراسن ، وهم بتلك الناحية واستضافة عملها ؛ فأجمع الحركة اليها ونازل طنجة مفتتح اثنتين وسبعين ، بما كانت في البسيط من دون سبتة ، وأقام عليها أياماً . ثم اعتزم على الافراج ؛ فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وافترق بينهم . وتنادى بعض الناشبه من السور بشعار بني مرين ؛ فبادر سرعان الناس الى تسوّر حيطانها ؛ فلكوه عليهم وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم . ثم دخلوا البلد من صبيحتها عنوةً ، ونادى منادي السلطان في الناس بالامان والعفو عن اهل البلد ، فسكن ومهد وفرغ من شأن طنجه . ثم بعث ولده الامير أبا يعقوب في عساكر ضخمة ، لمنازلة العزفي بسبتة ، وارغامه على الطاعة ؛ فنازلها اياماً ؛ ثم لاذ بالطاعة على المنعة . واشترط على نفسه خراجاً يؤديه كل سنة ؛ فتقبل السلطان منه . وافرجت عساكره عنهم ، وقفل الى حضرته . وصرف نظره الى فتح سجلماسة ، وازعاج بني عبد الواد المتغلبين عليها ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن فتح سجلماسة الثاني ودخولها عنوة على بني عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الامير أبي يحي بن عبد الحق على مدينة سجلماسة وبلاد درعة، وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن، وانزل معه ابنه مفتاحاً المكّنى بأبي حديد في مشيخة لحياطتها. وان المرتضى سرح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين في العساكر لاسترجاعها؛ فنهض اليه الامير أبو يحي وشرده عنها ورجعه على عقبه. وان يغمراسن بن زيّان، من بعد واقعة أبي سليط سنة خمس وخمسين، قصدها لعورة دُلَّ عليها، وغرة أمل اصابتها. فسابقه اليها أبو يحيى، ومانعه من دونها، ورجع عنها خائب المسعى، مفلول الحامية. وكان الامير أبو يحيى من بعد ما عقد عليها ليوسف بن يزكاسن، عقد عليها من بعده لسنة ونصفها من ولايته، ليحيى بن أبي مِنْديل كبير بني عسكر أقتالهم، ومقاسميهم نسب محمد بن ورصيص ثم عقد عليها لشهرين لمحمد بن عِمْران بن عبلة من بني يرنيان صنائع دولتهم. واستعمل معه على الجباية أبا طالب بن الحبسي، وجعل مصلحة الجند بها الى نظر أبي يحيى القطراني، وملكه قيادتهم. وأقاموا على ذلك سنتين اثنتين.

ولما هلك الامير أبو يحيى، وشغل السلطان أبو يوسف بحرب

يغمراسن ، ومنازلة مراكش ؛ سما للقطراني أملٌ في الاستبداد بها ودخل في ذلك بعض أهل الفتن وظاهره يوسف بن فرج العزفي وفتكوا بعمار الورندغزاني شيخ الجماعة بالبلد. وائتمروا بمحمد ابن عمران بن عبلة ؛ فخرج ولحق بالسلطان ؛ فاستبد القطراني بها. ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان وخمسين ، لسنة ونصفها من لدن استبداده ، وقتلوه. وصرفوا بيعتهم الى الخليفة المرتضى بمرّاكُش. وتولى كبر ذلك القاضي ابن حَجّاج وعلي بن عمر ؛ فعقد له المرتضى عليهم. وأقام بها اميراً. ونازلته عساكر بني مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين. ونصب عليها آلات الحصار ؛ فاحرقوها وامتنعوا ؛ فافرج عنهم. وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك ثلاث سنين ، ثم هلك. وكان الامير يغمراسن بن زيان ، منذ غلب الموحدين على تلمسان والمغرب الأوسط ، وصار في ملكته ؛ تحيّز اليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوي منصور ؛ بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بني بادين في القفر. وإنّما ارتحلوا عنها من بعد ما جأجأ يغمراسن ببني عامر من مجالاتهم بمصاب ببلاد بني يزيد ؛ فزاحموا المعقل بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصا. ورحّلوهم الى ملوية وما وراءها من بلاد سجلماسة ؛ فملكوا تلك المجالات.

ونبذ يَغْمْراسن العهد الى ذوي عُبَيْد الله منهم. واستخلص المنبات هؤلاء ؛ فكانوا له حلفاً وشيعة ولقومه ودعوته خالصة.

وكانت سجلماسة في مجالاتهم، ومنقلب ظعنهم وناجعتهم، ولهم فيها طاعة معروفة. فلما هلك علي بن عمر آثروا يغمراسن بملكها؛ فحملوا أهل البلد على القيام بدعوته. وخاطبوه وجأجؤا به؛ فغشيهم بعساكره وملكها وضبطها. وعقد عليها لعبد الملك بن محمد ابن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكدان بن تيدوكسن، ويعرف بابن حُنَيْنَة نسبة الى أم أبيه أخت يغمراسن بن حمامة. وأنزل معها ولده الأمير يحيى لاقامة الرسم الملوكي. ثم أداله باخيه من السنة الاخرى وكذا كان شأنه في كل سنة. ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب، وانتظم امصاره ومعاقله في طاعته، وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم، ومحا رسمهم، وافتتح طنجة، وطوّع سبتة مرقى الجواز الى العدوة وثغر المغرب؛ سما أمله الى بلاد القبلة؛ فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها وادالة دعوته فيها من دعوتهم؛ فنهض اليها في العساكر، والحشود في رجب من سنة اثنتين وسبعين. فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع، من زناتة والعرب والبربر، وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرّادات، وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه امام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة تردّ الافعال الى قدرة باريها. فاقام عليها حولاً كريتاً يغاديها القتال ويراوحها، الى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة

من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليه. فبادروا الى اقتحام البلد؛ فدخلوها عنوة من تلك الفُرجة في صفر من سنة ثلاث وسبعين. فقتلوا المقاتلة والحامية، وسبوا الرعيَّة، وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغُمراسن بن حمامة؛ ومن كان معهم من بني عبد الواد وأمراء المنبات. وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبي يوسف، وتمشت طاعته في اقطاره. فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته، ولا جماعة تتحيز الى غير فيئته، ولا أمل ينصرف الى سواه. ولما كملت له نعم الله في استيساق ملكه وتمهيد امره، انصرف أمله الى الغزو وايثار طاعة الله بجهاد اعدائه، واستنقاذ المستضعفين وراء البحر من عباده على ما نذكر. ولما انكفأ راجعاً من سِجلماسة، قصد مراكش من حيث جاء. ثم قفل الى سَلا؛ فاراح بها أياماً، ونظر في شؤونها، وسد ثغرها. وبلغه الخبر بوفادة أبي طالب ابن صاحب سبتة الفقيه أبي القاسم العزفي على فاس؛ فأغذّ السير الى حضرته، وأكرم وفادته، وأحسن منقلبه الى أبيه، مملوء الحقائب ببره، رطب اللسان بشكره. ثم شرع في اجازة ولده الى العدو، كما نذكر الآن إن شاء الله تعالى.

الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبي يوسف على النصارى وقتل زعيمهم دننه وما قارن ذلك

كانت عدوة الاندلس مذ أول الفتح ثغراً للمسلمين، فيه

جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم. وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف، وبين الظفر والناب من أسود الكفر، لتوفر امتهم في جوارها، وأحاطتهم بها من جميع جهاتها وحجز البحر بينهم وبين أخوانهم المسلمين. وقد كان عمر ابن عبد العزيز رأى أن يخرج المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم، وبعدهم عن الصريخ. وشاور في ذلك كبار التابعين وأشراف العرب؛ فرأوه رأياً. واعتزم عليها لولا ما اعتاقه من المنيَّة. وعلى ذلك؛ فكان للاسلام فيها اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر، بطول دولة العرب من قُرَيْش ومُضَر واليَمَن. وكانت نهاية عزِّهم وسورة غلبهم أيام بني أمية بها، الطائرة الذكر، الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاث مئين من السنين، او ما يقاربها.

حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة، وافترقت الجماعة طوائف، وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب. واعتز البربر بالمغرب، واستفحل شأنهم. وجاء دولة المرابطين؛ فجمعت ما كان مفترقاً بالمغرب من كلمة الاسلام. وتمسكوا بالسنة، وتشوفوا الى الجهاد. واستدعاهم اخوانهم من وراء البحر للمدافعة عنهم، فأجازوا اليهم وأبلوا في جهاد العدو احسن بلاء. واوقعوا بالطاغية ابن أذفونش يوم الزّلاّقة وغيرها. وفتحوا حصوناً واسترجعوا أخرى. واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف، وجمعوا

الكلمة بالعدوتين. وجاء على اثرهم الموحدون سالكين احسن مذاهبهم؛ فكانت لهم في الجهاد آثار على الطاغية وأيام: منها يوم الأرك ليعقوب المنصور، وغيره من الايام. حتى إذا فشلت ريح الموحدين، وافترقت كلمتهم. وتنازع الامر سادة بني عبد المؤمن الامراء بالاندلس، وتحاربوا على الخلافة. واستجاشوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار؛ فخشي أهل الاندلس على انفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم.

وتولى كبر ذلك ابن هود بمراسية، وشرق الاندلس. وعم بدعوته سائر اقطارها، واقام فيها الدعوة للعبّاسيّين، وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه في اخباره، واستوفينا كلا مما وصفناه في مكانه. ثم عجز ابن هود عن الغربية لبعدها عنه، وفقده للعصابة المتناولة لها، وانه لم تكن صنعته في الملك مستحكمة. وتكالب الطاغية على الاندلس من كل جهة. وكثر اختلاف المسلمين بينهم. وشغل بنو عبد المؤمن بما دهمم المغرب من شأن بني مرين وزناتة؛ فتلافى محمد بن يوسف بن الأحمر امر الغربية، وثار بحصنه أرجونة. وكان شجاعاً قدماً ثبتا في الحروب؛ فتلقف الكرة من يد ابن هود. خلع الدعوة العبّاسيّة، ودعا للامير أبي زكرياء بن أبي حفص سنة تسع وعشرين. فلم يزل في فتنة ابن هود يجاذبه الحبل ويقارعه على عمالات الأندلس واحدةً بعد أخرى، الى ان هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين.

وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الأندلس من كل جانب. ووفر له ابن هود في الجزية، وبلغ بها اربعماية ألف من الدنانير في كل سنة. ونزل له عن ثلاثين من حصون المسلمين. وخشي ابن الأحمر ان يستغلظ عليه بالطاغية؛ فجنح هو اليه وتمسك بعروته، ونفر في جملته الى منازلة اشبيلية نكاية لأهلها. ولما هلك الامير أبو زكرياء نبذت دعوة الحفصية، واستبد لنفسه، وتسمى بأمير المسلمين. ونازعه بالشرق اعقاب ابن هود، وبنو مردنيش. ودعاه الامر الى النزول للطاغية عن بلاد الفرنتيرة؛ فنزل عنها باسرها. وكانت هذه المدةمن سنة اثنتين وعشرين، الى سنة سبعين، فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين، واستبيح حماهم، والتهم العدو بلادهم واموالهم نهباً في الحرب، ووضيمة ومداراة في السلم. واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها؛ فملك ابن اذفونش قُرُطبَةَ سنة ست وثلاثين، وجيان سنة اربع واربعين، واشبيلِيَه سنة ست وأربعين.

وتملك قمص بَرْشَلونَة مدينة بَلَنْسِيَة سنة سبع وثلاثين، الى ما بينها من الحصون والقواعد والمعاقل، التي لا تعد ولا تحصى. وانقرض أمر الثوار بالشرق وتفرد ابن الاحمر بغرب الاندلس، وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفيح من ارض الفرنتيرة وما قاربها. ورأى ان التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه؛ فعقد السلم للطاغية على النزول

عنها أجمع . ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين باوعاره من عدوهم . واختار لنزله مدينة غرناطة . وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء حسبما شرحنا ذلك كله في مواضعه . وفي اثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادي بالمسلمين من وراء البحر ، والملأ من اهل الاندلس يفدون على أمير المسلمين أبي يوسف للاعانة ونصر الملة ، واستنقاذ الحرم والولدان من انياب العدو . فلا يجد مفزعاً الى ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين ، ثم مع يَغَمْراسن . ثم تشغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ اقطاره ، الى ان هلك السلطان ابو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر ، المعروف بالشيخ وبأبي دبوس ، لقبين كانا له على حين استكمل أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة احدى وسبعين . على ان بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون اليه ، وفي نفوسهم جنوح اليه وصاغية .

ولما استوحش بنو ادريس بن عبد الحق ، وخرجوا سنة احدى وستين على السلطان يعقوب بن عبد الحق واستصلحهم ، انتدب الكثير منهم للغزو وإجازة البحر لصريخ المسلمين بالاندلس . واجتمع اليهم من مطوعة بني مرين عسكر ضخم من الغزاة ، ثلاثة آلاف او يزيدون . وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن ادريس ، وفصلوا الى الاندلس ، فكان لهم فيها ذكر ونكاية في العدو . وكان الشيخ ابن الاحمر عهد الى ولده القائم بالامر من بعده محمد ، الشهير بالفقيه ، لانتحاله طلب العلم أيام أبيه . واوصاه بان يتمسك بعروة

أمير المسلمين ، ويخطب نصره ، ويدرأ به وبقومه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية . فبادر لذلك حين مواراة ابيه ، واوفد مشيخة الاندلس كافة عليه ، ولقيه وفدهم منصرفاً من فتح سجلماسة ، خاتم الفتوح بالثغور المغربية ومقاد الملك . وتنادوا للاسلام بالثار ، والقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدوّ على المسلمين ، وثقل وطأته ؛ فحيا وفادتهم وبر وساهم . وبادر لاجابة داعي الله واستنام الجنة . وكان امير المسلمين منذ اول امره مؤثرا عمل الجهاد ، كلفاً به مختاراً له متى اعطي الخيار من سائر آماله . حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام اخيه الامير أبي يحيى ، وطلب اذنه في ذلك عند ما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين فلم يأذن له . وفصل الى الغزو في حشمه وذويه ومن اطاعه من عشيره . واوعز الأمير أبو يحيى لصاحب الامر بسبتة لذلك العهد أبي علي بن خلاص بان يمنعه الاجازة ، ويقطع عنه اسبابها . ولما انتهى الى قصر الجواز ثنى عزمه عن ذلك الولي يعقوب بن هارون الخيري ، ووعده بالجهاد اميراً مستنصراً للمسلمين ظاهراً على العدو ، فكان في نفسه من ذلك شغل واليه صاغية .

فلما قدم عليه هذا الوفد نبّهوا عزائمه وذكوا همته ؛ فاعمل في الاحتشاد وبعث في النفير . ونهض من فاس في شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين الى فرضة المجاز من طَنْجَةَ . وجهز خمسة آلاف من قومه ازاح عللهم واستوفى عطاءهم وعقد عليهم لابنه منديل

وأعطاه الراية . واستدعى من العزفي صاحب سبتة السفن لاجازتهم؛ فوافاه بقصر الجواز عشرون من الاساطيل ، فاجاز العسكر ونزل بطريف . وأراح ثلاثاً ، ودخل دار الحرب ، وتوغل فيها ، واجلب على ثغورها وبسائطها . وامتلأت ايديهم من الغنائم ، واثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار . حتى نزل بساحة شريش ؛ فخام حاميتها عن اللقاء وانحجزوا في البلد ؛ فقفل عنها الى الجزيرة ؛ وقد امتلأت ايديهم من الاموال وحقائبهم من السبي وركابهم من الكراع والسلاح .

ورأى اهل الاندلس ان قد ثاروا بعام العقاب ، حتى جاءت بعدها الطامة الكبرى على اهل الكفر . واتصل الخبر بأمير المسلمين ؛ فاعتزم على الغزو بنفسه وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة ؛ فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن ، والرجوع الى الاتفاق والموادعة.ووضع اوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد ؛ فاكبر موصله وموصل قومه . وبادر الى الاجابة والالفة ، واوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد السلم . وبعث معهم الرسل ، واسنى الهدية . وجمع الله كلمة المسلمين . وعظم موقع هذا السلم من امير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية الى الجهاد ، وايثاره مبرورات الاعمال . وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك . ثم استنفر الكافة ، واحتشد

القبائل والجموع ، ودعا المسلمين الى الجهاد . وخاطب في ذلك كافة اهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة ، وجميع قبائل البرابرة ، واهل المغرب من المرتزقة والمطوعة . وأهاب بهم وشرع في اجازة البحر ؛ فاجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة اربع وسبعين . واحتل بساحل طريف .

وكان لما استصرخه السلطان ابن الأحمر ، واوفد عليه مشائخ الاندلس ، اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره ؛ فتجافى له عن رندة وطريف . ولما احتل بطنجة ، بادر اليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء ، اجاز البحر اليه . ولقيه بظاهر طنجة ؛ فادى اله طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس ابو محمد بن أشقيلولة وأخوه ابو اسحاق صهر السلطان ابن الاحمر تبعاً له في امره ومؤازراً على شأنه كله . وابوهما ابو الحسن هو الذي تولى له كبر الثورة على ابن هود ، ومداخلة اهل اشبيلية في الفتك بابن الباجي . فلما استوت قدمه في ملكه ، وغلب الثوار بالاندلس ، واستوى على امره ، فسد ما بينهما بعد ان كان ولّى ابا محمد على مالقة ، وابا اسحاق على وادي آش ؛ فامتنع ابو محمد بن أشقيلولة بمالقة واستأثر بها وبغربيتها دونه . ومع ذلك كانوا على الطاغية فيئة ولحمة . ولما أحس ابو محمد بن اشقيلولة باجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق ، قدم اليه الوفد من اهل

مالقة بيعتهم وصريخهم، وانحاش الى جانب السلطان وولايته، وامحضه المخالصة والنصيحة. فلما احتل السلطان بساحة طريف ملأت كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة؛ وتسابق السلطان ابن الاحمر، وهو محمد الفقيه بن محمد الشيخ أبي دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد أشقيلولة صاحب مالَقَة والغربيَّة، وأخوه أبو اسحاق صاحب وادي آش الى لقاء السلطان. وتناغوا في برور مقدمه والاذعان له ففاوضهما في أمور الجهاد ورجّعهما لحينه الى بلادهما. وانصرف ابن الاحمر مغضباً ببعض النزعات احفظته. وأغذ السلطان السير الى الفرنتيرة، وعقد لولده الأمير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره. وسرح كتائبه في البسائط. وخلال المعاقل، ينسف الزرع، وتحطم الغروس، ويخرب العمران وتنتهب الاموال، وتكتسح السرح، وتقاتل المقاتلة، وتسبى النساء والذرية. حتى انتهى الى المدور وبايسة (١) وابدة واقتحم حصن بلمة عنوةً. واتى على سائر الحصون في طريقه؛ فطمس معالمها واكتسح اموالها. وقفل والارض تموج سبياً الى أن عرس باستجة من تخوم دار الحرب. وجاءه النذير باتباع العدو آثارهم لاستنقاذ اسراهم وارتجاع اموالهم. وان زعيم الروم وعظيمهم دُنُنه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانيـة من المحتلم فما فوقه. فقدّم السلطان الغنائم بين يديه، وسرح الفاً من الفرسان امامها

(١) كذا، وفي ب: تالسة.

وسار يقفيها . حتى اذا اطلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف؛ فرتب المصاف وحرض وذكّر . وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها ، وتحركت هممها ، وأبلت في طاعة ربها والذب عن دينها . وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها . ولم يك إلّا كلّا ولا ، حتى هبت ريح النصر ، وظهر امر الله ، وانكشف جموع النصرانية ، وقتل الزعيم دننه والكثير من جموع أهل الكفر . ومنح الله المسلمين اكتافهم ، واحتل القتل فيهم . واحصي القتلى في المعركة ؛ فكانوا ستة آلاف . واستشهد من المسلمين ما يناهز ثلاثين اكرمهم الله بالشهادة ، وآثرهم بما عنده . ونصر الله حزبه واعزّ اولياءه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يحتسبه بمحاماة هذه العصابة عن الملّة وقيامهم بنصر الكلمة . وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم دُنّنه إلى ابن الاحمر ؛ فردّه زعموا سراً الى قومه ، بعد أن طيّبه وأكرمه ، ولاية اخلصها لهم ، مداراة وانحرافاً عن امير المسلمين ، ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره . وقفل أمير المسلمين من غزاته الى الجزيرة منتصف ربيع من سنته ؛ فقسم في المجاهدين الغنائم ؛ وما نفله الله من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراعهم ؛ بعد الاستيثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه . ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة من البقر ماية الف وأربعة وعشرين الفاً ، ومن الاسرى سبعة الاف وثمانماية وثلاثين ، ومن الكراع أربعة عشر الفاً وستماية.

وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة ، حتى لقد زعموا بيعت الشاة في الجزيرة بدرهم واحد . وكذلك السلاح . وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياماً . ثم خرج لجمادى غازياً الى اشبيلية ؛ فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها . وأثخن بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها . وارتحل الى شريش ؛ فاذاقها وبال العيث والاكتساح . ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته . ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزل عسكره ، منتبذاً عن الرعيَّة لما يلحقهم من ضرر العساكر وجفائهم . وتخير لها مكاناً لصق الجزيرة؛ فاوعز ببناء المدينة جوارها المشهورة بالبنية . وجعل ذلك الى نظر من وثق به من دونه . ثم أجاز البحر الى المغرب في رجب سنة أربع وسبعين ؛ فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر . واحتل بقصر مَصْمودة ، وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد غمارة . وتولى ذلك ابراهيم بن عيسى كبير بني وسناف بن محيو . ثم رحل الى فاس ؛ فدخلها في شعبان . وصرف النظر الى أحوال دولته واختطاط البلد الجديد لنزله ، ونزل حاشيته ، واستنزال الثوار عليه بالمغرب ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس
وما كان على تفيئة ذلك من الأحداث

لما قفل أمير المسلمين من غزاته الجهاديّة ، وتم صنع الله لديه

في ظهور الاسلام على يده، واعتزاز أهل الاندلس بفيئته، راح بالمغرب الى نعمة أخرى من ظهور أوليائه، وحسم ادواء الفساد في دولته، شفعت مواهب السعادة، واكملت عوائد الصنع. وذلك ان صبابة بني عبد المؤمن وفلّهم، لمّا فرّوا من مرّاكش عند الفتح، لحقوا بجبل تينملل جرثومة أمرهم، ومنبعث دعوتهم، وملاحد خلفائهم، وحضرة سلفهم، ودار امامهم، ومسجد مهديهم. كانوا يعكفون عليه متيمنين بطيره، ملتمسين بركة زيارته. ويقدمون ذلك امام غزولتهم قربة بين يدي اعمالهم، يعتدونها من صالح مساعيهم. فلما خلص الفلّ اليه اعتصموا بمعقله، وأووا الى وكونه، ونصبوا للقيام بامرهم عيصاً من أعياص خلفائهم بني عبد المؤمن، ضعيف المنية خاسر الصفقة من مواهب الحظ، وهو اسحاق اخو عمر المرتضى. وبايعوه سنة تسع وستين، يرجون منه رجع الكرة، وادالة الدولة. وكان المتولي لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عَطّوش.

ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن علي بن محلى على اعمال مراكش، لم يقدم عملاً على محاربتهم، وتخذيل الناس عنهم، واستمالة اشياعهم. وجمعوا له سنة اربع وسبعين على غرة ظنوها؛ فاوقع بهم وفل من غربهم. ثم صمد الى الجبل لشهر ربيع من سنته؛ فافتض عذرته وفض ختامه، واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب. وهلك الوزير ابن عطوش في جوانب

الملحمة ، وتقبض على خليفتهم المستضعف ، وابن عمه ابي سعيد ابن السيّد ابي الربيع ومن معهما من الاولياء . وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة من مراكش ؛ فضربت اعناقهم وصلبت اشلاؤهم . كان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلي واولاده . وعاثت العساكر في جبل تينملل واكتسحت امواله . وبعثرت قبور الخلفاء من بني عبد المؤمن . واستخرج شلو يوسف وابنه يعقوب المنصور ؛ فقطعت رؤوسهم . وتولى كبر ذلك ابو علي الملياني النازع الى السلطان أبي يوسف من مليانة عش غوايته ، وموطن انتزائه كما قدمناه . وكان السلطان أقطعه بلد اغمات إكراماً لوفادته؛ فحضر هذه الغزاة في جملة العساكر . ورأى ان قد شفا نفسه باخراج هؤلاء الخلفاء من ارماسهم ، والعيث بأشلائهم ، لما نقم منه الموحدون . وأزعجوه من قراره ؛ فنكرها السلطان لجلاله . وتجاوز عنها للملياني تأنيسا لقربته وجواره ، وعدّها من هناته .

ولما وصل أمير المسلمين الى حضرته من غزاة الجهاد ، ترادفت عليه اخبار هذه الملحمة ، وقطع دابر بني عبد المؤمن ، فتظاهر السرور لديه ، وارتفعت الى الله كلمات الشكر طيبة منه . ولما سكن غُرب الثوار ، وتمهد امر المغرب ، ورأى امير المسلمين ان امره قد استفحل ، وملكه قد استوسق ، واتسع نطاق دولته ، وعظمت غاشيته وكثر وافده ، رأى ان يختط بلداً يتميز بسُكناه في حاشيته واهل خدمته واوليائه الحاملين سرير ملكه . فامر ببناء

البلد الجديد لصق فاس ، بساحة الوادي المخترق وسطها من اعلاه، وشرع في تأسيسها لثالث شوال من سنة أربع وسبعين هذه . وجمع الأيدي عليها ، وحشد الصناع والفعلة لبنائها . واحضر لها الحُزّى والمعدلين لحركات الكواكب ؛ فاعتاموا في الطوالع النجومية ما يرضون اثره ، ورصدوا أوانه . وكان فيهم الإمامان أبو الحسن بن القطّان وأبو عبد الله بن الحبّاك المقدّمان في الصناعة؛ فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم وكما رضي . ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين كما ذكرناه . واختطوا بها الدور والمنازل، واجرى فيها المياه الى قصوره ، وكانت من أعظم اثار هذه الدولة وأبقاها على الايام . ثم أوعز بعد ذلك ببناء قصبة مدينة مكناسة؛ فشرع في بنائها من سنته . وكان لحين اجازته البحر قافلًا من غزاته لحق طلحة بن محلي بجبل ازوَر[1] نازعاً الى قبائل زَناتة من صَنهاجَة ؛ فاغذ اليه السلطان بعساكره وأناخ عليه . واستنزله لشهر على ما سأل من الامان والرتبة . وحسم الداء من خروجه . واستوزر صنيعته فتح الله السدراتي ، واجرى له رزق الوزارة على عوائدهم . ثم بعث الى يَغْمُراسن كفاء هديته التي اتحفه بها بين يدي غزاته . وكان شغله عنها امر الجهاد ؛ فبعث له فسطاطاً رائقاً كان صنع له بمراكش ، وحكمات مموهة بالذهب والفضة ، وثلاثين من البغال الفارهة ذكوراً واناثاً بمراكبها الفارسية من

(١) كذا، في ب: ازرو.

السروج ، والنسوانية من الولايا ، واحمالا من الأديم المعروف دباغه بالشركسي ، الى غير ذلك مما يباهي به ملوك المغرب وينافسون فيه . وفي سنة خمس وسبعين من بعدها اهدى له محمدبن عبد القوي امير بني توجين ، وصاحب جبل وانشريش اربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ، ورأى انها على قلة عددها احفل هدية . وفي نفسه اثناء هذا كله من الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر اعماله حسبما نذكر .

الخبر عن اجازة أمير المؤمنين ثانية وما كان فيها من الغزوات

لما قفل امير المسلمين من غزاته الاولى ، واستنزل الخوارج وثقف الثغور ، وهادى الملوك واختط المدينة لنزله كما ذكرنا ذلك كله . ثم خرج فاتح سنة ست وسبعين الى جهة مراكش لسدّ ثغوره ، وتثقيف اطرافه . وتوغل في أرض السوس . وبعث وزيره فتح الله بالعساكر ؛ فجاس خلاله ؛ ثم انكفأ راجعاً . وخاطب قبائل المغرب كافة بالنفير الى الجهاد ؛ فتباطأوا واستمر على تحريضهم . ونهض الى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة وتبطوا ؛ فخفّ هو في خاصته وحاشيته . واحتل بالفرضة من قصر المجاز . وتلاحق به الناس فاجاز البحر ، واحتل بطريف لآخر محرم . ثم ارتحل الى الجزيرة ، ثم الى رندة . ووافاه هنالك الرئيسان ابو اسحاق ابن أشقيلولة صاحب قمارش ، وابو محمد صاحب مالقة للغزو معه .

وارتحلوا الى منازلة اشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوي . وكان بها ملك الجلالقة ابن أذفونش ؛ فخام عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد حامياً عن اهلها . ورتب امير المسلمين مضافه ، وجعل ولده الامير أبا يعقوب في المقدمة . وزحف في التعبية ؛ فاحجز العدو البلد واقتحموا اثرهم الوادي ، واثخنوا فيهم . وباتت العساكر ليلتهم بجولان في متون جيادهم ، وقد اضرموا النيران بساحتها . وارتحل من الغد الى ارض الشرق ، وبث السرايا والغوار في سائر النواحي . واناخ بجمهور العساكر عليها ؛ فلم يزل يتقرّى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها . ودخل حصن قطنيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة ، واثخن بالقتل والسبي . ثم قفل بالغنائم والانفال الى الجزيرة لسرار شهره ؛ فاراح وقسم الغنائم في المجاهدين . ثم خرج غازياً الى شريش منتصف ربيع الآخر ؛ فنازلها واذاقها نكال الحرب . وافقر نواحيها ، وقطع اشجارها ، واباد غضراءها ، وحرق ديارها ، ونسف آثارها ، واثخن فيها بالقتل والاسر . وبعث ولده الأمير أبا يعقوب في سريّة من معسكره للغوار على إشبيليَة وحصون الوادي ؛ فبالغ في النكاية . واكتسح حصن روطة وشلوقة ومليانة والقناطر . ثم صبح اشبيلية بغارة فاكتسحها . وانكفأ الى امير المسلمين ؛ فقفلوا جميعاً الى الجزيرة واراح وقسم في المجاهدين غنائمهم . ثم ندب الى غزو قُرْطُبَة ، ورغّبهم في عمرانها ، وثروة ساكنها ، وخصب بلادها ؛ فاهطعوا

الى إجابته. وخاطب ابن الاحمر يستنفره. وخرج لأول جمادى من الجزيرة. ووافاه ابن الاحمر بناحية ارشدونة؛ فكرم وصوله وشكر خفوفه الى الجهاد وبداره. ونازلوا حصن بني بشير فدخل عنوة، وقتلت المقاتلة وسبيت النساء، ونقلت الاموال، وخرب الحصن. ثم بث السرايا والغارات في البسائط، فاكتسحها، وامتلأت الايدي. واثرى المعسكر. وتقروا المنازل والعمران في طريقهم، حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها، وانحجزت حامية العدو من وراء اسوارها. وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحيها؛ فنسفوا آثارها، وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها. وتردد على جهاتها فدخل حصن بركونة عنوةً، ثم ارجونة كذلك. وقدم بعثا الى جيان قاسمها حظها من الخسف والدمار. ونخام الطاغية عن اللقاء. وأيقن بخراب عمرانه وتلاف بلاده؛ فجنح الى الصلح. وخطبه من أمير المسلمين؛ فدفعه الى ابن الاحمر. وجعل الامر في ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه؛ فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه الى امير المسلمين؛ والتماس اذنه فيه وابداء ما فيه من المصلحة؛ وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدة الطويلة؛ فانعقد السلم. وقفل امير المسلمين من غزاته، وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر. وخرج له عن الغنائم كلها؛ فاحتوى عليها. ودخل امير المسلمين الى الجزيرة في اول رجب من عام يومئذ، فاراح ونظر في ترتيب المسالح على الثغور، وتملك مالقة كما نذكره.

الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن اشقيولة

كان بنو اشقيلولة هؤلاء من رؤساء الاندلس المؤملين لمدافعة العدو، وكانوا نظراء لابن الاحمر في الرياسة: وهما ابو محمد عبدالله وابو اسحاق ابراهيم، ابنا أبي الحسن بن اشقيلولة. وكان ابو محمد منهم صهراً له على ابنته؛ فكانوا له بذلك خالصة؛ فاشركهم في امره. واعتضد بعصابتهم وبأبيهم من قبل على مقاومة ابن هود وسائر الثوار. حتى اذا استمكن من فرصته، واستوى على كرسيه، استبد دونهم وأنزلهم إلى مقامات الوزراء. وعقد لأبي محمد، صهره على ابنته، على مدينة مالقة والغربية. وعقد لأبي الحسن، صهره على اخته، على وادي آش وما اليه. وعقد لابنه أبي اسحاق ابراهيم بن علي على قمارش وما الى ذلك. ووجدوا في انفسهم، واستمر الحال على ذلك. ولما هلك الشيخ ابن الأحمر سنة احدى وسبعين، وولي ابنه محمد الفقيه، سموا الى منازعته. واوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه ابا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق، وهو منازل طنجة. ووفد معه ابو عبدالله بن منديل؛ فكرم وفادتهما واحسن موعدهما. وانكفيا راجعين؛ فبعث الرئيس ابو محمد الى السلطان بطاعته وبيعة اهل مالقة سنة ثلاث وسبعين، وعقد له عليها. ونزع ابنه ابو سعيد فرج الى دار الحرب. ثم رجع لسنته؛ فقتل بمالقة. ولما اجاز السلطان الى الاندلس اجازته

الاولى سنة اربع وسبعين، تلقاه ابو محمد بالجزيرة مع ابن الاحمر، وفاوضهما السلطان في شؤون الجهاد، وردهما الى اعمالهما. ولما أجاز اجازته الثانية سنة ست وسبعين لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا اشقيلولة ابو محمد صاحب مالقة، واخوه ابو اسحاق صاحب وادي آش وقمارش، فشهدا معه الغزاة. ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة، ثم هلك غرة جمادى من سنته؛ فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان. وهو متلوّم بالجزيرة منصرفه من الغزو كما ذكرناه؛ فنزل له عن البلد ودعاه الى احتيازها؛ فعقد عليها لابنه أبي زيّان منديل، فسار اليها في بعث. وكان ابن اشقيلولة لحين فصوله الى لقاء السلطان؛ امر ابن عمه محمد الأزرق ابن أبي الحجاج يوسف ابن الزرقاء باخلاء منازل للسلطان بالقصبة واعدادها؛ فتم ذلك لثلاث ليال. وضرب الامير ابو زيان معسكره بخارجها. وانفذ محمد بن عمران بن عبلة في رهط من رجال بني مرين الى القصبة؛ فنزلها وملك امر البلد. وكان السلطان ابن الاحمر، لما بلغه وفاة أبي محمد بن اشقيلولة، سما امله الى الاستيلاء على مالقة، وان ابن اخته شيعة له. وبعث لذلك وزيره ابا سلطان عزيز الداني؛ فوافى معسكر الأمير أبي زيان بساحتها. ورجا أن يتجافى عنها لسلطانه؛ فاعرض عن ذلك وتجهم له. ودخل اليها لثلاث بقين من رمضان. وانقلب الداني عنها بخفي حنين. ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه، خرج الى مالقة، فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها في يوم مشهود، احتفلوا له احتفال أيام الزينة سروراً بمقدم السلطان،

ودخولهم في إيالته. وأقام فيهم الى خاتم سنته. ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم. وأنزل معه المسالح، وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من ابطال بني مرين. واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة، وارتحل الى الجزيرة. ثم أجاز الى المغرب سنة سبع وسبعين، وقد اهتزت الدنيا لقدومه. وامتلأت القلوب بما كنفه الله من نصر المسلمين بالعدوة، وعلو راية السلطان على كل راية. وعظمت لذلك موجدة ابن الاحمر، ونشأت الفتنة، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن تظاهر ابن الأحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من اجازة البحر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الأخذ بحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة

لما أجاز أمير المسلمين الى العُدْوَة إجازته الاولى، ولقي العدو بأستجة، وقتل الله دُنُنه بايدي عسكره. وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاء له؛ ارتاب ابن الاحمر بمكانه؛ فبدا له من ذلك ما لم يحتسب. وظن بامير المسلمين الظنون، واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الاندلس. وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بني اشقيلولة وغيرهم اليه وانقيادهم لامره، فغص بمكانه وحذر غوائله. وتكدر الجو بينهما. وأجاز اجازته الثانية؛ فانقبض ابن الاحمر عن لقائه ودارت

بينهما مخاطبات شعريّة في معنى العتاب على السنة كتّابهما ، نسردها الآن . فمن ذلك قصيدة كتبها اليه ابن الاحمر سنة أربع وسبعين بعد واقعة دننه ، واعتزامه على الرجوع الى المغرب . فخاطبه بها ليلة الاقامة بالجزيرة حذراً من غائلة العدو ، وينحو فيها منحى الاستعطاف ، وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط :

هَلْ من مُعيني في الهَوى أَوْ مُنْجِدي!
من مُتْهِمٍ في الأَرْضِ أَوْ من مُنْجِدِ
هذا الْهوى داعٍ فَهَلْ من مُسْعِفٍ؟
بإجابَةٍ وَإنابَةٍ أَوْ مُسْعِدِ
هذي سَبيلُ الرُشْدِ قد وَضَحَتْ فَهَلْ؟
بالعُدْوَتَيْنِ من امرىءٍ مُسْتَرْشِدِ
يَرْجو النَجاةَ بِجَنَّةِ الفِرْدَوْسِ أَوْ
يَخْشى المسير إلى الجحيم الموقَدِ؟
يا آمِلَ النَصْرِ العَزيزِ على العِدى
أَجِبِ الهُدى تَسْعَدْ به وَتُؤَيَّدِ
سِرْ النَجاء إلى النجاةِ مُشَمِّراً
إنَّ الهُدى لَهوَ النَجاةُ لِمَنْ هُدي
يا من يَقولُ غداً أتوبُ وَلا غَدٌ
أَلَدَيْكَ عِلْمٌ أَنْ تَعيشَ إلى غَدِ

لا تَغْتَرِرْ بِنَسِيئَةِ الأَجَلِ الَّذي
إنْ لم يَحِنْ لك نَقْدُهُ فَكَأَنْ قَدِ
سَفَرٌ عَلَيْكَ طَوِيلَةٌ أَيَّامُهُ
لم تَسْتَعِدَّ لِطولِهِ فَاسْتَعْدِدِ
أَوَ ما عَلِمْتَ بِأَنَّهُ لا بُدَّ من
زادٍ لِكُلِّ مُسافِرٍ فَتَزَوَّدِ
هذا الجِهادُ رَئيسُ أَعْمالِ التُقى
خُذْ مِنْهُ زادَكَ لارْتِحالِكَ تَسْعَدِ
هذا الرِباطُ بِأَرْضِ أَنْدَلُسٍ فَرُحْ
مِنْهُ لما يُرْضِي الإلهَكَ وَاغْتَدي
سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بِالمَعاصِي فَالْتَمِسْ
وَجْهاً لِلُقيا اللهِ غَيْرَ مُسَوَّدِ
وَامْسَحْ الخطايا بالدُموعِ فَرُبَّما
مَحَتِ الدُموعُ خَطِيَّةَ الْمُتَعَمِّدِ
مَنْ ذا يَتوبُ لِرَبِّهِ من ذَنْبِهِ
أَوْ يقْتَدي بِنَبِيِّه أَو يَهْتَدي
من ذا يُطَهِّرُ نَفْسَهُ بِعَزِيمَةٍ
مَشْحوذَةٍ في نَصْرِ دِينِ مُحَمَّدِ
أَتَعِزُّ من أَرْضِ العَدُوِّ مَدائِنٌ
وَاللهُ في أَقْطارِها لم يُعْبَدِ

وَتَذِلُّ أَرْضُ الْمُسْلِمِينَ وَتُبْتَلى
بِمُثَلِّثِينَ سَطَوْا بِكُلِّ مُوَحِّدِ
كم جامِعٍ فيها أُعيدَ كَنيسَةً
فَاهْلَكْ عَلَيْهِ أسىً فَلا تَتَجَلَّدِ
القِسُّ والناقوسُ فَوْقَ مَنارِهِ
وَالخَمْرُ والخِنْزيرُ وَسْطَ المَسْجِدِ
أَسَفاً عَلَيْها أَقْفَرَتْ صَلَواتُها
من قانِتينَ وَراكِعينَ وَسُجَّدِ
وتَعَوَّضَتْ منهم بِكُلِّ مُعانِدٍ
مُسْتَكْبِرٍ مذ كان لم يَتَشَهَّدِ
كَمْ من أسيرٍ عِنْدَهُمْ وأسيرَةٍ
فكِلاهُما يَبْغي الفِداءَ فَما فُدي
كَمْ من عَقيلَةِ مَعْشَرٍ مَعْقولَةٍ
فيهم تَوَدُّ لو أَنَّها في مَلْحَدِ
كم من وَليدٍ بَيْنَهُمْ قد وَدَّ من
وَلَداهُ وَدّا أَنَّه لم يولَدِ
كم من تَقِيٍّ في السَلاسِلِ موثَقٍ
يَبْكي لآخَرَ في الكُبولِ مُقَيَّدِ
وَشَهيدِ مُعْتَرَكٍ تَوَزَّعَهُ الردى
ما بينَ حَدَّيْ ذابِلٍ وَمُهَنَّدِ

ضَجَّتْ مَلائِكَةُ السَّماء لِحالِهِمْ
وَرَثى لهم من قَلبِهِ كالجَلمَدِ
أَفَلا تَذوبُ قُلوبُكُمْ إخوانَنا
مِمّا دَهانا من رَدىً أو من ردي
أَفَلا تُراعونَ الأَذِمَّةَ بَيْنَنا
من حُرْمَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَتَوَدُّدِ
أَكَذا يَعيثُ الروم في إخوانِكُم
وَسُيوفُكُمْ لِلثَّأرِ لم تَتَقَلَّدِ
يا حَسْرَةً لِحَمِيَّةِ الإِسْلامِ قَدْ
خَمَدَتْ وَكانَتْ قَبْلُ ذاتُ تَوَقُّدِ
أَيْنَ العَزائِمُ ما لها لا تَنْقَضي
هَلْ يَقْطَعُ الهِنْدِيُّ غَيْرَ مُجَرَّدِ
أَبَني مَرينَ أَنْتُمُ جيرانُنا
وَأَحَقُّ من في صَرْخَةٍ بِهِم ابْتُدي
فَالجارُ كانَ بِهِ يُوصّي المُصْطَفى
جِبْريلُ حقاً في الصَحيحِ المُسْنَدِ
أَبَني مَرينٍ والقَبائِلُ كلُّها
في المَغْرِبِ الأَدْنى لنا والأَبْعَدِ
كُتِبَ الجِهادُ عَلَيْكُمْ فَتَبادَروا
منه الى فَرْضِ الأَحَقِّ الأَوْكَدِ

وارضوا باحدى الحسنيين وأقرضوا
حسناً تفوزوا بالحسان الخرد
هذي الجنان تفتحت أبوابها
والحور قاعدة لكم بالمرصد
من بائع من ربه من مشتر
منه الحصول على النعيم السرمد
لله في نصر الحنيفة موعد
صدق فثوروا بانتجاز الموعد
هذي الثغور بكم إليكم تشتكي
شكوى العديم إلى الغني الأوجد
ما بال شمل المسلمين مبدد
فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش الله ملء فضائه
تأسون للدين الغريب المفرد
ما ذا اعتذاركم غداً لنبيكم
وطريق هذا العذر غير ممهد
إن قال لم فرطتم في أمتي
وتركتموهم للعدو المعتدي
لله. لو أن العقوبة لم تخف
لكفى الحيا من وجه ذاك السيد

إخوانَنـا صَـلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّموا
وَسَلوا الشَفاعَةَ مِنْهُ يَوْمَ المَشْهَـدِ
واسعوا لِنُصْرَةِ دينِهِ يُسْقِيـكُمُ
من حَوْضِهِ في الحَشْرِ أَعْذَبَ مَوْرِدِ

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب ابن عبد الحق بما نصه : لَبَّيْكَ لا تَخْشَ اعتِداءَ المعتدي ... الى آخرها .

وكذلك أجاب عنها أيضاً مالك بن المرحل بقوله :

شَهِدَ الإله وَأَنتِ يا أَرْضُ اشْهَدي ... الى آخرها .

فأجابهم أبو عمر بن المرابط كاتب ابن الاحمر بقوله :

قُلْ لِلبُغاةِ وَلِلعُداةِ الحُسَّدِ ... الى آخرها .

ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق اجازته الثانية سنة ست وسبعين كما نذكره، وصار ابن الاحمر الى الاستعتاب والرضى ولقي يعقوب بن عبد الحق ، فأنشده كاتبه ابو عمر بن المرابط يوم اجتماعها بقوله : « بشرى لحرب الله والايمان »... الى آخرها . ولما انقضى المجلس امر السلطان شاعره عبد العزيز بمساجلته قصيدته فانشدها ثاني المجلس بحضرة ابن الاحمر ونصها : « اليوم كن في غبطة وأمان » الى آخرها . ثم كان اثناء ذلك ما وقع من استيلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقه والغربيَّة ، جل عمله بعد مهلك صاحبها أبي محمد بن اشقيلولة ؛ فبرم لذلك وخيل

عليه؛ ففزع الى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده. وان يعود الى مكان ابيه من ولايته ليدفع به السلطان وقومه عن ارضه ، ويأمن معه من زوال سلطانه ، لما كانت كلمة الاسلام حجزاً دونه. فاهتبل الطاغية غرّتها ، وانتكث عهد امير المسلمين ، ونقض السلم ، ونبذ اليه العهد. واغزى اساطيله الجزيرة الخضراء ، حيث مسالح السلطان وعسكره. وارست بالزقاق حيث فراض الجواز. وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر ، ويئسوا من صريخه. وانتبذ عمر بن يحيى بن محلى عن قومه بمكان إمارته من مالَقَة. وكان بنو محلى هؤلاء من كبار قومهم بَطوِيّة ، وكانوا حلفاء لبني حمامة بن محمد منذ دخولهم المغرب. واصهر عبد الحق أبو ملاك الى ابيهم محلى في ابنته أم اليُمْن ؛ فكان من ولده السلطان يعقوب بن عبد الحق. وكانت امرأةً صالحة. خرجت الى الحج سنة ثلاث واربعين ؛ فقضت فريضة الله عليها وعادت الى المغرب لرابعة من السنين سنة سبع واربعين. ثم خرجت ثانية سنة اثنتين وخمسين ؛ فتطوعت بحجة اخرى. وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين ؛ فكان لبني محلى ابيها مكان من الدولة ودالة على السلطان؛ لخؤولتهم ووشايج قرابتهم وغنائهم في قومهم. ولما استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش ؛ عقد لمحمد بن علي بن محلى على جميع اعمالها ؛ فكانت له في الاضطلاع بها مقامات محمودة. واتصلت ايام ولايته عليها

من سنة ثمان وستين الى سنة سبع وثمانين . ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكره . ولما نزع محمد بن اشقيلولة الى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين ، متجافياً له عن ولاية مالَقَة بعد وفاة أبيه الرئيس أبي محمد ، واستولى السلطان عليها ، واعتزم على الاجازة كما قدمناه؛ عقد على مالقة والغَرْبِيَّة وسائر ثغورها واعمالها لعمر بن يحيى بن محلي . وكان اخوه طلحة بن يحيى بن محلي ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة، واعتزاز على السلطان بمكان الخؤلة. وهو الذي قتل يعقوب بن عبد الحق بغبولة سنة ثمان وستين كما قلناه ، وظاهر فتح الله السدراتي مولى السلطان ووزيره على قتال أبي العلا بن أبي طلحة بن أبي قريش، عامل المغرب بكدية العرائش من ظاهر فاس ، سنة اثنتين وسبعين . ونزع سنة اربع وسبعين . الى جبل ازور عند مرجع السلطان من اجازته الاولى ؛ فاستنزله ورجعه الى مجلسه من جملته . ثم نزع من الجزيرة الى غَرْنَاطة سنة ست وسبعين عند مرجع السلطان من أمر مالقة، وأجاز البحر الى بلاد الريف . ثم رجع الى القبلة ، واقام بين بني توجين . ثم اجاز الى الاندلس سنة سبع وسبعين عندما اضطرم نار هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن الاحمر والطاغية . واحتل اسطول النصارى بالزقاق ، وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر . واحس اخوه عمر صاحب مالقة باظلام الجو بينه وبين السلطان ، بما كان من امر اخيه طلحة من قبل . فلاطفه ابن الاحمر عند استقراره

بغرناطة في مداخلة أخيه عمر في النزول عن مالقة، والاعتياض عنها بشلوبانية والمنكب طعمة. وخاطبه في ذلك اخوه طلحة فاجاب. وخرج ابن الاحمر بعساكره الى مالقة. وتقبض عمر ابن محلى على زيّان بن بو عيّاد قائد بني مرين، ومحمد بن اشقيلولة. وأمكن ابن الاحمر من البلد؛ فدخلها آخر رمضان من سنته.

وأنزل ابن محلى بشلوبانية، واحتمل ذخيرته، وما كان السلطان ائتمنه عليه من المال والعدة الجهاديّة. واتصلت يد ابن الأحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الاجازة، وراسلوا يَغْمُراسن ابن زيان من وراء البحر، وراسلهم في مشاقة السلطان وافساد ثغوره، وانزال العوائق به المانعة من حركته، والاخذ باذياله عن النهوض الى الجهاد. واسنوا فيما بينهم الاتحاف والمهاداة. وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل، مع ثياب من عمل الصوف. وبعث اليه ابن الاحمر صحبة ابن مروان التجاني كفاء ذلك عشرة الاف دينار؛ فلم يرض بالمال في هديته ورده. واصطفقت ايديهم جميعاً على السلطان، ورأوا أن قد بلغوا في إحكام امرهم وسدِّ مذاهبه اليهم. واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش. كان صمد اليها مرجعه من الغزو في شهر محرم فاتح سبع وسبعين؛ لما كان من عيث العرب جَشْم بتامِسّنا، وإفسادهم السابلة. فثقف اطرافها، وحسم ادواءها. ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة، ومنازلة الطاغية للجزيرة، نهض لثالثة من شوال يريد

طنجة . ولما انتهى الى تامسنا ، وافاه الخبر بنزول الطاغية على الجزيرة ، واحاطة عساكره بها سادس شوال ، بعد ان كانت اساطيله مُنازِلَتها منذ ربيع ، وانه مشرف على التهامها . وبعثوا اليه يستمدونه ، فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد نفيس من المصامدة خامس ذي القعدة ، وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم . فكرّ اليه راجعاً ، وقدم بين يديه حافده تاشفين بن بو مالك ، ووزيره يحيى بن حازم . وجاء على ساقتهم ، وفروا أمام جيوشه ، وانتهب معسكرهم وحللهم . واستباح عرب الحارث من سفيان. ولحق مسعود بمعقل السكسيوي ، ونازله السلطان بعساكره أياماً . ثم سرح ابنه الامير أبا زيان بن منديل الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ اقطارها ؛ فاوغل في ديارها وقفل الى ابيه خاتم سنته . واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال وأعواز الأقوات ؛ وانهم قتلوا الأصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرّة الكفر ؛ فاهمه ذلك واعمل النظر فيه . وعقد لولي عهده ابنه الامير أبي يعقوب من مراكش على الغزو اليها . واغزى الاساطيل في البحر الى جهاد عدوّهم ؛ فوصل الى طنجة لصفر من سنة ثمان وسبعين . واوعز الى البلاد البحريّة لاعداد الاساطيل للغزاة بسَبْتَةَ وطَنْجَةَ وسَلا ، وقسم الأعطيات ، وتوفرت همم المسلمين على الجهاد ،

وصدقت عزائمهم على الموت. وأبلى الفقيه ابو حاتم العزفي صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين في ذلك البـلاء الحسن، وقام فيه المقام المحمود. واستنفر كافة أهل بلده؛ فركبوا البحر اجمعين من المحتلم فما فوقه.

ورأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلـين في الجزيرة، واشراف الطاغية على اخذها، فندم في ممالأته. ونبذ عهده، وأعدّ اساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالَقة مدداً للمسلمين. واجتمعت الاساطيل بمرفأ سبتة تناهز السبعين، قد أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زي وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عـديد. وعقد لهم الامير أبو يعقوب رايته، واقلعوا عن طنجة ثامن ربيع الاول. وانتشرت قلوعهم في البحر فاجازوه، وباتوا ليلة المولد الكريم بمرقى الجبل، وصبحوا العدو واساطيلهم تناهز الاربعماية، فتظاهروا في دروعهم واسبغوا من سكتهم، وأخلصوا لله عزائمهم، وصـدقوا مع الله نياتهم، وتنادوا بالجنة شعارهم. ووعظ وذكر خطباؤهم، والتحم القتال، ونزل الصبر. ولم يـك إلّا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبـل؛ فانكشفوا وتساقطوا في العباب. واستلحمهم السيف، وغشيهم اليمّ. وملك المسلمون اساطيلهم. ودخلوا مرقى الجزيرة وفرضتها عنوةً؛ فاختل معسكر الطاغية. ودخلهم الرعب من اجازة الأمير أبي يعقوب ومن معه من الحامية؛ فافرج لحينه عن البلد. وانتشر النساء والصبيان بساحته، وغلبت المقاتلة كثيراً

من المعسكر على مخلفهم ، فغنموا من الحنطة والادم والفواكه ما ملأ اسواق البلد أياماً ، حتى وصلتها الميرة من النواحي .

وأجاز الامير ابو يعقوب لحينه ؛ فأرهب العدو في كل ناحية. وصده عن الغزو الى دار الحرب شأن الفتنة مع ابن الاحمر ؛ فرأى أن يعقد مع الطاغية سلماً ويصل به لمنازلة غرناطة يداً . وأجابه الى ذلك الطاغية رهبةً من بأسهم ، وموجدة على ابن الاحمر في مدد أهل الجزيرة . وبعث اساقفته لعقد ذلك ؛ فاجازهم الامير أبو يعقوب الى ابيه أمير المسلمين ؛ فغضب لها ونكرها على ابنه . وزوى عنه وجه رضاه ، ورجّعهم الى طاغيتهم مخفقي السعي . وأجاز ابو يعقوب ابن السلطان الى ابيه ومعه وفد أهل الجزيرة ؛ فلقوا السلطان بمكانه من بلاد السوس . وولّى عليهم ابنه أبا زيان منديل ؛ فنزل بالجزيرة واحكم العقدة مع الطاغية . ونازل مربلة [1] من طاعة ابن الاحمر براً وبحراً ؛ فامتنعت عليه . ورجع الى الجزيرة ، وانضوى اليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذراً من الطاغية فتقبلهم . ثم جاءه المدد من المغرب ، ونازل رندة فامتنعت . والطاغية اثناء ذلك يجوس خلال الاندلس . وتنازل ابن الاحمر بغرناطة مع بني اشقيلولة وابن الدليل . ثم راجع ابن الاحمر مسالمة بني مَرين ، وبعث لأبي زيان بن السلطان بالصلح . واجتمع معه باحواز مربله كما نذكر بعد .

(١) كذا، وفي نسخة : مديلة وفي نسخة : مرتلة .

ولما ارتحل السلطان من معسكره على جبل السكسيوى يريد السوس. ثم اغزى العساكر، ورجع من طريقه الى مَرَّاكُش. حتى اذا انقضت غزاة البربر قفل الى فاس، وبعث خطابه الى الافاق مستنفراً للجهاد. وفصل في رجب من سنة ثمان وسبعين حتى انتهى الى طنجة، وعاين ما اختل من احوال المسلمين في تلك الفترة، وما جرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية، وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الأندلسيَّة ومن فيها. وظاهره على ابن الاحمر منافسوه في رياسته بنو اشقيلولة؛ فاستجره الرئيس ابو الحسن بن أبي اسحاق صاحب وادي آش، ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين خمسة عشر يوماً. ثم أفرجوا عنها، ولقيتهم عساكر غرناطة من زناتة فعدَّ ذلك من سنتهم. وعليهم طلحة بن محلي وتاشفين بن معط كبير تيربيغين بحصن المسلى، فأظهرهم الله عليهم. وهلك من النصارى ما يناهز سبعماية من فرسانهم. واستشهد فيها من اعياص بني مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق. واستجر الطاغية سنة ثمانين بعدها الرئيس ابو محمد عبد الله صاحب وادي آش الى منازلة غرناطة؛ فنازلها الطاغية وأقام عليها أياماً. ثم ارتحل وقد اعتز عليهم. واشفق السلطان على المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من خسف الطاغية؛ فراسله في الموادعة واتفاق الكلمة وشرط عليه النزول عن مالقة؛ وامتنع فرجع السلطان الى ازالة العوائق المانعة عن شأنه من الجهاد؛

وكان من اعظمها فتنة يغمراسن. واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية وابن اخي ادفونش من الاتصال والاصفاق؛ فبعث اليه في تجديد الصلح والاتفاق؛ فلج وكشف الوجه في العناد. واعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة، انه معتزم على وصل بلاد المغرب. فصرف امير المسلمين عزمه الى غزو يَغْمُراسن. وقفل الى فاس لثلاث اشهر من نزوله بطنجة؛ فدخلها آخر شوال. وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه، والتجلي بمسالمة بني توجين والتجافي عنهم لموالاتهم امير المسلمين. فقام يغمراسن في ركائبه وقعد، ولج في طغيانه. وارتحل امير المسلمين من فاس خاتمة سنة تسع. وقدم ابنه أبا يعقوب في العساكر، وادركه بتازي. ولما انتهى الى مَلْوِيَّةَ تلوّم في انتظار العساكر. ثم ارتحل الى نامة ثم الى تافنا[1] وصمد اليه يغمراسن، بحشود زناتة والعرب، بحللهم وكافة ناجعتهم. والتقت عيون القوم؛ فكانت بينهم حرب. وركب على آثارها العسكران؛ فالتحم القتال. وكان الزحف بخرزوزة من ملعب تيفنى[2]. ورتب امير المسلمين مصافّه، وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الأمير أبي يعقوب جناحين للعسكر. واشتد القتال سائر النهار، وانكشف بنو عبد الواد عندما اراح القوم، وانتهب

(١) كذا، وفي ت: إلى تاسة ثم تافيا.
(٢) كذا. وفي ت: بياض بالأصل. وفي نسخة: منقى.

جميع مخلفهم وما كان في معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط، وبات معسكر أمير المسلمين ليلتهم في صهوات خيلهم، واتبعوا من الغد آثار عدوهم. واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن، وامتلأت أيدي بني مرين من نعمهم وشائهم. ودخلوا بلاد يغمراسن وزناتة. ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، لقيه بناحية القَصَبات، وعاثوا جميعاً في بلاده نهباً وتخريباً. ثم أذن لبني توجين في اللحاق ببلادهم، وأخذ هو بمخنق تلمسان متلوّماً لوصول محمد بن عبد القوي وقومه، الى منجاتهم من جبل وانشريش حذراً عليهم من غائلة يغمراسن. ثم افرج عنها وقفل الى المغرب، ودخل فاس شهر رمضان من سنة ثمانين. ثم نهض الى مراكش؛ فاحتل بها فاتح إحدى وثمانين بعدها. وسرح ابنه الأمير أبا يعقوب الى السوس لتدويخ اقطاره. ووافاه بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه؛ فاغتنم الفرصة في فساد بينهم لقضاء اربه من الجهاد. وارتحل مبادراً بالاجازة الى الاندلس. والله تعالى أعلم.

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف ثالثة باستدعاء الطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الاجازة من الغزوات

لما خرج السلطان من غزاة تِلِمْسان الى فاس، وارتحل الى مراكش، وافاه بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته،

وقواميص[١] ملته، صريخاً علي ابنه شانجة. خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على امره؛ فاستنصر امير المسلمين منهم ودعاه لحربهم. وامله لاسترجاع ملكه من ايديهم؛ فاجاب امير المسلمين داعيه رجاء للكرة بافتراقهم. وارتحل حتى انتهى الى قصر المجاز، واوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد. واجاز الى الخضراء فاحتل بها لربيع الثاني من سنة احدى وثمانين. واجتمعت اليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عياد[٢] فوافاه بها الطاغية ذليلًا لعز الاسلام مؤمّلًا صريخ السلطان؛ فاكبر وفادته وكرم موصله وعظم قدره وامده لنفقاته بماية الف من مال المسلمين، استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه، وبقي بدارهم فخراً للاعقاب لهذا العهد. ودخل معه دار الحرب غازياً حتى نازل قُرْطُبَة، وبها شانجة ابن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها اياماً. ثمّ افرج عنها، وتنقل في جهاتها ونواحيها. وارتحل الى طايطله؛ فعاث في جهاتها. وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من اقصى الثغر؛ فامتلأت ايدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها. وقفل الى الجزيرة؛ فاحتل بها لشعبان من سنته. وكان عمر بن محلى نزع الى طاعة السلطان؛ فهم به ابن الاحمر ونبذ اليه عهده. وارتجع المُنَكَّب من يده. ونازله بعساكره

---

(١) جمع قمص، بمعنى: رئيس.
(٢) كذا، وفي ب: صخرة عباد.

فاتح هذه السنة فجهز السلطان اليه لوصوله الجزيرة اسطوله . وافرج ابن الاحمر عنه ؛ فبادر الى السلطان بطاعته . ووصل ببيعة شَلوبانِيَة ؛ فابقاه فيها بدعوته . ثم راجع طاعة ابن الاحمر في شوال من سنته ؛ فتقبل فيئته واعاضه عنها بالمنكب . الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى . والله اعلم .

الخبر عن شأن السلم مع ابن الأحمر وتجافي السلطان عن مالقة ثم تجديد الغزو بعد ذلك

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية ، خشي ابن الاحمر غائلته، فجنح الى موالاة شانجة الخارج على ابيه . ووصل يده بيده، وأكد له العقد على نفسه . واضطرمت له الأَنْدَلُس ناراً وفتنةً . ولم يغن شانجة عن ابن الاحمر شيئاً . ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية ؛ وقد ظهر على ابنه ؛ فاجمع على منازلة مالقة . ونهض اليها من الجزيرة فاتح اثنتين وثمانين ؛ فتغلب على الحصون الغربية كلها . ثم اسف الى مالقة ؛ فاناخ عليها بعساكره . وضاق النطاق على ابن الاحمر وبدا له سوء المغبة في شأن مالقة ، ومداخلة ابن محلي في الغدر بها ، وأعمل نظره في الخلاص من ورطتها . ولم يرَ لها إلّا ولي عهد السلطان ابنه أبا يوسف ؛ فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخاً لرقع هذا الخرق ؛ وجمع كلمة المسلمين على عدوهم ؛ فاجابه واغتنم المثوبة في مسعاه . واجاز لشهر صفر ؛

فوافى امير المسلمين بمعسكره على مالقة . ورغب منه السلم لابن الاحمر عن شأن مالقة والتجافي له عنها ؛ فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضى الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته . وانعقد السلم وانبسط امل ابن الاحمر ، وتجددت عزائم المسلمين ، وقفل السلطان الى الجزيرة . وبث السرايا في دار الحرب ؛ فاوغلوا واثخنوا . ثم استأنف الغزو بنفسه الى طُلَيْطلة ، فخرج غازياً غرة ربيع الثاني من سنة اثنتين وثمانين ، حتى انتهى الى قُرطُبَة . فاثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون . ثم ارتحل نحو البيرة وخلف معسكراً بظاهر بياسة ، وأغذّ السير في أرض قفر . ولليلتين انتهى الى البيرة من نواحي طليطلة ، فسرح الخيل في البسائط حتى تقرت جميع ما فيها . ولم ينته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم ، واثخن في القتل . وقفل على غير طريقه ؛ فاثخن وخرب ، وانتهى الى أبدة . ووقف بساحتها والعدو منحجزون ثم رجع الى معسكره ببياسة ، واراح ثلاثاً ينسف آثارها ويقتلع شجراءها . وقفل الى الجزيرة ؛ فاحتل بها شهر رجب ، وقسم الغنائم وقفل من الخمس. وولى على الجزيرة حافده عيسى ابن الامير أبي مالك ابنه ؛ فهلك شهيداً بالمعترك لشهرين من ولايته . واجاز السلطان غرة شعبان الى المغرب ، ومعه ابنه ابو زيان منديل . واراح بطنجة ثلاثاً . وأغذّ السير الى فاس ؛ فاحتل بها آخر شعبان . ولما قضى صيامه ونسكه ، ارتحل الى مَرّاكُش لتمهيدها

وتفقد احوالها . وقسم من نظره لنواحي سَلا وأَزْمُّور ؛ فاقام برباط الفتح شهرين اثنين . واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين . وبلغه مهلك الطاغية ابن ادفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه ، فتحركت الى الجهاد عزائمه . وسرح الامير ابا يعقوب ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ، ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة . فاجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس ؛ فهلك اكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشاً . وقفل لما بلغه من اعتلال امير المسلمين ، ووصل الى مراكش وقد ابل واعتزم على الجهاد والغزو ، شكراً لله كما نذكر ان شاء الله تعالى .

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم امير المسلمين على الاجازة ، واعترض جنوده وحاشيته وازاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير . ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين . واحتل رباط الفتح منتصف شعبان ؛ فقضى به صومه ونسكه . ثم ارتحل الى قصور مصمودة وشرع في اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوّعة خاتمة سنته . ثم أجاز البحر بنفسه ، غرة صفر من سنة اربع بعدها . واحتل بطريف . ثم سار منها الى الخضراء ، واراح أياماً . ثم

خرج غازياً ، حتى انتهى الى وادي لَكّ . وسرح الخيول في بلاد العدوّ وبسائطها تغير وتحرق وتنسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمّر أرضهم ، قصد مدينة شريش ، فنزل بساحتها واناخ عليها ؛ وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها . وبعث عن المسالح التي كانت بالثغور ؛ فتوافت لديه . ولحق حافده عمر بن أبي مالك بجمع وافر من المجاهدين من اهل المغرب فرساناً ورجالاً ، ووافته حصة العزفي من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسماية من الرجل . واوعز الى ولي عهده الامير ابي يعقوب باستنفار من بقي بالعدوة من المسلمين الى الجهاد . وعقد لحافده الآخر منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من الغزاة . واعطاه الراية وسرحه لغزو اشبيلية لآخر صفر من سنته ؛ فغنموا ومروا بقرمونة في منصرفهم ؛ فاستباحوها واثخنوا بالقتل والاسار ورجعوا وقد امتلات أيديهم من الغنائم . وبعث وزيره محمد بن عتّو ومحمد بن عمران بن عبلة عيوناً ؛ فوافوا حصن القناطر وروطة ؛ واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور ؛ فعقد ثانيـة لحافده عمر بن عبد الواحد عـلى مثلها من الفرسان لثلاثة من ربيع وأعطاه الراية ، وسرحه الى بسائط وادي لَكّ ؛ فرجعوا من الغنائم بما ملأ المساكر ؛ بعد ان اثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وابادوا عمرانها . ثم سرح ثامن ربيع عسكراً للاغارة على حصن أركش . ووافوه على غرة ؛ فاكتسحوا اموالهم . ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبي

معروف على ألف من الفرسان. وسرحه لغزو اشبيلية؛ فسار حتى توقف. وانحجزت منه حاميتها؛ فخرب عمرانها وحرق زروعها وقطع شجراءها. وامتلأت أيدي عسكره سبياً واموالاً، ورجع الى معسكر السلطان مملوء الحقائب. ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان بالقرب من معسكره، وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بالالات. وأمدّه بالرجل من المصامدة وغزاة سَبْتَة؛ فاقتحموه عنوةً على اهله. وقتلوا المقاتلة، وسبوا النساء والذرية، واضرعوا خده بالتراب.

ولسبع عشرة من الشهر ركب السلطان الى حصن سقوط قريباً من معسكره؛ فخربه وحرقه بالنار واستباحه. وقتل مقاتلته وسبى اهله. ولعشرين من شهره وصل ولي عهده الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير اهل المغرب وكافة القبائل، في جيوش ضخمة وعسكر موفورة. وركب امير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم. واعترض العساكر الموافية يومئذ؛ فكانت ثلاثة عشر ألفاً من المصامدة؛ وثمانية آلاف من برابرة المغرب المتطوعون كلهم بالجهاد؛ فعقد له السلطان على خمسة آلاف من المرتزقة، وألفين من المطوعة وثلاثة عشر ألفاً من الرجل، وألفين من الناشبة. وسرحه لغزو اشبيلية والاثخان في نواحيها؛ فعبأ كتائبه ونهض لوجهه. وبث الغارات بين يديه؛ فاثخنوا وسبوا وقتلوا. واقتحموا الحصن، واكتسحوا الاموال. وعاج على الشرف والغابة من بسيط اشبيلية

فنسف قراها واقتحم من حصونها عدة . وقفل الى معسكر امير المسلمين ظاهراً عزيزاً غانماً . ولسادس ربيع الثاني وصل الامير ابو زيّان منديل بن طريف بعسكر وافر من المسلمين؛ فعقد له غداة وصوله وامده بعسكر آخر . واغزاه قرمونة والوادي الكبير؛ فاغار على قرمونة . وطمعت حاميتها في المدافعة؛ فبرزوا له . وصدقهم القتال؛ فانكشفوا حتى احجزوهم في البلد. ثم احاطوا ببرج كان قريباً من البلد؛ قاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية؛ فاغار واكتسح واقتحم برجاً كان هنالك عيناً على المسلمين واضرمه ناراً . وامتلأت ايدي عساكره، وقفل الى معسكر امير المسلمين .

والثلاث عشرة من ربيع الثاني عقد للامير أبي يعقوب لمنازلة جزيرة كبوتر؛ فصمد اليها وقاتلها واقتحمها عنوة . وفي ثاني جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محلي . وكان بعد مداخلته اخاه عمر في شأن مالَقَة سنة خمس وسبعين؛ خرج الى الحج؛ فقضى فرضه ورجع . ومر في طريقه بتونس . واتهمه الدعي ابن أبي عمارة كان بها يومئذ؛ فاعتقله سنة اثنتين وثمانين . ثم سرحه، ولحق بقومه بالمغرب . ثم أجاز الى الاندلس غازياً في ركاب السلطان، فعقد له في هذه الغزاة على مايتين من الفرسان . وسرحه الى

اشبيلية ليكون رُتْبَة[1] للمعسكر. وبعث معه لذلك عيوناً من اليهود، والمعاهدين من النصارى، يتعرّفون له أخبار الطاغية شانجة. وأمير المسلمين اثناء ذلك يغادي شريش ويراوحها بالقتال والتخريب، ونسف الآثار وبث السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو. فلا يخلو يوماً عن تجهيز عسكر، أو اغزاء جيش، او عقد راية، او بعث سرية، حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية، وخرّب بسائط اشبيلية ولبله وقرمونة واستجة وجبال الشَّرَف، وجميع بسائط الفرنتيرة. وأبلى في هذه الغزوات عيّاد العاصمي من شيوخ جَشَم، وخضر الغزي امير الاكراد بلاء عظيماً، وكان لهم فيها ذكر. وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم. فلما دمرها تدميراً، ونسفها تخريباً، واكتسحها غارة ونهباً، وزحم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن المعسكر، اعتزم على القفول، وافرج عن شريش لآخر رجب. ووافاه مدد غرناطة من عساكر الغزاة، وقائدهم يعلى بن أبي عياد بن عبدالحق بوادي بردة؛ فلقاهم مبرة وتكريماً؛ وانقلبوا الى اهلهم. واتصل به أن العدو اوعز الى اساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض؛ فاوعز امير المسلمين الى جميع سواحله من سبتة وطنجة والمنكب والجزيرة وطريف وبلاد الريف ورباط الفتح. واستدعى

(١) كذا، ولا معنى لها هنا. وفي ت: رتبة. ومقتضى السياق: ليكون قائداً للمعسكر. وقد يقصد بها الزيادة مجازاً، من ربا المال.

اساطيله ؛ فتوافت منها ستة وثلاثون اسطولاً متكاملة في عدتها وعديدها ؛ فاحجمت اساطيل العدو عنها وارتدت على اعقابها . واحتل بالجزيرة غرة رمضان . واستيقن الطاغية شانجة واهل ملته ان بلادهم قد فنيت ، وارضهم خربت . وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية ؛ فجنحوا الى السلم . وضرعوا الى امير المسلمين في كفّ عاديته عنهم على ما يذكر . ووصل الى السلطان بمكانه من منازلة شريش عمر بن أبي يحيى بن محلي نازعاً الى طاعته ؛ فاتهمه لما سبق من تلاعبه . وأمر أخاه طلحة بنكبه . واحتمل الى طريف ؛ فاعتقل بها . وسار طلحة الى المنكب ؛ فاستصفى اموال اخيه عمر وذخائره وحملها الى السلطان . واقر ثانية اخاه موسى على عمله بالمنكب ، وامده بمعسكر من الرجل . ثم اطلق عمر لليال من اعتقاله . واجاز طلحة وعمر في ركاب السلطان . ونزع منصور ابن أبي مالك حافد السلطان الى غرناطة . ثم لحق منها بالمنكب واقام مع موسى بن يحيى بن محلي ؛ فاقره السلطان ورضي مقامه. والله تعالى أعلم .

الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك

لما نزل بامم النصرانية في بلاد ابن ادفونش من امير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم ، واكتساح اموالهم ، وسبي نسائهم ،

وابادة مقاتلتهم ، وتخريب معاقلهم ، وانتساف عمرانهم ، زاغت منهم الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر . واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين؛ فاجتمعوا الى طاغيتهم شانجة ، خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ، يتوجعون مما اذاقهم جنود الله من سوء العذاب واليم النكال . وحملوه على الضراعة الى امير المسلمين في السلم ، وانفاذ الملأ من كبار النصرانية عليه في ذلك . وإلّا فلا تزال تصيبهم منه قارعة ، او تحل قريباً من دارهم . فاجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه. واوفد على امير المسلمين وفداً من بطارقتهم وقامصتهم واساقفتهم . ووضع اوزار الحرب؛ فردهم امير المسلمين اعتزازاً عليهم . ثم اعادهم الطاغية بترديد الرغبة، على ان يشترط ما شاء من عز دينه وقومه . فاسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن صاغيتهم اليه، وذلهم لعز الاسلام . واجابهم الى ما سألوه ، واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه ، والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك او عداوتهم ، ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده ، وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنة . وبعث ثقته عبد الحق ابن الترجمان لاشتراط ذلك واحكام عقده؛ فاستبلغ واكد في الوفاء . ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية ، وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين وعلى مدافعته عنه؛ فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان واسمعهم

ما عقد لأمير المسلمين على قومه وأهل ملته. وقال لهم: إنّما انتم عبيد اباني فلستم معي في مقام السلم او الحرب، وهذا ملك المسلمين ولست اطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا. ولما رأى عبد الحق صاغيته الى مرضاة السلطان، وسوس اليه بالوفادة لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة. وأراه مغبة ذلك في سل السخيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الالفة؛ فصغى الى وفاقه. وسأل لقاء الأمير أبي يعقوب ولي عهده من قبل ليطمئن عليه؛ فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش. وباتا بمعسكر المسلمين هنالك. ثم ارتحلا من الغد للقاء امير المسلمين؛ وقد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وابهته؛ فاحتفلوا وتأهبوا واظهروا عزّ الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية.

ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة، واتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل. وقدم الطاغية بين يديه هدية اتحف بها أمير المسلمين وابنه من ظرف بلاده: كان فيها زوج من الحيوان الوحشي المسمى بالفيل، وحمارة من حمر الوحش، الى غير ذلك من الظرف. تقبلها السلطان وابنه وقابلوها بكفائها ومضاعفتها، وكمل عقد السلم. وتقبّل الطاغية سائر الشروط، ورضي بعزّ الاسلام عليه. وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضى والمسرة. وسأل منه أمير المسلمين ان يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى من لدن استيلائهم على مداين الاسلام؛ فاستكثر من

أصنافها في ثلاثة عشر حملاً بعث بها اليه ؛ فوقفها السلطان بمدرسته التي أسسها بفاس لطلب العلم .

وقفل أمير المسلمين الى الجزيرة لليلتين بقيتا لرمضان ؛ فقضى صومه ونسكه . وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم . وأعد الشعراء كلمات انشدوها يوم الفطر بمشهد الملأ في مجلس أمير المؤمنين . وكان من اسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة عزّوز المكناسي . ذكر فيها سِير أمير المسلمين وغزواته على نسق .

ثم أعمل أمير المسلمين نظره في الثغور ؛ فرتّب بها المسالح وعقد عليها لابنه الامير أبي زيان منديل . وانزله بزكوان مقربة مالقة ، واستوصاه بأن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثاً . وعقد لعيّاد بن أبي عيّاد العاصمي على مسلحة أخرى ، وانزله باصطبونة . وأجاز ابنه الامير ابا يعقوب لتفقد احوال المغرب ومباشرة اموره؛ فاجاز في اسطول القائد محمد بن أبي القاسم الرنداحي قائد سبتة . وأوعز اليـه بالبناء على قبر أبيه أبي الملوك عبد الحق وابنه ادريس بتافرطست ؛ فاختط هنالك رباطاً ، وبنى على قبورهم اسنمة من الرخام ، ونقشها بالكتاب . ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ، ووقف على ذلك ضياعاً وفدناً . وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبي منديل العسكري لمنتصف رمضان . ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذي الحجة ، ومرض واشتد وجعه . وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستماية من الهجرة . والله أعلم .

الخبر عن دولة السلطان أبي يعقوب وما كان فيها من الأحداث وشأن الخوارج عليه لأول دولته

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة مرّضه نساؤه ، وطير بالخبر الى ولي العهد الامير أبي يعقوب وهو بمكانه من المغرب ، فاعد السير . وقضى أمير المسلمين قبل وصوله ؛ فاخذ له البيعة على الناس وزراء ابيه وعظماء قومه . وأجاز اليهم البحر ؛ فجددوا بيعته غرة صفر من سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة . وانعقد أمر السلطان يومئذ ، ففرق الاموال ، واجزل الصلات ، وسرّح من في السجون ، ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ، ووكلهم فيها الى امانتهم . وقبض أيدي العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا ، ورفع المكوس ومحى رسوم الرتب ، وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة . وكان اول شيء أحدث من أمره أن بعث عن ابن الاحمر وضرب موعداً للقائه ؛ فبادر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع . ولقّاه مبرة وتكريماً ، وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت لمملكته ما عدى الجزيرة وطريف . وتفرقا من مكانهما على اكمل حالات المصافاة والوصلة ، ورجع السلطان الى الجزيرة . ووافاه بها وفد الطاغية شانجة ، مجددين حكم السلم الذي عقد له أمير المسلمين عفا الله عنه فاجابهم . ولما تمهد امر الاندلس ، وفرغ من النظر فيها ، عقد لاخيه أبي عطية

العبّاس على الثغور الغربية والامارة عليها. وعقد لعلي بن يوسف ابن يزكاسن على مسالحها، وامده بثلاثة الاف من عساكره.

وأجاز الى المغرب؛ فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثاني. ثم ارتحل الى فاس، واحتل بها لاثنتي عشرة خلت من جمادى. ولحين استقراره بدار ملكه، خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق في اخوته وبنيه وذويهم، ولحق بجبال درعة، ودعا لنفسه. وسرح اليهم السلطان أخاه أبا معرف؛ فبدا له في النزوع اليهم؛ فلحق بهم. واغزاهم السلطان بعساكره، وردّد اليهم البعوث والكتائب. وتلطف في استنزال أخيه؛ فنزل عن الخلاف وعاد الى حسن طاعته. وفر اولاد ادريس الى تلمسان، وتقبض عليهم اثناء طريقهم. وسرح السلطان أخاه أبا زيان الى تازى، واوعز اليه بقتلهم بمليلى خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين. ورهب الاعياص عند ذلك من بادرة السلطان؛ فتفرقوا ولحقوا بغرناطة: اولاد أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق، وأولاد أبي يحيى ابن عبد الحق، واولاد عثمان بن يزول. ورجع اولاد أبي يحيى الى السلطان بعد انقضاء عهده وامانه. وهلك أخوه محمد اجليلد ابن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته. وهلك عمر ابن أخيه أبي مالك بطنجة. ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكري بقلعة قندلاوة، ونبذ الطاعة، واذن بالحرب. واوعز السلطان الى بني عسكر ومن اليهم من القبائل المجاورين لها؛

فاحتشدوا لـه ونازلوه. ثم نهض بركابه وعساكره الى منازلته، واحتل بنبدورة. وخافه عمر على نفسه وايقن ان قد احيط به؛ فسأل الامان. وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان؛ فبعث من توثق له من الخيرة فنزل. فوفى لـه السلطان بعهده، ولحق بتلمسان باهله وولده.

ثم ارتحل السلطان في رمضان من سنته الى مراكش لتمهيد انحائها، وتثقيف اطرافها، واحتل بها في شوال، واعتمل النظر في مصالحها. ونزع خلال ذلك طلحة بن يحيى بن محلى البطوي إلى بني حسان من المعقل، وخرج على السلطان ودعا لنفسه. وعقد السلطان لمنصور ابن اخيه أبي مالك على العساكر، وعهد له بولاية السوس، وسرّحه لاستنزال الخوارج، ومحو آثار الفساد. وارتاب بمكان أخيه عمر؛ فغربه الى غرناطة؛ فقتله اولاد أبي العلاء يوم وصوله اليها؛ فسار الامير منصور في الجيوش والكتائب؛ وغزا عرب المعقل واثخن فيهم. وقتل طلحة بن محلى في بعض حروبهم لثلاث عشرة من جمادى سنة ست وثمانين. وبعث برأسه الى سدة السلطان؛ فعلق بتازى. ثم نهض السلطان في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة بما اضروا العمران وافسدوا السابلة. وسار اليهم في اثني عشر الفاً من الفرسان. ومر على بلاد هسكورة معترضاً جبل درن. وادركهم بالقفر نواجع؛ فاثخن فيهم بالقتل والسبي.

واستكثر من رؤوسهم؛ فعلقت بشرفات مراكش وسجلماسة وفاس. وعاد من غزوه الى مراكش آخر شوال؛ فنكب محمد ابن علي بن محلى عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين؛ لما وقع من الارتياب بأولاد محلى بما اتاه كبيره طلحة؛ فنكب غرة المحرم من سنة سبع. وهلك في محبسه لشهر صفر بعده. وهلك على أثر ذلك المزوار قاسم بن عبُّو. وعقد السلطان على مرّاكش واعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاء الحلف. وترك معه ابنه ابا عامر. ثم ارتحل الى حضرة فاس؛ فاحتل بها منتصف ربيع. ووافته بها عرسه ابنة موسى بن رحّو ابن عبدالله بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الاحمر وأهل دولته؛ فاعرس بها وكان بعث الى ابيها من قبل في الاصهار بها. ووافت معها رسل ابن الاحمر يسألون التجافي عن وادي آش؛ فاسعفهم بها كما نذكر ان شاء الله تعالى.

الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الأحمر

كان أبو الحسن بن أشقيلولة ظهير السلطان ابن الاحمر على ملكه ومعينه على شأنه، وكان له في الدولة بذلك مكان. ولما هلك خلف من الولدان أبا محمد عبد الله وأبا اسحاق ابراهيم؛ فعقد ابن الاحمر لابي محمد على مالقة ولابي اسحاق على قمارش ووادي

آش. ولما هلك السلطان ابن الاحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينها وبينه، وتأدى ذلك الى الفتنة كما قلناه. ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف. ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان؛ ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين. ثم هلك ابو اسحاق سنة اثنتين وثمانين، وغلب ابن الاحمر على حصن قارش وصار اليه. وكان الرئيس أبو اسحاق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الاحمر، وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية. وأجلب أخوه أبو محمد على غرناطة هو وابن الدليل. وطال امر الفتنة بينهم وبين ابن الاحمر. وأجلب أخوه أبو محمد على غرناطة مع الطاغية. ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصرانية؛ وخشي ابو الحسن بن أشقيلولة على نفسه عادية ابن الاحمر؛ فتذمم بطاعة صاحب المغرب. وأقام دعوته بوادي آش سنة ست وثمانين؛ فلم يعرض لها ابن الاحمر؛ حتى اذا وقعت المواصلة بينه وبين السلطان أبي يعقوب وكان شأن هذا الصهر على يده، بعث رسله الى السلطان يسأله التجافي عن وادي آش؛ فتجافى له عنها. وبعث إلى أبي الحسن بن أشقيلولة بذلك؛ فتركها. وارتحل اليه سنة سبع وثمانين. ولقيه بسلا؛ فاعطاه القصر الكبير واعماله طعمة سوغه إياها. ثم نزل لبنيه آخر دولتهم. واستمكن ابن الاحمر في وادي آش وحصونها. ولم يبق له بالاندلس منازع في قرابته. والله يؤتي ملكه من يشاء.

الخبر عن خروج الأمير أبي عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة

لما احتل السلطان بفاس واقام بها ، خرج عليه أبنه ابو عامر، ولحق بمراكش ، ودعا لنفسه أخريات شوال من سنة سبع وثمانين. وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطّو . وخرج السلطان في أثره الى مراكش ؛ فبرز الى لقائه ؛ فكانت الدائرة عليهم ، وحاصرهم السلطان بمراكش أياماً . ثم خلص أبو عامر الى بيت المال ؛ فاستصفى ما فيه ، وقتل المشرف ابن أبي البركات ، ولحق بجبال المصامدة . ودخل السلطان من غده الى البلد يوم عرفه ؛ فعفا وسكن . ونهض منصور ابن أخيه أبي مالك من السوس الى حاحة ، فدوخ انحاءها . ثم سرح اليه المدد من مراكش ؛ فاوقعوا بزكنة[1] من برابرة السوس . وقتل منهم ما يناهز اربعين من سرواتهم . وكان فيمن قتل شيخهم حبون[2] بن ابراهيم . ثم ان ابنه أبا عامر ضاق ذرعه بسخط ابيه وإجلابه في الخلاف ؛ فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطو فاتح سنة ثمان وثمانين ، فاواهم عثمان بن يغمراسن . ومهد لهم المكان ولبثوا عنده أياماً . ثم عطف السلطان على ابنه رحم لما عطفت ابنته عليه ؛ فرضي عنه وأعاده

(١) كذا، وفي ب : وكنة.

(٢) كذا، وفي ب : حيون . وفي نسخة : حنون، وفي نسخة : حبور.

الى مكانه. وطالب عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان أن يسلم اليه ابن عطو الناجم في النفاق مع ابنه؛ فأبى من إضاعة جواره واخفار ذمته. وأغلظ له الرسول في القول؛ فسطا به واعتقله؛ فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة وتحركت الاحن القديمة والترات المتواترة. واعتزم على غزو تلمسان. والله أعلم.

الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفار من صحراء ملوية، الى صا، الى فيكيك، الى مصاب. ولما انتقلوا الى التلول، وتغلبوا على الضواحي بالمغرب الاقصى والاوسط، لم تزل فتنتهم متصلة، وأيام حروبهم فيها مذكورة. كانت دولة الموحدين عند اعتلالها والتيائها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة؛ فتأكدت لذلك أحوالها واتصلت أيامها. وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيى بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد، نقلنا منها بعضاً من كل. واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها. وكان الغلب اكثر ما يكون لابي يحيى بن عبد الحق لوفور قبيله. إلا أن يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر وقائعه. ولما طمس أثر بني عبد المؤمن، واستولى يعقوب بن عبد الحق على ملكهم، وصارت في جملته عساكرهم، فضاعف عليه، أسف

على ملك يغمراسن ملكه . وجمع له ؛ فاوقع به في تلاغ الواقعة المعروفة . ثم اوقع به ثانية وثالثة . ولما استوت قدم يعقوب بن عبد الحق في ملكه ، واستكمل فتح المغرب وسائر امصاره ، وكبح يغمراسن عن التطاول الى مقاومته ، واوهن قواه بفل جموعه ومنازلته في داره ، ومظاهرة أقتاله من زناتة من بني توجين ومغراوة عليه . فانصرف بعد ذلك الى الجهاد ؛ فكان له فيه شغل عما سواه كما نقلناه في أخباره . ولما ارتاب ابن الاحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الاندلس ، وحذره على ملكه ، وتظاهر مع الطاغية على منعه من الاجازة الى عدوتهم ؛ خشوا ان يستقلوا بمدافعته ؛ فراسلوا يغمراسن في الاخذ بحجزته . واجابهم اليها ، وجرد عزائمه لها ، واتصلت ايديهم في التظاهر عليه . ثم فسد ما بين ابن الاحمر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب ابن عبد الحق ؛ فتولاه بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه . واطلعوه على خباء يغمراسن في مظاهرتهم ؛ فاغزاه سنة تسع وسبعين وهزمه بخرزوزه . ونازله بتلمسان وأوطأ عدوه من بني توجين ساحته كما ذكرناه . ثم انصرف الى شأنه من الجهاد . وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة ذلك سنة احدى وثمانين ، واوصى ابنه عثمان ولي عهده . زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب ، وان لا يبرز الى لقائهم بالصحراء ، وان يلوذ منهم بالجدران متى سموا اليه . والقى إليه ، زعموا ان

بني مرين بعد تغلبهم على مراكش ، واضافة سلطان الموحدين إلى سلطانهم ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم ، وقال له : زعموا فيما اوصاه : « لا يغرنك أني زحفت بعدها إليهم ، وبرزت الى لقائهم. فاني انفت ان أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها ، واترك مبارزتهم وقد عرفها الناس . وانت فلا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم ؛ فليس لك في ذلك مقام معلوم ، ولا عادة سالفة واجهد جهدك في التغلب على افريقية وراءك ؛ فان فعلت كانت المناهضة » . وهذه الوصاة زعموا هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك افريقية ، ومنازلته بجاية ، وحربهم مع الموحدين. ولما هلك يغمراسن ذهب عثمان ابنه الى مسالمة بني مرين ؛ فبعث أخاه محمداً الى السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وأجاز البحر اليه بالاندلس. ووافاه باركش في إجازته الرابعة سنة أربع وثمانين ؛ فعقد له على ما جاء إليه من السلم والمهادنة . ورجّعه الى أخيه وقومه ممتلياً كرامة وسروراً . وهلك يعقوب بن عبد الحق أثر ذلك سنة خمس وثمانين ، وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب . وانتزى الخوارج عليه بكل جهة ؛ فشمر لهم واستنزلهم وحسم ادواءهم. ثم خرج ابنه عليه آخراً كما ذكرناه بممالأة الشيطان محمد بن عطّو. ثم فاء الى طاعة أبيه ، ورضي عنه ، واعاده الى مكانه من حضرته. وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه في ابن عطو المنتزي عليه مع ابنه ؛ فابى عثمان من اسلامه. وتحركت حفيظة السلطان

واعتزم على غزوهم، فارتحل من مراكش لصفر من سنة تسع وثمانين. وعقد عليها لابنه الامير أبي عبد الرحمن. ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته في عساكره وجنوده. وحشد القبائل وكافة أهل المغرب، وسار حتى نزل تلمسان. فانحجز عثمان وقومه بها، ولاذوا منه بجدرانها. فسار في نواحيها ينسف الآثار، ويخرب العمران ويحطم الزرع. ثم نزل بذراع الصابون من ساحتها. ثم انتقل منه الى ثامة وحاصرها أربعين يوماً، وقطع شجراءها، وأباد غضراءها. ولما امتنعت عليه افرج عنها وانكفأ راجعاً الى المغرب. وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناتن، ونسك الاضحى وقربانه بتازى، وتلبث بها، ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكر ان شاء الله تعالى.

الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه

لما رجع السلطان من غزو تلمسان، وافاه الخبر بان الطاغية شانجة انتقض ونبذ العهد، وتجاوز التخوم. وغار على الثغور؛ فاوعز الى قائد المسالح علي بن يوسف بن يزكاسن بالدخول الى دار الحرب، ومنازلة شريش. وشن الغارات على بلاد الطاغية؛ فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين. وجاس خلالها، وتوغل في اقطارها، وأبلغ في النكاية. وفصل السلطان من تازى غازياً على اثره في جمادى، واحتل قصر مصمودة، واستنفر أهل

المغرب وقبائله. ونفروا وشرع في أجازتهم البحر. وبعث الطاغية اساطيله الى الزقاق حجزاً دون الاجازة؛ فاوعز السلطان الى قواد اساطيله بالسواحل وأغزاهم. والتقت الاساطيل ببحر الزقاق في شعبان؛ فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله. ثم أغزاهم ثانية، وخامت اساطيل العدو عن اللقاء، وصاعدوا عن الزقاق. وملكته اساطيل السلطان، فاجاز اخريات رمضان واحتل بطريف. ثم دخل دار الحرب غازياً؛ فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم. وبث السرايا في ارض العدو، وردّد الغازات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن ابلغ في النكاية والاثخان، وقضى من الجهاد وطراً. وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن المعسكر؛ فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة. ثم أجاز الى المغرب فاتح احدى وتسعين؛ فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه الاجازة؛ كما نذكره إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

الخبر عن انتقاض ابن الأحمر ومظاهرته الطاغية على طريف اعادها الله

ولما قفل السلطان من غزاته فاتح احدى وتسعين كما ذكرناه، وقد أبلغ في نكاية العدو، واثخن في بلاده، فاهم الطاغية امره، وثقلت عليه وطأته، والتمس الوليجة من دونه. وحذر ابن الاحمر غائلته، ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وغلبه على

امره ، ففاوض الطاغية ، وخلصوا نجيًّا . وتحدثوا أن استمكانه من الاجازة اليهم إنّما هو بقرب مسافة بحر الزقاق ، وانتظام ثغور المسلمين حفافيه بتصرف شوانيهم وسفنهم متى ارادوا فضلًا عن الاساطيل . وان ام تلك الثغور طريف ، وانهم اذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق . وكان اسطولهم من مرقاها بمرصد لاساطيل صاحب المغرب الخائضين لجة ذلك البحر ؛ فاعتزم الطاغية على منازلة طريف . وزعم له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك ، وشرط له المدد ، والميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها على أن تكون له إن حصلت . وتعاونوا على ذلك ، وأناخ الطاغية بعساكر النصرانيّة على طريف . والحّ عليها بالقتال ، ونصب الآلات ، وانقطع عنها المدد والميرة . واحتلت اساطيله ببحر الزقاق ؛ فحالت دون الصريخ من السلطان واخوانهم المسلمين . وضرب ابن الاحمر معسكره بمالَقَة قريباً منه ، وسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات ، وبعث عسكراً لمنازلة أصطبونة ، وتغلب عليه بعد مدة من الحصار . واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار ؛ فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد ؛ فصالحهم واستنزلهم سنة احدى وتسعين . ووفى لهم بعهده . واستشرف ابن الاحمر الى تجافي الطاغية عنها كما عهدا عليه ؛ فاعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً منها ؛ ففسد ذات بينهما . ورجع

ابن الاحمر الى تمسكه بالسلطان واستغاثته به لاهل ملته على الطاغية. واوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف ووزيره ابا سلطان عزيز الداني، في وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة، وتقرير المعذرة من شأن طريف. فوافوه مكانه من منازلة تازوطا كما نذكر بعد؛ فابرموا العقد واحكموا الصلح. وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين باسعاف غرضه من المؤاخاة واتصال اليد. وهلك خلال ذلك قائد المسالح بالاندلس علي بن يزكاسن في ربيع سنة اثنتين وتسعين. وعقد السلطان لابنه وولي عهده الامير أبي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته، وعهد له بالنظر في مصالحها. وانفذه الى المجاز بعسكره؛ فوافاه هنالك السلطان ابن الاحمر؛ كما نذكر إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

الخبر عن وفادة ابن الأحمر على السلطان والتقائهما بطنجة

لما رجعت الرسل الى ابن الاحمر، وقد كرمت وفادتهم، وقضيت حاجاتهم، واحكمت في المؤاخاة مقاصدهم، وقع ذلك من ابن الاحمر اجمل موقع، وطار سروراً من اعواده. وأجمع الرحلة الى السلطان لاستحكام العقد، والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف وشأنها، واستعدادهم لاغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم. فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة اثنتين

وتسعين ، واحتل بنيونش من ساحة سبتة . ثم ارتحل الى طَنْجَةَ ، وقدّم بين يدي نجواه هدية سنية ، اتحف بها السلطان : كان من احفلها واحسنها موقعاً لديه فيما زعموا المصحف الـكبير ، أحد مصاحف عثمان بن عفان الاربعة المنبثقة الى الآفاق ، المختص هذا منها بالمغرب ، كما نقله السلف . كان بنو أميّةَ يتوارثونه بقرطبة ؛ فتلقاه الأمير ابو عامر هنالك واخوه الامير ابو عبد الرحمن ابنـا السلطان واحتفلا في مبرته . ثم جاء السلطان على اثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمـه ، ووافاه بطنجة وأبلغ في تـكرمتـه ، وبر وفادته بما يـكرم به مثله . وبسط ابن الاحمر العذر عن شأن طريف ؛ فتجافى السلطـان عن العذل . واعرض عنه وقبل منه ، وبر واحتفى ، ووصل واجزل . ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة وَرُنْدَةَ والغربية ، وعشرين حصناً من ثغور الاندلس ، كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره . وعاد ابن الاحمر الى الانـدلس خاتم اثنتين وتسعين محُبُوّاً محبوراً . واجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف . وعقد على حربهـا ومنازلتها لوزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش الجشمي ؛ فنازلها مدة ؛ وامتنعت فافرج عنها . وصرف السلطان همه الى غزو تلمسان ، وحصارها كما نذكر إن شاء الله تعالى .

الخبر عن انتزاء ابن الوزير الوطاسي بحصن تاوزطا من جهة الريف واستنزال السلطان اياه

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بني وطّاس من قبائل بني مَرين، ويرون أنّ نسبهم دخيل في بني مرين. وأنّهم من أعقاب علي ابن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو، ونزلوا على بني وطّاس ورسخت فيهم عروقهم، حتى لبسوا جلدتهم. ولم يزل السروُ متربّعاً بين اعينهم لذلك، والرياسة شامخة بأنوفهم. وكانوا يرومون الفتك بالامراء من اولاد عبد الحق، فلم يطيقوه. ولما احتل السعيد بتازى غازياً الى تِلِمْسان كما ذكرناه، ولحق ببلدهم الامير أبو يحيى بن عبد الحق، ائتمروا في الفتك به. ونذر بشأنهم فارتحل، ففرّ إلى غبولة وعين الصفا من بلاد بني يزناسن. وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد. وكانت بلاد الريف لبني وطاس من لدن دخول بني مرين المغرب واقتسامهم لاعماله، فكانت ضراحيها لنزلهم وامصارها ورعاياها لجبايتهم. وكان حصن تازوطا بها من امنع معاقل المغرب، وكان الملوك من اولاد عبد الحق يعتنون بشأنه وينزلون به من اوليائهم من يثقون بغنائه واضطلاعه، ليكون آخذاً بناصية من هؤلاء الرهط وشجاً في صدورهم عما يسمون اليه. وكان السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الامير أبي مالك، بعد مهلك ابيه امير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق. وكان عمر بن يحيى بن الوزير وأخوه عامر رئيسين على بني وطاس لذلك العهد، فاستوهنوا امر السلطان بعد مهلك

أبيه. وحدثوا انفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية؛ فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة احدى وتسعين. وفتك برجاله وذويه، وازعجه عنه، وغلبه على مال الجباية الذي كان بقصره، فاستصفاه واستأثر به. واستبدّ وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه. ووصل منصور الى السلطان، وهلك لليال من منجاته أسفاً لما أصابه. وسرح السلطان وزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمنازلته؛ فأناخ عليه. ثم نهض السلطان على اثره، ووافاه وضرب معسكره بساحته. وخالف عامر اخاه عمر الى السلطان بقومه حذراً من مغبة الامر، واشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص، وظن أن قد أحيط به. ودسّ الى أخيه عامر؛ فاذن السلطان في مداخلته في النزول عن الحصن؛ فاذن له. واحتمل ذخيرته، وفرّ الى تلمسان. وبدا لعامر في رأيه عندما خلص الى الحصن وخلا له من عُمَرَ أخيه الجوّ. وحذر غائلة السلطان وخشي أن يثأر منه بأخيه؛ فامتنع بالحصن. ثم ندم وسقط في يده. وفي خلال ذلك كان وصول وفد الاندلس، وأرسوا اساطيلهم بمرقى غساسة. فبعث اليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لوجاهتهم لديه؛ فتقبلت شفاعتهم على شريطة اجازته الى الاندلس. وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته الى الاسطول مكراً بهم. وخاض الليل الى تلمسان؛ فتقبض السلطان على ولده وقتل. وأسلم أهل

الاسطول من كان من حاشيته لديهم، وتجافوا عن اجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر. فاستلحموا مع من كان بالحصن من اتباعهم وقرابتهم وذويهم. وتملك السلطان حصن تازوطا، وانزل به عماله ومسلحته، وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى من سنة اثنتين وتسعين. والله تعالى أعلم.

الخبر عن نزوع أبي عامر بن السلطان الى بلاد الريف وجبال غمارة

كان الامير أبو عامر بعد إجازة ابن الاحمر الى السلطان أبيه ورضاه عنه، وتأكيد مؤاخاته وإغزاء وزيره عمر بن السعود لمنازلة طريف، واستنزاله اولاد الوزير المنتزين بحصن تازوط، رجع من قصر مصمودة الى بلاد الريف، بايعاز ابيه اليه بذلك لتسكين احوالها. وكان اولاد الامير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا الى تلمسان لسعاية فيهم وقرت في صدر السلطان؛ فاقاموا بها أياماً. ثم استعطفوا السلطان واسترضوه؛ فرضي وأذن لهم في الرجوع الى محلهم من قومهم ودولتهم. وبلغ الخبر الامير أبا عامر؛ وهو بمعسكره من الريف؛ فاجمع على اغتيالهم في طريقهم يظن انه يرضي بذلك أباه. واعترضهم بوادي القطف من بلاد ملوية سنة خمس وتسعين؛ فاستلحمهم. وانتهى الخبر الى السلطان؛ فقام في ركائبه وقعد، وتبرأ إلى الله من إخفار ذمته، ومن صنيع ابنه.

وسخطه واقصاه؛ فذهب مغاضباً ولحق ببلاد الريف. ثم صعد الى جبال غمارة؛ فلم يزل طريداً بينهم. ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن ودران [1] الحَشَمِيّ، ثم لنظر زيكن بن المولاة تاميمونت. واوقع بهم مراراً آخرها بيرزيكن سنة تسع وتسعين. وذكر الزليخي مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين، وقتله لأولاد الأمير أبي يحيى كان سنة خمس وتسعين بعدها؛ اغرا بهم [2] من مثوى انتزائه، وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم. ولم يزل هذا دأبه الى أن هلك ببني سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين، ونقل شلوه الى فاس فووري بباب الفتوح بملجد قومهم هنالك. وأعقب ولدين كفلهما السلطان جدهما؛ فكانا الخليفتين من بعده؛ على ما نذكره إن شاء الله تعالى. والله أعلم.

الخبر عن ترديد الغزو الى تلمسان ومنازلتها

كان عثمان بن يغمراسن بعد افراج السلطان عنه سنة تسع وثمانين، وانتقاض الطاغية وابن الاحمر عليه كما قلناه، صرف الى ولايتها وجه تدبيره. واوفد على الطاغية ابن بريدي من صنائع دولته سنة اثنتين وتسعين ورجعه الطاغية مع الريك ريكسن

(١) كذا، وفي ب: وردار. وفي نسخة: ورددار.

(٢) كذا، وفي ب: أغزاهم.

رسول من كبار قومه. ثم أعاد اليه الحاج المسعود من حاشيته، ووصل يده بيده يظن ذلك دافعاً عنه. واعتدها السلطان عليه، وطوى له على النثّ. حتى اذا فرغ من شأن الأندلس، وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين لاحدى عشرة من سني ملكه. وارتحل السلطان الى طَنْجَةَ لمشارفة احوال الاندلس سنة اربع وتسعين؛ فاجاز اليه السلطان ابن الاحمر ولقيه بطنجة؛ واحكم معه المؤاخاة. ولما استيقن سكون احوالها، نزل لابن الاحمر عن جميع الثغور التي بها لطاعته، وأجمع غزو تلمسان. ولحق به بين يدي ذلك ثابت بن مِنديل المَغْراويُّ صريخاً على ابن يغمراسن ومستجيشاً بقومه؛ فتقبله وأجاره.

وكان اصاب الناس اعوام اثنتين وتسعين وما بعدها قحط، ونالتهم سنة وهنوا لها. ثم ان الله رحم خلقه وادرّ نعمته، وأعاد الناس الى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم. ووفد عليه سنة اربع وتسعين ثابت بن منديل امير مغراوة مستصرخاً به من عثمان بن يغمراسن، فبعث من كبار قومه موسى بن أبي حمو الى تلمسان شفيعاً لثابت بن منديل؛ فرده عثمان اقبح رد وأساء في اجابته؛ فعاود الرسالة اليهم في شأنه؛ فلم تردهم إلا ضراراً؛ فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك. ونهض سنة اربع وتسعين حتى انتهى الى بلاد تاوريرت، وكانت تخماً لعمل بني مرين وبني عبد الواد: في جانبها عامل السلطان أبي يعقوب، وفي جانبها

الآخر عامل عثمان بن يغمراسن . فطرد السلطان عامل يغمراسن وتميز بها ، واختط الحصن الذي هنالك لهذا العهد . تولاه بنفسه يغادي الفَعَلَة ويراوحهم . واكمل بناءه في شهر رمضان من سنته، واتخذه ثغراً لملكه . وانزل بني عسكر لحياطته وسد فروجه . وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب ، وانكفأ راجعاً الى الحضرة .

ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين غازياً الى تلمسان . ومر بِوَجْدَةَ فهدم اسوارها ، وتغلب على مسيفة والزعّارَة . وانتهى الى ندرومة ، ونازلها اربعين يوماً ورماها بالمجانيق . وضيق عليها ؛ فامتنعت عليه ؛ فافرج عنها ثاني الفطر . ثم غزا تلمسان سنة ست وتسعين ، وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن ؛ فهزمه واحجزه بتلمسَان ونزل بسَاحته ، وقتل خلقاً من أهلها ، ونازلها اياماً . ثم اقلع عنها، وقفل الى المغرب ، وقضى منسَك الاضحى من سنته بتازى . فاعرس هنالك بحافدة ثابت بن منديل ، كان اصهر فيها الى جدّها قبل مهلكه سنة ست وتسعين قتيلاً ببحيرة الزيتون من ظاهر فاس . قتله بعض بني ورتاجن في دم كان لهم في قومه ؛ فثار السلطان به من قاتله واعرس بحافدته . واوعز ببناء القصر بتازي ، وقفل الى فاس فاتح سبع وتسعين . ثم ارتحل الى مكناسة وانكفأ الى فاس . ثم نهض في جمادى غازياً تلمسان . ومر بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين اسوارها، واتخذ فيها قصبة وداراً لسكناه ومسجداً

واغزى الى تلمسان . ونزل بساحتها ، واحاطت عساكره احاطة الهالة بها ، ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف اليه الصناع والمهندسون بعملها ، وكانت توقر على احد عشر بغلًا . ثم لما امتنعت عليه تلمسان ، افرج عنها فاتح سنة ثمان . ومر بوجدة ؛ فانزل بها الكتائب من بني عسكر لنظر اخيه أبي يحيى بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت . واوعز اليهم ؛ فتردد الغارات على اعمال ابن يغمراسن وافساد سابلتها . وضاقت احوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم ، فأوفدوا على الامير أبي يحيى وفداً منهم يسألون الامان لمن وراءهم من قومهم ، على ان يمكنوه من قياد بلدهم، ويدينوا بطاعة السلطان فبذل لهم من ذلك ما ارضاهم، ودخل البلد بعسكره . واتبعهم اهل تاوونت . واوفد مشيختهم جميعاً على السلطان آخر جمادى ؛ فقدموا عليه بحضرته . وأدوا طاعتهم ؛ فقبلها . ورغبوا اليه في الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوهم ابن يغمراسن . ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ، ما استنهض السلطان لذلك ، على ما نذكر ان شاء الله تعالى . والله أعلم .

الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الأحداث

لما توفرت عزائم السلطان على النهوض الى تلمسان ، ومطاولة حصارها الى ان يظفر بها وبقومها ، واستيقن انه لا مدافع له عن

ذلك ، فنهض من فاس في شهر رجب سنة ثمان وتسعين ، بعد ان استكمل حشده . ونادى في قومه ، واعترض عساكره واجزل اعطياتهم ، وازاح عللهم . وارتحل في التعبية ، واحتل بساحة تلمسان ثاني شعبان واناخ عليها وضرب معسكره بفنائها . واحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه ، وادار الاسوار سياجاً على عمرانها كله ، ومن ورائها نطاق الحفير البعيد المهوى . ورتب المسالح على ابوابها وفُرَجها . وسرح عساكره الى هُنَيْن ؛ فافتتحها واتوا طاعتهم ؛ واوفدوا مشيختهم وسط شعبان . ثم سرح عساكره لمحاصرة وَهْران وتقرّي البسائط ومنازلة الامصار؛ فأخذت مازونة في جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين . ونهض في شعبان بعده فافتتح تاللوت [1] والقصبات وتامزدكت في رمضان منه . وفيه كان فتح مدينه وهران . وسارت عساكره في الجهات الى ان بلغت بجاية كما نذكره . واخذ الرعب بقلوب الامم بالنواحي ، وتغلب على ضواحي مغراوة وتوجين ، وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه ، واقتحمت امصارها راياته : مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريش والمدية وتافركينت . واطاعه زيري المنتري ببرشك ، واتى بيعته . وابن علان المنبري بالجزائر ، واتى بيعته . وازعج الناكبين منهم عن طاعته .

(١) كذا، وفي ب: تالموت.

واستألف اهل الصاغية [1] كما نذكره . وحذره الموحّدون من ورائهم بافريقية ملوك بجاية وملوك تونس ؛ فمدوا اليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة والمهاداة وخاطب صاحب الديار المصريّة ملك الترك ، وهاداه وراجعه كما نذكره . ووفد عليه شرفاء مكة بنو أبي نمى كما نذكر . وهو في خلال ذلك مستجمع لمطاولة الحصار والتضييق ، متجاف عن القتال إلّا في بعض الايام ، لم تبلغ زعموا اربعة او خمسة ، ينزل شديد العقاب والسطو بمن يميرها ويأخذ بالمراصد على من يتسلل بالاقوات اليها . قد جعل سرادق الاسوار المحيطة ملاكاً لأمره في ذلك ؛ فلا يخلص اليهم الطيف ولا يكاد يصل اليهم العيث مدة مقامه عليها ؛ الى ان هلك بعد ماية شهر كما نذكره . واختط بمكان فساطيط المعسكر قصراً لسكناه ، واتخذ فيه مسجداً لمصلّاه . وادار عليها السور ، وامر الناس بالبناء ، فابتنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة ، واتخذوا البساتين واجروا المياه . ثم امر بادارة السور سياجاً على ذلك سنة اثنتين وسبعماية وصيرها مصراً ؛ فكانت من اعظم الامصار والمدن ؛ واحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق اسواق واحتفال بناء وتشييد منعة. وامر باتخاذ الحمامات والخانات والمارستان ، وابتنى بها مسجداً جامعاً . وشيد له مأذنة رفيعة ؛ فكان من احفل مساجد الامصار واعظمها . وسماها المنصورة ،

(١) كذا، وفي ب : أهل الطاعة . وفي نسخة : أهل الظاعنة . وفي نسخة : أهل الطاغية .

واستبحرت عمارتها ، وهالت اسواقها . ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق ، فكانت احد مدائن المغرب . وخربها آل يَغْمراسن عند مهلكه ، وارتحال كتائبه عنها ، بعد ان كان بنو عبد الواد اشفوا على الهلاك ، واذنوا بالانقراض كما نذكره ؛ فتداركهم من لطف الله ما شأنه ان يتدارك المتورطين في الهلاك والله غالب على امره .

الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الأحداث

لما اناخ السلطان على تلمسان ، وتغلب على ضواحي بني عبد الواد ، وافتتح امصارهم سما الى التغلب على ممالك مغراوة وبني توجين . وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بمقر ملكه من فاس سنة اربع وتسعين ، واصهر اليه في حافدته ؛ فعقد له عليها . وهلك ثابت بمكان وفادته من دولتهم ، واعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين كما ذكرنا ذلك كله من قبل فلما تغلب السلطان على اعمال بني عبد الواد ، جهز عساكره الى بلاد مغراوة وعقد عليها لعلي بن محمد الخيري من عظماء بني ورتاجن ؛ فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة الى رؤس المعاقل . واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة ؛ فنازلوه بها . ثم استنزلوه على الامان سنة تسع وتسعين ، واوفدوه على السلطان ، فلقاه مبرة وتكرمة ، وخلطه بجملته (لمكان) صهره معه .

ثم افتتحوا مدينة تنس ومازونة وشرشال . واعطى زيري بن حماد المنتزي على برشك من بلادهم يد الطاعة. واوفد على السلطان للبيعة واستولوا على ضواحي شلف كلها . ولاذت مغراوة بطاعة السلطان. وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويغرن بن منديل فأسف لذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص . ولما كانت اخته حظية السلطان وكريمته ، ونافس عمر بن ويغرن في امارة قومه ، فلحق بجبال متيجة ، واجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره . وانحاش اليه مرضى القلوب من قومه ؛ فاعصوصبوا عليه . وداخل اهل مازونة ؛ فانتقضوا على السلطان وملكوه امرهم في شهر ربيع من المائة السابعة . ثم بيت عمر بن ويغرن بمعسكره من وازمور؛ فقتله واستباح المعسكر. وبلغ الخبر الى السلطان ؛ فسرح العساكر من بني مرين . وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر ، ولعلي ابن محمد الخيري على قومه من بني ورتاجن ، وجعل الامر شورى بينهما ، واشرك معهما علياً الحساني من صنائع دولته ، وابا بكر ابن ابراهيم بن عبد القوي من اعياص بني توجين . وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل ، واشركه معهم ، وزحفوا الى راشد . ولما احس بالعساكر لجأ الى معقل بني بوسعيد فيمن معه من شيعته مغراوة . وانزل بمازونة علياً وحمو ابني عمه يحيى بن ثابت واستوصاهم بضبط البلد ، وانه مشرف عليهم من الجبل .

وجاءت عساكر السلطان الى بلاد مغراوة ؛ فتغلبوا على البسائط واناخوا بمازونة ، وضربوا معسكرهم بساحتها وأخذوا بمخنقها ، واهتبل عليٌّ وقومه غِرّةً في معسكر بني مرين ، فبيتهم سنة احدى وسبعماية . وانفض المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري ، ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر الى مكانه من حصارهم. وجهدهم حالهم ؛ فنزل اليهم حمو بن يحيي على حكم السلطان . وانفذوه اليه ؛ فتقبض عليه . ثم نزل علي ثانيه من غير عهد ؛ فأشخصوه الى السلطان ولقاه مبرة وتكريماً ؛ تانيساً لراشد المنتزي بمعقله . واقتحمت مازونة على اهلها عنوة سنة ثلاث ؛ فمات منهم عالم واحتملت رؤسهم الى سدة السلطان ؛ فرميت في حفائر البلد المحصور ارهاباً لهم وتخذيلاً ولما عقد السلطان لاخيه ابي يحيى على بلاد الشرق ، وسرحه لتدويخ التخوم ، نازل راشداً بمعقله من بني بوسعيد . فبيت راشد معسكرهم احدى لياليه ؛ فانفضوا وقتل طائفة من بني مرين . ووجد لها السلطان ؛ فامر بقتل علي وحمو ابني عمه يحيى ؛ ومن كان معتقلاً معها من قومهم. رفعوهم على الجذوع ، واثبتوهم بالسهام . ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق بمتيجه ، وانحاش اليه عمه منيف بن ثابت ، واوشاب من مغراوة. وتحيز الآخرون الى اميرهم محمد بن عمر بن منديل الذي عقد له السلطان عليهم . ثم تأشبت على راشد ومنيف خوارج الثعالبة ومليكش ، وصمد اليهم الامير ابو يحيى في عساكره ثانية

ونازلهم بماقلهم ورغبوا في السلم ؛ فبذله السلطان لهم . واجاز منيف بن ثابت الى الاندلس فيمن اليه من بنيه وعشيره ؛ فاستقروا بها آخر الايام . ولحق راشد ببلاد الموحدين . ووفد محمد بن عمر بن منديل سنة خمس على السلطان ؛ فأوسعه حباً وتكريماً . وتمهدت بلاد مغراوة ، واستبد بملكها السلطان ، وصرف اليها العمال ولم يزل كذلك الى ان هلك سنة ست. والله تعالى أعلم.

الخبر عن افتتاح بلاد بني توجين وما تخلل ذلك

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان واحاط بها ، وتغلب على بلاد بني عبد الواد ، سما الى تملك بلاد بني توجين . وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم ، وملك جبل وانشريش وتصرف في بلاد عبد القوي بالولاية والعزل واخذ الاتاوة سنة احدى وسبعماية . واوعز اليه السلطان ببناء البطحاء التي هدمها محمد بن عبد القوي ، فبناها وتوغل في قاصية الشرق ثم انكفأ راجعاً الى حضرة اخيه وعطف على بلاد بني توجين سنة اثنتين ، وفر بنو عبد القوي الى ضواحيهم بالقفر ، ودخل جبل وانشريش ، وهدم حصونهم به ، ورجع الى الحضرة . ثم بادره اهل تافركنيت سنة ثلاث باتيان الطاعة ، ونقضوا بعدها . ثم بعث اهل المدية بطاعتهم للسلطان ؛ فتقبلها واوعز ببناء قصبتها . وراجع بنو عبد القوي بعد ذلك بصائرهم في طاعة السلطان ،

ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة ثلاث ؛ فتقبل طاعتهم وراعى سابقتهم واعادهم الى بلادهم واقطعهم ؛ وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوى . واوعز ببناء قصبة المدية سنة اربع ، وكملت سنة خمس . وهلك علي بن الناصر خلال ذلك ؛ فعقد عليهم لمحمد بن عطية الاصم كما ذكرناه ، فاستمر على الطاعة . ثم انتقض سنة ست، وحمل قومه على الخلاف وانتبذوا عن الوطن ، الى ان هلك يوسف بن يعقوب كما ذكرناه والله تعالى أعلم .

الخبر عن مراسلة الموحدين ملوك افريقة بتونس وبجاية وأحواله معهم

كان لبني أبي حفص ملوك إفريقية مع زناتة هؤلاء اهل المغرب من بني مرين وبني عبد الواد سوابق مذكورة ؛ فكانت لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يودون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها مذ تغلب الامير ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد على تلمسان ، وعقد عليها ليغمراسن ، واستمر حالهم على ذلك . وكانت لهم أيضاً مع بني مرين ولاية وسابقة ، بما كان بنو مرين مذ اول امرهم يخاطبون الامير ابا زكرياء، ويبعثون له بيعة البلاد التي تغلبوا عليها : مثل مكناسة والقصر ومراكش آخراً . ثم صارت خالصة من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد الحق .

وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا في سبيل المدد على صاحب مراكش وقد ذكرنا السفارة التي وقعت بينهما سنة خمس وستين ، وان يعقوب اوفد عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكناني واوفد عليه المستنصر سنة سبع بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتي في وفد من مشيخة الموحدين ، ومعهم هدية سنية. ثم اوفد الواثق ابنه سنة سبع وسبعين قاضي بجاية المذكور ابا العباس احمد الغماري ، واسنى الهدية معه . ولم يزل الشان بينهم هذا الى ان افترق أمر آل أبي حفص . وصار الامير ابو زكريا ابن الامير ابي اسحاق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه بتلمسَان في وكر عثمان بن يغمراسن . واسف الى بجاية ؛ فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين . واستضاف اليها قُسَنْطِينَةَ وبونـة ، وصيّرها عملاً لملكه ، ونصب بها كرسياً لامره . واسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده ، لما كان عليه من التمسّك بدعوة عمه أبي حفص صاحب تونس ، فشق ذلك عليه ونكره ، واستمرت الحال على ذلك . ولما اخذ السّلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسَان ، واوسع قواعد ملكه بسَاحتها ، وسرح عسَاكره لالتهام الامصار والجهات ، توجس الموحدون الخيفة منه على اوطانهم . وكان الامير ابو زكرياء في جهات تدلس محامياً عن حوزته وعمله . ووصله هنالك راشد بن محمد نازعاً عن السّلطان ابي يعقوب . ثم طلعت العسَاكر على تلك الجهات في اتباعه ؛ فزحف اليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين

بناحية جبل الزاب، ففضوا جمعه. واوقعوا به واستلحموا جنوده واستبحر القتل فيهم، وبقيت عظامهم ماثلة بمصارعهم سنين.

ورجع الامير ابو زكرياء الى بجاية؛ فانحصر بها. وهلك تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة. وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الدواودة لعهده عثمان بن سبّاع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط، فوفد على السلطان أخريات احدى وسبعماية. ورغّبه في ملك بجاية، واستغذّه للسير اليها، فاوعز الى اخيه الامير ابي يحيى بمكانه من منازلة مغراوة ومليكش والثعالبة، بان ينهض الى عمل الموحدين. وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدي العساكر يتقصون الطريق، الى ان تجاوز الامير ابو يحيى بعساكره بجاية. واحتل بتاكرارت من اوطان سدويكش من اعمال بجاية. واطل على بلاد سدويكش، وانكفأ راجعاً؛ فاوطأ عساكره بساحة بجاية؛ وبها الامير خالد بن يحيى. وناشبهم القتال ببعض ايام جلا فيها اولياء السلطان ابي البقاء عن انفسهم وسلطانهم. وامر بروض السلطان المسمى بالبديع؛ فخربه وكان من انيق الرياض واحفلها. وقفل الى مكانه من تدويخ البلاد. واعرض عن اعمال الموحدين. وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد المستنصر الملقب بأبي عصيدة بن يحيى الواثق؛ فاوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن اكمازير في اسباب الولاية؛ ومحكماً مذاهب الوصلة ومقرراً سوابق السلف؛ فوفد في مشيخة من

قومه لشعبان سنة ثلاث . وناغاه الامير ابو البقاء خالد صاحب بجاية ؛ فاوفد مشيخة من اهل دولته كذلك . وبر السلطان وفادتهم واحسن منقلبهم .

ثم عاد ابن اكمازير سنة اربع وسبعماية ، ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان ابو عبد الله بن يرزيكن في وفد من عظماء الموحدين . واوفد صاحب بجاية حاجبه ابا محمد الرخامي ، وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عثيمن . ووفدوا جميعاً على السلطان ثالث جمادى ؛ فاحسن السلطان في تكرمتهم مــا شاء ؛ واوصلهم الى نفسه بمساكن داره واراهم ابهة ملكه واطافهم قصوره ورياضه ؛ بعد ان فرشت ونمقت ؛ فملأ قلوبهم جلالا وعظمة . ثم بعثهم الى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ، وشاهدوا آثار سلفهم ، واوعز الى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم واتحافهم . فانتهوا من ذلك الى الغاية ، وانقلبوا الى حضرته آخر جمادى ، وانصرفوا الى ملوكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم .

ثم اعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس بعدها فوفد ابو عبد الله بن أكمازير من تونس ، وعياد بن سعيد بن عثيمن من بجاية . واوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقيه ابا الحسن التنسي وعلي بن يحيى البرشكي رسولين يسألانه المدد باسطوله ؛ فقضوا رسالتهم سنة خمس . ووصل بخبرها ابو عبد الله

المزدوري من مشيخة الموحدين. واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان . كان اوفده مع ابن عثيمن على مراسلة الامير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في صلب الاسطول أيضاً ؛ فرجعوه بالمعاذير . واوفدوا معه عبد الحق بن سليمان ، فتلقاهم السلطان بالمبرة . واوعز إلى عامله بوهران ان يستبلغ في تكريم عمرة الاسطول ؛ فجرى في ذلك على مذهبه . وانقلبوا جميعاً احسن منقلب. وغني السلطان عن اسطولهم لفوات وقت الحاجة اليه من منازلة بلاد السواحل ، اذ كان قد تملكها ايام مماطلتهم بيعته . واتصل الخبر بصاحب تلمسان الامير ابي زيان بن عثمان المبايع ايام الحصار عند مهلك ابيه عثمان بن يغمراسن آخر سنة ثلاث ؛ فبلغه صنع الموحدين في موالاتهم عدوهم السلطان يوسف بن يعقوب و مظاهرته باساطيلهم عليه ؛ فاسفه ذلك واخرس منابرهم عما كانت تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن فلم يراجع دعوتهم من بعد . وهلك السلطان على تفيئة ذلك . والبقاء لله وحده .

الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الأقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل

لما استولى السلطان على المغرب الاوسط بممالكه واعماله ، وهنأته ملوك الاقطار واعراب الضواحي والقفار، وصلحت السابلة

ومشت الرفاق الى الآفاق ، استجد اهل المغرب عزماً في قضاء فرضهم . ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفن الى مكة ؛ فقد كان عهدهم بعُد بمثلها لفساد السابله واستهجان الدول. فسما للسلطان في ذلك امل ودخله بحرم الله وروضة نبيه الشوق ؛ فامر بانتساخ مصحف رائق الصنعة كتبه ونقه احمد بن حسن الكاتب المحسن . واستوسع في جرمه وجمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت . وجعلت منها حصاة وسط المغلق تفوت الحصيات مقداراً وشكلاً وحسناً . واستكثر من الاصونة عليه ، ووقفه على الحرم الشريف ، وبعث به مع الحاج سنة ثلاث . وعنى بشأن هذا الركب ؛ فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمس ماية من الابطال . وقلد القضاء عليهم محمد بن زغبوش من اعلام اهل المغرب ؛ وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من اهل مملكته ، واتحفه بهدية من طرف بلاد المغرب ؛ فاستكثر فيها من الخيل العراب ، والمطايا الفارهة : يقال ان المطايا كانت منها اربعماية . حدثني بذلك من لقيته الى ما يناسب ذلك من طرف المغرب وماعونه . ونهج السبيل بها للحجاج من اهل المغرب ؛ فاجمعوا الحج سنة اربع بعدها . وعقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفائري ، وفصلوا من تلمسان لشهر ربيع الاول .

وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الاولين حملة المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن ابي نمى نازعاً عن سلطان الترك ، لما كان تقبض على اخويه خميصة ورميثه اثر مهلك ابيهم ابي نمى صاحب مكة سنة احدى وسبعماية ؛ فاستبلغ السلطان في تكريمه، وسرحه الى المغرب ليجول في اقطاره ويطوف على معالم المملكة وقصوره . واوعز الى العمال بتكريمه ، واتحافه كل على شاكلته . ورجع الى حضرة السلطان سنة خمس ، وفصل منها الى المشرق ، وصحبه من اعلام المغرب ابو عبدالله فوزي حاجاً . ولشعبان من سنة خمس وصل ابو زيد الغفائري دليل ركب الحاج الآخرين ، ومعه بيعة الشرفاء اهل مكة للسلطان ، لما اسفهم صاحب مصر بالتقبض على اخوانهم . وكان شأنهم ذلك حتى غاضبهم السلطان . فقد سبق في اخبار المستنصر ابن ابي حفص مثلها ، واهدى السلطان ثوباً من كسوة البيت شغف به واتخذ منه ثوباً للباسه في الجمع والاعياد ، يستبطنه بين ثيابه تبركاً به . ولما وصلت هدية السلطان الى صاحب مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي حسن موقعها لديه، وذهب الى المكافأة ؛ من طرف بلاده من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله من نوع الفيل والزرافة . واوفد بها من عظماء دولته الامير التليلي ، وفصل من القاهرة أخريات سنة خمس ، ووصلت الى تونس في ربيع من سنه ست بعدها. ثم كان وصولها

الى سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد في جمادى الآخرة واهتز السلطان لقدومها ، واستركب الناس للقائها . واحتفل للقاء هذا الامير التليلي ومن معه من امراء الترك، وبر وفادتهم واستبلغ في تكريمهم نزلاً وقرى ، وبعثهم الى المغرب على العادة في مبرة أمثالهم . وهلك السلطان خلال ذلك ، وتقبل ابو ثابت سنته من بعده في تكريمهم ؛ فاحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة وبرا . وفصلوا من المغرب لذي الحجة سنة سبع . ولما انتهوا الى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان ؛ اعترضهم الاعراب بالقفر فانهبوهم . وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن ؛ فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفراً ، ولا لفتوا اليه وجهاً . وطال ما اوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه به، يهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئاً .

وكان الناس لعهدهم ذلك يتهمون ان الذين نهبوهم اعراب حصين ، بدسيسة من صاحب تلمسان أبي حمّو لعهدهم ، منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والاحن القديمة . اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلي قال : حضرت بين يدي السلطان وقد وصله بعض الحاج من اهل بلده مستصحباً كتاب الملك الناصر بالعتاب على شأن هؤلاء الامراء ، وما اصابهم في طريقهم من بلاده ، واهدى له مع ذلك كوزين بدهن البلسان المختص ببلادهم ، وخمسة مماليك من الترك رماة بخمسة اقواس من قسي

الغز المؤنقة الصنعة من العرى والعقب ؛ فاستقل السلطان هديته تلك بنسبة ما اهدوا الى ملك المغرب . ثم استدعى القاضي محمد ابن هدية ، وكان يكتب عنه ؛ فقال له : الآن اكتب الى الملك الناصر ما اقول لك ، ولا تحرف كلمة عن موضعها الا ما تقتضيه صناعة الاعراب ، وقل له : أما عتابك على شأن الرسل وما اصابهم في طريقهم؛ فقد حضروا عندي وابنت لهم الاستعجال حذراً مما اصابهم ، وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب؛ فكان جوابهم: إنا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف ؛ مغترين بشأنهم يحسبون ان امره نافذ في اعراب قبائلنا ؛ واما الهدية فردّت عليك : اما دهن البلسان ؛ فنحن قوم بادية لا نعرف الا الزيت ، وحسبنا به دهناً . وأما المماليك الرماة قد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم اليك لتفتح بهم بغداد والسلام . قال لي شيخنا ، وكان الناس اذ ذاك لا يشكون ان انتهابهم كان باذن منه ، وكان هذا الكتاب دليلا على ما في نفسه . ﴿ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

الخبر عن انتقاض ابن الأحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة وخروج عثمان بن أبي العلاء في غمارة

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان ابن الاحمر المعروف بالفقيه ، عند اجازته اليه بطنجة سنة اثنتين وتسعين كما

ذكرناه، وفرغ لعدوه؛ تمسك ابن الاحمر بولايته تلك، إلى ان هلك سنة احدى وسبعماية في شهر شعبان منه. وقام بأمر الاندلس من بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع. واستبد عليه كاتبه ابو عبد الله ابن الحكيم من مشيخة رُنْدَة، كان اصطفاه لكتابته ايام ابيه؛ فاضطلع بأموره وغلب عليه. وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر، ويقال إنّه ابن الحكيم؛ فغلب عليه واستبد؛ الى ان قتلهما اخوه ابو الجيوش نصر سنه ثمان كما نذكره. وكان من أول آرائه عند استيلائه على الامر من بعد أبيه المبادرة إلى إحكام ولاية السلطان، واتصال يده بيده؛ فاوفد عليه لحين ولايته وزير أبيه أبا السلطان عزيز الداني، ووزيره الكاتب ابا عبد الله بن الحكيم فوفدوا على السلطان بمعسكره من حصار تلمسان، وتُلُقِّيا بالقبول والمبرة. وجُدِّدت له احكام الود والولاية، وانقلبا الى مرسلهما خير منقلب. وتقدم السلطان إليهم في المدد برجل الاندلس وناشبتهم المعوّدين منازلة الحصون والمناغرة بالربط؛ فبادروا الى اسعافه وبعثوا حصتهم لحين مرجعهم الى سلطانهم؛ فوصلت سنة اثنتين وسبعماية. وكانت لها نكاية في العدو وأثر في البلد المحروب. ثم بدا لمحمد بن الاحمر المخلوع في ولاية السلطان بمنافسات جرت الى ذلك. وبعث الى ابن ادفونش هِرانْدَة بن شانجة، وأحكم له عقد السلم، ولاطفه في الولاية؛ فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث. واتصل خبره بالسلطان؛ فسخطه. ورجع اليهم حصتهم آخر سنة ثلاث،

لسنة من مقدمهم ، بعد أن ابلوا واثخنوا وطوى لهم على النث ، واعتمــل ابن الاحمر وشيعتــه في الاستعداد لمدافعة السلطان ، والارصاد لسطوه بهم . واوعز الى صاحب مالَقَة عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل بن محمد بن نصر ، وليــه من دون القرابة بما كان له الصهر على اخته ، والمضطلع بثغر الغربيّة ؛ فأوعز اليه بمداخلة أهل سبتة في خلع طاعة السلطان ، والقبض على بني العزفي ، والرجوع الى ولاية ابن الاحمر . وكان أهل سبتة منذ هلك ابراهيم الفقيــه ابو القــاسم العزفي سنة سبع وسبعين ، قام بامرهم ولده ابو حاتم . وكان اخوه ابو طالب رديفاً له في الامر إلّا انه استبد عليه بصاغيته الى الرياسة ، وايثار أبي حاتم للخمول ، مع الجابه حق اخيه الاكبر ، واجابته الداعي متى روفع اليه ؛ فاستقام امرها مدة . وكان من سياستها من اول امرها الاخذ بدعوة السلطان فيا لنظرها ، والعمل بطاعته والتجافي عن السكنى بقصور الملك ، والتخرج عن ابهة السلطان لمكانهم ؛ فانزلوا بالقصبة عبد الله بن مخلص قائداً من البيوتات ، اصطنعوه وجعلوا له أحكام البلد ، وضبط الحامية ؛ فاضطلع بذلك سنين . ثم اسفـه يحيى بن أبي طــالب ببعض النزعات الرياسيّة ، وحجر عليه الاحكام في ذويه . ثم اغزى به اباه ، وطالبه بحساب الخراج لعطــاء الحاميه . وغفلوا عما وراءها من التظنُّن فيه ، والريب به ، ثقة بمـكانه ، واستنامة اليه . وهم مع ذلك على أولهم في موالاة السلطــان ،

والاخذ بدعوته، والوفود عليه في اوقاته. ولما فسدت ولاية ابن الاحمر للسلطان، وعقد على محاولة سبتة، وجد السبيل الى ذلك بما طوى صاحب الاحكام بالقصبة على النث؛ فداخله الرئيس ابو سعيد صاحب الثغر بمالقة جارة سبتة، ووعده الغدر ببني العزفي، وان يصبحهم باساطيله؛ فشرع الرئيس ابو سعيد في إنشاء الاساطيل البحرية، واستنفار الناس للمناغرة. وان العدوّ له ولمالقة بمرصد، وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والاقوات، واخفى وجه قصده عن الناس حتى اقلعت اساطيله، وبيّت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس. وأرسى بساحتها لموعد صاحب القصبة؛ فادخله الى حصنه فملكه، ونشر رايته باسوارها. وسرب جيوشه الى البلد؛ فتسايلوا. وركب الى دور بني العزفي؛ فتقبض عليهم وعلى ولدهم وحاشيتهم. وطير الخبر الى السلطان بغرناطة؛ فوصل الوزير ابو عبد الله بن الحكيم، ونادى في الناس بالامان، وبسط المعدلة. وأركب بني العزفي في السفن الى مالقة. ثم أجازوا الى غرناطة، وقدموا على ابن الاحمر؛ فاجلّ قدومهم، واركب الناس الى لقائهم. وجلس لهم جلوساً فخماً حتى ادّوا بيعتهم، وقضوا وفادتهم، وانزلوا بالقصور، واجريت عليهم سنيات الأرزاق. واستقروا بالاندلس الى ان صاروا الى المغرب بعد كما نذكر.

واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة، وثقف اطرافها، وسد ثغورها، وأقام دعوة ابن عمه صاحب الاندلس بانحائها. وكان

عثمان بن أبي العلاء بن عبد الحق من اعياض الملك المريني، أجاز معه البحر إليها اميراً على الغزاة الذين كانوا بمالقة، وقائداً لعصبتهم تحت لوائه؛ فنوه بنصبه للملك بالمغرب. وخاطب قبائل غمارة بذلك، فوقفوا بين الاقدام والاحجام. واتصل ذلك كله بالسلطان، وهو بمعسكره من حصار تلمسان؛ فاستشاط لها غضباً وحمى انفه بعزه. واستنفر الصريخ، فبعث ابنه الامير أبا سالم لسد تلك الفرجة. وجمع اليه العساكر، وتقدم اليه باحشاد قبائل الريف، وبلاد تازى؛ فاغذ السير اليها. واحاطت عساكره بها، فحاصرها مدة. ثم بيته عثمان بن أبي العلاء، فاختل معسكره وافرج عنها منهزماً، فسخطه السلطان وزوى عنه وجه رضاه. وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة وبلاد غمارة، وتغلب على تيكيساس، وانتهى الى قصر ابن عبد الكريم في آخر سنة ست لسنة من استيلائهم على سبتة، مقيماً رسم السلطان منادياً بالدعاء لنفسه، فاعتزم السلطان على النهوض اليه عند الفراغ من امر تِلِمْسَان، لما كانت على شفا هلكة ومعاينة انفضاض، لولا عائق الاقدار بمهلكه كما نذكر إن شاء الله تعالى.

الخبر عن انتقاض بني كمي من بني عبد الواد وخروجهم بأرض السوس

كان هؤلاء الرهط من بني عبد الواد، ثم من بطون بني علي، من شعب ابي القاسم. وكانوا يرجعون في رياستهم الى

كندوزبن [1] بن كمي . ولما استقل برياسة أولاد علي زيان بن ثابت بن محمد من اولاد طاع الله ، نفس عليه كندوز هذا ما اتاه الله من الرياسة ، وجاذبه حبلها . واحتقر زيان شأنه ؛ فلم يحفل به . ثم ناشب عليه اخلاط من قومهم ، وواضعهم الحرب . وهلك زيان بيد كندوز ، وقام بامر اولاد علي ، جابر بن يوسف ابن محمد . ثم تناقلت الرياسة فيهم الى ان عادت في ولد ثابت بن محمد ، واستقل بها ابو عزة زكدان بن زيان ، ولم تطل ايامه . والتحم بين اولاد كمي وبين اولاد طاع الله ، وتناسوا الاحن ، وصارت رياسة اولاد طاع الله ليغمراسن بن زيان . واستتبعوا قبائل بني عبد الواد كافة . واعتمل يغمراسن في الثأر بأبيه زيان من قاتله كندوز ؛ فاغتاله ببيته . دعاه لمأدبة جمع لها بني ابيه ، حتى اذا اطمأن المجلس تعاوروه بأسيافهم ، واحتزوا رأسه . وبعثوا به الى أمهم ؛ فنصبت عليه القدر ثالث اثافيها تشفّياً منه وحفيظة. وطالب يغمراسن بقية بني كندوز ؛ففروا امام مطالبته ، وابعدوا المذهب . ولحقوا بالامير أبي زكرياء بن عبد الواحد بن ابي حفص؛ فاقاموا بسدته أحوالاً . وكانوا يرجعون في رياستهم لعبد الله بن كندوز . ثم تذكروا عهد البداوة وحنّوا الى عشير زناتة ، فراجعوا المغرب ، ولحقوا ببني مرين اقتالهم. ونزل عبدالله بن كندوز

(١) كذا بياض بالأصل في جميع النسخ ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على اسم والد كندوز هذا

على يعقوب بن عبد الحق خير نزل ، تلقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره ، وأكد اغتباطه . واقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه ، وانزلهم هنالك . وجعل انتجاع إبله وراحلته لحسان بن أبي سعيد الصبيحي واخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم ، والطف منزلة عبد الله ، ورفع مكانه بمجلسه ، واكتفى به في كثير من اموره . وأوفده على المستنصر صاحب افريقية سنة خمس وستين، مع عامر ابن اخيه ادريس كما قدمناه . واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الاقصى . واستمرت الايام على ذلك ، وصاروا من جملة قبائل بني مرين وفي عدادهم . وهلك عبدالله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده .

ولما لفت السلطان يوسف بن يعقوب وجه عزائمه الى بني عبد الواد ، ونازل تلمسان ، وطاول حصارها ، واستطال بنو مرين وذووهم على بني عبد الواد، واحسوا بها، اخذتهم العزة بالاثم، وادركتهم النعرة ؛ فاجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان . ولحقوا بحاحة سنة ثلاث وسبعماية . واحتفل الامير بمراكش ، يعيش بن يعقوب ، لغزوهم سنة اربع وسبعماية ؛ فناجزوه الحرب بتادرت ، واستمروا على خلافهم . ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة اربع ؛ فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم ، واوهنت بأسهم . وقتل جماعة من بني

عبد الواد بارعارن بامكا[1] واثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس، وهدم تارودنت قاعدة ارضها وأم قراها. كان بها عبدالرحمن بن الحسن بن يدّر من بقية الأمراء على السوس من قبل بني عبد المؤمن، وقد مر ذكرهم. وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان، منذ انقرضت دولة الموحدين، حروب سجال، هلك في بعضها عمه علي بن يدّر سنة ثمان وستين. وصارت امارته بعد حين الى عبد الرحمن هذا. ولم يزالوا في حربه الى أن تملك السوس يعيش بن يعقوب، وهدم تارودانت. ثم راجع عبد الرحمن أمره وبنى بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها. وتزعم بنو يدّر هؤلاء أنهم مستقرون بذلك القطر من لدن عهد الطوالع من العرب، وانهم لم يزالوا أمراء بها يعقد لهم ولاية كابر عن كابر. ولقد ادركت بفاس على عهد السلطان أبي عِنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخاً كبيراً من ولد عبد الرحمن هذا، فحدثني بمثل ذلك. وانهم ولد أبي بكر الصدّيق. والله أعلم. ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس إلى أن هلك السلطان، وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده، وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريرة، وأعادوهم الى مكانهم من الولاية؛ فامحضوا النصيحة والمخالصة الى هذا العهد كما نذكر ان شاء الله تعالى.

(١) كذا، وفي ب: بازعار وتاكيا. وفي نسخة: بازغارك تاكيا

الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلبيس أبي الملياني

قد ذكرنا شأن أبي علي الملياني واوليته، في أخبار مَغْراوَة الثانية، وما كان من ثورته بمليانة، وانتزائه عليها. ثم ازعاج العساكر إياه منها، ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين، وما احله من مراتب التكرمة والمبرة. واقطعه بلد اغمات طعمة؛ فاستقرّ بها. وما كان منه في العيث بأشلاء الموحّدين ونبش أجداثهم، وموجدة السلطان والناس عليه لذلك. وأرصد له المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك. ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة؛ فلم يضطلع بها. وسعى به مشيختهم عند السلطان انه احتجن المال لنفسه، وحاسبوه فصدقوا السعاية، فاعتقله السلطان فاقصاه. وهلك سنة ست وثمانين، واصطنع السلطان احمد ابن أخيه، واستعمله في كتابته، وأقام على ذلك ببابه وفي جملته. وكان السلطان سخطه على مشيخة المصامدة علي بن محمد كبير هِنْتاتَة، وعبد الكريم بن عيسى كبير كدميوة، واوعز الى ابنه علي الأمير بمراكش باعتقالهما فيمن لهما من الولد والحاشية. واحس بذلك أحمد بن الملياني؛ فاستعجل الثأر. وكانت العلامة السلطانيّة على الكتاب في الدولة لم تختص بكاتب واحد، بل كل منهم يضع العلامة بخطِّه على كتابه إذا اكمله، لما كانوا كلهم ثقة أمناء، وكانوا عند السلطان كأسنان

المشط. فكتب احمد بن الملياني الى ابن السلطان الامير بمراكش سنة سبع وتسعين كتاباً عن أمر أبيه، يأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة، ولا يمهلهم طرفة عين. ووضع عليه العلامة التي تنفذ بها الاوامر، وختم الكتاب، وبعث به مع البريد. ونجا بنفسه الى البلد الجديد، وعجب الناس من شأنه. ولما وصل الكتاب الى ابن السلطان اخرج اولئك الرهط المعتقلين من المصامدة الى مصارعهم، وقتل علي بن محمد، وعبد الكريم بن عيسى وولده عيسى، وعلي ومنصور وابن اخيه عبد العزيز. وطير الامير وزيره الى ابيه بالخبر؛ فقتله لحينه حنقاً عليه، وانفذ البريد باعتقال ابنه. وحرد على ابن الملياني، فافتقد ولحق بتلمسان، ونزل على آل زيان ثم لحق بعدها بالاندلس عند افراج السلطان عنها في تلك السنة كما ذكرناه، وبها هلك. واقتصر السلطان من يومئذ في وضع علامته على من يختاره لها من صنائعه ويثق بامانته. وجعلها لذلك العهد لعبد الله بن أبي مَدْيَن خالصته المضطلع بأمور مملكته؛ فاختصت من بعده لهذا العهد. والله تعالى أعلم.

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثالث

١٣

دار الكتاب اللبناني بيروت

القسم الثالث
المجلد السابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

الخبر عن رياسة اليهود بني رقاصة ومقتلهم

كان السلطان يوسف بن يعقوب في صباه مؤثراً للذّاته ، مستتراً بها عن ابيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار . وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان . وكان خليفة بن رقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرماناً لداره على عادة الامراء في مثله من المعاهدين ؛ فكان يزدلف اليه بوجوه الخدم ومذاهبها؛ فاستعمله هذا الامير في اعتصارها والقيام على شؤنها ؛ فكانت له بذلك خلوة منه اوجبت له الحظ عنده . حتى اذا هلك يعقوب بن عبد الحق، واستقل ابنه يوسف بأعباء ملكه ، واتصلت خلواته في معاقرة الندمان ، انفرد بن رقاصة بخلوته لذلك مع ما كان له من القهرمة ، فعظمت رياسته ، وعلا كعبه في الدولة . وتلقى الخاصة الاوامر منه ؛ فصارت له الوجاهة بينهم ، وعظم قدره بعظم الدولة . اخبرنا شيخنا الآبلي أنه كان لخليفة هذا أخ يسمى ابراهيم ، وابن عم يسمى خليفة ، لقبوه بالصغير لمكانه هو من

هذا الاسم . وكان له صهر يعرفون ببني السبتي كبيرهم موسى ، وكان رديفه في قهرمته . فلم يفق السلطان من نشوة صباه وملهاه حتى وجدهم على حال استتبعوا فيها العلية من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء ؛ فاهمه ذلك ، وترصد بهم . وتفطن لمذهبه فيهم خالصته عبد الله بن أبي مَدْيَن ؛ فسعى عنده فيهم . واوجده السبيل عليهم؛ فسطا بهم سطوة واحدة . واعتقلوا في شعبان من سنة احدى وسبعماية بمعسكره من حصار تلمسان . وقتل خليفة الكبير واخوه ابراهيم وموسى بن السبتي واخوته ، بعد ان امتحنوا ومثل بهم ، واتت النكبة على حاشيتهم وذويهم واقاربهم؛ فلم يبق منهم باقية . واستبقى منهم خليفة الصغير احتقاراً لشأنه ، حتى كان من قتله بعد ما نذكر ، وعبث بسائرهم ، وطهرت الدولة من رجسهم وازيلت عنها معرة دياستهم . والامور بيد الله سبحانه .

الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبدى الخصيان من موالي ابن الملياني يسمى سعادة ، صار الى السلطان من لدن استعماله إياه بمراكش ، وكان على ثبج من الجهل والغباوة . وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ، ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ، ولما كانت واقعة العزّ مولاه ، واتهم بمداخلة بعض الحرم ، وقتل بالظنة ،

واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره ، اعتقل جملة من الخصيان ؛ كان فيهم عنبر الكبير عريفهم . وحجب سائرهم ، فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان ؛ فعمد اليه وهو ببعض الحجر من قصره وآذنه فأذن له ؛ فالفاه مستلقياً على فراشه مختضباً بالحناء ؛ فوثب عليه فطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هارباً . وانطلق الاولياء في اثره ؛ فادرك من العشي بناحية تاسالة ؛ فتقبض عليه وسيق الى القصر ؛ فقتله العبيد و الحاشية. وصابر السلطان مثبته إلى اخر النهار ، ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست ، وقبر هنالك. ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة؛فدفن بها مع سلفه . والبقاء للهوحده.

الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت، واستلحامه المرشحين وما تخلل ذلك من الأحداث

كان الامير أبو عامر ابن السلطان أبي يعقوب وولي عهده ، لما هلك طريداً ببلاد بني سعيد من غمارة والريف ، سنة ثمان وتسعين كما ذكرناه، خلف ولديه عامراً وسليمان في كفالة السلطان جدهما؛ فكان لهما بعينه حلاوة وفي قلبه لوطة، لمكان حبه لابيهما واغترابه عنه؛ فحدب عليهما وانزلهما من نفسه بمكان . وكان الامير ابو ثابت عامر منهما ، صقر قومه ، اقداماً وشجاعة وجرأة وكانت له في بني ورتاجن خؤلة .

فلحين مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة ، فبايعوه . وحضر لها الامير ابو يحيى بن يعقوب عم ابيه ، عثر بجمعهم اتفاقاً ، وحملوه على الطاعة . وكان اقرب للامر منه لو حضره رجال ؛ فأعطى القياد في المساعدة ، وطوى على النث . وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان ؛ فبايعوا ابنه الامير ابا سالم . وكاد أمر بني مرين ان يفترق وكلتهم ان تفسد ؛ فبعث الامير ابو ثابت لحينه الى تلمسان للامير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن . وعقد لهما حلفاً على الافراج عنهما على ان يمداه بالالة ، ويرفعا له كسر البيت ان كان غير ما أمل . وحضر للعقد ابو حمو فأحكمه ، ومال اكثر بني مرين وأهل الحل والعقد الى الامير أبي ثابت. وتفرد ببيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والاجناد ومن اليهم ، وكان مسكنه بالبلد الجديد ، واشاروا عليه بالمناجزة ؛ فخرج وقد عبأ كتائبه ؛ فوقف وبهت وخام عن اللقاء . ووعدهم الاقدام بالغداة ، وكر راجعاً الى قصره ، فيئسوا منه ، وتسللوا لواذا الى الامير أبي ثابت ، وهو بمرقب من الجبل يطل عليهم ؛ حتى اذا انحجز ابو سالم بالبلد انحاش اليه الجملة دفعة واحدة . فلما استوفت العساكر والقبائل لديه ، زحف الى البلد الجديد مثوى السلطان وسياج قصوره ومختط عزمه ، وانتهى الى ساحتها معتماً . وخرج اليه الوزير يخلف بن عمران الفودودي ؛ فأرجل عن فرسه بأمر أبي يحيى ، وقتل بين يدية قعصاً بالرماح. وكان قريب عهد بالوزارة ، استوزره السلطان

قبل مهلكه في شعبان من سنة ست .

وفر ابو سالم الى جهة المغرب، وصحبه من عشيره من اولاد رحو ابن عبد الله بن عبد الحق العباسي ، وعيسى وعلي ابنا رحو وابن اخيهم جمال الدين ابن موسى . وأتبعهم الامير ابو ثابت شرذمة من عسكره ادركوهم بندرومة ؛ فتقبضوا عليهم ونفذوا امر السلطان بقتل ابي سالم وجمال الدين ، واستبقى الاخرين . وأمر باحراق باب البلد ليفتحها العسكر ؛ فأطل عليه قهرمان دارهم عبدالله بن أبي مَـدْيَن الكاتب ، واخبره بفرار ابي سالم ، وباتفاق الناس على طاعته . ورغب اليه في المسالمة ليلتهم، حتى يفجر الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجومها ففعل. وامره الامير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج بن اشقيلولة؛ فاعتقله لقديم من العداوة كانت بينهما ؛ ثم أمر بقتله وانفاذ رأسه فقتل. وامر السلطان ليلتئذ باضرام النيران، حتى اذا اضاء الظلام بات راكبا. ودخل القصر لصبحه؛ فوارى جسد السلطان بعد ان صلى عليه .وغص بمكان الامير أبي يحيى لما تعدد فيه الترشيح ، وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن عثمان ابن الامير أبي معرّف محمد بن عبد الحق ، ومن حضره من الوزراء : مثل ابراهيم بن عبد الجليل الونكاسي وابراهيم بن عيسى اليرنياني وغيرهما من الخاصة ؛ فاشاروا بقتله. ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته ، وابتغاء العصابة لامره.

وركب الامير ابو يحيى الى القصر ثالث البيعة ، فأخذ السلطان بيده ، ودخل معه الى الحرم لعزائهن عن أخيه السلطان . ثم خرج على الخاصة . وتخلّف عنه السلطان ، وقد دس الى عبد الحق بن عثمان أن يتقبّض عليه ففعل . ثم برز السلطان اليهم وهو موثق ؛ فأمر بالاجهاز عليه ، ولم يمهله ، وألحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودي . وفشا الخبر بمهلك هؤلاء الرهط ؛ فرعب منه القرابة ؛ ففر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان المعروف بامه قضيب ، ومسعود ابن أبي مالك والعباس بن رحو بن عبدالله بن عبد الحق . ولحقوا جميعاً بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة . وخلا الجو من المرشحين ، واستبد السلطان بملك قومه ، وأمن غوائل المنازعين .

ولما تم له الامر واستوسق الملك، وفى لبني عثمان بن يغمراسن بالافراج عنهم ، ونزل لهم عن جميع البلاد التي صارت الى طاعته من بلاد المغرب الأوسط من اعمالهم واعمال بني توجين و مغراوة . ودعاه الى بدار المغرب ، ما كان من اختلال عثمان بن أبي العلاء بن عبدالله ابن عبدالحق بسبتة، ودعائه لنفسه بين يدي مهلك السلطان، وخروجه الى بلاد غمارة ، واستيلائه على قصر كتامة . واعتزم على الرحلة الى المغرب ، وفوّض الامر في الرحلة بأهل المدينة الجديدة للوزير ابراهيم بن عبد الجليل ، لما كانت حينئذ عامرة بالساكن، مستبحرة في

الاعتمار ، ممتلئة من الخزائن والآلة؛ فأحسن السياسة في أمرهم، وضرب لهم الاجال والمواعد ان استوفوا بالرحلة. وتركوها قواءً ، خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلة بني مرين الى المغرب ، وتحينوا لذلك فترات الفتن ، وطمسوا معالمها طمساً ونسفوها نسفاً. وقدم السلطان بين يديه من القرابة ، الحسن بن عامر بن عبدالله اتعجوب في العساكر والجنود ، وعقد له على حرب ابن أبي العلاء. وتلوم بالبلد الجديد لموافاة المسالح التي كانت بثغور الشرق، لما نزل عنها جميعاً لبني عثمان بن يغمراسن. وارتحل غرة ذي القعدة ، ودخل فاس فاتح سنة سبع وسبعماية. والله أعلم.

الخبر عن انتزاء يوسف بن أبي عياد بمراكش وتغلب السلطان عليه

لما فصل السلطان أبو ثابت من معسكرهم بتلمسان الى المغرب ، قدّم بين يديه من قرابته الحسن بن عامر بن عبدالله أتعجوب ابن السلطان ابي يوسف في العساكر والجنود ، وعقد له على حرب عثمان ابن أبي العلاء كما ذكرناه. وعقد على بلاد مراكش ونواحيها لابن عمه الاخر يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق ، وعهد له بالنظر في احوالها، فسار اليها واحتل بها. ثم حدثته نفسه بالانتزاء ؛ فقتل الوالي بمراكش ، واستركب واستلحق ، واتخذ الالة ، وجاهر بالخلعان. وتقبض على والي البلد ؛ فقتله بالسوط في جمادى سنة سبع وسبعماية ،

ودعا لنفسه . واتصل الخبر بالسلطان لاول قدومه ؛ فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود الجشمي ، ويعقوب بن اصناك ، في خمسة آلاف من عساكره ، ودفعهم إلى حربه ، وخرج في أثرهم بكتائبه . وبرز يوسف بن أبي عيّاد ، وأجاز وادي أم ربيع ؛ فانهزم امام الوزير وعساكره ، وأتبعه الوزير ، ففر الى اغمات. ثم فر الى جبال هسكورة ، ولحق به موسى بن أبي سعيد الصبيحي من اغمات ، تدلى من سورها ؛ ودخل الوزير يوسف في مراكش . ثم خرج في أثره ولحقه ، فكانت بينهما جولة ، وقتل منهم خلقاً ، ولحق بهسكورة . ودخل السلطان ابو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع ، وأمر بقتل اوربة ، المداخلين كانوا له في انتزائه فاستلحموا . ولما لحق يوسف بن ابي عيّاد بجبال هسكورة ، نزل على مخلوف بن عبّو ، وتذمم بجواره ؛ فلم يجره على السلطان . وتقبّض عليه ، واقتاده الى مراكش مع ثمانية من اصحابه تولوا كبر ذلك الامر ؛ فقتلوا في مصرع واحد ، بعد ان مثل بهم بالسياط . وبعث رأس يوسف الى فاس ؛ فنصب بسورها وأثخن بالقتل فيمن سواهم ممن داخله في الانتزاء ؛ فاستلحم منهم أمماً بمراكش وأغمات . وسخط خلال ذلك وزيره ابراهيم بن عبد الجليل ؛ فاعتقله واعتقل عشرة من بني دولين من بني ونكاسن ، وقتل الحسن بن دولين منهم ، ثم عفا عنهم . وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوي وتدويخ جهات مراكش ؛ فتلقّاه السكسيوي بطاعته المعروفة . واسنى الهدية ، فتقبل طاعته وخدمته . ثم سرح

قائده يعقوب بن اصناك في اتباع زكنة حتى توغل في بلاد السوس ، ففروا أمامه الى الرمال . وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان . وانكفأ السلطان بعساكره الى مراكش ، فاحتل بها غرة رمضان . ثم قفل الى فاس بعد ان قتل جماعة من شيوخ بني ورا . وجعل طريقه على بلاد صنهاجة . وسار في بلاد تامسنا ، وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسيفان وبني جابر والعاصم ؛ فاستصحبهم الى انفى ، وتقبض على ستين من أشياخهم ؛ فاستلحم منهم عشرين ممن نمي عنهم إفساد السابلة. ودخل رباط الفتح اخريات رمضان ؛فقتل هنالك من الاعراب أمة ممن يؤثر عنه الحرابة . ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح اهل ازغار والهبط. وأثار منهم بالاحن القديمة ؛ فاثخن فيهم بالقتل والسبي. وقفل الى فاس ؛ فاحتل بها منتصف ذي القعدة . وجاءه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان، واستلحام الروم من عسكره،ومهلك عبدالواحد الفودودى من رجالات دولته . وان عثمان بن أبي العلاء قد استفحل امره بجهات غمارة ؛ فاجمع لغزوه. والله أعلم .

الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة من بعد ظهوره

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر بسبتة سنة خمس وسبعماية ، وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد

الفقيه بن محمد بن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه ، وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بمحل امارته من مالقة عثمان بن ابي العلاء أدريس بن عبدالله بن عبد الحق من أعياص هذا البيت ، كان مرشحاً للملك فيهم . واستقدمه معه ليفرّق به الكلمة في المغرب ، ويشغل بفتنة الدولة مدافعةً عن سبْتة ، لما كانوا أهاجوا السلطان وقومه بأخذها . واستنام ملكها ، وطمع عثمان في ملك المغرب بامدادهم ومظاهرتهم . وسولت له نفسه ذلك ؛ فخرج من سبتة ، وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه رحّو بن عبدالله . ونجم هو ببلاد غمارة ؛ فدعا لنفسه ، واجابته القبائل منهم . واحتل بحصن علودان من امنع معاقلهم ، وبايعوه على الموت . ثم نهض الى أصيلا والعرائش ؛ فغلب عليها . واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبي يعقوب ؛ فلم يحركه استهانة بامرهم . وبعث ابنه أبا سالم بالعساكر ؛ فنازل سبتة أياماً ، ثم أقلع عنها . وبعث بعده أخاه يعيش بن يعقوب ، وأنزله طنجة ، وجهز معه الكتائب ، وجعلها ثغراً . وزحف اليه عثمان بن ابي العلاء ؛ فتأخر عن طنجة الى القصر . ثم أتبعه فخرج اهل القصر فرساناً ورجالاً ورماة مع يعيش ؛ فوصلوا الى وادي ورا ؛ ثم انهزموا الى البلد . ومات عمر بن ياسين ، ونازل عثمان عليهم القصر يوماً ، ثم دخله من غده . ثم كان مهلك السلطان ، ومفر يعيش بن يعقوب خيفة من ابي ثابت ؛ فلحق بعثمان ابن ابي العلاء . واستقام أمره بتلك الجهات برهة . وكان السلطان ابو

ثابت ؛ لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن محمد بن ابي عياد بمراكش كما قدمناه ؛ فعقد على حرب عثمان بن ابي العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب لعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته ؛ فزحف اليه.ونهض عثمان الى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع ؛ فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم . وهلك في تلك الواقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات السلطان المرشحين ردفاء الوزارة. وصار عثمان الى قصر كتامة ؛ فنازله واستولى على جهاته . وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش . وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق ؛ فاعتزم على الحركة الى بلاد غمارة ليمحو منها دعوة ابن ابي العلاء التي كادت تلج عليه ممالكه بالمغرب، ويرده على عقبه، ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر ؛ لما صارت ركاباً لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والاعياص ؛ المستنفرين وراء البحر غزاة في سبيل الله ؛ فنهض من فاس منتصف ذي الحجة من سنة سبع . ولما انتهى الى قصر كتامة تلوم بها ثلاثاً حتى توافت عساكره وحشوده ؛ وكمل اعتراضها. وفر عثمان بن ابي العلاء امامه . وارتحل السلطان في اتباعه ؛ فنازل حصن علودان واقتحمها عنوة . واستلحم بها زهاء اربعمائة . ثم نازل بلد الدمنة ؛ فاقتحمها واثخن فيها قتلاً وسبياً ؛ لتمسكها بطاعة ابن أبي العلاء ؛ ومظاهرتها له على كبس القصر واستباحته . ثم ارتحل الى طنجة ؛ واحتل بها غرة سنة ثمان . وانحجز ابن أبي العلاء بسبتة مع

أوليائه. وسرح السلطان عساكره؛ فتقرت نواحي سبتة بالاكتساح والغارة. وأمر باختطاط بلد تيطاوين لنزول عساكره، والأخذ بمخنق سبتة. وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن ابي الصبر اليهم في شأن النزول له عن البلد. وفي خلال ذلك اعتلّ السلطان بمرض، وقضى لأيام قلائل في ثامن صفر من سنته، ودفن بظاهر طنجة. ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن أبائه بشالة فووري هنالك. رحمة الله عليه وعليهم.

الخبر عن دولة السلطان ابي الربيع، وما كان فيها من الاحداث

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه علي ابن السلطان أبي يعقوب المعروف بامه رزيكة، وخلص الملأ من بني مَرين اهل الحل والعقد إلى أخيه أبي الربيع، فبايعوه. وتقبض على عمه علي بن رزيكة المستام للامر؛ فاعتقله بطنجة الى أن هلك سنة عشر لجمادى. وبث العطاء في الناس، وأجزل الصلات، وارتحل نحو فاس. واتبعه عثمان بن أبي العلاء في جيش كثيف. وبيته وقد نذر به العسكر؛ فأيقظوا ليلهم ووافاهم على الظهر بساحة علودان؛ فناجزهم الحرب. وكانت الدائرة على عثمان وقومه. وتقبض على ولده وكثير من عسكره. واثخن اوليـاء السلطان فيهم بالقتل والسبي، وكان الظهور الذي لا كفاء له. ووصل أبو يحيى بن أبي الصبر الى الاندلس، وقد أحكم عقدة الصلح. وقد كان ابن الاحمر جاء للقاء

السلطان أبي ثابت، ووصل الى الجزيرة الخضراء؛ فادركه خبر مهلكه؛ فتوقف عن الجواز. وأجاز ابن أبي الصبر باحكام المؤاخاة. واجتاز عثمان بن أبي العلاء الى العدوة فيمن معه من القرابة؛ فلحق بغرناطة. وأغذّ السلطان السير الى حضرته؛ فدخل فاس آخر ربيع من سنة ثمان. واستقامت الامور وتمهد الملك، وعقد السلم مع صاحب تلمسان موسى بن عثمان بن يغمراس؛ فأقام وادعاً بحضرته. وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكوناً وترفاً لاهل الدولة. وفي أيامه تغالى الناس في أثمان العقار؛ فبلغت قيمتها فوق المعتاد، حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين. وتنافس الناس في البناء، فعالوا الصروح، واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش. وتناغوا في لبس الحرير، وركوب الفاره، واكل الطيب، واقتناء الحلي من الذهب والفضة. واستبحر العمران، وظهرت الزينه والترف؛ والسلطان وادع بداره متملٍّ اريكته، الي ان هلك كما نذكره إن شاء الله تعالي.

الخبر عن مقتل عبد الله بن أبي مدين

كان أبو شعيب بن مخلوف من بني أبي عثمان من قبائل كُتامة المجاورين للقصر الكبير، وكان منتحلاً للدين مشتهراً به. ولما أجلب بنو مَرين على المغرب وجالوا في بسائطه، وتغلبوا على ضواحيه،

صحب البر منهم والفاجر من أهله . وكان بنو عبد الحق قد تخيروا شعيباً هذا فيمن تخيروه للصحابة من أهل الدين ؛ فكان إمام صلاتهم . وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحابة له ، وأوفاهم بها ذماماً ، فاتصل به حبله ، واستمرت صحابته ، وعظم في الدولة قدره . وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته . وربى بنو شعيب هذا : عبدالله ومحمد المعروف بالحاج ، وأبو القاسم من بعدهم من اخوتهم ، بقصر كتامة في جو ذلك الجاه . وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق ؛ فاستخلصهم يوسف بن يعقوب لخدمته ، واستعملهم على مختصاته . ثم ترقى بهم في رتب خدمته واخصائه درجة بعد أخرى ، الى ان هلك أبوهم مديَن شعيب سنة سبع وتسعين . وكان المقدّم منهم عند السلطان عبدالله ؛ فأوفى به على ثنيات العز والوزارة والخلة والولاية . وتقدم بحظوته في مجلسه كل حظوة ، واختصه بوضع علامته على الرسائل والاوامر الصادرة عنه . وجعل اليه حسبان الخراج والضرب على أيدي العمال ، وتقييد الاوامر بالبسط والقبض . واستخلصه لمناجاة الخلوات ، والافضاء بذات الصدر ؛ فوقف ببابه الاشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد ، وتوددوا وخطبوا نائله . وكان عبدالله استعمل مع ذلك أخاه محمداً على جباية المصامدة بمراكش ، وهنأ أبا القاسم الدعة بفاس ، فأقام بها متملياً راحته عريضاً جاهه ، طاعماً كاسياً ، تتسرب

اليه اموال العمال في سبيل الاتحاف ، وتقف ببابه صدور الركائب، الى ان هلك السلطان ابويعقوب يوسف . ويقال ان له خائنة في دمه مع سعاية الملياني . ولما ولي السلطان أبو ثابت ضاعف رتبتــه وشفع لديه خطته ، ورفع على الاقدار قدره . ثم ولي من بعده أخوه أبو الربيع ، فتقبل فيه مذهب سلفه . وكان بنو رقاصة اليهود حين نكبوا ، باشر نكبتهم لمكانه من اصدار الاوامر . ويزعمون ان له فيهم سعاية. وكان خليفة الاصغر منهم قد استبقي كما ذكرناه ، فلما أفضى الأمر الى السلطــان أبي الربيع استعمل خليفة بداره في بعض المهن ، ولابس الخدم حتى اتصل بمباشرة السلطان ، فجعل غايته السعاية بعبد الله بن أبي مدين . وكان يؤثر عن السلطان أبي الربيع أنه لا يؤمن بوائقه مع حزم ذويه، وتعرّف خليفة ذلك من مقالات الناس، فدس الى السلطان ان عبدالله بن أبي مدين يعرّض باتهام السلطان في ابنته ، وان صدره وغر بذلك ، وانه متعرض بالدولة .وكان يخشى الغائلة لما كان عليه من مداخلة القبيل ، ولما كان داعية من دعاة آل يعقوب، فتعجل السلطان دفع غائلته ، واستدعاه صبيحة زفاف ابنتــه ، زعموا على زوجهــا ، فاستحثه قائد الروم من داره بفاس . ونذر بالشر ، فلم يغنه النذر . ومر في طريقــه الى دار السلطان بمقبرة أبي يحيى بن العربي ؛ فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبّـه على ذقنه . واحتز رأسه ، فألقاه بين أيدي السلطان . ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن ، فوجــده بين

يديه ، فذهبت نفسه عليه على مكانه من الدولة حسرة وأسفاً ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي ، فوقّفه على براءة كان ابن أبي مدين بعثها معه الى السلطان بالتنصّل والحلف ، فتيقظ وعلم مكر اليهودي به ، فندم وفتك لحينه بخليفة بن رقاصة وذويه من اليهود المتصدّين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة ، فأصبحوا مثلاً للاخرين . والله أعلم .

الخبر عن ثورة أهل سبتة بالأندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان

لما قفل السلطان أبو الربيع من غزاة سبتة ، بعد ان شرّد عثمان ابن أبي العلاء وأحجزه بسبتة ، وأجاز منها الى العدوة ، ومن كان معه من القرابة كما قلناه ، بلغه الخبر بضجر أهل سبتة ، ومرض قلوبهم من ولاية الاندلسيين عليهم ، وسوء ملكتهم . ودس اليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك ، فأغزى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخا وزيره في عساكر ضخمة من بني مرين ، وسائر الطبقات من الجند . وأوعز اليه بالتقدم الى سبتة ومنازلتها ، فأغذّ اليها السير ونزل بساحتها ولما أحسّ به أهل البلد بهشت[1] رجالاتهم ، وتنادوا بشعارهم ، وثاروا على من كان منهم من قواد ابن الاحمر وعماله ، واخرجوا منها حاميته وجنوده . واقتحمها العساكر . واحتل تاشفين بن يعقوب بقصبتها عاشر صفر من سنة تسع . وطير الفوائق بالخبر الى السلطان ، فعمّ

(١) بهش وتبهش القوم : اجتمعوا ـ قاموس .

السرور وعظم شأن الفتح . وتقبض على قائد القصبة أبي زكرياء يحيي ابن مليلة ؛ وعلي قائد البحر أبي الحسن بن كماشة ، وعلى قائد الحروب بها من الاعياص عمر بن رحّو بن عبد الله بن عبد الحق . كان صاحب الاندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبي العلاء ، عند اجازته البحر الى الجهاد كما ذكرنا . وكتب الى السلطان بالفتح ، وأوفد عليه الملأ من مشيخة سبتة واهل الشورى . وبلغ الخبر الى ابن الاحمر ؛ فارتاع لذلك وخشي عادية السلطان وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة . وكان الطاغية في تلك الايام نازل الجزيرة الخضراء ، وأقلع عنها على الصلح ، بعد ان أذاقها من الحصار شدّة ، وبعد ان نازل جبل الفتح ، فتغلب عليه وملكه . وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بألُفُنْش ، هزمه أبو يحيى بن عبدالله بن أبي العلاء صاحب الجند بمالقة ، لقيه يجوس خلال البلاد بعد تملك الجبل ، فهزم النصارى وقتلوا أبرح قتل . وأهم المسلمين شأن الجبل ، فبادر السلطان أبو الجيوش بانفاذ رسله راغبين في السلم خاطبين للولاية . وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورُنْدَةَ وحصونها ترغيباً للسلطان في الجهاد ؛ فتقبل منه السلطان ، وعقد له الصلح على ما رغب. وأصهر اليه في أخته؛ فأنكحه إياها . وبعث بالمدد للجهاد أموالاً وخيولاً وجنائب ، مع عثمان بن عيسى اليرنياني . واتصلت بينهما المهادنة والولاية ، الى مهلك السلطان. والبقاء لله وحده .

الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان، بممالأة الوزير والمشيخة، وظهور السلطان عليهم، ثم مهلكه بعد ذلك

كانت رسل ابن الاحمر خلال هذه المهادنة والمكاتبات تختلف الى باب السلطان ، ووصل منهم في بعض احيانها خلف من مترفيهم ؛ فجاهر بالكبائر ، فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر والادمان عليه ؛ وكان السلطان منذ شهر جمادى الاول سنة تسع قد عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي ، وعهد باحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقّب بالصغير . وكان علي ثبَج من تغيير المنكرات والتعسُّف فيها . حتى لقد كان مطاوعاً في ذلك وسواس النساك الأعجمي ، متجاوزاً بها الحدود المتعارفة من أهل الشريعة في سائر الامصار . واحضر عنده ذات يوم هذا الرسول ثملاً ، وحضر العدول فاستروحوه ، ثم امضى حكم الله فيه ، وأقام عليه الحدود . واضرمته هذه الموجدة ؛ فاضطرم غيظاً . وتعرض للوزير رحّو ابن يعقوب الوطاسي منصرفه من دار السلطان في موكبه ، وكشف عن ظهره يريه أثر السياط ، وينعي عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل ، فتبرم لذلك الوزير وأدركته حفيظة وسرّح وزعته وحشمه في إحضار القاضي على أسوء الحالات من التنكيل والتلّ لذقنه ؛ فمضوا لذلك الوجه . واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ، ونادى المسلمين ؛ فثارت العامة بهم ؛

ومرج أمر الناس. واتصل الخبر بالسلطان، فتلافاه بالبعث في اولئك النفر من وزعة[1] الوزير، وضرب أعناقهم، وجعلهم عظة لمن وراءهم فاسرّها الوزير في نفسه، وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد شيخ بني مرين، والمسلم له في شوراهم، وقائد الروم غنصالة المنفرد برياسة العسكر وشوكته؛ وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه له على سلطانه؛ فدعاهم الى بيعة عبد الحق بن عثمان ابن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص، وخلع طاعة السلطان؛ فاجابوه وبايعوا له، وتم أمرهم نجيّاً. ثم خرجوا عاشر جمادى من سنة عشر الى ظاهر البلد الجديد بمكان الرمكة، وجاهروا بالخلعان، وأقاموا الآلة، وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملأ. وعسكروا بالعدوة القصوى من سبُّو تخم بلاد عسكر، وازاء نبدورة من معاقل الحسن بن علي زعيم تلك الثورة. ثم ارتحلوا من الغد الى تازى، وخرج السلطان في طلبهم؛ فعسكر بسبُّو، وتلوم لاعتراض العساكر، وازاحة العلل واحتل القوم برباط تازى، وأوفدوا على موسى بن عثمان بن يغمُراسِن سلطان بني عبد الواد يدعونه الى المظاهرة، واتصال اليد، والمدد بالعساكر والاموال جنوحاً إلى التي هي آثر لديه من تفريق كلمة عدوّه؛ فتثاقل عن ذلك لمكان السلم

(١) جمع وازع: وهو الذي يدبر أمور الجيش - قاموس.

الذي عقد له السلطان اول الدولة، وليستبين سبيل القوم. وقدّم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمي، وعمر بن موسى الفودودي في جموع كثيفة من بني مرين. وسار في ساقتهم؛ فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان صريخاً. وحمد السلطان مغبّة نظره في التثاقل عن نصرهم، ووجد بها الحجة عليهم، اذ غاية مظاهراته إياهم ان يملكهم تازى، وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه. واجاز عبد الحق بن عثمان ورحّو بن يعقوب الى الاندلس؛ فأقام رحّو بها الى ان قتله اولاد ابن ابي العلاء؛ ورجع الحسن بن علي الى مكانه من قبيله، ومحله من مجلس السلطان، بعد ان اقتضى عهده بالأمان على ذلك. ولما احتل الحسن بتازى حسم الداء، ومحا أثر الشقاق، وأثخن في حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبي. ثم اعتل اثناء ذلك، وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الاخرة من سنة عشر، ووُوري بصحن الجامع الأعظم من تازى. وبويع السلطان أبو سعيد، على ما نذكره إن شاء الله.

الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد، وما كان فيها من الأحداث

لما هلك السلطان أبو الربيع بتازى، تطاول للامر عمه عثمان بن السلطان أبي يعقوب المعروف بامه قضيب[1] واستلم المنصب وأسدى

(١) كذا، وفي ب: قضنيت.

في ذلك وألحم . وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدوء من الليل ، فاستشاروا بشيخ القرابة يومئذ ، وكبير الاعياص المرشحين، العالي القعد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . ودسّت اخته عريبة اليهم بالوعد، وسربت اليهم الأموال . وجاءهم عثمان ابن السلطان أبي يعقوب مستاماً ؛ فزجروه واستدعوا السلطان أبا سعيد ؛ فحضر وبايعوه ليلتئذ وأنفذ كتبه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة . وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن الى فاس، فدخلها غرة رجب من سنة عشر . ودخل القصر و طلع على امواله وذخيرته . وفي غد ليلته أخذت البيعة العامة للسلطان بظاهر تازى ، على بني مرين وسائر زناتة والقبائل والعرب ، والعساكر والحاشية والموالي والصنائع ، والعلماء والصلحاء ، ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ؛ فقام بالامر واستوسق له الملك. وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز، وتفقد الدواوين ورفع الظلامات ، وحطّ المغارم والمكوس . وسرح اهل السجون ، ورفع عن اهل فاس وظيفة الرباع[1] . وارتحل لعشرين من شهر رجب الى حضرته ؛ فاحتل بفاس . وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ثم خرج لذي القعدة بعدها الى رباط الفتح لتفقّد الاحوال ، والنظر في احوال الرعايا والتهمم بالجهاد ، وانشاء الاساطيل للغزو في

(١) كذا بالأصل، وفي لسان: «المرباع ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة». ومقتضى سياق العبارة هنا: «ورفع عن أهل فاس ضريبة المرباع».

سبيل الله . ولما قضى منسك الاضحى بعده ، رجع الى حضرته بفاس . ثم عقد سنة احدى عشرة لأخيه الامير أبي البقاء يعيش على ثغور الاندلس : الجزيرة و وَنْدَة ومـا اليهما من الحصون . ثم نهض سنة ثلاث عشرة الى مَرّاكُش لما كان بها من اختلال الاحوال، وخروج عديّ بن هنّو الهَسْكوري ونقضه للطاعة ؛ فنزل به وحاصره مدة ، واقتحم حصنه عَنْوَةً عليه ، وحمله مقيّداً الى دار ملكه ؛ فأودعه الطبق . ثم رجع الى غزو تلمسان . والله أعلم .

الخبر عن حركة السلطان أبي سعيد إلى تلمسان، أولى حركاته إليها

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان أبي الربيع ، وتغلب على تازى بمظاهرة الحسن بن علي بن أبي الطلاق كبير بني عسكر ، واختلفت رسلهم الى أبي حمّو موسى بن عثمان سلطان بني عبد الواد ، اسف ذلك بني مرين ، وحرك مزاجهم [1] ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبي حمو ، واقبل عليهم ، اضرم ذلك حقد بني مرين . وولي السلطان أبو سعيد الأمر ، وفي انفسهم من بني عبد الواد غصة . فلما استوسق أمر السلطان ، ودوخ الجهات المراكشية ، وعقد على البلاد الاندلسية وفرغ من شأن المغرب ، اعتزم على غزو تلمسان ، فنهض اليها سنة

(١) كذا، وفي ب: وحرك من أحنهم.

اربع عشرة. ولما انتهى الى وادي مَلْويّة قدّم ابنيه أبا الحسن وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين، وسار في ساقتهما، ودخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبية؛ فاكتسح نواحيها، واصطلم نعمها. ونازل وجدة؛ فقاتلها قتالاً شديداً وامتنعت عليه. ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها. وانحجز موسى بن عثمان من وراء اسوارها، وغلب على معاقلها ورعاياها، وسائر ضواحيها؛ فحطمها حطماً ونسف جهاتها نسفاً. ودوّخ جبال بني يزناسن، وفتح معاقلها، واثخن فيها، وانتهى الى وَجْدَة. وكان معه في عسكره أخوه يعيش بن يعقوب، وقد ادركته بعض الاسترابة بأمره؛ ففر الى تلمسان، ونزل على أبي حمو ورجع السلطان على تعبيته الى تازى؛ فأقام بها. وبعث ولده الامير أبا علي الى فاس، فكان من خروجه على أبيه ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن انتقاض الأمير أبي علي وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات

كان للسلطان أبي سعيد اثنان من الولد: اكبرهما لأمته الحبشية، وهو علي؛ والاخر لمملوكة من سبى النصرانية، وهو عمر. وكان هذا الأصغر آثرهما لديه، واعلقهما بقلبه منذ نشأ. فكان عليه حدباً، وبه مشغوفاً. ولما استولى السلطان على ملك المغرب، رشحه لولاية عهده؛

وهو شاب لم يطر شاربه. ووضعوا له ألقاب الامارة، وصير معه الجلساء والخاصة والكتّاب، وأمره باتخاذ العلامة في كتبه. وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنياني من صنائع دولتهم، وكبار المرشحين بها. ولما رأى أخوه الاكبر أبو الحسن صاغية أبيهما اليه، وكان شديد البرور لوالديه، انحاش اليه وصار في جملته، وخلط نفسه بحاشيته طاعة لابيه. واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه الملوك من النواحي، وخاطبهم، وهادوه، وعقد الرايات، وأثبت في الديوان، ومحا وزاد في العطاء ونقص، وكاد ان يستبدّ. ولما قفل السلطان أبو سعيد من غزاته الي تلمسان سنة أربع عشرة أقام بتازى، وبعث ولديه الى فاس؛ فلما استقر الامير أبو علي بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على أبيه وخلعه، وراوضه المداخلون له في المكر بالسلطان حتى يقبض عليه فأبى، وركب الخلاف، وجاهر بالخلعان. ودعا لنفسه؛ فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من أمرهم. وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان؛ فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلاً ويؤخر أخرى.

ثم بدا للامير أبي علي في شأن وزيره، وحدثته نفسه بالقبض عليه استرابة به، لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان؛ فبعث لذلك عمر بن يخلف الفودودي. وتفطن الوزير لما جاء به من المكر؛ فتقبض

عليه ونزع الى السلطان أبي سعيد ؛ فتقبله ورضي عنه ، وارتحل الى لقاء ابنه . ولما تراءى الجمان بالقرمدة ما بين فاس وتازى ، اختلّ مصاف السلطان ، وانهزم عسكره . وافلت بعد ان اصابته جراحة في يده وهن لها ، ولحق بتازى فليلاً جريحاً. ولحق ابنه الامير أبوالحسن نازعاً اليه من جملة أخيه أبي علي بعد المحنة وفاء بحق أبيه ؛ فاستبشر السلطان بالظهور والفتح وحميد المغبة . واناخ الامير أبو علي بعساكره على تازى ، وسعى الخواص بين السلطان وبينه في الصلح ، على ان يخرج له السلطان عن الامر ، ويقتصر على تازى وجهاتها ؛ فتم ذلك بينهما وانعقد . وشهد الملأ من مشيخة العرب وزناته واهل الامصار ؛ فاستحكم عقده وانكفأ الامير أبو علي الى حضرة فاس مملّكاً . وتوافت اليه بيعة الأمصار بالمغرب ووفودهم ، واستوسق امره .

ثم اعتل اثر ذلك ، واشتد وجعه ، وصار الى حال الموت ، وخشي الناس على انفسهم تلاشي الامر بهلكه ؛ فتسايلوا الى السلطان بتازى . ثم نزع عن الأمير أبي علي وزيره أبو بكر بن النوان ، وكاتبه منديل ابن محمد الكناني ، وسائر خواصه ؛ فلحقوا بالسلطان وحملوه على تلافي الامر ؛ فنهض من تازي ، واجتمع اليه كافة بني مرين والجند . وعسكر على البلد الجديد ، وأقام محاصراً لها ، وابتنى داراً لسكناه . وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لاخيه أبي علي من ولاية العهد

وتفويض الامر. وتفرد أبو علي بطائفة من النصارى المستخدمين بدولته كان قائدهم يمت اليه بالخؤلة ، وضبط البلد مدة مرضه ، حتى إذا افاق، وتبين اختلال امره بعث الى ابيه في الصفح والرضى ، وان ينزل له عما انتزى عليه من الأمر على ان يُقطْعه سجلماسة وما اليها ، ويسوغه ما احتمل من المال والذخيرة من دارهم ؛ فأجابه الى ذلك . وانعقد بينهما سنة خمس عشرة. وخرج الامير أبوعلي بخاصته وحشمه، وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد . ووفى له السلطان بما اشترط ، وارتحل الى سجلماسة . ودخل السلطان الى البلد الجديد، ونزل بقصره واصلح شؤن ملكه ، وانزل ابنه الامير ابا الحسن بالدار البيضاء من قصورهم ، وفوّض اليه في سلطانه تفويض الاستقلال . وأذن له في اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتابه ، وسائر ما كان لاخيه . ووفدت عليه بيعات الأمصار بالمغرب ، ورجعوا الى طاعته .

ونزل الأمير أبو علي بسجلماسة؛ فاقام بها ملكاً ، ودوّن الدواوين، واستلحق واستركب ، وفرض العطاء . واستخدم ظواعن العرب من المعْقل ، وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنطيت ؛ وغزا بلاد السوس ؛ فافتتحها وتغلب على ضواحيها ، واثخن في اعرابها من ذوي حسّان والشبانات وزكنة، حتى استقاموا على طاعته .

وبيّت عبد الرحمن بن الحسن بن يدّر امير الامصار بالسوس في تارودانت مقره ؛ فاقتحمها عليه عنوة ، وقتله واصطلم نعمته ، وأباد سلطانه . وأقام لبني مرين في بلاد القبلة ملكاً وسلطاناً . وانتقض على السلطان سنة عشرين ، وتغلب على درعة ، وسما الى طلب مراكش ؛ فعقد السلطان على حربه لاخيه الامير أبي الحسن ، وجعله اليه وأغزاه ونهض على أثره ؛ فاحتلوا بمراكش ، وثقفوا أطرافها ، وحسموا عللها. وعقد عليها لكندوز بن عثمان من صنائع دولتهم ، وقفلوا بعسكرهم إلى الحضرة . ثم نهض الامير أبو علي سنة اثنتين وعشرين بجموعه من سجلماسة ، وأغذّ السير الى مراكش ؛ فاحتلت عساكره بها قبل ان يجتمع لكندوز أمره ؛ فتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة ، وملك مراكش وسائر ضواحيها . وبلغ الخبر الى السلطان ؛ فخرج من حضرته في عساكره بعد ان احتشد ، وأزاح العلل واستوفى الأعطيات وقدّم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولي عهده ، والغالب على أمره في عساكره وجموعه وجاء في ساقته ، وسار على هذه التعبية . ولما انتهى الى توتو[1] من وادي مَلْويّة نذروا بالبيات من أبي علي وجنوده ؛ فحذروهم وأيقظوا ليلتهم . وبيّتهم بمعسكرهم ذلك ؛ فكانت الدايرة عليهم ، وفلّ عسكره . وارتحلوا من الغد في أثره .

---

(١) كذا، وفي ب: بويو. وفي نسخة: نوتو.

وسلك على جبال درن ، وافترقت جنوده في أوعاره ، ولحقهم من معراتها شناعات ، حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه ، وسعى على قدميه . وخاصوا من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ، ولحق بسجلماسة ، ومهّد السلطان نواحي مراكش ، واستعمل عليها ، ورتب الحامية بها . وعقد على جباية أموال المصامدة ونواحي مراكش لموسى ابن علي بن محمد الهنتاتي ؛ فعظم عناؤه في ذلك واضطلاعه ، وامتدت أيام ولايته . وارتحل السلطان إلى سجلماسة ؛ فدافعه الامير أبو علي بالخضوع في الصفح والرضى والعودة الي السلم ؛ فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه ؛ فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب . ورجع الى الحضرة ، وأقام الامير أبو علي بمكانه ذلك من القبلة ، الى انهلك السلطان، وتغلب عليه أخوه السلطان ابو الحسن، كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن نكبة منديل الكناني ومقتله

كان أبو محمد بن محمد الكناني من علية الكتاب بدولة الموحدين ، ونزع من مراكش عندما انحل نظام بني عبد المؤمن ، وانفض جمعهم الى مكناسة ؛ فاوطنها في ايالة بني مرين . واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق ؛ فصحبه فيمن كان يتأثر على صحابته من أعلام المغرب . وسفر عنه الي الملوك كما ذكرنا في سفارته الى المستنصر سنة خمس

وستين . وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وازداد الكناني عند ابنه يوسف حظوة ومكانة ، الى ان سخطه ونكبه سنة سبع وستين . وأقصاه من يومئذ ، وهلك في حال سخطته . وبقي من بعده ابنه منديل هذا في جملة السلطان أبي يعقوب متبرماً بمكان عبد الله بن أبي مَدين المستولي على قهرمة دار السلطان ومخالصته في خلواته غضباً لذلك ، متوقّعاً للنكبة في أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه ، مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان . عرف فيه بسبقه ، وشهد به صديقه وعدوه . ولما تغلب السلطان على ضاحية شِلف وامصاره من بلاد مَغْرَاوة ، واستعمله على حسبان الجباية ، وجعل اليه ديوان العسكر هنالك ، والى نظره اعتراضهم وتمحيضهم ؛ فنزل بمليانة مع من كان هنالك من الامراء : مثل علي بن محمد الخيري والحسن بن علي ابن أبي الطلاق العسكري ، إلى ان هلك السلطان أبو يعقوب ورجّع أبو ثابت البلاد الى أبي زيّان وأخيه أبو حمّو ملوك بني عبد الواد. ونزل لهم عنها ؛ فرجع الى المغرب ولحق بالسلطان أبي ثابت ، ومرّ في طريقه بأبي زيّان وأخيه أبي حمّو ؛ فخف عليهما وحلا بعيونهما ، واستبلغا في تكريمه ، وانصرف الى مغربه . وكان أيام معسكر السلطان يوسف ابن يعقوب على تلمسان قد صحب أخاه أبا سعيد عثمان بن يعقوب في حال خموله ، وتأكدت بينهما الخِلّة التي رعاها له السلطان أبو سعيد . فلما ولي أمر المغرب متّ بذلك اليه ؛ فعرفه له واختصه وخالصه ،

وجعل اليه وضع علامته وحسبان جبايته، ومستخلص احواله، والمفاوضة بذات صدره. ورفع مجلسه، وقدّمه على خاصته. وكان كثير الصاغية للامير أبي علي ابنه المتغلّب على أبيه أول مرة. ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا اليه. ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره. وكان الامير أبو الحسن يحقد له ولاية أخيه أبي علي، لما كان بينهما من المنافسة. وكان كثيراً ما يوغر صدره بإيجاب حق عمر عليه، وامتهانه في خدمته. وطوى له على النث، حتى إذا انفرد بمجلس أبيه، وفصل عمر الى سجلماسة أحكم السعاية فيه، والآلاء في الهلكة التي صرّ السلطان عليها أذناً واعية، حتى تأذّن الله باهلاكه. وكان منديل هذا كثيراً ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالّة عليه وكبراً؛ فاعتد عليه من ذلك كلمات واحوالاً، وسخطه سنة ثمان عشرة. وأذن لابنه أبي الحسن في نكبته، فاعتقله واستصفى ماله، وطوى ديوانه، وامتحنه أياماً، ثم قتله بمجلسه خنقاً، ويقال جوعاً، وذهب مثلاً في الغابرين. والله خير الوارثين.

الخبر عن انتقاض العزفي بسبتة، ومنازلته، ثم مصيرها إلى طاعة السلطان بعد مهلكه

كان بنو العزفي لما تغلب عليهم الرئيس ابو سعيد، ونقلهم الى غرناطة سنة خمس، واستقروا بها في ايالة المخلوع ثالث ملوك بني

الاحمر ، حتى إذا استولى السلطان أبو الربيع على سَبْتَة سنة تسع آذنوا في الاجازة الى المغرب ، واجازوا الى فاس ، واستقروا بها . وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبي طالب من سرواتهم وكبارهم ، وكانوا يغشون مجالس أهل العلم ، بما كانوا عليه من انتحال الطب . وكان السلطان ابو سعيد ايام امارة بني ابيه يجالس بالمسجد الجامع للقرويّين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير . وكان يحيى بن أبي طالب يلازمه ؛ فاتصل به وصارت له وسيلة يحسبها عنده . فلما ولي الامر ، واستقل به ، رعى لهم زمام صحابتهم ، ووفى لهم مقاصدهم . وعقد ليحيى على سبتة ، ورجّعهم الى مقر امارتهم منها ومحل رياستهم ؛ فارتحلوا اليها سنة عشر . واقاموا دعوة السلطان أبي سعيد ، والتزموا طاعته . ثم تغلب الأمير ابو علي على أمر ابيه واستبد عليه ؛ فعقد على سبتة لأبي زكرياء حبون بن أبي العلاء القرشي ، وعزل يحيى بن أبي طالب عنها . واستقدمه الى فاس ؛ فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه ابو حاتم ، واستقروا في جملة السلطان . وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك ، حتى اذا كان من خروج الامير أبي علي على ابيه ما قدمناه ؛ لحق يحيى بن أبي طالب واخوه بالسلطان نازعين من جملة الأمير أبي علي . فلما احتل بالبلد الجديد ، ونازله السلطان بها ، فحينئذ عقد السلطان يحيى بن أبي طالب على سبتة ، وبعثه اليها ليقيم دعوته بتلك الجهات . وتمسك بابنه محمد رهناً على طاعته ؛ فاستقل بامارتها ، واقام طاعة

السلطان ودعوته بها . واخذ بيعته على الناس ، واتصل ذلك سنين . وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب . ولسنة ست عشرة انتقض على السلطان ، ونبذ طاعة الامر ، ورجع الى حال سلفه من أمر الشورى في البلد . واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان؛ فقدم اليه ، وعقد له على الحرب ليفرق به الكلمة ، ويوهن ببأسه عزائم السلطان في مطالبته . وجهز السلطان اليه العساكر من بني مرين ، وعقد على حربه للوزير ابراهيم بن عيسى؛ فزحف اليه وحاصره . وتعلل عليهم بطلب ابنه ؛ فبعث به السلطان الى وزيره ابراهيم ليعطي الطاعة ؛ فتسلمه وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر أن ابنه كان في فسطاط الوزير بساحة البحر بحيث يتأتى الفرصة في أخذه؛ فبيت المعسكر. وهجم عبد الحق بن عثمان بحشمه وذويه على فسطاط الوزير ؛ فاحتمله الى أبيه. وركبت العساكر للهيعة ؛ فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير ابن العزفي . واتهموا قائدهم ابراهيم بن عيسى الوزير بمالأة العدو على ذلك؛ فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه ، وحملوه الى السلطان ، ابتلاء للطاعة ، واستبصاراً في نصح السلطان ؛ فشكر لهم واطلق وزيره لابتلاء نصيحته . ورغب يحيى بن العزفي بعدها في رضى السلطان وولايته . ونهض السلطان سنة تسع عشرة الى طنجة لاختبار طاعته ؛ فعقد له على سبتة ، واشترط هو على نفسه الوفاء بجباية السلطان ، واسنى هديته في كل سنة . واستمرت الحال على ذلك الى

ان هلك يحيى العزفي سنة عشرين . وقام بالامر ابنه محمد الى نظر ابن عمه محمد بن علي ابن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم . وكان قائد الاساطيل بسبتة ولي النظر فيها بعد ان نزع القائد يحيى الزنداحي الى الاندلس ، واختلاف الغوغاء بسبتة ؛ وانتهز السلطان الفرصة ؛ فاجمع على النهوض اليها سنة ثمان وعشرين ، وبادروا بايتاء طاعتهم . وعجز محمد بن يحيى عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه ؛ فتعرض للأمر في اوغاد من اللفيف اجتمعوا اليه . ودافعهم الملأ عن ذلك ، وحملوهم على الطاعة ، واقتادوا بني العزفي الى السلطان فانقادوا . واحتل السلطان بقصبة سبتة ، وثقف جهاتها ورمّ منثلمها واصلح خللها . واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في اعمالها ، فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميتها . وعقد لابي القاسم بن أبي مَدْيَن على جبايتها والنظر في مبانيها ، واخراج الاموال للنفقات فيها . واسنى جوائز الملأ من مشيختها ، ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم . واوعز ببناء البلد المسمى افراك أعلى سبتة ؛ فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين ، وانكفأ راجعاً الى حضرته .

الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سَبْتَة ، ونسبهم في حضرموت . وكانوا أهل تَجِلَّةٍ ووقار ، منتحلين للعلم . وكان أبوه محمّد قاضياً

بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم ، وكان له معهم صهر . ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطب والجلالة ، وقرأ صنعة العربيّة على الاستاذ الغافقي وحذق فيها . ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس، واحتملوا الى غرناطة ، احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه. وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها ، وازداد علماً وبصراً باللسان والحديث . واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع ، واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن عبد الحكم الرُّندي فيمن اختصّ به من رؤسائهم بني العَزَفي ؛ ثم رجع بعد نكبة ابن الحكم الى سبتة ،و كتب عن قائدها يحيى بن مسلمة مدة . ولما استخلص بنو مَرين سبتة سنة تسع اقتصر عن الكتابة ، واقام متقيّلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ولزوم المروءة . ولما استولى السلطان ابو سعيد على المغرب ، واستقل بولاية العهد والتغلب على الامر ابنه أبو علي ،وكان محباً للعلم ، مولعاً باهله منتحلاً لفنونه . وكانت دولته خلواً من صناعة الترسيل منذ عهد الموحدين للبداوة الموجدة في دولتهم . وحصل للأمير أبي عليّ بعض البصر بالبلاغة واللسان ، تفطّن به لشأن ذلك ، وخلو دولتهم من الكتاب المرسّلين ،وأنّهم إنّما يُحْكِمون الخطّ الذي حذقوا فيه. ورأى فيه الاصابع تشير الى عبد المهيمن في رياسة تلك الصنائع ؛فولع به . وكان كثير الوفادة مع اهل بلده اوقات وفادتهم؛ فيختصّه الأمير أبو علي بمزيد من برّه وكرامته ، ويرفع مجلسه ، ويخطبه للكتابة ، وهو يمتنع عليه . حتى إذا امضى عزيمته في ذلك اوعز الى عامله بسبتة

سنة اثنتي عشرة ان يشخصه الى بابه ؛ فقلده كتابته وعلامته. حتى اذا خرج أبو علي على ابيه تحيّز عبد المهيمن الى الأمير أبي الحسن ؛ فلما صولح ابو علي على النزول عن البلد الجديد ، وكتب شروطه على السلطان ؛ كان من جملتها كون عبد المهيمن معه ، وامضى السلطان له ذلك . وأنف الأمير ابو الحسن منها ؛ فاقسم ليقتلنّه ان عمل بذلك ؛ فرفع عبد المهيمن امره الى السلطان ولاذ به والقى نفسه بين يديه ؛ فرق لشكواه وامره باعتزالهما معاً والرجوع الى خدمته . وانزله بمعسكره ، وقام على ذلك . واختصّه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة ، وانكحه ابنته . ولما نكب منديل الكناني ، جعل السلطان علامته لأبي القاسم بن أبي مدين ، وكان غفلًا خلواً من الأدوات ؛ فكان يرجع الى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها ، حتى عرف السلطان له ذلك ؛ فاقتصر عليه ، وجعل وضع العلامة إليه سنة ثمان عشرة ؛ فاضطلع بها . ورسخت قدمه في مجلس السلطان ، وارتفع صيته . واستمر على ذلك ايام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده ، الى ان هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع واربعين . والله خير الوارثين .

الخبر عن صريخ أهل الأندلس بالسلطان، ومهلك بطرة على غرناطة

كان الطاغية شانجة بن أدفونش قد تكالب على أهل الاندلس من

بعد أبيه هراندة الهالك سنة اثنتين وثمانين . ومنذ غلب على طريف ، وشغل السلطان يوسف بن يعقوب بعدوه بني يغمراسن ، ثم تشاغل حفدته من بعده بامرهم وتقاصرت مددهم ، وهلك شانجة سنة ثلاث وتسعين ، وولي ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولاً كاملاً . ونازلت اساطيله جبل الفتح ، واشتد الحصار على المسلمين . وراسل هراندة بن أدفونش صاحب برشلونة أن يشغل اهل الاندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم ؛ فنازل المرية، وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع ، ونصب عليها الآلات . وكان منها برج العود المشهور ، طال الاسوار بمقدار ثلاث قامات ، وتحيل المسلمون في احراقه ؛ فاحرق . وحفر العدو تحت الارض مسرباً عريض المسافة مقدار ما يسير فيه عشرون راكباً . وتفطن لهم المسلمون وحفروا قبالتهم مثله ، الى ان نفذ بعضهم لبعض ، واقتتلوا تحت الارض . وعقد ابن الاحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الاعياص على عسكر بعثه مدداً لاهل المريّة؛ فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانة؛ فهزمهم عثمان واستلحمهم . ونزل قريباً من معسكر الطاغية ، والحّ بغاداتهم ومراوحتهم الى ان رغبوا اليه في السلم وافرج عن البلد . وتغلب الطاغية خلال ذلك على جبل الفتح ، وأقامت عساكره على

شمانة[1] واصطبونة . وزحف العباس بن رحّـو بن عبد الله ، وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لاغاثة البلدين؛ فأوقع عثمان بمعسكر اصطبونة، وقتل قائدهم ألفنس بترس في نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا . ثم زحف عثمان الى اعانة العباس ، وكان دخل عوجين ؛ فحاصرته جموع النصرانية به ؛ فانفضوا لخبر زحفه . وبلغ الخبر الى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتك عثمان في قومه؛ فسرح جموع النصرانية اليه ولقيهم عثمان ؛ فاوقع بهم وقتل زعماءهم. وارتحل الطاغية يريد لقاءهم ؛فخالفه اهل البلد الى معسكره وانتهبوا مخلفاته وفساطيطه . واتيحت للمسلمين عليهم الكرة وامتلأت الأيدي من غنائمهم واسراهم . ثم هلك الطاغية اثر هذه الهزيمة سنة اثنتي عشرة ، وهو هراندة بن شانجة ، وولي من بعده ابنه الهنشة طفلا صغيراً ، جعلوه الى نظر عمه دون بطرة ابن شانجه ، وزعيم النصرانية جوان ؛ فكفلاه . واستقام امرهم على ذلك . وشغل السلطان ابو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه ؛ فاهتبل النصرانية الغرة في الاندلس ، وزحفوا الى غرناطة سنة ثمان عشرة ، واناخوا عليها بمعسكرهم واممهم. وبعث اهل الاندلس صريخهم الى السلطان واعتذر لهم بمكان أبي العلاء من دولتهم ، ومحله من رياستهم ، وانه مرشح للامر في قومه بني مرين ، يخشى معه من تفريق

---

(١) كذا وفي ب: سمانة، وفي نسخة: سماية.

الكلمة. وشرط عليهم ان يدفعوه اليه برمته، حتى يتم امر الجهاد، ويعيده اليهم حوطة على المسلمين. ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبي العلاء بصرامته وعصابته من قومه؛ فاخفق سعيهم واستلحموا. واحاطت أمم النصرانية بغرناطة، وطمعوا في التهامها. ثم ان الله نفس مخنقهم، ودافع بيد قدرته عنهم، وكيّف لعثمان بن أبي العلاء وعصبته واقعة فيهم كانت من أغرب الوقائع. صمدوا الى موقف الطاغية بجملتهم، وكانوا زهاء مايتين أو اكثر. وصابروهم حتى خالطوهم في مراكزهم؛ فصرعوا بِطْرَة وجُوان، وولوهم الأدبار. واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شنيل؛ فتطارحوا فيها. وهلك كثيرهم، واكتسحت اموالهم، واعز الله دينه، واهلك عدوه. ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرةً لمن يتذكر. وهو باق هنالك لهذا العهد.

الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على أثره وما تخلل ذلك من الأحداث

ولما انفرج الحصار عن ولد عثمان بن يغمراسن ملوك بني عبدالواد سنة ست، وتجافى ابو ثابت عن بلادهم، ونزل لهم عما ملكه بنو مَرين منها بسيوفهم. واستقل ابو حمّو بملك بني عبد الواد على رأس الحول منها، صرف نظره واهتمامه الى بلاد الشرق؛ فتغلب على بلاد

مغراوة ، ثم على بلاد بني توجين . ومحا اثر سلطانهم . ولحق اعياصهم من ولد عبد القوي بن عطية ، وولد منديل بن عبد الرحمن بالموحدين آل أبي حفص مع من تبعهم من رؤوس قبائلهم ، وصاروا في جملة عساكرهم . واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن غمر منهم جنداً كثيفاً اثبتهم في الديوان ، وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة . ثم زحف أبو حمّو الى الجزائر وغلب ابن علان عليها ، ونقله الى تلمسان ووفى له . وفر بنو منصور امراء مليكش أهل بسيط متيجة من صنهاجة ؛ فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم . وتملك قاصية المغرب الأوسط ، وتاخم عمل الموحدين بعمله . ثم تغلب على تدلس سنة اثنتي عشرة ، وتجنى على مولانا السلطان أبي يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتزاء ابن خلوف ببجاية كما ذكرناه في اخباره ، يحث عزائمه لمنازلتها . وطلب بلاد الموحدين ، واوطأ عساكره ارضهم ، ونازل امصارهم بجاية وقسنطينة . واختص بجاية بشوكته من ذلك . وجهز العساكر مع مسعود بن عمه أبي عامر ابراهيم لمضايقتها . وكان خلال ذلك ما قدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عليه وقيام بني توجين بأمره ، واقتطاع جبل وانشريش من عمالة ملكه .

واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان ابو حمو سنة ثمان

عشرة . وقام بامرهم ابو تاشفين عبد الرحمن ؛ فصنع له في ابن عمه محمد ابن يوسف . ونهض اليه بعساكر بني عبد الواد ، حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريش . وداخله عمر بن عثمان كبير بني تيغرين في المكربه ؛ فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة . وارتحل الى بجاية ، حتى احتل بساحتها . وامتنع عليه الحاجب ابن غمر ؛ فأقام يوماً او بعضه . ثم انكفأ راجعاً الى تلمسان ، وردّد البعوث الى اوطان بجاية ، وابتنى الحصون لتجمّر الكتائب : فابتنى بوادي بجاية من اعلاه حصن بكر ثم حصن تيمزيزدكت يليه. ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلداً سماه تيمزيزدكت على اسم المعقل الذي كان لاوليهم بالجبل قبالة وجدة . وامتنع يغمراسن به على السعيد كما قدمناه ، فاختط بلد تيكلات هذه ، وشحنها بالاقوات والعساكر ، وصيّرها ثغراً لملكه ، وانزل به جنده . وعقد عليها لموسى بن علي العزفي كبير دولته ودولة ابنه . واستحثه امراء الكعوب من بني سُلَيم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى؛ فأغرس معهم جيوش زناتة ،وعقد على تونس للاعياص من آل أبي حفص : الامير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيي اللحياني، وابي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمران، وأبي اسحاق ابن أبي يحيي الشهيد ، مرة بعد اخرى كما ذكرناه في اخبارهم جميعاً . وكانت حروبهم سجالا الى ان كان بين جيوش زناتة الموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحي مرماجنة سنة تسع وعشرين ، زحفت فيه الى

السلطان أبي يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بني كعب ، ومن اليه من البدو ، وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن . وقد نصبوا للملك محمد بن أبي عمران بن أبي حفص ، ومعهم عبد الحق ابن عثمان من اعياص بني عبد الحق في بنيه وذويه . وكان نزع اليهم من عند الموحدين كما ذكرناه؛ فاختل مصاف مولانا السلطان أبي يحيى، وانهزم واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم ، وانتهبوا معسكره . وتقبضوا على ولديه الموليين احمد وعمر ، واشخصوهما الى تلمسان . واصيب السلطان في بدنه بجراحات اوهنته ، وخلص الى بونة ناجياً برمقه . وركب السفين منها الى بجاية ؛ فاقام بها يدامل جراحه . واستولت زناتة على تونس . ودخلها محمد بن ابي عمران ، سموه باسم السلطان ومقادته في يد يحيى بن موسى امير زناتة . واعتزم مولانا السلطان ابو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبي سعيد بنفسه صريخاً على آل يغمراسن . واشار حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير ابي زكرياء صاحب الثغر استنكافاً له عن مثلها ؛ فتقبل اشارته ، واركب ابنه البحر لذلك. وبعث معه ابا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين ، نافضاً امامه طرق المقاصد والمجاورات ، ونزلوا بغساسة من سواحل المغرب. وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته، وابلغوه صريخ مولانا السلطان ابي يحيى؛ فاهتز لذلك هو وابنه الامير ابو الحسن ، وقال للأمير في ذلك المحفل : يا بني ! لقد اكبر قومنا

قصدك وموصلك ، ووالله لابذلنّ في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي، ولأسيرن بعساكري الى تلمسان فانزلها مع ابيك ؛ فانصرفوا الى منازلهم مسرورين . وكان فيما شرطه عليهم السلطان ابو سعيد مسير مولانا السلطان ابي يحيى بعسكره الى منازلة تلمسان معه فقبلوا . ونهض السلطان ابو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين . ولما انتهى الى وادي ملْويّة وعسكر بصبرة ، جاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس ، واجهاضه زناتة وسلطانهم عنها . واستدعى مولانا السلطان الأمير ابا زكريا يحيى ابنه ووزيره ابا محمد عبد الله بن تافراكين ، وامرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم وحباءهم، وركبوا اساطيلهم عن غساسة . وارسل معهم للخطبة والصهر ابراهيم ابن ابي حاتم العزفي ، والقاضي بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق ، وانكفأ على عقبه راجعاً الى حضرته . ولما انعقد الصهر بين الامير أبي الحسن والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الأمير يحيى ، زفها اليهم في اساطيله مع مشيخة من الموحّدين : كبيرهم أبو القاسم بن عتّو ، ووصلوا بها الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد ، فقاموا بها على اقدام البر والتكرمة . وبعثوا الظهر الى غساسة لركوبها وحمل اثقالها ، وصيغت حكمات الذهب والفضة وقدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب ، واحتفل لوفادها واعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم . وتولت قهارمة الدار من عجز

النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك الصنيع ، وتحدّث الناس به . وهلك السلطان ابو سعيد بين يدي موصلها . والبقاء لله وحده .

الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد، عفا الله عنه، وولاية ابنه السلطان أبي الحسن، وما تخلل ذلك من الأحداث

وكان السلطان لما بلغه وصول العروس ، بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة احدى وثلاثين ، واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيماً لحق ابيها وقومها واحتفاء بها ، ارتحل السلطان ابو سعيد الى تازي ليشارف أحوالها بنفسه استبلاغاً في تكريمها وسروراً بعروس ابنه . واعتل هنالك ومرض حتى اشفى على الهلاك ، وارتحل به ولي العهد الأمير ابو الحسن الى الحضرة ، وحمله في فراشه على اكتاف الحاشية والخول ، حتي نزل بسبو ، ثم ادخله كذلك ليلاً الى داره . وادركته المنية في طريقه ؛ فقضى رحمة الله عليه ؛ فوضعوه بمكانه من البيت . واستدعي الصالحين لمواراته فووري لشهر ذي الحجة من سنة احدى وثلاثين . والبقاء لله وحده ، وكل شيء هالك الا وجهه .

ولما هلك السلطان ابو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة إلى ولي عهده الأمير أبي الحسن ، وعقدوا له على انفسهم ، واتوه بيعتهم . وامر بنقل معسكره من سبو واضرب بالزيتون من ساحة فاس . ولما ووري السلطان خرج الى معسكره في التعبية ، واجتمع

اليه الناس على طبقاتهم لاداء البيعة ، وجلس بفسطاطه . وتولى اخذ البيعة له يومئذٍ على الناس المزوار عبّو بن قاسم عريف الوزعة والمتصرفين ، وحاجب الباب القديم الولاية في ذلك بدارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب . وزفت اليه ليلتئذٍ عروسه بنت مولانا السلطان أبي يحيى ، فاعرس بها بمكانه من المعسكر ، واجمع امره على الانتقام لابيها من عدوه . وبدأ باستكشاف حال أخيه أبي علي ،وكان السلطان ابوهما يستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة . وكان ولي العهد هذا يؤثر لرضاه جهده ؛ فاعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة احواله . والله تعالى أعلم .

الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة، وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان ابو سعيد ، وكملت بيعة السلطان أبي الحسن ، وكان كثيراً ما يستوصيه باخيه أبي علي لما كان كلفاً به شفيقاً عليه ؛ فاراد مشارفة احواله قبل النهوض الى تلمسان ؛ فارتحل من معسكره بالزيتون قاصداً سجلماسة . وتلقته في طريقه وفود الأمير أبي علي اخيه مؤدياً حقه ، موجباً مبرته ، مهنياً بما اتاه الله من ملك ، متجافياً عن المنازعة فيه ، قانعاً من تراث أبيه بما حصل في يده ، طالباً العقد له بذلك من اخيه . فأجابه السلطان ابو الحسن الى ما سأل ، وعقد

له على سجلماسة وما اليها من بلاد القبلة كما كان لعهد ابيهما . وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ راجعاً الى تلمسان باجابة صريخ الموحدين . وأغذّ السير اليها . ولما انتهى الى تلمسان ، نكب عنها متجاوزاً الى ناحية الشرق، لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان ، كما كان عليه وفاقهم ومشارطهم مع الأمير أبي زكريا الرسول اليهم ؛ فاحتل بتاسالة في شعبان من سنة اثنتين وثلاثين . وتلوم بها ، واوعز الى اساطيله بمراسي المغرب ؛ فاغزاها الى سواحل تلمسان . وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مدداً من عسكره اركبهم الاساطيل من سواحل وَهْران ، وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته . ونزلوا بجاية ، ووافوا بها مولانا السلطان أبا يحيى ؛ فصاروا في جملته . ونهضوا معه الى تيكلات ثغر بني عبد الواد ، المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية ، وبها يومئذ ابن هزرع من قوادهم . واجفل من كان بها من العساكر قبل وصوله اليهم ؛ فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الاوسط . وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكره من الموحدين والعرب والبربر وسائر الحشود ؛ فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الاقوات مختزناً بها ، وكان بحراً لا يدرك ساحله ، لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد اوعز الى العمال بسائر البلاد الشرقيّة ، منذ عمل البطحاء ، ان ينقلوا اعشار الحبوب اليها وسائر الاقوات . وتقبل ابنه السلطان ابو تاشفين مذهبه في ذلك . ولم يزل

دأبهم الى حين حلّت بها هذه الفاقرة ؛ فانتهب الناس من تلك الاقوات ما لا كفاء له . وأصرعوا مختطها بالارض فنسفوها نسفاً ، وذروها قاعاً صفصفاً . والسلطان ابو الحسن خلال ذلك متشرف لاحوالهم ، منتظر قدوم مولانا السلطان أبي يحيى بعساكره عليه لمنازلة تلمسان ، حتى وافاه الخبر بانتقاض اخيه كما نذكره ؛ فانكفأ راجعاً . واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيي ؛ فقفل الى حضرته . وحمل البطوي معه وأسنى جائزته وجوائز عسكره ؛ فانصرفوا الى السلطان مرسلهم في سفنهم . وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى ان انقرض امره . والبقاء لله وحده .

الخبر عن انتقاض أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن اليه وظفره به

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تِلِمْسان ، وتجاوزها الى تاسالة لموعد مولانا السلطان أبي يحيي ، دسّ أبو تاشفين إلى الأمير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن ، وان يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه متى هم به ، وانعقد بينهما على ذلك . وانتقض الأمير أبو علي على اخيه السلطان أبي الحسن ، ونهض من سِجِلْماسَة الى درعَة ؛ فقتل بها عامل السلطان ، واستعمل عليها من ذويه ، وسرح العسكر الى بلاد مراكش . واتصل الخبر بالسلطان ،

وهو بمعسكره بتاسالة ؛ فاحفظه شأنه ، واجمع على الانتقام منه ؛ فانكفأ راجعاً الى الحضرة . وانزل بثغر تاوريرت تخم عمله عسكراً ، وعقد عليه لابنه تاشفين ، وجعله الى نظر وزيره مِنديل بن حمامه بن تيربيغين وأغذّ السير الى سجلماسة ؛ فنزل عليها واحاطت عساكره بها ، واخذ بمخنّقها . وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لحصارها والبناء بساحتها . واقام يغاديها القتال ويراوحها حولاً كريتاً . ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطئه عساكره ، ويعيث في نواحيه ، ويجاذب السلطان عن مكانه من حصاره . ولما انتهى الى تاوريرت ، برز اليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره ، وزحفوا اليه في التعبئة ؛ فاحتل مصافّة ، وانهزم ولم يلق احدا ،وعاد الى منحجزه . وبادر الى امداد الامير أبي علي بعسكره ؛ فعقد على حصة من جنوده وبعث بهم اليه ،فتسربوا الى البلد زرافات ووحدانا ، حتى استكملوا عنده . وطاولهم السلطان الحصار ، وانزل بهم انواع الحرب والنكال ، حتى تغلب عليهم ، واقتحم البلد عنوةً ،وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره . وسيق الى السلطان ؛ فامهله واعتقله واستولى على ملكه . وعقد على سجلماسة ، واستعمل عليها ، ورحل منكفياً الى الحضرة ؛ فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين . واعتقل اخاه في احدى حجر القصر الى ان قتله لأشهر اعتقاله خنقاً بمحبسه . وعذر له هذا الفتح بفتح الجبل ، واسترجاعه من يد العدو دمره الله بأيدي

عسكره تحت راية ابنه أبي مالك . كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن منازلة جبل الفتح، واستنثار الأمير أبي مالك والمسلمين به

لما هلك السلطان أبو الوليد بن الرئيس أبي السعيد المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش ، قام بالامر من بعده ابنه محمد طفلاً صغيراً الى نظر وزيره محمد بن المحروق ، من بيوت الاندلس وصنائع الدولة ، واستبد عليه . فلما شبّ وناهز ، وأنف من الاستبداد عليه ، اغراه المعلوجي من حشمه بالوزير ؛ فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين . وشمر للاستبداد وشيّد أواخي الملك . وكان الطاغية قد اخذ جبل الفتح سنة تسع ، وجاورت النصرانيّة به ثغور الفُرضة ، وصار شجىً في صدرها ، وأهمّ المسلمين شأنه . وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان من فتنة ابنه ؛ فرجّعوا الجزيرة وحصونها الى ابن الاحمر منذ سنة اثنتي عشرة لأول المائة الثامنة . واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك ؛ فرجّعوا الجزيرة الى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين . وولّى عليها السلطان أبو سعيد من اهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط واخواله . واسفّ الطاغية الى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد ؛ فملك اكثرها ومنع البحر من الاجازة . وقارن ذلك استبداد صاحب الاندلس ، وقتله لوزيره المحروق . وأهمّه شان الطاغية ؛ فبادر

الى اجازة البحر . ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه بفاس سنة اثنتين وثلاثين ؛ فاكبر موصله واركب الناس للقائه ، وانزله بروض المصارة لصق داره ، واستبلغ في تكريمه . وفاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر ، وما اهمّهم من عدوهم ، وشكا اليه حال الجبل واعتراضه شجىً في صدر الثغور ؛ فاشكاه السلطان . وعامل الله في اسباب الجهاد ، وكان مشغوفاً به متقبّلاً مذهب جده يعقوب فيه . وعقد لابنه الامير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مَرين ، وانفذه مع السلطان محمد بن اسمعيل لمنازلة الجبل ؛ فاحتل بالجزيرة ، وتتابع اليه الاسطول بالمدد . وأرسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس ؛ فتسايلوا اليه واضربوا معسكرهم جميعاً بساحة الجبل . وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن ، الى ان تغلّبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين ؛ واقتحمه المسلمون عنوةً . ونفلهم الله من كان به من النصرانية بما معهم ، ووفاه الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه ، وقد شحنه المسلمون بالاقوات نقلوها من الجزيرة على خيولهم . وباشر نقلها الأمير أبو مالك وابن الاحمر ؛ فنقلها الناس عامة . وتحيّز الامير أبو مالك الى الجزيرة ، وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلي من وزراء ابيه . ووصل الطاغية بعد ثلاث ؛ فاناخ عليه . وبرز أبو مالك بعساكره ؛ فنزل قُبالته . وبعث الى الامير أبي عبد الله صاحب الاندلس ؛ فوصل بحشد المسلمين بعد أن دوخ ارض النصرانيّة . وخرج فنزل بازاء عسكر الطاغية ،

وتحصن العدوّ في محلتهم .واقاموا كذلك عاديةً لقرب العهد بارتجاعه ، وخفة ما به من الحامية والسلاح ؛ فبادر السلطان ابن الاحمر الى لقاء الطاغية . وسبق الناس الى فسطاطه عجلًا ، بائعاً نفسه من الله في رضى المسلمين ، وسد فرجتهم ؛ فتلقاه الطاغية راجلًا حاسراً إعظاماً لموصله . وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل ، واتحفه بذخائر مما لديه ، وارتحل لفوره . واخذ الامير أبو مالك في تثقيف اطراف الثغر ، وسد فروجه ، وازال الحامية به ، ونقل الاقوات اليه . وكان فتحاً طوى دولة السلطان أبي الحسن قلادة الفخر آخر الايام . ثم رجع بعدها الى شأنه من منازلة تلمسان وحصاره ، كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن حصار تلمسان، وتغلب السلطان أبي الحسن عليها، وانقراض بني عبد الواد بمهلك أبي تاشفين

لما تغلب السلطان على اخيه ، وحسم علة انتزائه ومنازعته ، وسد ثغور المغرب ، وعظمت لديه نعمة الله بظهور عسكره على النصرانية ، وارتجاع جبل الفتح من ايديهم ، بعد ان أقام في ملكتهم نحواً من عشرين سنة ، فرغ لعدوه واجمع على غزو تلمسان . ووفد عليه رسل السلطان أبي يحيى في سبيل التهنئة بالفتح والأخذ بحجزة أبي تاشفين على الثغور . واوفد السلطان رسله الى أبي تاشفين شفعاً ، وان يتخلى

عن عمل الموحدين جملة ، وينزل لهم عن تدلس ، ويرجع الى تخم اعمالهم منذ اول الامر ، ولو عامئذٍ ، ليعلم الناس جاه السلطان عند الملوك ، ويقدروه حق قدره . واستنكف أبو تاشفين من ذلك ، ولجّ واغلظ للرسل في القول ، وافحش بمجلسه بعض السفهاء من العبدى في الرد عليهم ، والنيل من مرسلهم ؛ فانقلبوا بما احفظه ؛ فانبعثت عزائم السلطان للصعود اليهم . وعسكر بساحة البلد الجديد ، وبعث وزراءه الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والعساكر . ثم تعجّل فاعترض جنوده وازاح عللهم وعبّأ مواكبه . وسار في التعبئة ، وفصل بمعسكره من فاس اواسط خمس وثلاثين . وسار يجر الشوك والمدد من أمم المغرب وجنوده . ومر بوجدة ؛ فجمر الكتائب لحصارها . ثم مر بندرومة ، فقاتلها بعض يوم واقتحمها ؛ فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس . ثم سار على تعبئته حتى اناخ على تلمسان ، وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين ؛ فاوعز اليهم بتخريب اسوارها ؛ فاصرعوها بالارض .

وتوافت اليه امداد النواحي وحشودها ، وربض على فريسته . ووفدت عليه قبائل مَغْراوة وبني توجين ؛ فاتوه طاعتهم . ثم سرح عساكره الى الجهات ؛ فتغلب على وَهْران وهُنَيْن ، ثم على مِليانة وتَنَس والجزائر ، كل ذلك سنة ست وثلاثين . ونزع اليه يحيى بن

موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله ، والمتاخم كان لعمل الموحدين ، والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن علي ؛ فلقّاه مبرة وتكريماً ورفع مجلسه في بساطه ، ونظمه في طبقات وزرائه وجلسائه . وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكري كبير بني عسكر ابن محمد ، وشيخ بني مَرين وصاحب شوراهم بمجلس السلطان ، والمخصوص بالصهر من السلطان ، عقد له على ابنته ؛ فسار في الألوية والجنود وطوّع ضاحية الشرق وقبائله ، وافتتح امصاره ، حتى انتهى الى المدية. ونظم البلاد في طاعة السلطان ، واحشد مقاتليها الي معسكره فلحقوا به وكاثروا جنوده . واستعمل السلطان على وانشريش وعمل الحشم من بني توجين . وعقد لسعد بن سلامة بن علي على بني يدللتن . وجعل الوالي بالقلعة الى نظره . وكان خلص اليه بالمغرب قبل فصوله نازعاً عن أبي تاشفين لمكان اخيه قريعه محمد من الدولة .

واستعمل السلطان أيضاً على شلف وسائر اعمال المغرب الاوسط. واختط السلطان بقرب تلمسان[1] البلد الجديد لسكناه ، ونزل عساكره وسماه المنصورة .[2] وادار على البلد المخروب سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق. ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه. وشيد قبالة كل برج من ابراج البلد برجاً على ساقه خندقه ، ينضح رماته بالنبل

(١) كذا، وفي ب: بغربي تلمسان.
(٢) كذا، وفي ب: المنصورية.

رماتهم، وشغلوهم بانفسهم حتى شيدوا برجاً آخر أقرب منه ، وترتفع شرفاته فوق خندقهم . ولم يزل يتقرّب بوضع الابراج من حد الى ما بعده ، حتى اختطها من قرب على ساقة خندقهم . وتماصع المقاتلة بالسيوف من اعاليها ، وقربت المجانيق الى رجمها ودكها ؛ فنالت من ذلك فوق الغاية . واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار . وكان السلطان يصابحهم كل يوم بالبكور والطواف على البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة في مراكزهم ، وربما ينفرد في تطوافه بعض الايام عن حاشيته ؛ فاهتبلوا الامر يحسبونه غرة . وصفّوا جيوشهم من وراء السور مما يلي الجبل المطل على البلد ، حتى اذا حاذاه السلطان في تطوافه ، فتحوا ابوابهم ، وارسلوا عليه عقبان جنودهم ؛ فاضطروه الى سفح الجبل ، حتى لحق باوعاره ، وكاد ان ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى امير سويد . ووصل الصائح الى المعسكر ؛ فركب الاميران ، ابناه : أبو عبد الرحمن وأبو مالك ، في جموع بني مرين ، وتهاوت فرسان المعسكر من كل جانب ؛ فشمروا جنود بني عبد الواد الى مراكزهم . ثم دفعوهم عنها ، وحملوهم على هوة الخندق ؛ فتطارحوا فيها وترادفوا وهلك بالكظيظ اكثر مما هلك بالقتل . واستلحم في ذلك اليوم زعماء ملاحمهم : مثل عمر بن عثمان كبير الجشم من بني توجين ، ومحمد بن سلامة ابن علي كبير بني يدللتن منهم ايضاً وغيرهم . وكان يوماً له ما بعده . واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ .

ونذر بنو عبد الواد بالتغلّب عليهم ، واتصلت الحرب عامين . ثم اقتحمها السلطان غلاباً لسبع وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين . ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته ، وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي ، ووليه عبد الحق بن عثمان ابن محمد من اعياص آل عبد الحق . نزع اليه من جملة الموحدين كما اشرنا اليه ، ونستوفي في اخبـاره . فهلك هو وابنه وابن اخيـه ، واثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحـات . ووهن لها ؛ فتقبض عليه واحتقبـه بعض الفرسان الى السلطان ؛ فلقيه الامير أبو عبد الرحمن صـالي تلك الحروب ووارد غمرتها بنفسه ؛ فاعترضه وقد غص الطرق بموكبه ، فامر بـه للحين ؛ فقتل واحتز رأسه . وسخط ذلك السلطان مـن فعله لحرصه على توبيخه وتقريعه ، وذهب مثلاً في الغابرين . واقتحم السلطان بكافة عساكره ، وتواقع الناس بباب كشوط لجنوبهم من كظيظ الزحام ؛ فهلك منهم أمم .

وانطلقت ايدي النهب على البلد ، فلحقت الكثير من اهله معرّة في اموالهم وحرمهم . وخلص السلطان الى المسجد الجامع مع ثلّة من خواصه وحاشيته . واستدعى شيوخ الفتيا بالبلـد : أبو زيـد وأبو موسى ابنا الامام ، وفاء بحق العـلم واهله ؛ فخلصوا اليه بعد الجهـد ووعظوه وذكروه بمـا نال الناس من النهب ؛ فركب لذلك بنفسه

وسكن ووزع جنوده واشياعه عن الرعية ، وقبض ايديهم عن الفساد وعاد الى معسكرهَ بالبلد الجديد . وقد كمل الفتح وعز النصر ، وشهد ذلك اليوم أبو محمد عبد الله بن تافراكين ، وافاه رسولاً عن مولانا السلطان أبي يحيى مجدّداً للعهد ؛ فاعجله السلطان الى مرسله بالخبر وسابق السابقين . ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح ؛ فعظم السرور عند السلطان أبي يحيى بهلك عدوه والانتقام منه بشارة ، واعتدّها بمساعيه . ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بني عبد الواد اعدائهم ، وشفا نفسه بقتل سلطانهم ، وعفا عنهم وثبتهم في الديوان ، وفرض لهم العطاء ، واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم . وجمع كلمة بني واسين من بني مَرين وبني عبد الواد وتوجين ، بل وسائر زناتة . وانزلهم ببلاد المغرب ، وسدّ بكل طائفة منهم ثغراً من اعماله . وساروا عُصباً تحت لوائه ؛ فانزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة ، واجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين ، واندرجوا في جملته ، واتسع نطاق ملكه . واصبح ملك زناتة ، بعد ان كان ملك بني مَرين . وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب . والارض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

الخبر عن نكبة الأمير أبي عبد الرحمن بمتيجة، وتقبض السلطان عليه، ثم مهلكه اخرا

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبي سعيد على الموحدين منازلتهم تلمسان مع عساكره ، وتلوّم السلطان أبو الحسن بتاسالة لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى . ولما نازل تلمسان بعساكره المرة الثانية ، لم يطالبهم بذلك . وكان ابو محمد بن تافراكين يتردّد اليه ، وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤدّياً حقه مستخبراً مآل عدوهم . فلما تغلّب على تلمسان أسرّ اليه سفيرهما أبو محمد بن تافراكين بأنّ سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه . وتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ؛ فارتحل من تلمسان سنة ثمان وثلاثين ، وعسكر ببسيط متيجة منتظراً وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه . وتكاسل السلطان عنها لما اراه سيفه المتحكم في دولته محمد ابن الحكيم من حذر مغبتها ، وقال له : إنّ لقاء سلطانين لا يتفق إلاّ في يوم على احدهما ، فنكره لذلك السلطان وتقاعد عنه . وطال مقام السلطان أبي الحسن في الموعد الذي القي اليه أبو محمد بن تافراكين ، واعتل لاشهر من مقامه ومرض بفسطاطه . وتحدث اهل المعسكر بهلكه . وكان ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين في ولاية عهده منذ ايام جدهما أبي سعيد . وكان السلطان قد جعل لهما من

اول دولته القاب الامارة واحوالها ، من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالمعسكر ، فكانا من ذلك على ثبج . وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله ، والمناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية ؛ فكانا لذلك رديفين له في سلطانه .

ولما اشتد وجع السلطان تمشّت سماسرة الفتن بين هذين الاميرين وحزبوا اهل المعسكر لهما أحزاباً ، وبث كل واحد منهما المال وحمله على القربات . وصاروا شِيَعاً وانقسموا فرقاً . وهمّ الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الامر ، قبل ان يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك . وتفطّن خاصة السلطان لها ؛ فاخبروه الخبر . وحضوه على الخروج الى الناس قبل ان يتفاقم الامر ويتسع الخرق ؛ فبرز الى فسطاط جلوسه . وتسامع اهل المعسكر به ؛ فازدحموا على مجلسه وتقبيل يديه . وتقبّض على اهل الظِنّة من العسكر ؛ فاودعهم السجن وسخط على الاميرين . ورحل الناس من معسكرهما ؛ فردهما الى معسكره . ثم رجع الى فسطاطه ؛ فارتاب الاميران لذلك ووجما ؛ وطفئت نار فتنتهما . وسكن سعي المفسدين عندهما ، وانتبذ الناس عنهما . واشتدت روعة الامير أبي عبد الرحمن ، وركب من فساطيطه وخاض الليل ، وأصبح بحلة اولاد زغلى أمراء زغبة الموطّنين بأرض

حمزة ؛ فتقبّض عليه اميرهم موسى بن أبي الفضل . ورده الى ابيه ؛ فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه ، الى ان قتله بعد ذلك سنة اثنتين واربعين . توثب بالسجان فقتله . وانفذ السلطان حاجبه علاّل بن محمد ؛ فقضى عليه . ولحق وزيره زَيّان بن عمر الوطاسي بالموحدين ؛ فاجاروه . ورضي السلطان صبيحة نزوع أبي عبد الرحمن عن اخيه أبي مالك ، وعقد له على ثغور عمله بالاندلس ، وصرفه اليها ، وانكفأ الى تلمسان . والله اعلم .

الخبر عن خروج ابن هيدور، وتلبيسه بأبي عبد الرحمن

لما تقبّض السلطان على ابنه أبي عبد الرحمن واودعه السجن ، تفرق خدمه وحشمه وانذعروا في الجهات . وهمل جازر من مطبخه ، كان يعرف بابن هيدور ، كان شبيهاً له في الصورة ، فلحق ببني عامر من زغبة . وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة ، خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه قد اختصّ عريف بن يحيى امير بني سويد اقتالهم ، منذ نزع اليهم عن أبي تاشفين . فركبوا سنن الخلاف ولبسوا جلدة النفاق ، وانتبذوا بالقفار . ورياستهم لذلك العهد لصغير بن عامر واخوته . وعقد السلطان على حربهم لونزمار ابن وليّه عريف . وكان سيّد البدو يومئذ ؛ فجمع لهم وشمّر لطلبهم . وابعدوا امامه في المذهب ، واوقع بهم مرارا . ولحق بهم هذا الجازر ، وانتسب لهم الى

السلطان أبي الحسن ، وانـه أبو عبد الرحمن ابنه النازع عنـه ؛ فشبه لهم . وبايعوه وأجلبوا به على نواحي المدية . وبرز اليهم قائدها مجاهـد من صنائع الدولة ؛ ففضوا جمعه وانهزم امامهم . ثم جمـع لهم ونزمار وفروا عن تلك النواحي ، وافترق جمعهم . ونبذوا الى ذلك الجـازر عهده ؛ فلحق ببني يراتن من زواوة ، ونزل على سيدتهم شمسي ؛ فقامت بامره . وحمل بنوها من بني عبد الصمد قومهم على طاعته . وشاع في الناس خبره : فمن مصدق ومـكذب ، حتى تبينت حاله ، ووقفوا على كذبه في انتسابه ؛ فنبذوا اليه عهـده . ولحق بالدواودة امراء رياح ، ونزل على سيدهم يعقوب بن علي ، وانتسب له في مثل ذلك النسب ؛ فاجاره الى ان صدق نسبه . واوعز السلطان الى مولانا السلطـان أبي يحي في شأنه ؛ فبعث الى يعقوب بن علي فيه . وارسل اليـه زيّان بن عمر وزير أبي عبـد الرحمن النـازع اليهم ؛ فكشف لهم عن خبثـه ؛ فتقبض عليه يعقوب ، واشخصه الى السلطان مع ذويه ؛ فلحق به بمكانه من سَبْتَـة ؛ فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وانحسم داؤه . وبقي بالمغرب تحت جراية من الدولة ، الى ان هلك سنة ثمـان وستين (١) . والله تعالى أعلم .

(١) كذا، وفي ب : سنة ثمان وثمانين .

الخبر عن شأن الجهاد، واغزاء السلطان ابنه الأمير أبا مالك واستشهاده

لما فرغ السلطان من امر عدوه وما تبع ذلك من الاحوال ، صرف اعتزامه الى الجهاد ، لما كان كلفاً به . وكان الطاغية منذ شغل بنو مرين عن الجهاد ، منذ عهد يوسف بن يعقوب ، وقد اعتزوا على المسلمين بالعدوة . ونازلوا معاقلهم ، وتغلبوا على الكثير منها ، وارتجعوا الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة . ووضعوا عليهم الجزية؛ فتقبلوها واسفوا الى التهام المسلمين بالاندلس . فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه ، وغلب على الأيدى يده، وانفسح نطاق ملكه ، دعته نفسه الى الجهاد . واوعز الى ابنه الأمير أبي مالك ، امير الثغور من عمله، من الدعوة سنة اربعين ، بالدخول الى دار الحرب . وجهز اليه العساكر من حضرته ،وانفذ اليه الوزراء ؛ فشخص غازياً في الجحفل ، وتوغل في بلاد الطاغية واكتسحها ،وخرج بالسبي والغنائم الى ادنى صدرة من ارضهم واناخ بها . واتصل الخبر بأنّ النصارى جمعوا له ، واغذّوا السير في اتباعه . واشار عليه الملأ بالخروج عن أرضهم ، واجازة الوادي الذي كان تخماً بين أرض الاسلام ودار الحرب . وان يسير الى مدن المسلمين ؛ فيمتنع بها ؛ فلج في ابايته وصمم على التعريس .وكان قدُما ثبتاً ، إلاّ انه كان غير بصير بالحروب

لمكان سنه ؛ فصبحتهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل ان يستركبوا وخالطوهم في ابياتهم . وادرك الامير أبو مالك قبل ان يستوي على فرسه ؛ فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه ، واحتووا على المعسكر بما فيه من اموال المسلمين ، ورجعوا على اعقابهم . واتصل الخبر بالسلطان ؛ فتفجع لمهلك ابنه واسترحم له . واحتسب عند الله اجره وفي سبيله قتله . وشرع في اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل .

الخبر عن واقعة الملند، والظفر به، وظهور أساطيل المسلمين على أسطول النصارى

لما بلغ الخبر الى السلطان باستشهاد ابنه ، أخرج وزراءه الى السواحل لتجهيز الأساطيل . وفتح ديوان العطاء ، واعترض الجنود وازاح عللهم . واستنفر اهل المغرب ، وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد . وتسامعت النصرانية بذلك ؛ فاستعدوا للدفاع . وأخرج الطاغية اسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة . واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مرسى العُدْوَة . وبعث الى الموحدين بتجهيز اسطولهم اليه ؛ فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد اسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة في ستة عشر من أساطيل افريقية . كان فيها من طرابُلُسَ وقابس وجَرْبَة وتونس وبونَة وبجاية .

وتوافت اساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة. وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي، الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها، وامره بمناجزة اسطول النصارى بالزقاق. وقد اكمل عديدهم وعدتهم؛ فاستلأموا وتظاهروا في السلاح. وتزاحفوا الى اسطول النصارى، وتواقفوا ملياً. ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاع، ولم يكن إلاّ كلا ولا، حتى هبّت ريح النصر، واظفر الله المسلمين بعدوّهم، وخالطوهم في اساطيلهم. واستلحموهم قهراً بالسيوف وطعناً بالرماح، والقوا أشلاءهم في اليم. وقتلوا قائدهم الملند، واستاقوا اساطيلهم مجنوبة الى مرسى سبتة؛ فبرز الناس لمشاهدتها. وطيف بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد. ونظمت اصفاد الاسارى بدار الانشاء. وعظم الفتح، وجلس السلطان للتهنئة، وانشدت الشعراء بين يديه. وكان يوماً من أغرّ الأيام. والمنة لله سبحانه.

الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين

لما ظفر المسلمون باسطول النصارى، وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز، شرع السلطان في اجازة العساكر الغزاة من المرتزقين. وانتظمت الاساطيل بسلسلة واحدة من العدوة الى العدوة. ولما استكمل اجازة العساكر، اجاز هو في اسطوله وخاصته وحشمه آخر سنة اربعين. ونزل بساحة طريف، واناخ بعساكره عليها، واضطرب

معسكره بفنائها ، وبدأ بمنازلتها . ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بعسكر الاندلس ، من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو ؛ فعسكروا حذو معسكره ، واحاطوا بطريف نطاقاً واحداً ، وانزلوا بهم انواع القتال ، ونصبوا عليها الآلات . وجهز الطاغية اسطولاً آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال ثواهم بمكانهم من حصار البلد ؛ ففنيت ازوادهم وافتقدوا العلوفات ؛ فوهن الظهر واختلت احوال المعسكر . واحتشد الطاغية أمم النصرانية ، وظاهره البرتغال : صاحب اشبونة وغرب الاندلس ، فجاء معه في قومه . وزحف اليهم لستة أشهر من نزولهم . ولما قرب من معسكرهم سرب الى طريف جيشاً من النصارى أكمنهم بها ؛ فدخلوها ليلاً على حين غفلة من العسس الذي أرصد لهم . واحسوا بهم آخر ليلتهم ؛ فثاروا بهم من مراصدهم . وادركوا اعقابهم قبل دخول البلد ؛ فقتلوا منهم عدداً ولبّسوا على السلطان بان لم يدخل البلد سواهم حذراً من سطوته . وزحف الطاغية من الغد في جموعه ، وعبّأ السلطان عساكر المسلمين صفوفاً وتزاحفوا . ولما نشب الحرب برز الجيش الكمين من البلد ، وخالفوهم الى المعسكر ، وعمدوا الى فساطيط السلطان . ودافعهم عنها الناشبة الذين اعدوا لحراستها ؛ فاستلحموهم . ثم دافعهم النساء عن انفسهن ، فقتلوهن وخاصوا الى حظايا السلطان : عائشة بنت عمه أبي يحي بن يعقوب ، وفاطمة بنت

مولانا السلطان أبي يحيى ملك افريقية وغيرها من حظاياه ؛ فقتلوهن واستلبوهن . وانتهبوا سائر الفساطيط ، واضرموا المعسكر ناراً . وأحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم ؛ فاختل مصافّهم وارتدوا على اعقابهم ، بعد ان كان ابن السلطان صمم في طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم في صفوفهم ؛ فاحاطوا به وتقبّضوا عليه . وولي السلطان متحيّزاً الى فئة المسلمين . واستشهد كثير من الغزاة . ووصل الطاغية الى فسطاط السلطان من المحلة . ونكر قتل النساء والولدان ، ووقف منها بمنتهى اثره ، وانكفأ راجعاً الى بلاده . ولحق ابن الاحمر بغرناطة ، وخلص السلطان الى الجزيرة ، ثم الى الجبل . ثم ركب السفين الى سبتة في ليلته . ومحص الله المسلمين ، واجزل مثوبتهم ، وأرجأ لهم الكرّة على عدوهم.

الخبر عن منازلة الطاغية الجزيرة، ثم تغلبه عليها، بعد أن غلب على القلعة من ثغور ابن الأحمر

لما رجع الطاغية من واقعة طريف استأسد على المسلمين بالاندلس ، وطمع في التهامهم ، وجمع عساكر النصرانية ، ونزل قلعة بني سعيد ثغر غرناطة ، وعلى مرحلة منها . وجمع الآلات والايدي على حصارها ، واشتد مخنقها . واصابهم الجهد من العطش ؛ فنزلوا على حكمه سنة اثنتين واربعين . وادال الله الطيب منها بالخبيث ، وانصرف الى بلده .

وكان السلطان ابو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعودة الى الجهاد لرجع الكرة وبعث في الامصار للاستنفار، واخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكمل له منها عدد. ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها، وقدم عسكره الى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت. وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير، وبعث اليها مدداً من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرنياني من المرشحين للوزارة ببابه. وبلغ الطاغية خبره؛ فجهز اسطوله واجراه الى بحر الزقاق لمدافعته. وتلاقت الاساطيل؛ فمحص الله المسلمين. واستشهد منهم اعداد. وتغلب اسطول الطاغية على بحر الزقاق، وملكوه دون المسلمين. واقبل الطاغية من اشبيلية يجرُ عساكر النصرانية، حتى اناخ بها على الجزيرة الخضراء، مرقى اساطيل المسلمين وفرضة المجاز. وامل أن ينظمها في ملكته مع جارتها طريف. وحشد الفعلة والصناع للآلات، وجمع الايدي عليها وطاولها الحصار. واتخذ اهل المعسكر بيوتاً من الخشب للمطاولة. وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الاندلس؛ فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة. واقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرّب اليها المدد، من الفرسان والمال والزرع، في احايين الغفلة من اساطيلهم، وتحت جناح الليل؛ فلم يغنهم ذلك؛ واشتد عليهم الحصار واصابهم الجهد. واجاز اليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية، بعد

ان أذن له الطاغية في الاجازة مكراً به . وترصدته بعض الاساطيل في طريقه ؛ فصدقهم المسلمون القتال ، وخلصوا الى الساحل بعد عصب الريق ؛ فضاقت احوال هذه الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان . وسألوا من الطاغية الأمان على ان ينزلوا عن البلد ؛ فبذله وخرجوا فوفى لهم . واجازوا الى المغرب سنة ثلاث واربعين ؛ فانزلهم السلطان ببلاده خير نزل ، ولقّاهم من المبرة والكرامة ما اعاضهم مما فاتهم ، اوخلع عليهم وحملهم واجازهم بما تحدث به الناس . وتقبّض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره في المدافعة ، مع تمكنه منها بما كان لديه من العساكر . وانكفأ السلطان الى حضرته موقناً بظهور أمر الله ، وانجاز وعده برجع الكرة وعلوّ الدين . ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .

الخبر عن شفاعة صاحب تونس في أولاد أبي العلاء ووصولهم الى السلطان

كان عثمان بن أبي العلاء من أعياص آل عبد الحق ، شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالأندلس . وكان له فيها مقام معلوم ، في حماية الثغور ، ومدافعة العدو ، وغزو دار الحرب ، ومساهمة صاحب الاندلس الجهاد كما نستوفي في اخباره . وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ به اهل الاندلس ، اعتذر بمكانه بينهم . واستشرط عليهم ان

يمكنوه من قياده حتى يقضي نوبة الجهاد ؛ فلم يسعفوه بذلك . ولما هلك عثمان بن أبي العلاء قام بأمره من بعده في مراسم الجهاد بنوه ، وكانوا يرجعون في رياستهم الى كبيرهم أبي ثابت عامر . وقويت عصابتهم بالابناء والموالي ، وعلت على يد السلطان يدهم ، واستبدوا عليه في اكثر الاحوال ، واستنكف لها ، وكان ذلك مما دعاه الى القدوم على السلطان أبي الحسن . وارتاب بنو أبي العلاء باجازته اليه ، واتهموه على انفسهم ، واستعدّهم الى منازلة جبل الفتح على كره . فلما تغلب المسلمون عليه ، وقضى ابن الاحمر من مدافعة الطاغية عنه بالرغبة ما قضى كما ذكرناه ، واعتزم على القفول الى حضرته ، اجمعوا الفتك به في طريقه . وداخلوا في ذلك مواليه من المعلوجي ، لما اسفهم به ارهاف حده ، والتضيّق عليهم في جاهه ؛ فبرموا وطووا على النثّ . حتى إذا وجدوا من بني أبي العلاء داعية الى ذلك ، خفوا الى اجابتها . ونذر بهم محمد بن الاحمر ؛ فبعث عن السفين يعترضه في طريقه .وساحل اليه ، وتسابقوا لشأنهم قبل فوته ؛ فادركوه دون حصن اصطبونة . وعتبوه فاستعتب ؛ ثم اغلظوا في القول ، وقتلوا مولاه عاصماً صاحب ديوان العطاء تجنّياً عليه . ونكر السلطان ذلك ؛ فتناولوه بالرماح طعناً ، حتى قعصوه . ورجعوا الى المعسكر ، فاستدعوا من كان داخلهم من الموالي . وجاءوا بأخيه أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد؛ فبايعوا له واصفقوا على تقديمه . وسرّح لحينه قائده ابن عزون ؛

فاستولى له على دار ملكه ، وتم امره . وحجبه رضوان مولى أبيهم ، واستبد عليه ، وسكن بين جنبيه من بني أبي العلاء وقتلهم لاخيه داء دخيل . حتى إذا سما السلطان أبو الحسن الى الجهاد ، واجاز المدد الى ثغور عمله بالاندلس ، وعقد لابنه الامير أبي مالك ، أسرّ اليهم في شان بني أبي العلاء ما كان أبوه السلطان ابو سعيد اشترط عليهم في مثلها . ووافق منهم داعية لذلك ؛ فتقبض عليهم ابو الحجاج واودعهم المطبق أجمع . ثم اشخصهم في السفين الى مراسي افريقية ؛ فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيي . وبعث فيهم السلطان أبو الحسن اليه ، فاعتقلهم . ثم أوعز اليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون بن بكرون في اشخاصهم الى حضرته؛ فتوقف عنها . وابى من اخفار ذمته ، وتوسوس اليه وزيره أبو محمد بن تافراكين بأنّ مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر . ورغب في منة السلطان ببعثهم اليه ، والمبالغة في الشفاعة فيهم علماً بان شفاعته لا تردّ ، فأجابه الى ذلك ، وجنبوهم اليه مع ابن بكرون . واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتابة الشفاعة فيهم من السلطان . وقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين واربعين ؛ فتاقاهم بالبر والترحيب اكراماً لشفيعهم . وانزلهم بمعسكره ، وجنب لهم القربات بالمراكب الثقيلة ، وسرب لهم الفساطيط ، وأسنى لهم الخلع والجوائز ، وفرض لهم اعلى رتب العطاء ، وصاروا في جملته . ولما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة ، سعي

عنده فيهم بأن كثيراً من المفسدين يداخلونهم في الخروج والتوثب على الملك ؛ فتقبض عليهم واودعهم السجن بمكناسة ؛ الى ان كان من خبرهم مع ابنه أبي عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى . والله أعلم .

الخبر عن هدية السلطان الى المشرق، وبعثه بنسخة المصحف من خطه الى الحرمين والقدس

كان للسلطان أبي الحسن مذاهب في ولاية ملوك المشرق ، والكلف بالمعاهد الشريفة تقبّله من سلفه ، وضاعفه لديه متين ديانته . ولما قضى من امر تلمسان ما قضى ، وتغلب على المغرب الأوسط ، وصار اهل النواحي تحت ربقة منه ، واستطال بجناح سلطانه ، خاطب لحينه صاحب مصر والشام محمد بن قلاوون الملك الناصر ، وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج في سابلتهم . وكان فرانقه[1] في ذلك فارس بن ميمون بن ودرار . وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف . واجمع السلطان على كتابة نسخة أنيقة من المصحف الكريم بخط يديه ، ليوقفها بالحرم الشريف قربة الى الله وابتغاء للمثوبة . فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها ، والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها . ووُضع لها وعاء مؤلف من خشب

---

(١) الفرانق: البريد، وربما سموا دليل الجيش فرانقاً، فارسي معرب. ـ قاموس. وهو هنا، بمقتضى السياق: صاحب البريد.

الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة ، وغشي بصفائح الذهب ، ونظم بالجوهر والياقوت ، واتخذت له اصونة الجلد المحكمة الصناعة المرقوم أديمها بخيوط الذهب ومن فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان . واخرج من خزائنه أموالاً عيناً لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفاً على القراء فيها . واوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام ، من خواص مجلسه وكبار اهل دولته ، عريف ابن يحيي أمير زغبة، والسابق القدم في بساطه على كل خالصة ، وعطية ابن مُهَلْهِل بن يحيي كبير الخولة . وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبي مَدْيَن ، وعريف الوَزَعَةِ بدولته ، وصاحب الباب عبّو بن قاسم المزوار . واحتفل في الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالاً تحدث به الناس دهراً . ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدْين هذا الرسول ووعيته وانسيته . وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسماية من عتاق الخيل المقربات ، بسروج الذهب والفضة ولجمها ، خالصاً ومغشى ونموهاً . وخمسماية حمل من متاع المغرب وماعونه واسلحته ، ومن نسج الصوف المحكم ثياباً وأكسية وبرانس وعمائم ، وأزُراً مُعلمَة وغير معلمَة . ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون ، وسادجاً منمقاً . ومن الدّرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المتعارف ، وتنسب الى اللمط . ومن خرثى المغرب وماعونه ما يستظرف صناعته بالمشرق ، حتى لقد كان فيها مِكيل من

حصى الجوهر والياقوت . واعتزمت حظيّة من حظايا ابيه على الحج في ركابه ذلك ؛ فاذن لها واستبلغ في تكريمها . واستوصى بها وافده وسلطان مصر في كتابه . وفصلوا من تِلِمْسان ، وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وهديتهم ؛ فتقبلها وحسن لديه موقعها . وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوماً مشهوداً تحدث به الناس دهراً ، ولقّاهم في طريقهم انواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ، ووضعوا المصحف الكريم بحيث أمرهم صاحبهم . واسنى هدية السلطان من فساطيطهم الغريبة الهيكل والصنعة بالمغرب ، ومن ثياب اسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم وصلتهم . وبقي حديث هذه الهدية مذكوراً بين الناس لهذا العهد .

ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الأول ، ووقفها على القرّاء بالمدينة ، وبعثها مع من تخيّره لذلك العهد من اهل دولته . واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى ان هلك سنة احدى واربعين . وولي الامر من بعده ابنه ابو الفداء اسمعيل ؛ فخاطبه السلطان واتحفه وعزاه عن ابيه . واوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج ببابه أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مَدْيَن ؛ فقضى من وفادته ما حمل . وكان شأنه عجباً في اظهار أبّهة سلطانه ، والانفاق على المستضعفين من الحاج في سبيلهم ، واتحاف رجال الدولة التركية

بذات يده ، والتعفف عما في ايديهم . ثم شرع السلطان بعده عند استيلائه على افريقية كما نذكره في كتابة نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس؛ فلم يقدر على اتمامها. وهلك قبل فراغه من نسخها كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر معروف ، يتطاول به الى مناغاة الملوك الأعاظم واقتفاء سننهم في مهاداة الأقتال والانظار ، وانفاذ الرسل على ملوك القاصية والتخوم البعيدة . وكان ملك مالي أعظم ملوك السودان لعهده مجاوراً لملكه بالمغرب على ماية مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية . ولما غلب بني عبد الواد على تلمسان ، وابتزهم ملكهم ، واستولى على ممالك المغرب الأوسط ، وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله ، وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب واهانة العدو ، شاعت اخبار ذلك في الآفاق . وسما سلطان مالي منسا موسى المتقدم ذكره في اخبارهم الى مخاطبته ؛ فاوفد عليه فرانقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة ؛ فوفدوا على السلطان في التهنئة بالتغلب والظفر بالعدو ؛ فكرم وفادتهم واحسن مثواهم ومنقلبهم . ونزع الى طريقته

في الفخر ؛ فانتخب طرفاً من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره واسناها . وعين رجالاً من اهل دولتــه ، كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مَـديَـن ؛ ومولاه عنبر الخصي . وانفذهم بها على ملك مالي منسا سليان بن منسا موسى ، لمهلك ابيه قبل مرجع وفده . واوعز الى أعراب الفلاة من اَلمعْـقِـلِ بالسير معهم ذاهبين وجائين ؛ فشمر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جار الله من المعقل ، وصحبهم في طريقهم امتثالاً لأمر السلطان . وتوغل ذلك الركاب في القفر الى بلد مالي ، بعد الجهد وطول المشقة ؛ فاحسن مبرتهم واعظم موصلهم وكرم وفادتهم ومنقلبهم . وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون سلطانه ، ويوجبون حقه ، ويؤدون من خضوع مرسلهم وقيامــه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به ؛ فأدوا رسالتهم . وبلغ السلطان ارباً من اعتزازه على الملوك ، وخضوعهم لسلطانه . وقضى حق الشكر لله في صنعه .

الخبر عن أصهار السلطان الى صاحب تونس

لما هلكت ابنة مولانا السلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن بفساطيطه ، بقي في نفسه منها شيء حنيناً الى ما شغفته من خلالها وعزة سلطانها ، وقيامها على بيتها ، وظرفها في تصرفاتها ، والاستمتاع باحوال الترف ولذاذة العيش في عشرتها ؛

فسما امله الى الاعتياض منها ببعض اخواتها . واوفد في خطبتها وليّه عريف بن يحيى أمير زغْبَة ، وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين ، وفقيه الفتيا بمجلسه أبا عبد الله محمد ابن سليمان السطي ، ومولاه عنبر الخصي ؛ فوفدوا يوم مثنى من سنة ست واربعين . وانزلوا منزل البر ، واستبلغ في تكريمهم . ودس الحاجب أبو محمد عبد الله بن تافراكين الى سلطانه غرض وفادتهم ؛ فأبى عن ذلك صوناً لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال ، واستعظاماً لمثل هذا العرس . ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ، ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته ، مع الاذمة السالفة بينهما من الصهر والمخالطة ، الى ان أجاب وأسعف . وجعل ذلك اليه ؛ فانعقد الصهر بينهما . واخذ الحاجب في شوار العروس ، وتأنق فيه ، واحتفل واستكثر ، وطال ثواء الرسل الى ان استكمل . وارتحلوا من تونس لشهر ربيع من سنة سبع . واوعز مولانا السلطان أبو يحيى الى ابنه الفضل صاحب بونة ، وشقيق هذه العروس ان يزفّها على السلطان أبي الحسن قياماً لحقه . وبعث من بابه مشيخة من الموحدين ، مقدّمهم عبد الواحد بن أكمازير ، صحبوا ركابها إليه . ووفدوا جميعاً على السلطان . واتصل بهم الخبر أثناء طريقهم بهلك مولانا أبي يحيى عفا الله عنه ؛ فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه . واستبلغ في تكريمهم ، واجمل موعد أخيه الفضل بسلطانه ، ومظاهرته

على تراث أبيه ، فاطمأنت به الدار الى ان سار في جملة السلطان ،وتحت الويته الى افريقية ، كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه الى ملك افريقية ؛ لولا مكان مولانا السلطان أبي يحيى من ولاية صهره ، وأقام يتحين لها الوفاة . ولما بعث اليه في الصهر ، واشيع بتلمسان ان الموحّدين ردوا خطبته ، نهض من المنصورة بتلمسان ، واغذّ السير الى فاس . ففتح ديوان العطاء ، وازاح علل عساكره . وعقد على المغرب الأقصى لحافده منصور ابن الأمير أبي مالك . وفوض الى الحسن بن سليمان بن يرزيكن في احكام الشرطة ، وعقد له على الضاحية . وارتحل الى تلمسان مضمر الحركة الى إفريقية ، حتى إذا جاءه الخبر اليقين بالاسعاف والزفاف ، سكن غربه وهدأ طائره . فلما هلك السلطان أبو يحيى في رجب من سنة سبع وأربعين ، وكان من قيام ابنه عمر بالأمر ، ونزوع الحاجب أبي محمد بن تافراكين منها في رمضان ما ذكرناه ، تحرّكت عزائمه لذلك . ورغّبه ابن تافراكين في ملك الموحدين ، فرغب وجاء على اثره الخبر بما كان من قتل عمر لاخيه أحمد ولي العهد ، وكان يستظهر على عهده بكتاب ابيه ، وما اودعه السلطان بطرّته من الوفاق على ذلك بخطه ، اقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتّو في سفارته اليه ،فامتعض

السلطان لما اضاع عمر من عهد ابيه ، وهدر من دم اخيه . وارتكب مذاهب العقوق فيهم ، وخرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم ، فاجمع الحركة الى افريقية . ولحق به خالد بن حمزة بن عمر نازعاً اليه مستغذاً مسيره ؛ ففتح ديوان العطاء ، ونادى في الناس بالمسير الى افريقية ، وازاح عللهم. وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله حافد مولانا السلطان أبي يحيى ، وفد على السلطان أبي الحسن اثر مهلك جده يقرر المتات[1] بسفارة ابيه اليه ، ويطلب الاقرار على عمله . فلما استيأس منه ، واستيقن حركته بنفسه الى افريقية ، طلب الرجوع الى مكانه فاسعف ، وفصل الى بجاية .

ولما قضى السلطان منسك الاضحى من سنة سبع واربعين ، عقد لابنه الامير أبي عِنان على المغرب الاوسط ، وعهد اليه بالنظر في اموره كافة ، وجعل اليه جبايته ، وارتحل يريد افريقية . وسار في جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو . ولما احتل بوهران ، وافاه هنالك وفد قسطيلية وبلاد الجريد ، يقدمهم احمد بن مكي أمير جربة ورديف أخيه عبد الملك في امارة قابس ، ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر . سقط اليها بعد خروج الامير أبي العباس ولي العهد عنها ، ومهلكه بتونس ، وأحمد بن عمر بن العابد رئيس نفطة ، رجعا اليها كذلك بعد

(١) كذا، وفي ب: المآب. وفي نسخة: المتاب وفي نسخة: المناب.

مهلك ولي العهد ؛ فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران في مـلأ من وجوه بلادهم ؛ فأتوه بيعتهم ، وقضوا حق طاعته . وتثاقل محمد بن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق ؛ فبعث بيعته معهم ؛ فاكرم وفدهم . وعقد لهم على أمصارهم ، وصرفهم الى اعمالهم . وتمسك باحمد بن مكي لصحابـة ركابه ، وفي جملته ، وأغذّ السير. ولما احتلّ ببني حسن من اعمال بجاية ، وافاه بها منصور بن مزني أمير بسكرة وبلاد الزاب في وفد من أهل وطنه ، ويعقوب بن علي بن أحمد سيد الدواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة ؛ فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء ، والزمهم ساقته . وسرح بين يديه قائده حمو بن يحيى العشري من صنائع أبيه. فلما عسكر بساحة بجاية أبي عبد الله ، أبى عليه اهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه. وانفضوا من حوله ، ولحقت مشيختهم بالقضاة واهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان . وسابقهم اليه حاجبه فارح مولى ابن سيد الناس ؛ فادى طاعته ورجعه اليه بالخروج للقاء ركابه . وارتحل حتى اذا أطلت راياته على البلد ، بادر المولى ابو عبد الله ولقيه بساحة البلد ، واعتذر عن تخلفه ؛ فتقبل عذره واحله من البرور والتكرمة محل الولد العزيز. وأقطعه عمل كومية من ضواحي هُنَين ، واسنى جرايته بتلمسان ، واصحبه الى ابنه أبي عنان صاحب المغرب الاوسط ، واستوصاه به. ودخل بجاية ؛ فرفع عنهم الظلامات ، وحط عنهم الربع من المغارم . ونظر في احوال ثغورها ؛ فثقف اطرافها وسد فروجها . وعقد عليها

لمحمد بن الثوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها، وانزل معه حامية بني مرين، وكاتب الخراج ببابه بركات بن حسون بن البواق. وارتحل مغذاً سيره حتى احتل بقسنطينة. وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيى وأخوته أبو العباس احمد، وأبو يحيى زكرياء، وسائر اخوتهم؛ فأتوه بيعتهم، ونزلوا عن عملهم. وادالهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان، عقد للمولى أبي زيد على امارتها، وجعله أسوة اخوته في اقطاع جبايتها، ودخل البلد، وعقد عليها لمحمد بن العباس، وأنزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر. وأمضى اقطاعات الدواودة، ووافاه هنالك عمر بن حمزة سيدالكعوب لعهده وأمير البدو مستحثاً لركابه. وأخبره برحيل السلطان عمر ابن مولانا أبي يحيى من تونس، فيمن اجتمع اليه من اولاد مهلهل أقتالهم من الكعوب متوجهاً الى ناحية قابس. واشار على السلطان بتسريح العساكر لاعتراضه قبل ان يخلص الى طرابلس؛ فسرح معه حمو بن يحيى العشري قائده في عسكر من بني مرين والجند. وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص. وتلوّم السلطان أبو الحسن بقسنطينة، واعترض عساكره بسطح الجعاب منها. وصرف يوسف بن مزني الى عمله بالزاب، بعد أن خلع عليه وحمله.

ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى على مكان

عمله ببونة ، وملأ حقائبه جائزة وخلعاً نفيسة وسرحه ، ثم ارتحل على اثرهم وأغذ حمو بن يحيي السير مع الناجعة من أحياء اولاد ابي الليل ولحقوا بالامير أبي حفص بمباركه من ناحية قابس ؛ فاوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوجي ؛ فقبض عليهما وسيقا الى حمو ؛ فاعتقلهما الى الليل . ثم ذبحهما وانفذ برأسيهما الى السلطان . ولحق الفل بقابس ؛ فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الامير أبي حفص وشيخ الموحدين، وعلى صخر بن موسى شيخ بني سكين فيمن تقبض عليه من ذلك الفل ، واشخصهم مقرنين في الاصفاد الى السلطان . وسرح السلطان عسكره الى تونس وعقد عليهم ليحيى بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته ، وانفذ معه احمد بن مكي ؛ فاحتلوا بتونس واستولوا عليها . وانطلق ابن مكي الى مكان عمله من هنالك لما عقد له السلطان عليه وسرحه اليه بعد ان خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم . ونزل السلطان بباجة ؛ فوافاه هنالك البريد برأس الامير أبي حفص ، وعظم الفتح .

ثم ارتحل الى تونس ، واحتل بها يوم الاربعاء الثامن من جمادي الاخرة من سنة ثمان . وتلقاه وفد تونس وملأوها من شيوخ الشورى وارباب الفتيا ؛ فأتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين بملكتهم . ثم عبأ يوم السبت لدخولها مواكبه، وصف جنده سماطين من معسكره بسيجوم

الى باب البلد ، يناهز ثلاثة أميال او اربعة . وركب بنو مرين في جموعهم على مراكزهم وتحت راياتهم . وركب السلطان من فسطاطه ، ووا كبه من عن يمينه وليه عريف بن يحيي امير زغبة ، ويليه ابو محمد عبد الله بن تافراكين . ومن عن يساره الامير ابو عبد الله محمد اخو مولانا السلطان أبي يحيى ، ويليه الامير ابو عبد الله ابن اخيه خالد . كانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خرج الامير ابو فارس ؛ فاطلقهم السلطان ابو العباس وصحبوه الى تونس ؛ فكانوا طرازاً في ذلك الموكب فيمن لا يحصى من اعياص بني مرين وكبرائهم . وهدرت طبوله، وخفقت راياته ، وكانت يومئذ مابة . وجاؤا لمواكب تجتمع عليه صفاً صفاً ، الى ان وصل الى البلد ، وقد ماجت الارض بالجيوش ، وكان يوماً لم يُرَ مثله فيما عقلناه . ودخل السلطان الى القصر، وخلع على أبي محمد بن تافراكين كسوته ، وقرب اليه فرسه بسرجه ولجامه . وطعم الناس بين يديه وانتشروا . ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء ؛ فطاف عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية ؛ فطاف على بساتينه وجوائزه ، وافضى منه الى معسكره وأنزل يحيي بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها . ووصل اليه فل الامير ابي حفص والاسرى بقابس مقرنين في اصفادهم ؛ فاودعهم السجن بعد ان قطع ابا القاسم بن عتّو وصخر بن موسى من خلاف ، لفتيا الفقهاء بجرايتهم . وارتحل من الغد الى القيروان ؛ فجال في نواحيها . ووقف على آثار الاولين ومصانع

الاقدمين ، والطلول الماثلة لصنهاجه والعبيديين ، وزار أجداث العلماء والصالحين .

ثم سار الى المهدية ووقف على ساحل البحر ، ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله اشد قوة واثاراً في الارض ، واعتبر في احوالهم . ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير ، وانكفأ راجعاً الى تونس ، واحتل بها غرة رمضان . وانزل المسالح على ثغور افريقية واقطع لبني مرين البلاد والضواحي ، وامضى اقطاعات الموحدين للعرب . واستعمل على الجهات ، وسكن القصر ، وقد كمل الفتح ، وعظمت في الاستيلاء على الممالك والدول المنّة . واتسعت ممالكه ما بين مسراتة والسوس الاقصى من هذه العدوة ، والى رندة من عدوة الاندلس . «والملك لله يوءتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» .

ورفع اليه الشعراء بتونس يهنونه بالفتح ، وكان سابقهم في تلك النوبة ابو القاسم الرحوي من ناشئة اهل الادب ، فرفع اليه قوله :

أجابَكَ شَرقٌ إذْ دَعوْتَ ومغْرِبُ ... فَمَكّةُ هشَّتْ لِلِقاء وَيَثْرِبُ
وَناداكَ مِصْرٌ والعِراقُ وَشامُه ... بِداراً، فَصَدعُ الدينِ عِنْدَكَ يُشْعَبُ
وحَيَّتْكَ أوْ كادَتْ تُحَيِّي مَنابِرٌ ... عليْها دُعاةُ الحَقّ باسمِكَ تَخْطُب
فَسارَعَ مِنّا كُلُّ دانٍ وَشاسِعٍ ... إلى طاعَةٍ مِنْ طاعَةِ اللهِ تُحْسَبُ
وَتاقَتْ لكَ الأرْواحُ حبّاً ورَغْبَةً ... وأنْتَ على الآمَالِ تَنْأى وَتَقْرُبُ
فَبِالْبَلْدَةِ البَيْضاءِ لَبّاكَ مَعْشَرٌ ... وأنْتَ بأُفْقِ الناصِرِيّة تُرْقَبُ

ووافتكَ مِنْ ذات النخيل وفودها	فلاقاهم أهلٌ لديكَ ومرحبُ
ولَمْ تتلكأ عَنْ إباء بجايَة	ولكن تراضي الصعبَ حيناً وتركبُ
تأبّتْ فلمّا أنْ أطلّتْ عساكرٌ	ترى الشهبَ مما يُستباحُ ويُنهبُ
تبادرَ منهمْ مُذعِنٌ ومُسلِّمٌ	وأذعنَ منهمْ شاغبٌ ومؤلّبُ
وما تونسٌ إلاّ بمصرٍ مُروَّعٌ	وفي حرمٍ أمستْ لديكَ تسرّبُ
وما أهلُها إلا بغاث لِصائدٍ	وبالعزِّ منكَ استنسروا وتعقّبوا
وقد كُنْت قبل اليوم كهفَ زعيمهم	فها أنت كهفٌ للجميعِ ومَهْربُ
فكلٌّ يرى أنَّ الزمانَ أدالَهُ	بكَ فأجابَ العيشُ والعيشُ مخصبُ
وكَدَّ لكَ ابنٌ طائعٌ وإن اعتَلَتْ	به السِنُّ إجلالا وأنْتَ له أبُ
وما ذاكَ الا أنَّ عدْلَكَ ينتمي	إلى الخُلَفاءِ الراشدينَ ويُنْسَبُ
تسامَيْتَ في مُلْكٍ ونسكٍ بخُطةٍ	حَذِيّاكَ محرابٌ لدَيْها ومَوكِبُ
إذا لذَّ للامْلاكِ خمْرٌ مُدارةٌ[1]	فلَذَّ لكَ القرآنُ تتلو وتكتُبُ
وإنْ أدْمَنَ القومُ الصبوحَ فإنّما	على رَكَعاتٍ بالضُحى أنْتَ تَدأبُ
وإنْ حمَدوا شُربَ الغَبوقِ فإنّما	شرابُكَ بالإمساءِ ذِكْرٌ مُرتّبُ
وإنْ خشُنتْ أخلاقُهُمْ وتحجّبوا	فما أنْتَ فظٌّ، لا، ولا متحجِّبُ
لقدْ كُرِمَتْ منكَ السجايا فأصْبحت	إذا ما أمدّ الدهرُ تحلو وتعذُبُ
كما شدْتَ بيْتاً في ذؤابةِ معْشَرٍ	يزيدُ بهم قحطانُ فخراً ويعرُبُ
هُمُ التّاركو قلبَ القساورِ خُضّعاً	وعن شأوِهِمْ كفّتْ عبيدٌ وأغْلُبُ
هُمُ الناسُ والأمْلاكُ تحْتَ جِوارِهِم	هُمُ العُظمُ والارضُ العظيمةُ تَغرُبُ

---

(١) كذا، وفي ب:
إذا لذ للأملاك خمر مدامة!!

هُمُ المالِكو المُلْكَ العَظيمَ ودسْتُهم   على كاهِلِ السَّبْعِ الشِّدادِ مُطَنَّبُ

لقَد أَصبَحتْ بغْدادُ تَحسُدُ فاسهُم   ودِجلةُ ودَّتْ أن يكون بهاسِبُ؟

تَجَلَّتْ سماءُ المجْدِ مِنهُمْ كواكِباً   لقد حلَّ منها شارقٌ ومُغرِّبُ

فلِلّهِ مِنهُمْ ثُلَّةٌ يَعْرُبِيةٌ   يَرومُ ثَباها الأعجمِيُّ فيعْرِبُ

لقَدْ قامَ عبْدُ الحق لِلْحَقّ طالباً   فما فاته منه الذي قام يَطْلُبُ

وَأعْقَبَ يَعْقوباً يَؤُمُّ سَبيلَهُ   فلَمْ يُخْطِهِ وهو السَّبيلُ المُلحَّبُ(١)

وَخَلَّفَ عُثْماناً فلِلّهِ صارمٌ   به بانَ للاسْلامِ شَرْعٌ ومَذْهَبُ

فكَمْ في سَبيل الله شَنّ إغارةً   لِماشادَ أهْلُ الكُفرِ أمْستْ تُخَرَّبُ

وَلما أرادَ اللهُ إتمامَ مِنَّةٍ   تَقلدها منّا مُطيعٌ ومُذْنِبُ

أتى بِكَ لِلدِّينِ الحنيفيِّ آيَةً   تَعَرَّى بها عن لامعِ الحقِّ غيهبُ

فَجِئْتَ كما يَرْضى بكَ اللهُ سالِكاً   سبيلاً إلى رضوانه بك يَذْهَبُ

وَقُمْتَ بأمرِ اللهِ حَقّ قيامِهِ   يُناضلُ عنه منكَ نَصلٌ مُدرَّبُ

وَأصْبَحَ أهلُ اللهِ أهْلاً وَشيعَةً   لَكُمْ ولهمْ منكمْ مكانٌ ومنصِبُ

وحلَّ بأهلِ الفتكِ ما حلَّ عزمهمْ   وقام لديهمْ واعظٌ ومثوِّبُ

وجاهدتَ في الرحمن حقَّ جِهادهِ   فراهبُ اهلِ الكُفرِ بأسَكَ يَرهبُ

وأنقذتَ من ايدي الاغارة امةً   وأولى جِهاد كان بل هو أوجبُ

فأصبحتِ الدنيا عروساً يزُفُّها   لامرك من جاري التقاديرِ مغربُ

فلا مِصْرُ إلا قد تمنَّاكَ أهلهُ   ولا ارض إلا بأذْكارك تُخصبُ

وما الارض إلا منزلٌ أنت ربُّهُ   وما حلّها إلا الودود المُرَجّبُ

---

(١) كذا، وفي ب: المنجب.

تملكتَ شطرَ الارض كَسباً وشطرَها تُراثاً فطابَ المُلك إرثاً ومكسبُ
بجيشٍ على الالواح والماء يمتطي وجيشٍ على الضُمر الصوافن يَركبُ
وجيش من الاحسان والعدلِ والتقى وذاكَ لَعَمْرُ الله أغلى وأغْلبُ
فلا مركبُ إلا يُزيّنُ راكباً ولا راكبٌ إلا بهِ ازْدانَ مَركَبُ
ولا رمحُ إلا وهو أهيفُ خاطرٌ ولا سَيْف إلا وهو أبيَض مُقْضِب
فكمْ كاتبٍ خِطّيّهُ ودواتُهُ ولمْ يقْرَ خطاً لا ، ولا هوَ يَكْتب
يمُرُّ على الابطال وهو كأنَّهُ هِزَبْرٌ وأبطال الفوارسِ رَبْرَب
وكمْ كاتبٍ لا يُنكرُ الطعنَ رُمحُهُ خبير بأيام الأعاريبِ معْرَب
لهُ من عجيب السحر بالقول أضرُبٌ وفي هامَةِ القَومِ المضاربِ مضْرب
فها هو في الأقوال واشٍ محبِّرٌ وها هو في الأمثالِ ثاوٍ مجَرّب
ومن ساحبٍ بُرداً من العلم والتقى عليهِ ذيول الداوديَّة تسْحَب
له صِبغةٌ في العلم جاءتْ بأصْبغٍ وَشهْبان فهمٍ لم يشِمْهُنَّ أشْهُبُ
فيَا عسكراً قد ضمَّ أعلامَ عالم به طابَ في الدنْيا لنا متَقَلَّب
هم الفِئةُ العَلياءُ والمشعرُ الذي إذا حَلَّ صَعْباً فهو للحَقّ مشْعب
لكَ الفضلُ في الدنيا على كل قاطنٍ ومرتحِلٍ أنّى يجيء ويَذْهَب
ويا مَلكاً عدلا رضىً مُتورّعاً مناقِبُه العَلْياء تُعْلى وَتكْتَب
شرعْتَ من الاحسان فينا شريعةً تساوى بِها ناءٍ وَمنْ يَتَقَرَّب
وأسمَيْتَ أهلَ النُسْكِ إذ كنْتَ منهم فَمِنْكَ أخو التَقْوى قريبٌ مقرَّب
وأعلَيْتَ قَدْرَ العِلْمِ إذكنت عالماً فقيهاً وفي طلاَّبِهِ لكَ مأرَب
فَمدحكَ محتومٌ على كل قائلٍ وَمَنْ ذا الذي يحْصي الرمال ويحْسِب
فللهِ كمْ تعْطي وتَمْطي وتَحْتَبي فللبَحْرِ من كفَّيْكَ قدْ صحَّ منْسَب

فلا بَرِحَتْ كفّاكَ في الأرضِ مزْنَةً يَطيب بها للخلْقِ مَرْعىً ومَشْرب
ولا زِلْتَ في عَلْياءِ مَجْدِكَ راقياً وشانئُكَ المدْحوضُ يَنكا وَيَنْكب
وتوفي على أقصى أمانيكَ آمِناً فلا بِرُّ يَسْتَعْصي ولا يَتَصَعَّبُ

الخبر عن واقعة العرب مع السلطان بالقيروان، وما تخللها من الأحداث

كان هؤلاء الكعوب من بني سُلَيم رؤساء البدو بافريقية وكان لهم اعتزاز على الدولة لا يعرفون غيره مذ أولها بل وما قبله، إذ كان سليم هؤلاء مذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الاسلام انتبذوا إلى الضواحي والقفار، واعطوا من صدقاتهم عن عزة وارتاب الخلفاء بهم لذلك، حتى لقد اوصى المنصور ابنه المهدي أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبري. فلما التاثت الدولة العبّاسيّة، واستبد الموالي من العجم عليهم، واعتزّ بنو سُلَيم هؤلاء بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين، ونالتهم منهم معرّاتٌ، ولما انقسم ملك الاسلام بين العبّاسيّة، والشيعة، واختطوا القاهرة، نفقت لهم إذ ذاك اسواق الفتنة والتعزز، وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة. ثم أغزاهم العُبَيْديّون بالمغرب، واجازوا الى برقة على اثر الهلاليّين، فخربوا عمرانها وأجروا في خلائها. حتى اذا خرج ابن غانية على الموحِّدين، وانتزى بالثغور الشرقية: طرابُلُس وقابِس

واجتمع معه على ذلك قُراقش الغَزّي مولى بني أيوب ملوك مصر والشام. وانضاف اليهم أفاريق العرب من بني سليم هؤلاء وغيرهم؛ فاجلبوا معهم على الضواحي والامصار، وصاروا في جملتهم ومن ناعق فتنتهم. ولما هلك قراقش وابن غانية، واستبدَّ آل أبي حفص بافريقية، واعتز الدواودَة على الامير أبي زكرياء يحيى بن عبدالواحد ابن أبي حفص، استظهر عليهم ببني سليم هؤلاء، وزاحمهم بظواعنهم واقطعهم بافريقية، ونقلهم من مجالاتهم بطرابلس وانزلهم بالقيروان فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز. ولما افترق سلطان بني أبي حَفْص، واستبد الكعوب برياسة البدو، وضربوا بين أعياصها وسعوا في شقاقها، اصابت منهم واصابوا منها. وكان بين مولانا الامير أبي يحيى وبين حمزة بن عمر أخي الامير منازعة وفتن، وحرب سجال اعانه عليها ما كان من زحف بني عبد الواد الى افريقية، وطمعهم في تملك ثغورها، فكان يستجرُّ جيوشهم لذلك، وينصب الاعياص من آل أبي حفص يزاحمهم بهم، ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخراً وقاده الى الطاعة، ما كان من قطع كلمة الزبون (1) عن مولانا السلطان أبي يحيى، وهلاك عدوه من آل يغمراسن، بسيف وليّه

(١) ورد في لسان العرب. الزبن. دفع الشيء عن الشيء، وحرب زبون. تزبن الناس، أي تصدمهم وتدفعهم، على التشبيه بالناقة التي تزين ولدها عن ضرعها وتزبن الحالب أي تدفعه بثفناتها. وقال الجوهري: أما الزبون للغبي والحريف فليس من كلام أهل البادية.

وظهيره السلطان أبي الحسن ؛ فاذعن وسكن غرب اعتزازه . وحمل بنى سليم على اعطاء صدقاتهم ؛ فاعطوها بالكراهة .ثم هلك باغتيال الدولة له فيما يزعمون ، وقام بالامر بنوه فلم يعرفوا عواقب الامور وبلوا باعتساف الدول . ولم يمهدوا ولا سموا لسلفهم غير الاعتزاز فحدثتهم انفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة . وحاربوه فغلبوه واجلبوا على السلطان في ملكه ، ونازلوه بعقر داره سنة اثنتين واربعين . ولما سامهم الامير عمر ابن مولانا الامير ابي يحيى الهضيمة بعد مهلك ابيه ، نزعوا الى اخيه ولي العهد ؛ فجاء الى تونس وملكها سبعا . ثم اقتحمها عليه اخوه الامير ابو حفص فقتله . وتقبض يوم اقتحامه البلد على ابي الهول بن حمزة اخيهم ؛ فقتله صبراً بباب داره بالقصبة ؛ فاسفهم بها . وتداعوا الى السلطان ابي الحسن ورغبوه في ملك افريقية ، واستغذّوه اليها .

ولما تغلب السلطان على الوطن ، وكانت حاله في اعتزاز على من في طاعته غير حال الموحدين ، وملكته للبدو غير ملكتهم ، وحين رأى اعتزازهم على الدولة ، وكثرة ما اقطعتهم من الضواحي ، ثم من الامصار ، نكره وادالهم من الامصار التي اقطعهم الموحدون باعطيات فرضها لهم في الديوان . واستكثر جبايتهم ؛ فنقصهم الكثير منها وشكى اليه الرعية من البدو ما ينالونهم به من الظلامات والجور

بفرض الاتاوة التي يسمونها الخفارة ؛ فقبض ايديهم عنها واوعز الى الرعايا بمنعهم منها ؛ فارتابوا لذلك . وفسدت نياتهم وثقلت وطأة الدولة عليهم ؛ فترصدوا لها . وتسامع ذؤبانهم وبواديهم بذلك ؛ فاغاروا على قياطين [1] بنى مرين ومسالحهم بثغور افريقية وفروجها واستاقوا اموالهم وكثر شكاتهم واظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد من مشيختهم كان فيهم خالد ابن حمزة مستحثه [2] الى افريقية ، واخوه احمد ، وخليفة بن عبد الله ابن مسكين ، وابن عمه خليفة بن بوزيد من اولاد القوس ؛ فانزلهم السلطان وكرمهم .

ثم رفع اليه الامير عبد الواحد ابن السلطان ابي يحيى زكرياء بن اللحياني كان في جملته . وكان من خبره انه رجع من المشرق بعد مهلك ابيه بمصر كما قدمناه سنة اثنتين وثلاثين ؛ فدعا لنفسه بجهات طرابلس وتابعه اعراب دباب ، وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس . ونهض معه الى تونس في غيبة السلطان لتخريب تيمزيزدكت كما ذكرناه ؛ فملكها اياما . واحس بمرجع السلطان ؛ فاجفل عنها . ولحق عبد الواحد بن اللحياني بتلمسان الى ان دلف اليها السلطان ابو الحسن

---

(١) ورد في لسان العرب . والقيطون : المخدع ، أعجمي ، وقيل : بلغة أهل مصر وبربر. قال ابن بري : القيطون بيت في بيت.

(٢) كذا ، وفي ب . مستحبة . ولا معنى لها .

بمسا كره ؛ ففارقهم وخرج اليه ؛ فاحله محل التكرمة والمبرة واستقر في جملته ، الى ان ملك تونس . ورفع اليه عند مقدم هذا الوفد انهم دسوا اليه مع بعض حشمهم ،وطلبوه في الخروج معهم لينصّبوه للامر بافريقية وتبرأ الى السلطان مـن ذلك ؛ فاحضروا بالقصر ووبخهم الحاجب علال بن محمد بن امصمود . وامر بهم ؛ فسحبوا الى السجن .

وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم بساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سنته . وبعث في المسالح والعساكر ؛ فتوافوا ببابه . واتصل الخبر باولاد ابي الليل القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم ؛ فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتعاقدوا عـلى الموت وبعثوا الى اقتالهم اولاد مُهلهل بن قاسم بن احمـد . وكانوا بعد مهلك سلطانهم ابي حفص قد لحقوا بالقفر ، وانتبذوا عـن افريقية فرارا من مطالبة السلطان ، بما كانوا شيعة لعدوه ؛ فاغذْ السير اليهم ابو الليل بن حمزة متطارحا عليهم بنفسه في الاجتماع للخروج على السلطان ؛ فاجابوه وارتحلوا معه . وتوافت احياء بني كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد ؛ فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من اعياص الملك من ينصبونه للامر ؛ فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من اعقاب ابي دبوس فريسة بني مرين من حلفاء بني عبد المؤمن بمراكش ، عندما استولوا عليها . وكان مـن خبره انّ اباه عثمان بن

ادريس بن ابي دبوس لحق بعد مهلك ابيه بالانداس ، وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بني دباب . وهو اسير ببرشلونة . فلما انطلق من اسره صحبه الى وطن دباب ، بعد ان عقد قمص ببرشلونة بينهما حلفا وامدهما بالاسطول على مال التزماه له . ونزل بضواحي طرابلس وجبال البربر بها ، ودعا لنفسه هنالك . وقام بدعوته كافة العرب من دباب وقاتل طرابلس ؛ فامتنعت عليه . ثم تابعه احمد بن ابي الليل شيخ الكعوب بافريقية ، واجلب به على تونس ؛ فلم يتم امره لرسوخ دعوة الحفصيين بافريقية ؛ وانقطاع امر بني عبد المؤمن منها وآثارهم منذ الاحوال العديدة والاماد المتقادمة ؛ فنسي امرهم .

وهلك عثمان بن ادريس هذا بجربة ، ثم ابنه عبد السلام بعده وترك من الولد ثلاثة أصغرهم احمد ، وكان صناع اليدين . ولحقوا بتونس بعدما طوحت بهم طوائح الاغتراب ، وظنوا ان قد تنوسي شأن ابيهم ؛ فتقبض عليهم مولانا السلطان ابو يحيى ، واودعهم السجن الى ان غربهم الى الاسكندرية سنة اربع واربعين . ورجع احمد منهم الى افريقية ، واحتل بتوزر محترفاً بحرفة الخياطة يتعيش منها فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت اهواؤهم ومن اتبعهم من احلافهم اولاد القوس ، وسائر شعوب علاق . وخرج اليهم من توزر فنصبوه للامر وجمعوا له شيئاً من الفساطيط والآلة والكسى الفاخرة

والمقربات . واقامــوا له رسم السلطان ، وعسكروا عليه بحللهم وقياطينهم ، وارتحلوا لمناجـزة السلطان . ولما قضى منسك الاضحى من سنة ثمان واربعين ، ارتحل من ساحة تونس يريدهم ؛ فوافاهم في العرج ما بين بسيط تونس وبسيط القيروان المسمى بالثنية ؛ فاجفلوا امامه وصدقوه القتال منهزمــين ، وهو في اتباعهم ، الى ان احتل بالقيروان ، ورأوا أن لا ملجأ منه ؛ فتدامروا واتفقوا عــلى الاستماتة ودس اليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين ، وعدوهم بالمناجـزة صبيحة يومهم ليتحيزوا اليهم براياتهم ؛ فصبحوا معسكر السلطان . وركب اليهم في الالة والتعبئة واحتل المصاف ، وتحـيز اليهم الكثر . ونجا السلطان الى القيروان فدخلها في الفل من عساكره ثامن المحرم فاتح تسع وعشرين، وتدافعت ساقات العرب في اثره . وتسابقوا الى المعسكـر ؛ فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان ؛ فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه . واحاطوا بالقيروان ، وأحدقت حللهم بها سياجاً ، وتعاوت ذيابهم باطراف البقاع واجلب ناعق الفتنة من كل مكان . وبلغ الخبر الى تونس ؛ فاستحصن بالقصبة اولياء السلطان وحرمه ، ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان اليهم ؛ فعقدوا له على حجابة سلطانهم احمـد بن أبي دبوس ودفعوه الى محاربة من كان بقصبة تونس ؛ فاغذ اليها السير . واجتمع اليه اشياع الموحدين وزعانف الغوغاء والجند ، واحاطوا بالقصبة ،

وغاداها بالقتال ، ونصب المنجنيق لحصارها . ووصل سلطانه احمد على اثره ، وامتنعت عليهم ، ولم يغنوا فيها غنا ، وافترق امر الكعوب وخالف بعضهم بعضا الى السلطان وتساقطوا اليه ، فتنفس مخنق الحصار عن القيروان . واختلفت اليه رسل اولاد مهلهل ، واحس بهم اولاد ابي الليل . فدخل ابو الليل بن حمزة بنفسه ، وعاهد السلطان على الافراج ، ولم يف بعهده . وداخل السلطان واولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة ، فعاهدوه على ذلك . وواعد اسطوله بمرساها وخرج معهم ليلا على تعبية ، فلحق بسوسة . وبلغ الخبر الى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة ؛ فركب السفين ليلا الى الاسكندرية . وارتاب سلطانهم ابن ابي دبوس لما وقف على خبره ؛ فانفض جمعهم وافرجوا عن القصبة . وركب السلطان اسطوله من سوسة ، ونزل بتونس اخر جمادى واعتمل في اصلاح اسوارها وادارة الخندق عليها . واقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت لها من بعده ، ودفع به نحو عدوه . واستقل من نكبة القيروان وعثرتها ، وخلص من هوتها . والله يفعل ما يشاء .

ولحق اولاد ابي الليل ، وسلطانهم احمد بن ابي دبوس بتونس ، فاحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره . وخلصت ولاية اولاد مهلهل للسلطان ؛ فعول عليهم ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان

ودخل كبيرهم عمر اليه في شعبان ، وتقبضوا على سلطانهم احمد بن ابي دبوس وقادوه الى السلطان استبلاغاً في الطاعة ، وامحاضا للولاية فتقبل فيئتهم واودع ابن ابي دبوس السجن ، وأصهر الى عمر بابنه ابي الفضل ، فعقد له على بنته . واختلفت احوالهم في الطاعة والانحراف ، الى ان كان ما نذكر . والله غالب على امره .

الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان ابي يحيى ، لما قدم على السلطان ابي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع واربعين ، بعد ما اتصل به في طريقه مهلك ابيه ، اوسع له السلطان كنفه ، ومهد له جانب كرامته وبره ، وغمز له بوعد في المظاهرة على ملك ابيه يعزي به عن فقده . وارتحل السلطان الى افريقية ، والمولى ابو الفضل يرجّي ان يجعل سلطانها اليه ، حتى اذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة ، وارتحل الى تونس ، عقد له على مكان امارته ايام ابيه ببونة ، وصرفه اليها ؛ فانقطع امله وفسد ضميره وطوى على النث حتى اذا كانت نكبة السلطان بالقيروان ، سما الى التوثب على ملك سلفه . وكان اهل قسنطينة وبجاية قد برموا من الدولة ، واستثقلوا وطأة الايالة ، لما اعتادوا من الملكة الرقيقة ؛ فاشرأبوا الى الثورة عند ما بلغهم خبر النكبة. وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب فيه

طوائف من الوفود والعساكر ، وكان فيهم ابن صغير من ابناء السلطان ، عقد له على عسكر من اهل المغرب ، واوعز اليه باللحاق بتونس ، وفيهم عمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجبايتهم وحسبانهم . وفيهم ايضاً وفد من زعماء النصارى ، بعثهم الطاغية ابن اذفونش مع تاشفين ابن السلطان لما اطلقه من الاسر ، بعد عقد السلم والمهادنة ، وكان اسيرا عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه ، وكان اصابه مس من الجنون . فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية ، وعظم عنده الاتحاف والمهاداة ، وبلغه خبر السلطان وتملكه افريقية ، اطلق ابنه تاشفين . وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة ، وفيهم أيضاً وفد من اهل مالي ملوك السودان بالمغرب . اوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان افريقية . وكان معهم ايضاً يوسف بن مزني عامل الزاب واميره ، قدم بجباية عمله . واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق بهم ، مؤثراً صحابتهم الي سدّة السلطان . وتوافى هؤلاء الوفود جميعاً بقسنطينة ، واعصوصبوا على ولد السلطان . فلما وصل خبر النكبة اشرأب الغوغاء من اهل البلد الى الثورة ، وتحلّبت شفاههم الى ما بايديهم من اموال الجباية واحوال الثروة ؛ فنقموا عليهم سوء الملكة ودس مشيختهم الى المولى الفضل ابن مولانا السلطان ابي يحيى بمكانه من بونه ، وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه ؛ فخطبوه للامر واستحثوه للقدوم ؛ فأغذ السير . وتسامع بخبره اولياء السلطان ، فخشي ابن مزني على نفسه ، وخرج الى معسكره بحلة

يعقوب بن علي امير الدواودة ؛ ولجأ ابن السلطان واولياؤه الي القصبة . ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم ، حتى اذا أطلت رايات مولانا الفضل وثبوا بهم واحجروهم بالقصبة. واحاطوا بهم حتى استنزلوهم على امان عقدوه لهم . ولحقوا بحلة يعقوب ؛ فعسكروا بها بعد ان نقض اهل البلد عهدهم في ذات يدهم ، فاستصفوه ؛ فاشار عليهم ابن مزني باللحاق ببسكرة ليكون ركابهم الي السلطان ؛ فارتحلوا جميعاً في جوار يعقوب بما له من ملك الضواحي حتى لحقوا ببسكرة ، ونزلوا منها على ابن مزني خير نزل ؛ وكفاهم كل شيء يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم ، وعناية السلطان بمن كان وافداً منهم ؛حتى سار بهم يعقوب بن علي الى السلطان ؛ واوفدهم عليه في رجب من سنته . واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التي فعل اهل قسنطينة ، فساجلوهم في الثورة . وكبسوا منازل اولياء السلطان وعسكره وعماله ، فاستباحوها واستلبوهم واخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة ؛ فلحقوا بالمغرب . وطيروا بالخبر الي المولى ابي الفضل ، واستحثوه للقدوم ؛ فقدم عليهم . وعقد على قسنطينة وبونة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته ، واحتل ببجاية لشهر ربيع من سنته . واعاد ملك سلفه . واستوثق امره بهذه الثغور ، الى ان كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ؛ ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الأوسط والأقصى، ثم استقلال أبي عنان بملك المغرب كله

لما اتصل خبر النكبة على القيروان بالامير ابي عنان ابن السلطان، وكان صاحب تلمسان والمغرب الاوسط. وتساقط اليه الفل من عسكر ابيه عراة زرافات ووحدانا، وارجف الناس بهلاك السلطان بالقيروان؛ فتطاول الامير ابو عنان للاستئثار بملك ابيه دون الابناء، لما كان له من الايثار عند ابيه، لصيانته وعفافه، واستظهار القرآن؛ فكان محلا بعين ابيه لامثالها. وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بني عبد الواد واولاد تيدوكسن بن طاع الله منهم، وكان له محل من الدولة كما ذكرناه في خبره. وكان السلطان اذن له في الرجوع الى المغرب من معسكره بالمهدية، ونزل بزاوية العباد من تلمسان، وكان مسمتا وقورا، جُهَيْنَةَ خبرٍ ممتعا في حديثه. وكان يرجم فيه الوقوف على الحدثان. وكان الامير ابو عنان متشوقاً الى اخبار ابيه، ففزع الى عثمان بن جرار في تعرفها. واستدعاه وانس به وكان في قلبه مرض من السلطان؛ فاودع اذن الامير ابي عنان ما اراد من الاقاويل: من تورط السلطان في المهلكة، وبشره بصير الأمر اليه، فصادف منه اذناً واعية. واشتمل عليه ابن جرار من بعد. فلما ورد الخبر بنكبة السلطان اغراه ابن جرار بالتوثب على الملك

وسول له الاستئثار به على اخوانه تيقناً بهلك السلطان . ثم اوهمه الصدق بارجاف الناس بموت السلطان ؛ فاعتزم وشحذ عزمه في ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الامير ابي مالك صاحب فاس واعمال المغرب من الانتزاء على عمله ، وانه فتح ديوان العطاء ، واستلحق واستركب لغيبة بني مرين عن بلادهم ، وخلوّ جوّه من عساكرهم . واظهر العسكر والحشد لاستنقاذ السلطان من هوة القيروان ، يسر منها حسواً في ارتغاء . وتفطّن لشأنه الحسن بن سليمان ابن يرزيكن ، عامل القصبة بفاس ، وصاحب الشرطة بالضواحي ؛ فاستأذنه في اللحق بالسلطان ، فأذن له راحة من مكانه . واصحبه عمال المصامدة ونواحي مراكش ليستقدمهم على السلطان بجباياتهم ، فلحق بالامير ابي عنان على حين امضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه ، فقبض اموالهم واخرج ما كان بمودع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة . وجاهر بالدعاء لنفسه ، وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع من سنة تسع ، فبايعه الملأ . وقرأ كتاب بيعتهم على الاشهاد ثم بايعه العامة ؛ وانفض المجلس ، وقد انعقد سلطانه ورست قواعدملكته . وركب في التعبية والآلة؛حتى نزل بقبة الملعب. وأهم الناس وانتشروا . وعقد على وزارته لحسن بن سليمان بن يرزيكن ثم لفارس بن ميمون بن ودرار وجعله رديفاً له وتبعا . ورفع مكان ابن جرار عليهم . واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه ابا عبد الله بن

محمد ابن القاضي عبد الله بن ابي عمر ، وسنذكر خبره . ثم فتح الديوان واستركب من تساقط اليه من فلّ ابيه ، وخلع عليهم ودفع اليهم اعطياتهم وازاح عللهم . وبينما هو يريد الرحلة الى المغرب ، اذ بلغه ان ونزمار ابن ولي السلطان وخالصته عريف بن يحيى ، وكان امير زغبة لعهده ، ومقدماً على سائر البدو ، وبلغه انه قد جمع له يريد حربه ، وغلبه على ما صار اليه من الانتزاء والثورة على ابيه . وانه قصد تلمسان بجموعه من العرب ، وزناتة المغرب الاوسط ؛ فعقد للحسن بن سليمان وزيره على حربه . واعطاه الآلة وسرحه للقائه ، وسرح معه من حضره من بني عامر اقتال [1] سويد ، وارتحل الوزير بعسكره حتى احتل بتاسالة . وناجزه ونزمار الحرب ، ففُلّت جموعه ومنحوا اكتافهم ، واتبع الوزير وعسكره آثارهم ، واكتسح اموالهم وحللهم ، وعاد الى سلطانه بالفتح والغنائم .

وارتحل الامير ابو عنان الى المغرب ، وعقد على تلمسان لعثمان ابن جرار ، وانزله بالقصر القديم منها ، حتى كان من امره مع عثمان ابن عبد الرحمن ما ذكرنا في اخبارهم . ولما انتهى الى وادي الزيتون وشي اليه بالوزير الحسن بن سليمان انه مضمر الفتك به بتازى تزلفا الى السلطان ووفاء بطاعته ، وانه داخل في ذلك الحافد منصور صاحب

(١) جمع قتل ، وهو القرن في قتال وغيره . وهما قتلان أي مثلان . وقتل الرجل نظيره .

اعمال المغرب ، بما كان يظهر من طاعة جده . وارتاب الامير ابو عنان به ، واستظهر واشيه على ذلك بكتابه . فلما قرأه تقبض عليه ، وقتله بالمساء خنقا ، واغذّ السير الى المغرب . وبلغ الخبر منصور بن أبي مالك صاحب فاس ؛ فزحف للقائه . والتقى الجمعان بساحة تازى وبوادي أبي الاجراف ؛ فاختل مصاف منصور ، وانهزمت جموعه ولحق بفاس . وانحجز بالبلد الجديد ، وارتحل الامير ابو عنان في اثره وتسايل الناس على طبقاتهم اليه ، واتوه الطاعة . واناخ بعساكره على البلد الجديد في ربيع الآخر من سنة تسع واربعين ، واخذ بمخنقها وجمع الايدي والفعلة على الآلات لحصارها . ولحين نزوله على البلد الجديد اوعز الى الوالي بمكناسة ان يطلق أولاد أبي العلاء المعتقلين بالقصبة ، فاطلقهم ولحقوا به . واقاموا معه على حصار البلد الجديد وطال تمرسه بها الى ان ضاقت احوالهم واختلفت اهواؤهم ونزع اليه اهل الشوكة منهم . ونزع اليهم ادريس بن عثمان بن أبي العلاء فيمن اليه من الحاشية باذنه له في ذلك سراً ليمكنه بهم ، فدس اليه وواعده الثورة بالبلد ؛ فثار بها . واقتحمها الامير ابو عنان عليهم . ونزل منصور بن أبي مالك على حكمه ؛ فاعتقله الى ان قتله بمحبسه واستولى على دار الملك وسائر اعمال المغرب . وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنية والبيعة . وتمسك اهل سبتة بطاعة السلطان ، والانقياد لعاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء حيناً . ثم توثبوا

به، وعقدوا على انفسهم للأمير أبي عنان، وقادوا عاملهم إليه. وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبي الشريف من آل الحسن [1] كانوا انتقلوا اليها من صقلية واستوسق للأمير أبي عِنان ملك المغرب، واجتمع اليه قومه من بني مَرين إلا من أقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه. وحصّ جناح أبيه عن الكرة على الكعوب الناكثين لعهده، الناكبين عن طاعته؛ فاقام بتونس يُرجي الايام، ويأمل الكرة. والاطراف تنتقض والخوارج تتجدّد، الى ان ارتحل الى المغرب بعد اليأس، كما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن انتقاض النواحي، وانتزاء بني عبد الواد بتلمسان، ومغراوة بشلف، وتوجين بالمدية

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان. وانتثر سلك زناته، وانتقضت قواعد سلطانهم؛ اجتمع كل قوم منهم لابرام امرهم، والنظر في شأن جماعتهم؛ وكانوا جميعاً نزعوا الى الكعوب الخارجين على السلطان؛ وبنزوعهم كانت الدايرة عليه. ولحقوا بتونس مع الحاجب أبي محمد بن تافراكين، ليلحقوا منها باعمالهم. وكان في جملة السلطان جماعة من أعياصهم: منهم عثمان واخوته الزعيم ويوسف

---

(١) كذا وفي ب: من آل الحسين.

وابراهيم ، أبناء عبد الرحمن بن يحيى بن يَغْمُراسن بن زيّان سلطان بني عبد الواد . صاروا في ايالة السلطان منذ فتح تلمسان ، وانزلهم بالجزيرة للرباط . ثم رجعوا بعد استئثار الطاغية بها الى مكانهم من دولتهم ، وساروا الى القيروان تحت لوائه . ومنهم علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل ، وقد ذكرنا أخبار أبيه. رَبِيَ في إيالة السلطان وجوّ الدولة يتيما ، وكفلته نعمتها منذ نشأته ، حتى كأنه لا يعرف سواها . فاجتمع بنو عبد الواد بتونس ، وعقدوا على انفسهم لعثمان بن عبد الرحمن ، بما كان كبير اخوته . وأتوه بيعتهم بشرقي المصلى العتيق المطل على سيجوم من ساحة البلد لعهده بهم يومئذ . وقد وضعوا له بالارض درقة من اللمط اجلسوه عليها ؛ ثم ازدحموا مكبّين على يده يقبلونها للبيعه ؛ ثم اجتمع من بعدهم مغراوة الى علي بن راشد وبايعوه وحفوا به . وتعاهد بنو عبد الواد ومَغْراوة على الالفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء . وارتحلوا الى اعمالهم بالمغرب الاوسط ؛ فنزل علي بن راشد وقومه بموضع عملهم من ضواحي شلف ، وتغلبوا على أمصاره . وافتتحوا تَنَس ، وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره ، وقتلوا القاضي بمازونة سرحان ، كان مقيما لدعوة السلطان بها ؛ ثم سولت له نفسه الانتزاء والتوثب ؛ فدعا لنفسه . وقتله علي بن راشد وقومه .

وأجاز عثمان بن عبد الرحمن وقومه من بني عبد الواد الى محل ملكهم بتلمسان ، والفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبي عنان ودعا لنفسه فتجهّم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لأبيه ، واستمسك بالبلد أياماً يؤمل نزوع قومه اليه . ثم زحف اليه بنو عبد الواد وسلطانهم ، فصدقوه الزحف ، وثارت به الغوغاء ، وكسروا أبواب البلد . وخرجوا الى السلطان ؛ فادخلوه القصر ، واحتل به في جمادى من سنة تسع . وتسابق الناس الى مجلسه مثنى وفرادى ، وبايعوه البيعة العامة ، وتفقد ابن جرار . ثم أغرى به البحث فعثر عليه ببعض زوايا القصر . وأحتمل الى المطبق فاودع به الى أن سرب اليه الماء ، فمات غريقاً في هوته . وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت الزعيم في سلطانه ، وشركه في أمره ، وأردفه في ملكه ، وجعل اليه أمر الحرب والضواحي والبدو كلها . وأستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن ، من ولد محمد بن تيدوكسن بن طاع الله وأستوسق ملكهم . وأوفدوا مشيختهم على الأمير أبي عنان صاحب المغرب ، وسلطان بني مرين ، فعقدوا معه السلم والمهادنة ، واشترطوا له على أنفسهم دفاع السلطان أبيه عن الخلوص اليه . وزحفوا الى وهْران من ثغور أعمالهم . ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره ، وعاملها يومئذ عبّو بن جانا من صنائع السلطان ، الى أن غلبوه عليها واستنزلوه صلحاً لأشهر من حصارها .

واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان واعتصموا بها . وعقد عليها لقائده محمد بن يحيي العشري من صنائع أبيه، بعثه اليهم من تونس بعد نكبة القيروان . ونجم بالمدية عديّ بن يوسف بن زيّان بن محمد بن عبد القوي داعياً لنفسه، وطالباً سلطان سلفه . وامتنع عليه مَعقِل ملكهم بجبل وانشريش ، لمكان ولد عُمَر بن عثمان وقومهم بني تيغرين في رياسته وانحاش اليه أولاد عزيز ، من بني توجين ، أهل ضاحية المدية فقاموا بامره ، واعصوصبوا عليه . وكانت بينه وبين ابناء عمر بن عثمان حرب سجال الى ان هلك ، وخلص امر بني توجين لابناء عمر ابن عثمان ؛ وهم على مذهبهم من طاعة السلطان والتمسك بدعوته ، وهو مقيم خلال ذلك بتونس ، الى ان أزمع الرحلة ، واحتل بالجزاير ، كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن رجوع أمراء الثغور الغربية من الموحدين الى ثغورهم ببجاية وقسنطينة

لما توثب الامير ابو عنان على ملك ابيه ، وبويع بتلمسان ، وكانت للامير ابي عبدالله محمد ابن الأمير أبي زكرياء صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة ؛ من لدن بعثه اليه السلطان ابوه من بجاية . وانزله بتلمسان ، فرعى له السابقة وآثره في الامارة ؛ وعقد له على محل امارته من بجاية ؛ وأمدّه بما رضيه من المال والسلاح . ودفعه اليها

ليكون حجزاً دون السلطان بتونس . وضمن له هذا الامير صده عن الخلوص اليه وسد المذاهب دونه. واوعز ابو عنان الى اساطيله بوهران فركبها الامير الى تدلس ودخلها . ونزع اليـه صنهاجة اهـل ضاحية بجاية ؛ عن عمه المولى ابي العباس الفضل ؛ واعصوصبوا عليه ، وقاموا بامره ؛ لقديم نعمته وسالف امارة ابيه . ولما ارتحل الامير ابو عنان الى المغرب ، رحل في جملتهِ المولى ابو زيـد عبد الرحمن ابن مولانا الامير ابي عبدالله صاحب قسطينة ، ومعه اخوته ؛ فاختصهم يومئذ بتقريبه وخلطهم بنفسه . فلما غلب الامير ابو عنان منصور ابن اخيـه ابي مالك على البلد الجديد ، واستولى على المغرب ، رأى ان يبعث ملوك الموحدين الى بلادهم ، ويدفع في صدر ابيـه بمكانهم ؛ فسرح المولى ابا زيد وجميع اخوته ؛ وكان منهم مولانا السلطان ابو العباس الذي جبر الله به الصدع ، ونظم الشمل ، ففصلوا الى مواطن ملكهم ومحل امارتهم . وكان مولاهم نبيل حاجب ابيهم قد تقدم الى بجاية ، ولحق بالمولى ابي عبدالله بمكانه من حصارها . ثم تقدم الى قسنطينة ، وبها مولى من موالي السلطان المتغلب عليها ، وهو المولى ابو العباس الفضل . فلحين اطلاله على جهاتها وشعور اهلها بمكانه ، لفحت منهم عزائز المودة ، وذكروا جميل الايالة ، واجمعوا التوثب بواليهم . واحتل نبيل بظاهر قسنطينة ؛ فشرهت العامـة الى امارته والقيـام بدعوة مواليه . وتوثب اشياعهم على اولياء عمهـم فاخرجوهم ، واستولى

القائد نبيل على قسنطينة واعمالها، واقام دعوة المولى ابي زيد واخوته كما كانت اول مرة بها : وجاء من المغرب الى مركز امارتهم، ودعوتهم بها قائمة، ورايتهم على انحائها خافقة؛ فاحتلوا بها حلول الآساد بعرينها والكواكب بافاقها. ونهض المولى ابو عبدالله محمد فيمن اجتمع اليه من البطانة والاولياء الى محاصرة بلده بجاية؛ فاحجز عمه بالبلد واخذ بمخنقها اياماً؛ ثم افرج عنها، ثم رجع الى مكانه من حصارها. ودس الى بعض اشياعه بالبلد، وسرب المال بالغوغاء، فواعدوه فتح ابواب الربض في احدى ليالي رمضان سنة تسع واربعين. واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله، فهب الناس من مراقدهم فزعين، وقد ولج الامير وقومه البلد. ولجأ الامير ابو العباس الفضل الى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلاً حافياً، فاختفى الى ان عثر عليه ضحى النهار وسيق الى ابن اخيه، فمن عليه واركبه السفين الى محل امارته من بونة. وخلص ملك بجاية للمولى الامير ابي عبد الله هذا، واقتعد سرير ابائه بها. وكتبوا للامير ابي عنان بالفتح وتجديد المخالصة والموالاة، والعمل على مدافعة ابيه عن جهاته. والله تعالى اعلم.

الخبر عن نهوض الناصر بن السلطان ووليه عريف بن يحيى من تونس الى المغرب الأوسط

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض اطرافه ، وتغلب الاعياص من قومه وسواهم على اعماله ، ووصل اليه يعقوب بن علي امير الدواودة بولده وعماله ووفده ؛ نظر في تلافي امره ؛ فسرح ولده الناصر الى المغرب الاوسط لارتجاع ملكهم ، ومحو آثار الخوارج من اعمالهم . فنهض مع يعقوب بن علي واصحبه وليه عريف بن يحيى امير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب ، وقدمهما طليعة بين يديه . وسار الناصر الى بسكرة ، واضطرب معسكره بها . ثم فصل من بلاد رياح الى بلاد زغبة ، واجتمع اليه اولياؤهم من العرب ومن زناتة من بني توجين اهل وانشريش وغيرهم . وزحف اليهم الزعيم ابو ثابت من تلمسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمدافعة . والتقى الجمعان بوادي ورك ، وانفضت جموع الناصر وانذعروا ، ورجع على عقبه الى بسكرة . وخلص عريف بن يحيى الى قومه سويد ؛ ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى . ولحق بالامير ابي عنان ؛ فنزل منه بألطف محل ورجع الناصر الى بسكرة ، وارتحل مع اوليائهم اولاد مهلهل لمدافعة اولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس ، كما ذكرناه . واحسوا بهم ؛ فنهضوا اليهم وفروا امامهم ؛ الى أن خلص الناصر الى

بسكرة ثانية واتخذها مثوى ؛ الى أن لحق بالجزائر عند رحلته من تونس اليها ، كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن الى المغرب، وتغلب المولى الفضل على تونس، وما دعا الى ذلك من الأحوال

لما خلص المولى ابو العباس الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبته ببجاية ، وامتن عليه ابن اخيه فلحق بمحل امارته من بونة، ووافته بها مشيخة أولاد أبي الليل ، أوفدهم عليه بنو حمزة بن عمر يستحثونه لملك افريقية ويرغبونه فيه ؛ فاجاب داعيتهم ونهض اليهم بعد قضاء نسك الفطر من سنة تسع واربعين . ونزل بحللهم ، وارجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحي افريقية ، وجبوها . وصمدوا الى تونس فنازلوها وأخذوا بخنقها اياماً ؛ ثم اخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان واولياؤه من اولاد مهلهل وابنه الناصر عند قفوله من المغرب الاوسط مفلولا ؛ فرحلوا وشردهم . ثم رجعوا الى مكانهم من حصارها ؛ ثم انفضوا عنها . وتحيز خالد بن حمزه الى شيعة السلطان أبي الحسن من أولاد مهلهل وقومه ؛ فاعتزوا به . وذهب عمر بن حمزة الى المشرق لقضاء فرضه ، واجفل ابو الليل اخوه والمولى الفضل الى القفر ، حتى كان من دخول اهل الجريد في طاعته ما سنذكر . وكان السلطان لما خلص من القيروان الى تونس ، وفد عليه احمد بن مكي مهنياً ومفاوضاً

في شان الثغر ، وما مني بـه من انتقاض الاطراف وفساد الرعيـة . وتدارك السلطان امره عند فواته بالتولية على اهل القطر من جنسهم استئلافاً للكافة ، واستبقاء لطاعتهم . فعقد عـلى عمـل قابس وجربـة والحمة وما اليها لعبد الواحد ابن السلطان ابي زكرياء بن احمد اللحياني ، وانفذه مع احمد بن مكي الى عمله ؛ فهلك بجربة لليـال من مقدمـه بالطاعون الجارف عامئذ .

وعقد لابي القاسم بن عتّـو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد ، بعد ان كان استخلصه عند مفر أبي محمد بن تافراكين قريعه ، وما ظهر من سوء دخلته ؛ فنزل بتوزر ، وجمع اهل الجريد على الولاية والمخالصة . ولما نازل المولى ابو العباس الفضل تونس مرتين ، وشرد اولاد مهلهل ، وامتنعت عليه ؛ عمد الى الجريد سنة خمس يحاول فيه ملكاً . وخاطب ابا القاسم بن عتّـو يذكـره عهده وعهد سلفه وحقوقهم ، فتذكر وحن ، ونظر الى ما ناله به السلطان من المثلة في اطرافه . واستثار كامن حقده ؛ فانحرف وحمل الناس على طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان ابي يحيى فسارعوا الى الاجابة . وبايعه اهل تَوزَر وقَفْصة ونَفْطَة والحـمّة . ثم دعـا ابن مكي الى طاعته ؛ فأجاب اليها وبايعه اهل قابس وجربة أيضاً . وانتهى الخبر الى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار افريقية ، وانـه

ناهض الى تونس ؛ فاهمّه الشان وخشي على امره . وكانت بطانته يوسوسون اليه بالرحلة الي المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه ؛ فاجابهم اليها . وشحن اساطيله بالاقوات ، وازاح علل المسافرين ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين ؛ ركب البحر ايام استفحال فصل الشتاء .

وعقد لابنه أبي الفضل علي تونس ثقة بما بينه وبين اولاد حمزه من الصهر ، وتفاديا بمكانه عن معرة الغوغاء وثورتهم ، واقلع من مرسى تونس ولخمس دخل مرسى بجاية ، وقد احتاجوا الى الماء ؛ فمنعهم صاحب بجاية من الورود . واوعز الى سائر سواحله بمنعهم ؛ فزحفوا الى الساحل ، وقاتلوا من صدهم عن الماء ، الى ان غلبوهم عليه ، واستقوا واقلعوا . وعصفت بهم الريح ليلتئذ ، وجاءهم الموج من كل مكان ، والقاهم اليم بالساحل ، بعد ان تكسرت الأجفان ، وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فالقاه الى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة ، فمكثوا ليلتهم وصبحهم جفن من الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف ؛ فقذفوا اليه حين رأوه ، وقد تصايح به البربر من الجبال . وتوثبوا اليه فاختطفه اولياؤه من اهل الجفن ، قبل ان يصل اليه البربر ، وقذفوا به الى الجزائر ؛ فنزل بها ، ولأم صدعه . وخلع على من

وصل من فلّ الاساطيل ، ومن خلص اليه من اوليائه . ولحق به ابنه الناصر من بسكره . واتصل بالمولى الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد ، فاغذّ السير الى تونس . ونزل على ابنه ، ومن كان بها من مخالف أوليائه ، فغلبوهم عليها . واتصل اهل البلد بهم واحاطوا يوم منى بالقصبة . واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الأمير بالقصبة على الامان ؛ فخرج الى بيت ابي الليل ابن حمزة ، وانفذ معه من بلغه الى مأمنه ؛ فلحق بالجزائر بابيه . وبادر الى السلطان عديّ بن يوسف المنتزي بالمدينة من بني عبد القوى ، فصار في جملته ، وخرج له عن الأمر ، وزعم انه إنما كان قائماً بدعوته ، فتقبل منه وأقره على عمله .

ووفد عليه اولياؤه من المغرب : سويد والحارث وحصين ، ومن اليهم ممن اجتمع الى وليه ونزمار بن عريف المتمسك بطاعته . ووفد عليه أيضاً علي بن راشد امير مغراوة ، واغراه ببني عبد الواد ، واشترط عليه اقراره بوطنه وعمله اذا تم امره ؛ فابى من قبول الاشتراط ظناً بعهده عن النكث ؛ فنزع عنه وصار الى مظاهرة بني عبد الواد عليه . وبعث ابو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبي عنان في المدد ؛ فبعث اليه بعسكر من بني مرين ؛ عقد عليهم ليحيى بن رحّو بن تاشفين بن معطي من تيربيغين . وزحف الزعيم أبو ثابت الى حرب السلطان أبي الحسن فيمن اجتمع اليه من عسكر بني مَرين ومغراوة . وخرج

السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة واحتشد ونزمار سائر العرب بحللهم ووافاه بهم ، وارتحلوا الى شلف . ولما التقى الجمعان بشدبونه ؛ صدقه مغراوة الحملة . وصابرهم ابنه الناصر ، وطعن في الجولة فهلك ؛ فاحتل مصاف السلطان واستبيح معسكره ، وانتهبت فساطيطه ، وخلص مع وليه ونزمار بن عريف وقومه ، بعد ان استبيحت حللهم ، فخرجوا الى جبل وانشريش ، ثم لحقوا بجبل راشد ورجع القوم عن اتباعهم ، وانكفؤا الى الجزائر ، فتغلبوا عليها ؛ واخرجوا من كان بها من اولياء السلطان ، ومحوا آثار دعوته من المغرب الأوسط جملة . والامر بيد الله يؤتيه من يشاء .

الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة، ثم فراره عنها
أمام ابنه الى مراكش، ثم استيلاؤه عليها، وما تخلل ذلك

لما انفضت جموع السلطان بشدبونه ، وفلت عساكره ، وهلك الناصر ابنه ؛ خلص الى الصحراء مع وليه ونزمار ، ولحق بحلل قومه سويد واوطانهم قبلة جبل وانشريش ، واجمع امره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه . وارتحل معه وليُّه ونزمار بالناجعة من قومه ، وخرجوا الى جبل راشد . ثم ابعدوا المذهب وقطعوا المفاوز ، وسلكوا الى سجلماسة في القفر . فلما اطلوا عليها ، وعاين اهلها السلطان ؛ تهافتوا عليه تهافت الفراش . وخلص اليه

العذارى من وراء ستورهن صاغية اليه ، وايثارا لايالته . وفر العامل بسجلماسة الى منجاته . وكان الامير ابو عنان لما بلغه الخبر بقصده سجلماسة ارتحل اليها في قومه وكافة عساكره ، بعد ان ازاح عللهم ، وأفاض عطاءه فيهم . وكان لبني مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته ، لجناياتهم بالتخاذل في المواقف ، والفرار عنه في الشدائد ، ولما كان يبعد بهم في الاسفار ، ويتجشم بهم المهالك ، فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته ، ومخلصين في مناصحة ابنه منازعه . فما لبث السلطان ان جاءه الخبر بوصولهم إليه في العساكر الضخمة ، مغذّين السير الى دفاعه ، وعلم من حاله انه لا يطيق لقاءهم . واجفل عنه ونزمار وليه في قومه سويد . وكان من خبره ان عريف بن يحيى كان نزع الى الأمير أبي عنان ، واحلّه بمحلّه المعهود من تشريفهم وولايتهم حتى اذا بلغه الخبر بمناصحة ونزمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بناجعته ؛ زوى عنه وجه رضاه بعض الشيء ، واقسم له لئن لم يفارق السلطان لاوقعن بك وبابنك عنتر ، وكان معه من جملة الأمير أبي عنان . وامره بان يكتب له بذلك ؛ فآثر ونزمار رضى ابيه . وعلم ان غناءه عن السلطان في وطن المغرب قليل ؛ فاجفل عنه ولحق بالزاب وانتبذ عن قومه ، والقى عصاه ببسكرة ؛ فكان ثواؤه بها الى ان لحق بالامير أبي عنان على ما نذكره .

ولما اجفل السلطان عن سجلماسة ، ودخل الامير أبو عنان اليها ؛ وثقف اطرافها وسدّ فروجها ؛ وعقد عليها ليحيى بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن . وبلغه قصد السلطان الى مَرّاكش ؛ فاعتزم على الرحلة اليها وأبى عليه قومه ؛ فرجع الى فاس الى ان كان من خبرهم مع السلطان ما نذكره .

الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش، ثم انهزامه أمام الأمير أبي عنان، ومهلكه بجبل منتاتة عفا الله عنه

لما اجفل السلطان من سجلماسة سنة احدى وخمسين بين يدي الامير أبي عنان وعساكر بني مرين ؛ وقصد مراكش وركب اليها الأوعار من جبل المصامدة . ولما شارفها تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ، ونسلوا من كل حدب . ولحق عامل مَرّاكش بالامير أبي عنان ، ونزع الى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو المجد محمد بن أبي مَديَن بما كان في المودع من مال الجباية ؛ فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته . واسترکب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ، ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له ملك بمراكش أمّل معه ان يستولي على سلطانه ، ويرتجع فارط امره من يد مبتزه . وكان الامير أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها ، وشرع في العطاء وأزاح العلل ، وتقبّض على كاتب

الجباية حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين ، اتهمه بممالأة بني مرين في الاباية عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة . واثار حقده في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد الى السلطان باموال الجباية . ووسوس اليه في السعاية به كاتبه وخالصته ابوعبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو، لما بينهما من المنافسة ؛ فتقبض عليه وامتحنه ، ثم قطع لسانه ، وهلك في ذلك الامتحان . وارتحل الامير أبو عنان وجموع بني مرين الى مراكش ، وبرز السلطان للقائهم ومدافعتهم ، وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادي أم ربيع ، وتربص كل واحد بصاحبه اجازة الوادي ثم اجازه السلطان أبو الحسن ، واصبحوا جميعاً في التعبية . والتقى الجمعان بتامدغرست في اخر صفر من سنة احدى وخمسين ، فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ، ولحق به ابطال بني مرين ، فرجعوا عنه حياء وهيبة . وكبا به فرسه يومئذ في مفره ، فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله . واعترضهم دونه ابو دينار سليمان بن علي بن احمد امير الدواودة ، ورديف اخيه يعقوب ؛ كان هاجر مع السلطان من الجزائر ، ولم يزل في جملته الى يومئذ . فدافع عنه حتى ركب ، وسار من ورائه ردءاً له . وتقبض على حاجبه علال بن محمد ، فصار في يد الامير ابي عنان ، واودعه السجن الى ان امتنّ عليه بعد مهلك ابيه .

وخلص السلطان الى جبل هنتاتة ، ومعه كبيرهم عبد العزيز بن

محمد بن علي ، فنزل عليه واجاره . واجتمع إليه الملأ من هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة ، وتدامروا وتعاهدوا على الدفاع عنه ، وبايعوه على الموت . وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش ، وانزل عساكره على جبال هنتاتة ، ورتب المسالح لحصاره وحربه ، وطال عليه ثواؤه . وطلب السلطان من ابنه الابقاء ، وبعث في حاجبه محمد بن أبي عمرو فحضر عنده، واحسن العذر عن الامير أبي عنان . والتمس له الرضى منه ، فرضي عنه وكتب له بولاية عهده . واوعز اليه بان يبعث له مالاً وكسى ، فسرح الحاجب ابن أبي عمرو الى اخراجها من المودع بدار ملكهم . واعتل السلطان خلال ذلك ، فمرّضه اولياؤه وخاصته . وافتصد لاخراج الدم ، ثم باشر الماء بعضوه للطهارة ، فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه ، لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين .وبعث اولياؤه بالخبر الى ابنه بمعسكره من ساحة مراكش ، ورفعوه على اعواده اليه ، فتلقاة حافياً حاسراً ، وقبّل اعواده وبكى واسترجع ، ورضي عن اوليائه وخاصته وانزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته . ووارى اباه بمراكش ، الى ان نقله الى مقبرة سلفه بشالة في طريقه الى فاس . وتلقى ابا دينار بن علي بن احمد بالقبول والكرامة ، واحله من كنفه محل الرحب والسعة ، واسنى جوائزه ، وخلع عليه وحمله . وانصرف من فاس الى قومه يستحثهم للقاء السلطان ابي عنان بتلمسان ، لما كان اجمع على الحركة اليها بعد

مهلك ابيه ورعى لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة اجارته للسلطان واستماتته دونه ، فعقد له على قومه واحلّه بالمحلّ الرفيع من دولته ومجلسه ، واستبلغ في تكريمه . والله تعالى اعلم .

الخبر عن حركة السلطان أبي عنان الى تلمسان، وايقاعه ببني عبد الواد بانكاد، ومهلك أبي سعيد سلطانهم

لما هلك السلطان أبو الحسن ، وانقضى شأن الحصار ، وارتحل السلطان ابو عنان إلى فاس ، ونقل شلو ابيه الى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من هنالك من سلفه ، وأغذّ السير الى فاس ، وقد استبد بالامر ، وخلت الدولة عن المنازع ؛ فاحتل بفاس واجمع امره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي سموا لاستخلاصه . ولما كان فاتح سنة ثلاث وخمسين ، نادى بالعطاء وازاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ، واعترض العسكر وارتحل يريد تلمسان . واتصل الخبر بأبي سعيد واخيه ، فجمعوا قومهم ومن اليهم من الاشياع والاحزاب من زناتة والعرب وارتحلوا الى لقائه. ونزل السلطان بمعسكر وادي مَلْوِيّة ، وتلوّم به أياما لاعتراض الحشد والعرب . ثم رحل على التعبية ، حتى اذا احتل ببسيط أنكاد وتراءى الجمعان ؛ انفض سرعان المعسكر ولحقوا بالمغرب . وركب السلطان في التعبية ، وخاض بحر القتال ، وقد اظلم الجوّ به . حتى اذا خلص إليهم من غمرة

وخالطهم بصفوفهم ، ولوا الأدبار ، ومنحوهم الاكتاف . واتبع بنو مرين آثارهم ؛ فاستولوا على معسكرهم واستباحوه . واستلحموهم قتلا وسبياً وصفدوهم اسارى ، وغشيهم الليل وهم متسايلون في آثارهم وتقبض على أبي سعيد سلطانهم ؛ فسيق الى السلطان ، وامر باعتقاله ، وأطلق أيدي بني مرين من الغد على حلل العرب من المعقل ؛ فاستباحوهم واكتسحوا اموالهم جزاء بما شرهوا اليه من النهب بالمحلة في هيعة ذلك المجال ، ثم ارتحل به على تعبية الى تلمسان ؛ فاحتل بها لربيع من سنته ، واستوت في ملكها قدمه . واحضر ابا سعيد ، فقرّعه ووبخه ، واراه اعماله حسرة عليه ، واحضر الفقهاء وارباب الفتيا ، فافتو بحرابته وقتله . وامضى حكم الله فيه ؛ فذبح بمحبسه لتاسعة من اعتقاله مثلاً للآخرين . وخلص اخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق ؛ فكان من خبره ما نذكره إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

الخبر عن شأن أبي ثابت، وإيقاع بني مرين به بوادي شلف، وتقبض الموحدين عليه ببجاية

لما اوقع السلطان ببني عبد الواد بأنكاد ، وتقبض على أبي سعيد سلطانهم ؛ خلص أبو ثابت أخوه في فل منهم . ومر بتلمسان ؛ فاحتمل حرمهم ومخلفهم . واجفل الى الشرق ؛ فاحتل بشلف من بلاد مغراوة . وعسكر هنالك ، واجتمع اليه أوشاب من زناتة .

وحدث نفسه باللقاء ، ووعدها بالصبر والثبات . وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار في عساكر بني مرين والجند ؛ فأغذّ السير اليهم ، وارتحل من تلمسان على أثره . ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المجاولة ، وخاضوا النهر بالقراع . ثم صدق بنو مرين الحملة واجازوا النهر اليهم ؛ فانكشفوا واتبعوا آثارهم ؛ فاستلحموهم واستباحوا معسكرهم ، واستاقوا اموالهم ودوابهم ونساءهم ، وارتحلوا في اتباعهم . وكتب الوزير بالفتح الى السلطان . ومر أبو ثابت بالجزائر طارقاً ، واجاز الى قاصية الشرق ؛ فاعترضتهم قبائل زواوة ، وارجلوهم عن خيلهم ، وانتهبوا اسلابهم ، ومروا حفاة عراة . واحتل الوزير بالجزائر ؛ فاستولى عليها . واقتضى بيعة السلطان منهم ؛ فاتوها . واحتل السلطان بالمدية ، واوعز الى امير بجاية المولى أبي عبد الله محمد حافد مولانا الامير أبي يحيى مع وليه ونزمار ، وخالصته يعقوب بن علي ، بالقبض على أبي ثابت واشياعه ؛ فاذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمراصد . وعثر بعض الجُشْم على أبي ثابت وأبي زَيّان ابن اخيه أبي سعيد ، ووزيرهم يحيى بن داود ؛ فرفعوهم الى الامير ببجاية فاعتقلهم . وارتحل الى لقاء السلطان بالمدية ، وبعث بهم مع مقدّمته ، وجاء على اثرهم ونزل على السلطان بمعسكره من المدية خير نزل ، بعد ان تلقّاه بالمبرة والاحتفاء ، وركب الى لقائه. ونزل عن فرسه للسلطان ؛ فنزل السلطان براً به واودع ابا ثابت السجن . وتوافت اليه وفود

الدواودة بمكانه من المدية ؛ فاكرم وفدهم واسنى اعطياتهم من الخلع والحملان والذهب ، وانقلبوا خير منقلب. ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل الزاب ووفدهم؛ فاكرمهم ووصلهم. وفرغ السلطان من شأن المغرب الأوسط ، وبث العمال في نواحيه ، وثقف اطرافه ، وسما الى ملك افريقية ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن تملّك السلطان أبي عنان بجاية، وانتقال صاحبها الى المغرب

لما وصل المولى ابو عبد الله محمد ابن الأمير أبي زكريا يحيى صاحب بجاية الى السلطان بمكانه من المدية ، في شعبان من سنته ، واقبل السلطان عليه ؛ وبوأه كنف ترحيبه وكرامته ؛ خلص الامير به نجيّاً وشكى اليه ما تلقاه من اهل عمله من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد ، وما يتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة . وكان السلطان متشوّقاً لمثلها ، فاشار عليه بالنزول عنها يعوضه عنها ما شاء من بلاده ؛ فسارع الى قبول اشارته ودس اليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يستبد بذلك على رءوس الملأ ففعل ونقم عليه بطانته ذلك ، وفر بعضهم من معسكره ؛ فلحق بافريقية ، ومنهم علي بن القائد محمد بن الحكيم . وامره السلطان ان يكتب بخطه الى عامله على البلد بالنزول عنها ، وتمكين عمال السلطان منها ففعل . وعقد السلطان عليها لعمر بن علي الوطاسي ، من اولاد الوزير الذين ذكرنا خبر انتزائهم بتازوطا

من قبل .ولما قضى السلطان حاجاته من المغرب الأوسط، واستولى على بجاية ، انكفأ راجعاً الى تلمسان لشهود الفطر بها ، ودخلها في يوم مشهود . وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطران بهما في ذلك المحفل بين السماطين ، فكانا عبرة لمن حضر. وسيقا من الغد الى مصارعهما ، فقتلا قعصاً بالرماح . وانزل السلطان المولى الأمير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل ، وفرش له في مجلسه تكرمة به ، الى ان كان من توثب صنهاجة واهل بجاية بعمر بن علي ، ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى .

الخبر عن ثورة أهل بجاية، ونهوض الحاجب اليها في العساكر

كان صنهاجة هؤلاء من اعقاب تكلاتة ملوك القلعة وبجاية ، نزل اولوهم بوادي بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين في مواطن بني وريا كل مذ اول دولة الموحدين ، واقطعوهم على العسكر معهم . ولما ضعفت جنود الموحّدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان، وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة . وكان المولى الامير ابو عبد الله هذا قد اصاب منهم لاول امره ، وقتل محمد بن تميم من اكابر مشيختهم . وكان حاجبه فارح مولى ابن سيّد الناس عريفاً عليهم من عهد ابيه الأمير أبي زكرياء ، وكان مستبدّاً على المولى أبي عبد الله . فلما نزل عن امارته للسلطان أبي عنان سخط ذلك ونقمه عليه ،

واسرّها في نفسه ولم يبدها له . وسرحه أميره مع عمر بن علي الوطاسي لنقل حرمه ومتاعه وماعون داره ؛ فوصل اليها . وشكى اليه الصنهاجيّون مغبّة أمرهم في ثقل الوطأة وسوء الملكة ، فاشكاهم ودعاهم الي الثورة ببني مرين ، والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبي زيد صاحب قُسَنْطينة ؛ فاجابوه وتواعدوا للفتك بعمر بن علي بمجلسه من القصبة . وتولى كِبَرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما اكب عليه للثم أطرافه ، طعنه بخنجره ، وفر الي بيته جريحاً ؛ فولجوا عليه واستلحموه . وثارت الغوغاء من أهل البلد أوّل ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين .

وركب الحاجب فارح ، وهتف الهاتف بدعوة المولى أبي زيد ؛ وطيروا بالخبر اليه واستدعوه ؛ فتثاقل عن إجابتهم . وبعث مولى من المعلوجي للقيام بأمره . وبلغ الخبر الي السلطان ، فاتهم المولى ابا عبدالله بمداخلة حاجبه ؛ فاعتقله بداره . واعتقل وفداً من ملأ بجاية كان ببابه وثابت اراء المشيخة من اهل بجاية ، وتمشت رجالاتهم واولو الرأي والشورى منهم في الفتك بصنهاجة والعلج ، وداخلهم القائد هلال ابن سيّد الناس من المعلوجي ، وعلي بن محمد بن ألميت حاجب الأمير أبي زكرياء يحيى ، ومحمد ابن الحاجب أبي عبد الله بن سيّد النـاس ؛ وتواعدوا الفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة ؛

فجهروا بالنكر على الحاجب ، ودعوه الى المسجد ليؤامروه . ونذر بامرهم ؛ فاعتمدو دار شيخ الفتيا أحمد بن ادريس . واقتحموا عليه الدار ، وباشره مولاه محمد بن سيّد الناس ؛ فطعنه واشواه ، ورمى بشلوه في سقف الدار ، وقطع رأسه وبعث به الى السلطان . وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد ، وكان بالمرسى احمد بن سعيد القرموني من حاشية السلطان ، جاء في السفين لبعض حاجاته من تونس ، ووافى مرسى بجاية يومئذ ؛ فانزلوه واعصوصبوا عليه ، وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته . واشار عليهم احمد القرموني ان يبعثوا الى قائد تدلس من مشيخة بني مرين يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسي ؛ فاستدعوه ووصل اليهم في لمة من العسكر ، وبعثوا باخبارهم الى السلطان وانتظروا . فلما بلغ الخبر الى السلطان ؛ امر حاجبه محمد بن أبي عمرو بالنهوض الى بجاية ، فعسكر بساحة تلمسان . وانتقى له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس ، ازاح عللهم واستوفى اعطياتهم . وسرحه ؛ فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الاضحى ، وأغذّ السير الى بجاية . ولما نزل ببني حسن ؛ جمع له صنهاجة ، ثم خاموا عن اللقاء ؛ ولحقوا بقسنطينة ، واجازوا منها الى تونس . واختل الحاجب بمعسكرهم من خميس بتكلات . وخرج اليه المشيخة والوزراء ؛ فتقبّض على القائد هلال واشخصه الى السلطان ودخل البلد في التعبية ، واحتل بقصبتها لمحرم فاتح اربع وخمسين .

وسكن الناس ، وخلع على المشيخة ، واختص علي بن الميت [١] ومحمد ابن سيد الناس ، واستظهر بهم على امره . وتقبض على جماعة من الغوغاء نقباء علي من تحت ايديهم ممن يتهم بالمداخلة في التوثب يناهزون مايتين ، واعتقلهم واركبهم السفين الى المغرب ؛ فودع الناس وسكنوا . وتوافت وفود الدواودة من كل جهة ، واجزل صلاتهم ، واقتضى على الطاعة رهنهم . ووصل عامل الزاب يوسف وسدّ فروجه ، وارتحل الى تلمسان اول جمادى لشهرين من مدخله . وأغذّ السير بمن معه من العرب والوفود ، وكنت يومئذ في جملتهم ، وقد خلع عليّ وحملني واجزل صلتي . وضرب لي الفساطيط ؛ فوفدت في ركابه . وقدم تلمسان لأول جمادى الآخرة فجلس السلطان للوفد ، واعترض ما جنب له من الجياد والهدية ، وكان يوماً مشهوداً . ثم اسنى السلطان جوائز الوفد ، واختص يوسف بن مزني ويعقوب بن علي بمزيد من البرّ والصلة ، وخصوصيات من الكرامة ، وائتمرهم في شأن افريقية ومنازلة قسنطينة . ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمرو على كره منه لما نذكره من أخباره ، وانصرفوا الى مواطنهم لأول شعبان من سنة اربع وخمسين . وانقلبت معه بعد إسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان ، والوعد الجميل بتجديد ما لي ولقومي ببلدنا من الاقطاع والله أعلم .

---

(١) كذا، وفي نسخة : المنت.

الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو، وما عقد له السلطان على ثغر بجاية، وعلى منازلة قسنطينة، ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من اهل المهْدِيَّةِ من أجناد العرب من بني تميم بافريقية ، وانتقل جدّه علي الى تونس باستدعاء السلطان المستنصر ، وكان فقيهاً عارفاً بالفتيا والاحكام ؛ فقلده القضاء بالحضرة . واستعمله على كتابة علامته في الرسائل والاوامر الكبرى والصغرى ؛ فاضطلع بذلك ، وهلك على حاله من التجلّة والمنصب وقلّد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عُمَر ابن الامير أبي زَكَرِيّاء ، لما كان لابيه ؛ فاضطلع بذلك وكان اخوه أحمد بن علي مسمّتا وقوراً منتحلاً للعلم . ونشأ ابنه محمد ، وقرأ بتونس ، وتفقّه على مشيختها . ولما التاثت امورهم وتلاشت احوالهم ؛ خرج محمد بن احمد بن علي مبتغياً للرزق والمعاش ؛ فطوّحت به الطوائح الى بلد القل . وكان منتحلاً للطلب (١) والكتابة ؛ فاستعمل شاهداً بمرسى القلّ أيام رياسة الحاجب ابن غمر ، وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتي المنتحل نسب الشرف . وكانا رفيقين في مطارح اغترابها ؛ فسعى له في مرافقته في الشهادة فاسعف ، واتصلا بابن غمر فحمد مذاهبها . ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس الى طاعة الموحدين ، ايام التياث أبي

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ ، وأظنها محرفة . عن : «الطب» .

حمّو ، بخروج محمد بن يوسف عليه ، واعتلال الدولة ، ودخل في امر بن غمر وجملته ؛ فبعث محمد بن أبي عمرو إلى تدلس ، واستعمل حسن الشريف في القضاء، ومحمد بن عمرو في شهادة الديوان . فلما برئت الدولة من مرضها ، واستفحل أمر أبي حمو ، وتغلب على تدلس ، وجاء رئيس الفتيا ابن الامام لاقتضاء طاعتها وانفاد اهلها على السلطان ؛ كانوا في الوفد . واستقروا بتلمسان من يومئذ ، واستعملا معاً في خطة القضاء متعاقبين أيام بني عبد الواد وأيام السلطان أبي الحسن . وتعصب على ابن أبي عمرو أيام قضائه جماعة من مشيخة البلد، وسعوا به الى السلطان أبي الحسن . وتظلموا فاشكاهم على علم من براءته ، واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه ؛ فافرغ وسعه في ذلك . وربي ولده محمد هذا الحاجب مع السلطان أبي عنان مرقاً جليلا ، والقى عليه محبته ، حتى اذا أخلص له الملك ؛ رفع رتبة محمد بن أبي عمرو هذا ، ورقّاه من منزلة الى اخرى ؛ حتى اذا أوفى به على سائر المراتب ، وجعل اليه العلامة والقيادة والحجابة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر القاب دولته وخصوصيات داره ؛ فانصرفت اليه الوجوه ، ووقعت ببابه اشراف من الاعياص والقبائل والشرفاء والعلماء . وسرب اليه العمال اموال الجباية تزلّفا ، وطال امره واستيلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما اتاه الله من الحظ ؛ حتى اذا خلا لهم وجه السلطان منه عند نهوضه الى بجاية ، حامت اعراض السعاية على مكانه فقرطست والقى السلطان اذنه لاستماعها . فلما

رجع من بجاية ، وكانت له الدالّة على السلطان ، وجد عليه في قبول الالاقي . ولقيه مغاضباً ، فتنكـر له السلطان ، ثم تجنى فطلب الغيبة عن الدولة ، وان يعقد له على بجاية متوهما ان السلطان ضنين به فبادر السلطان الى اسعافه وبدا له ما يحتسب من الاعراض عنه . ورجع الى الرغبة في الاقالة فلم يسعف . وعقد له عـلى حرب قُسنْطِينَة ، وحكمه في المال والجيش ، وارتحل في شعبان من سنة اربع وخمسين واحتل بجاية آخرها واشتى بها .

ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهـد المولى الفضل واعتقاله إياه ؛ فنصبوه للامر لتفريق كلمة بني مرين ، واجمعوا له الآلة والفساطيط ، وقام بأمره ميمون بن علي لمنافسة مع اخيه يعقوب . وسمع بخبره يعقوب ، فأغذّ السير اليه بحلله من بلاد الزاب ، وفرق جمعهم ، وردهم على اعقابهم ، واحجزهم بالبلد ولما انصرم الشتاء ، وقضى منسك الاضحى ، عسكر بساحة البلد ، واعترض العساكر وازاح عللهم ، وفرق اعطياتهم ، وارتحل الى منازلة قسنطينة . واجتمع اليه الدواوده بحللهم ، وجمع المولى ابو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من احياء بونة ، وميمون بن علي بن احمد وشيعته من الدواودة ، وعقد عليهم لحاجبه نبيل ، وسرحه للقاء ابن أبي عمرو وعساكره ؛ فاوقع بهم الحاجب لجمادي من سنة خمس ، واكتسح

اموالهم . ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنصوب للامر ؛ فاقتادوه اليه ، واشخصه الى اخيه السلطان . واوفد المولى ابو زيد ابنه على السلطان أبي عنان ؛ فتقبل وفادته وشكر مراجعته ، وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية ، واقام بها الى ان هلك في المحرم فاتح سنة ست وستين ؛فذهب حميد السيرة عند اهل البلد ، وتفجعوا لمهلكه . وبعث السلطان دوابه لارتحال عياله وولده ، ونقل شلوه الى مقبرة أبيه بتلمسان . وسرح ابنه أبا زيّان في عسكر بني مَرين لمواراته بها . وعقد على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد وزيره ؛ فنهض اليها في شهر ربيع من سنة ست وخمسين واستقر بها . وتقبّل ما حمده الناس من مذاهب الحاجب وسيره فيها على ما نذكره . وجهز العساكر الى حصار قسنطينة ، الى ان كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى .

الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان بجبل السكسيوي، ومكر عامل دلاعة به ومهلكه

كان السلطان أبو عنان بعد مهلك أبيه ، لحق به في جملته اخواه ابو الفضل محمد وابو سالم ابراهيم ، وتدبر في ترشيحها وحذر عليها مغبته فاشخصها الى الاندلس واستقرا بها في ايالة أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد ابن الرئيس أبي سعيد ثم ندم على ما اتاه من ذلك ؛ فلما

استولى على تلمسان والمغرب الأوسط ، ورأى أن قد استفحل امره واعتزّ سلطانه ، اوعز الى أبي الحجاج ان يشخصهما اليه ليكون مقامهما لديه احوط على الكلمة من ان يعتمد على تفريقهما سماسرة الفتن . وخشي ابو الحجاج عليهما غائلته ؛ فأبى من اسلامهما اليه ، واجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين ؛ فاحفظ السلطان كلمته . واوعز الى حاجبه محمد بن أبي عمرو بان يخاطبه في ذلك بالتوبيخ واللائمة ؛ فكتب له كتابا أبدع فيه ، وقفني عليه الحاجب ببجاية أيام كوني معه ؛ فقضيت العجب من فصوله واغراضه. ولما قرأه أبو الحجاج دسّ الى كبيرهما أبي الفضل باللحاق بالطاغية ، وكانت بينهما ولاية ومخالصة منذ مهلك ابيه ألهُنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين ؛ فنزع اليه ابو الفضل واجاره ، وجهز له اسطولا الى مراسي المغرب . وانزله بساحل السوس ؛ فلحق بالسكسيوي عبد الله ودعا لنفسه . وبلغ الخبر الى السلطان بين يدي مقدم حاجبه ابن أبي عمرو من فتح بجاية سنة اربع وخمسين ؛ فجهز عساكره الى المغرب . وعقد على حرب السكسيوي لوزيره فارس بن ميمون بن ودرار وسرحه اليه ؛ فنهض من تلمسان لربيع من سنة اربع وخمسين . واغذّ السير الى السكسيوي ونزل بخنقه واحاط به ، واختط مدينة لمعسكره وتجهيز كتائبه بسفح جبله ، وسماها القاهرة . واشتد الحصار على السكسيوي ، وراسل الوزير في الرجوع الى الطاعة المعروفة ،

وان ينتبذ العهد إلى أبي الفضل ؛ ففارقه وتنقل في جبال المصامدة .

ودخل الوزير فارس الى ارض السوس ، فدوخ اقطاره ومهد انحاءه ، وسارت الالوية والجيوش في جهاته . ورتب المسالح في ثغوره وامصاره مثل ايفري وفوريان وتارودانت ، وثقف اطرافه وسد فروجه . وسار ابو الفضل في جبال المصامدة الى ان انتهى الى صناكة ، والقى بنفسه علي ابن حميدي منهم مما يلي بلاد درعة ؛ فاجاره وقام بامره . ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالي من مشيخة دولة بني عبد الواد ، كان اصطنعه السلطان ابو الحسن منذ تغلّبه عليهم وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين ؛ فاستقر في دولتهم ومن جملة صنائعهم ؛ فاخذ بمخنق ابن حميدي وارهبه بوصول العساكر والوزراء اليه ، وداخله في التقبّض على أبي الفضل وان يبذل له في ذلك ما احب من المال ؛ فاجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الأمير ابا الفضل ووعده من نفسه الدخول في امره . وطلب لقاه ، فركب اليه ابو الفضل . ولما استمكن منه عبد الله بن مسلم تقبّض عليه ، ودفع لابن حميدي ما اشترط له من المال ، واشخصه معتقلا الى اخيه السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين ، فاودعه السجن ، وكتب بالفتح الى القاصية . ثم قتله لليال من اعتقاله خنقاً بمحبسه . وانقضى امر الخوارج ، وتمهدت الدولة ، الى ان كان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه

كان عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق هذا من مشيخة بني مرين، وكان صاحب شوراهم لعهده. وقد كنا قصصنا من قبل أخبار ابيه الحسن عند ذكر دولة أبي الربيع. وكان السلطان ابو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالاندلس، وانزله بجبل الفتح عندما اكمل بناه، وجعل اليه النظر في مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها، فطال عهد ولايته ورسخ فيها قدمه. وكان السلطان ابو الحسن يبعث عنه في الشورى متى عنت. وحضره عند سفره الى افريقية، واشار عليه بالاقصار عنها، واراه ان قبائل بني مرين لا تفي اعدادهم بمسالح الثغور إذا رتبت شرقاً وغربا وعدوة البحر وان افريقية يحتاج من ذلك الى اوفر الاعداد وأشد الشوكة، لتغلب العرب عليها وبعد عهدهم بالانقياد؛ فاعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره الى تملكها، وصرفه الى مكان عمله بالثغور الاندلسية. ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الأبناء بفاس وتيلمسان؛ أجاز البحر لحسم الداء ونزل بغساسة. ثم انتقل الي وطنه بتازى، وجمع قومه بني عسكر. والفى السلطان أبا عنان قد هزم عساكر ابن اخيه واخذ بمخنقه؛ فاجلب عليه وبيته بمعسكر من ساحة البلد الجديد. وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعه سعيد بن موسى العجيسي، وانزله بثغر بلاد بني

عسكر على واد بوحلّو . وتواقفا كذلك أياما حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد . ثم راسل عيسى بن الحسن في الرجوع الى طاعته . وابطأ عنه صريخ السلطان أبي الحسن بافريقية ؛ فراجعه واشترط عليه ؛ فتقبل وسار اليه ؛ فتلقاه السلطان وامتلأ سروراً بمقدمه . وانزله قصوره ، وجعل الشورى اليه في مجلسه ، واستمرت على ذلك حاله .

ولما تمكنت حال ابن أبي عمرو بعد مهلك السلطان أبي الحسن ، وانفرد بخلة السلطان ومناجاته ، وحجب عن الخاصة والبطانة ؛ احفظه ذلك ولم يبدها . واستأذن السلطان في الحج ؛ فاذن له وقضى فرضه ، ورجع الى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين . ولقي ابن أبي عمرو ببجاية ، وتطارح عليه في ان يصلح حاله عند سلطانه ؛ فوعده في ذلك . ولما وفد على السلطان وجده قد استبد في الشورى ، وتنكر للخاصة والجلساء ؛ فاستأذنه في الرجوع الى مجلسه من الثغر لاقامة رسم الجهاد فاذن له . واجاز البحر الى جبل الفتح من سنته ، وكان صاحب ديوان العطاء بالجبل يحيى الفرقاجي ، وكان مستظهراً على العمال ، وكان ابنه أبو يحيى قد برم بمكانه . فلما وصل عيسى الى الجبل اتبعه السلطان باعطيات المسالح مع مسعود بن كندوز من صنائع دولته ؛ فسرب الفرقاجي الى الضرب على يده شانه مع ابنه ايام مغيبه

وانف عيسى من ذلك ؛ فتقبّض عليه واودعه المطبق ، وورد أبن كندوز[1] على عقبيه واركبه السفين من ليلته الى سبتة ، وجاهر بالخلعان . وبلغ الخبر الى السلطان أبي عنان ؛ فقلق لذلك وقام في ركائبه وقعد ، واوعز بتجهيز الاساطيل ، وظن أنه تدبير من الطاغية وابن الاحمر . وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عيناً على شأنهم فوصل الى مرسى الجبل . وكان عيسى بن الحسن لما جاهر بالخلعان ، تمشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنين بالجبل ، وتحدثوا في شانه ، وامتنعوا من الخروج على السلطان وتوامروا في اسلامه برمته . وخلا به سليمان بن داود بن اعراب العسكري ، كان من خواصه واهل شوراه . وكان عيسى قد مكن قدمه عند السلطان واستعمله على رُنْدَة . فلما جاهر عيسى بالخلعان ، وركب له ظهر الغدر ؛ خالفه سليمان هذا الى طاعة السلطان ، وانفذ كتبه وطاعته . واشتبه عليه الامر ، فندم اذ لم يكن بنى امره على اساس من الرأي . فلما احتل اسطول احمد بن الخطيب بمرسى الجبل ، خرج اليه وناشده الله والعهد ان يبلغ السلطان طاعته ؛ والبراءة مما صنع اهل الجبل ، ونسبها اليهم . فعند ذلك خشي غمارة على انفسهم ؛ فثاروا به . ولجأ الى الحصن ؛ فاقتحموه عليه ، وشدوه وابنه وثاقاً ، وألقوه في اسطول ابن الخطيب . وانزله بسبتة وطير الى السلطان بالخبر ، فخلع عليه

(١) كذا، وفي ب: كندوس.

وامر خاصته فخلعوا عليه . وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن علي وعمر ابن العجوز وقائد جند النصارى ، فاحضروهما بدار السلطان يوم منى من سنة ست . وجلس لهما السلطان، ووقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما واودعهما السجن وشد وثاقهما ، حتى قضى منسك الاضحى. ولما كان خاتم سنته امر بهما ، فجنبا الى مصارعهما : وقتل عيسى قعصا بالرماح ، وقطع ابنه ابو يحيى من خلاف ، وأبى من مداواة قطعه ، فلم يزل يتشحط في دمه الى ان هلك لثانية قطعه ، واصبحا مثلاً في الآخرين . وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود الى ان كان من الامر ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن نهوض السلطان الى قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها

لما هلك الحاجب محمد بن أبي عمرو ، عقد السلطان على الثغور ببجاية وما وراءها من بلاد افريقية لوزيره عبد الله بن علي بن سعيد ، وسرحه اليها واطلق يده في الجباية والعطاء . وكانت جبال ضواحي قسنطينة قد تملكها السلطان بما كانت الدواودة متغلبة عليها . وكان عامة اهل ذلك الوطن قبائل سدويكش ، وعقد السلطان عليهم لموسى ابن ابراهيم بن عيسى ، وانزله بتاوريرت آخر عمل بجاية في أقاربه وولده وصنائعه . ولما نزل ابن أبي عمرو بجاية ، واخذ بمخنق قسنطينة ، ثم ارتحل عنها على ما عقد من السلم مع المولى الأمير أبي زيد ، انزل

موسى بن ابراهيم بميلة ، فاستقر بها . ولما ولي الوزير عبد الله بن علي امر افريقيه ، اوعز اليه السلطان بمنازلة قسنطينة ، فنازلها سنة سبع واخذ بمخنقها . ونصب المنجنيق عليها ، واشتد الحصار باهلها ، وكادوا ان يلقوا باليد ، لولا ما بلغ المعسكر من الارجاف بمهلك السلطان ؛ فافرجوا عنها . ولحق المولى ابو زيد ببونة . واسلم البلد الى اخيه مولانا امير المؤمنين أبي العباس أيّده الله تعالى ، عندما وصل اليه من افريقية ، كان بها مع العرب طالباً ملكهم بتونس ، ومجلبا بهم على ابن تافراكين منذ نازلوا تونس سنة ثلاث وخمسين كما مر . فلما رجع الآن الى قسنطينة مع خالد بن حمزة ، داخل خالد المولى ابا زيد في خروجه الى حصار تونس ، واقامة مولانا أبي العباس بقسنطينة ، فاجاب لذلك وخرج معه .

ودخل مولانا ابو العباس الى قسنطينة ؛ فدعا لنفسه . وضبط قسنطينة ، وكان مدلاً ببأسه واقدامه . وداخله بعض المنحرفين عن بني مَرين من اولاد يوسف رؤساء سدويكش في تبييت موسى بن ابراهيم بمعسكره من ميلة ، فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا اولاده وخلصوا الى تاوريرت ، ثم الى بجاية ، ولحق بمولانا السلطان مفلولاً . ونكر السلطان على وزيره عبد الله بن علي ما وقع بموسى بن ابراهيم ، وانه قصر في امداده ؛ فسرح شعيب بن ميمون وتقبض عليه ،

واشخصه الى السلطان معتقلا ، وعقد على بجاية مكانه ليحيى بن ميمون بن أمصمود من صنائع دولته . وفي خلال ذلك راسل المولى ابو زيد الحاجب ، أبا عبد الله بن تافراكين المتغلب على عمه ابراهيم ، في النزول لهم عن بونة ، والقدوم عليهم بتونس ؛ فتقبلوه واحلوه محل ولي العهد ، واستعملوا على بونة من صنائعهم. ولما بلغ خبر موسى بن ابراهيم الى السلطان ايام التشريق من سنة سبع وخمسين ؛ اعتزم على الحركة الى افريقية . واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد. وبعث في الحشد الى مراكش . واوعز الى بني مرين ؛ فاخذ الأهبة للسفر ، وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر اليهِ الى شهر ربيع من سنة ثمان . ثم ارتحل من فاس ، وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار في الساقة على التعبية ، الى ان احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل . ونازل الوزير قسنطينة ؛ ثم جاء السلطان على اثره . ولما اطلت راياته ، وماجت الارض بعساكره ؛ ذعر اهل البلد والقوا بايديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين الى السلطان ، وتحيز صاحب البلد في خاصته الى القصبة . ووصل اخوه المولى الفضل يطلب الأمان ؛فبذله السلطان لهم وخرجوا وانزلهم بمعسكره أياما.ثم بعث بالسلطان في الاسطول الى سبتة ؛ فاعتقله بها الى ان كان من امره ما نذكره بعد .

وعقد على قُسنْطينَة لمنصور بن الحاج مخلوف اليابانى من مشيخة بني مرين واهل الشورى منهم، وانزله بالقصبة منها في شعبان من سنته. ووصل اليه بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول صاحب توزر، وبيعة علي بن الخلف صاحب نفطة. ووفد بن مكي فجدد طاعته. ووصل اليه أولاد مهلهل امراء الكعوب واقتال بني أبي الليل يستحثونه لملك تونس؛ فسرح معهم العساكر، وعقد عليها ليحيى بن رحّو بن تاشفين، وبعث اسطوله في البحر مدداً لهم، وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف الابكم، وساروا الى تونس واخرج الحاجب أبو محمد بن تافرا كين سلطانه ابا اسحاق ابراهيم بن مولانا السلطان أبي يحيى مع اولاد أبي الليل، وجهز له العساكر لما احس بقدوم عساكر السلطان. ووصل الاسطول الى مرسى تونس؛ فقاتلهم يوماً او بعض يوم وركب الليل الى المهدية، فتحصن بها. ودخل اولياء السلطان الى تونس في رمضان من سنة ثمان، واقاموا بها دعوته. واحتل يحيى بن رحو بالقصبة، وانفذ الاوامر، وكتبوا الى السلطان بالفتح. ونظر السلطان بعد ذلك في احوال الوطن، وقبض أيدي العرب من رياح عن الاتاوة التي يسمونها الخفارة فارتابوا، وطالبهم بالرهن فاجمعوا على الخلاف. وارهف لهم حده، وتبين يعقوب بن علي اميرهم مكره؛ فخرج معهم ولحقوا جميعاً بالزاب، وارتحل في اثرهم. وسار يوسف بن مزني عامل الزاب ينفض الطريق أمامه حتى نزل بسكرة. ثم ارتحل

الى طولقة ، فتقبض على مقدمها عبد الرحمن بن أحمد باشارة ابن مزني . وخرّب حصون يعقوب بن علي ، واجفلوا الى القفر أمامه ، ورجع عنهم . وحمل له ابن مزني جباية الزاب ، بعد ان وعد عامة معسكره بالقرى من الحنطة والادم واللحمان والعلوفة لثلاث ليال نفذت في ذلك وكافأه السلطان عن صنيعه ، فخلع عليه وعلى ولده واسنى جوائزهم ورجع الى قسنطينة ، وأعزم على الرحلة الى تونس . وضاق ذرع العساكر بشان النفقات والابعاد في المذاهب ، وارتكاب الخطر في دخول افريقية ، فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان . وداخلوا الوزير فارس بن ميمون ، فوافقهم عليهواذن المشيخة والنقباء لمن تحت ايديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب حتى تفردوا . ونمي الخبر الي السلطان انهم تـوامروا في قتله . ونصب ادريس بن عثمان بن أبي العلاء للامر ، فاسرها بنفسه ولم يبدها لهم . ورأى قله العساكر ، وعلم بانفضاضهم ؛ فكر راجعا الى المغرب بعد ان ارتحل عن قسنطينة مرحلتين الي المشرق واغذّ السير الى فاس ، واحتل بها غرة ذى الحجة من سنته . وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون ، اتهمه في مداخلة بني مرين في شأنه ، وقتله رابع أيام التشريق قعصاً بالرماح . وتقبّض على مشيخة بني مرين فاستلحمهم وأودع منهم السجن . وبلغ الي الجهات خبر رجوعه من قسنطينة الى المغرب ، فارتحل ابو محمد بن تافراكين من المهدية الي تونس . ولما اطل عليها ثار شيعته بالبلد على

من كان بها من عساكر السلطان وخلصوا الى السفين، فنجوا الى المغرب. وجاء على أثرهم يحيى بن رحّو بمن معه من العساكر كان مع اولاد مهلهل بناحية الجريد لاقتضاء جبايتهم. واجتمعوا بباب السلطان، وأرجأ حركته الى اليوم القابل، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن وزارة سليمان بن داود، ونهوضه بالعساكر الى افريقية

لما رجع السلطان من افريقية ولم يستتم فتحها، بقي في نفسه منها شيء. وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الدواوده المخالفين؛ فاهمه شأنهم، واستدعى سليمان بن داود من مكان ولايته بثغور الاندلس، وعقد له على وزارته. وسرّحه في العساكر الى افريقية؛ فارتحل اليها لربيع من سنة تسع وخمسين. وكان يعقوب بن علي لما كشف عن وجهه في الخلاف؛ اقام السلطان مكانه أخاه ميمون بن علي منازعه، وقدّمه على اولاد محمد من الدواودة، واحله بمكانه من رياسة البدو والضواحي. ونزع اليه عن اخيه يعقوب الكثير من قومه، وتمسك بطاعة السلطان طوائف من اولاد سبّاع ابن يحيى، وكبيرهم يومئذ عثمان بن يوسف بن سليمان؛ فانحاشوا جميعا الى الوزير ونزلوا على معسكره بحللهم. وارتحل السلطان في أثره حتى احتل بتلمسان؛ فاقام بها لمشارفة احواله منها واحتل الوزير سليمان

بوطن قسنطينة . واوعز السلطان الى عامل الزاب يوسف بن مزني بان يكون يده معه ، وان يوامره في احوال الدواودة لرسوخه في معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ، ونازلوا جبل اوراس واقتضوا جبايته ومغارمه . وشردوا المخالفين من الدواودة عن العيث في الوطن ؛ فتم غرضهم من ذلك . وانتهى الوزير وعسا كر السلطان الى اول اوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعاً الى المغرب . ووافى السلطان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا في الخدمة ؛ فوصلهم السلطان وخلع عليهم ، وحملهم وفرض لهم العطاء بالزاب وكتب لهم به ، وانقلبوا الى اهلهم . ووفد على أثرهم احمد بن يوسف ابن مزني ، أوفده ابوه بهديته الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وا كرم وفادته وانزله . واستصحبه الى فاس ليريه احوال كرامته ، ويستبلغ في الاحتفاء به . واحتل بدار ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع وخمسين . والله أعلم .

الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان، ونصب السعيد للأمر، باستبداد الوزير الحسن بن عمر في ذلك

لما وصل السلطان الى دار ملكه بفاس ؛ احتل بها بين يدي العيد الأكبر حتى إذا قضى الصلاة من يوم الاضحى ادركه المرض ، واعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة ؛ فدخل الى قصره ولزم

فراشه ، واشتد به ، واطاف به النساء يمرّضنه . وكان ابنه أبوزيّان ولي عهده ، وكان وزيره موسى بن عيسى العقولي من صنائـع دولتهم وأبناء وزرائهم ، قد عقد السلطان له على وزارته واستوصاه به ؛ فتعجل الامر ودخل رؤوس بني مرين في الانحياش الى أميرهم والفتك بالوزير الحسن بن عمر . وداخله في ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينهما وبين الوزير فخشيهم الحسن بن عمر على نفسه . وفاوض عليه أهـل المجلس بذات صدره ، وكانت نفرتهم عن ولي العهد مستحكمة لما بلـوا من سوء دخلته ، وشر ملكته ، فاتفقوا على تحويـل الامر عنه . ثم نمي لهم ان السلطان مشرف على الهلكة لا محالة ، وأنّـه موقع بهم من قبل مهلكه ، فاجمعوا أمرهم عـلى الفتك به والبيعة لأخيه السّعيد طفلاً خماسياً . وباكروا دار السلطان ، وتقبضوا على وزيره موسى بن عيسى ، وعمر ابن ميمون فقتلوهما ، واجلسوا السعيد للبيعة وأوعز وزيره مسعود بن رحّو بن ماساي بالتقبض على أبي زيان من نواحي القصر ؛ فدخل اليه وتلطف في اخراجه من بين الحـرم . وقاده الى أخيه فبايعه وتله الى بعض حجر القصر ؛ فاتلف فيها مهجته . واستقل الحسن بن عمر بالأمر يوم الاربعاء الرابع والعشرين لذي الحجة مـن سنة تسع وخمسين ، والسلطان اثناء ذلك على فراشه يجود بنفسه . وارتقب الناس دفنه يوم الخميس والجمعة بعده ؛ فلم يدفن فارتابوا . وفشا الكلام ، وارتاب الجماعة ؛ فادخل الوزير ، زعموا ، اليه بمكانه من بيته مَن غطه حتى اتلفه . ودفن يوم

السبت ، وحجب الحسن بن عمر الولد السعيد المنصوب للامر ، واغلق عليه بابه ، وتفرد بالأمر والنهي دونه . ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل لكاي يوم بيعة اخيه ، وكان أسنّ منه وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماساي من وزارته ؛ فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان ، وجاء به الى اخيه ؛ فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس. وبعث عن ابناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور : فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش ، كان بها في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي ، استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره ؛ فمنعه من الوصول ، وخرج به من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة ، وجهز الوزير العساكر لمحاربته . ولم يزل هنالك الى ان استنزله عمه السلطان ابو سالم ، عند استيلائه على ملك المغرب كما نذكره إن شاء الله تعالى والله اعلم .

الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش، ونهوض الوزير سليمان ابن داود لمحاربة عامر بن محمد بن علي

كان عامر بن محمد بن علي ، شيخ هنتاتة ، من قبائل المصامدة . وكان السلطان يعقوب قد استعمل اباه محمد بن علي على جباياتهم ، والسلطان ابو سعيد استعمل عمه موسى بن علي . وربي عامر هذا في كفالة الدولة ، وسار في جملة السلطان الى افريقية ، وولاه السلطان

احكام الشرطة بتونس . ولما ركب البحر الى المغرب اركب حرمه وحظاياه في السفين ، وجعلهم إلى نظر عامر بن محمد . واجازوا البحر الى الاندلس ، فنزلوا المرية . وبلغهم غرق الاسطول بالسلطان أبي الحسن وعساكره ؛ فاقام بهم بمكانه من المرية . وبعث السلطان أبوعنان عنه ، فلم يجب داعيه وفاء ببيعة ابيه . حتى اذا هلك السلطان ابو الحسن بدارهم بالجبل ، ورعى لهم السلطان أبو عنان اجارتهم لأبيه ، حين لفظته البلاد وتحاماه الناس ؛ اجمع امره على الوفادة عليه؛ فوفد بمن معه من الحرم . واكرم السلطان أبو عنان وفادته ، واحسن نزله . ثم عقد له على جباية المصامدة سنة اربع وخمسين ، وبعثه لها من تلمسان ؛ فاضطلع بهذه الولاية . واحسن الغناء فيها ، والكفاية عليها ، حتى كان السلطان ابو عنان يقول : وددت لو اصبت رجلا يكفيني ناحية الشرق من سلطاني ، كما كفاني عامر بن محمد ناحية الغرب واتورع . ونافسه الوزراء في مقامه ذلك عند السلطان ورتبته . وانفرد الحسن بن عامر آخر الامر بوزارة السلطان ؛ فاشتدت منافستهم وانتهت الى العداوة والسعاية .

وكان السلطان بين يدي مهلكه ولّى ابناءه الأصاغر على اعمال ملكه : فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش ، واستوزر له ، وجعله الى نظر عامر واستوصاه به . فلما هلك السلطان وانتقل الحسن بن

عمر بالأمر ، ونصب السعيد للملك ؛ استقدم الابناء من الجهات ،فبعث عن المعتمد بمراكش ؛ فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم ، وصعد به الى معقله من جبل هنتاته . وبلغ الحسن بن عمر خبره ؛ فجهز اليه العساكر ، وازاح عللهم . وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمه في القيام بالامر ، وسرحه في المحرم من سنة ستين ؛ فأغذ السير الى مرّاكُش ، واستولى عليها . وصمد الى الجبل فاحاط به ، وضيق على عامر ، وطاول منازلته . واشرف على اقتحام معقله ، الى ان بلغ خبر افتراق بني مرين ، وخروج منصور بن سليمان من اعياص الملك على الدولة ، وانه منازل للبلد الجديد ،فانفض المعسكر من حوله ،وتسابقوا الي منصور بن سليمان ؛ فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس المخنق عن عامر ، الى ان استولى السلطان ابو سالم على ملك المغرب في شعبان من سنة ستين . واستقدم عامر والمعتمد ابن اخيه من مكانهم بالجبل ؛ فقدم عليه واسلمه اليه ، كما نذكر إن شاء الله تعالى .

الخبر عن ظهور أبي حمو بنواحي تلمسان، وتجهيز العساكر لمدافعته، ثم تغلبه عليها، وما تخلل ذلك من الأحداث

كان ابناء عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن هؤلاء اربعة كما ذكرناه في اخبارهم ، وكان يوسف كبيرهم ، وكان سكوناً منتحلا لطرق الخير لا يريد علواً في الارض . ولما ملك اخوه عثمان بتلمسان ؛

عقد له على تَنَس . وكان ابنه موسى متقبِّلاً مذهبه في السكون والدَّعة ومجانبة اهل الشر . ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين ، وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق ، واهتبلتهم قبائل زواوة وارجلوهم عن خيلهم سعوا على اقدامهم . وانتبذ أبو ثابت وأبو زيَّان ابن اخيه أبي سعيد وموسى ابن اخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم ، وسلكوا غير طريقهم . وتقبض على أبي ثابت ويحيى بن داود ومحمد بن عثمان ، وخلص موسى الى تونس ؛ فنزل على الحاجب ابي محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل ، واجاره مع فلٍّ من قومه ، خلصوا اليهم واسنوا جرايتهم . وبعث السلطان أبو عنان فيهم الى ابن تافراكين ؛ فأبى من اسلامهم وجاهر باجارتهم على السلطان .

ولما استولت عساكر السلطان على تونس ، واجفل عنها سلطانها أبو اسحاق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى ؛ خرج موسى بن يوسف هذا في جملته . ولما رجع السلطان الى المغرب ، صمد المولى ابو اسحاق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبي يحيى ، وابن اخيه المولى ابو زيد صاحب قُسَنطينة مع يعقوب بن علي وقومه من الدواودة ، الى منازلة قسنطينة وارتجاعها . وسار في جملتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عندهم من زناتة قومه . وكان بنو عامر بن زغبة خارجين على السلطان أبي عنان منذ غلبه بني عبد الواد على تلمسان . وكانت

رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ؛ فلحق بافريقية في قومه . ونزلوا علي يعقوب بن علي ، وجاوروه بحللهم وظعنهم . فلما افرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها ، واعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب الأوسط ؛ دعوا موسى بن يوسف هذا الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ، ويجلبوا به على تلمسان ؛ فخلى الموحدون سبيله ، وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم ، وعلى حال سفرهم من آلة وفسطاط . وارتحل مع بني عامر ، وارتحل معهم صولة بن يعقوب بن علي ، وزيان ابن عثمان بن سباع من امراء الدواودة ، ودغار بن عيسى في حلله من بني سعيد احدى بطون رياح . وأغذ السير الى المغرب للعيث في نواحيه . وجمع لهم اقتالهم من سويد اولياء السلطان والدولة ، والتقوا بقبلة تلمسان ؛ فانهزمت سويد ، وهلك عثمان ابن كبيرهم ونزمار وكان مهلك السلطان في خلال ذلك .

وكان السلطان حين استعمل الابناء على الجهات ، عقد لمحمد المهدي من اولاده على تلمسان . ولما اتصل خبر وفاة السلطان بالعرب ، أغذوا السير الى تلمسان وملكوا ضواحيها . وجهز الحسن بن عمر اليها عسكراً عقد عليه وعلى الحامية الذين بها لسعيد بن موسى العجيسي من صنائع السلطان ، وسرحه اليها ، وسار في جملته احمد بن مزني فاصلاً إلى عمله بعد ان وصله وخلع عليه وحمله . وسار سعيد بن موسى في

العساكر الى تلمسان ؛ فاحتل بها في صفر من سنة ستين . وزحف اليهم جموع بني عامر وسلطانهم ابو موسى بن يوسف ؛ فغلبوهم على الضاحية واحجزوهم بالبلد . ثم نازلوهم الحرب أياما ، واقتحموها عليهم لثمان خلون من ربيع ، واستباحوا من كان بها من العسكر ، وامتلأت ايديهم من أسلابهم ونهابهم . وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان الى حلة صغير بن عامر ؛ فاجاره ومن جاء على أثره من قومه واوفد معهم رجالات من بني عامر ينفضون [1] الطريق امامه الى ان أبلغوه مأمنه من دار ملكهم . واستولى ابو حمو على ملك تلمسان ، واستأثر بالهدية التي الفى بمودعها ، كان السلطان انتقاها وبعث بها الى صاحب برشلونة بطره بن ألقنط ، وبعث اليه فيها بفرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام ذهبيين ثقيلين . فاتخذ ابو حمو ذلك الفرس لركوبه ، وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه . والله غالب على أمره .

الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماساي الى تلمسان، وتغلبه عليها، ثم انتقاضه، ونصبه منصور بن سليمان للأمر

لما بلغ الوزير الحسن بن عمر خبر تلمسان ، واستيلاء ابي حمو

(١) في لسان العرب: نفض المكان واستنفضه إذا نظر جميع ما فيه حتى يعرفه . وعن الليث: النفضة ، بالتحريك ، الجماعة يبعثون في الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف .

عليها ؛ جمع مشيخة بني مرين ، ووامرهم في النهوض اليها ؛ فابوا عليه من النهوض بنفسه ، واشاروا بتجهيز العسكر ووعدوه بمسيرهم كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الامـوال واسنى الصلات وازاح العلل ، وعسكر بساحة البلد الجديد . ثم عقد عليهم لمسعود بن رحّو بن ماساي ، وحمل معه المال وأعطاه الآلة ، وسار في الالوية والعساكر . وكان في جملته منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وكان النـاس يرجّون بأن سلطان المغرب صائر اليه بعد مهلك أبي عنان . وشاع ذلك في ألسنة الناس وذاع ، وتحدّث به السمّر والندمان ، وخشي منصور على نفسه لذلك ، فجاء الى الوزير وشكا اليه ذلك ؛ فانتهره بان يختلج بفكره مثل هذا الوسواس ، انتهاراً خلا من وجه السياسة ؛ فازدجر واقتصر . ولقد شهدت هـذا الموطن ، ورجمت ذلة انكساره وخضوعه في موقفه . ورحل الوزير مسعود في التعبية . وافرج أبو حمو عن تلمسان ، ودخلها مسعود في ربيع الثاني واستولى عليها . وخرج أبو حمو الى الصحراء وقد اجتمعت اليه جموع العرب من زغبة والمعقل . ثم خالفوا بني مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم وجهّز مسعود بن رحّو اليهم عسكراً من جنوده انتقى فيه مشيخة من بني مرين وامرائهم ، وعقد عليهم لعامر ابن عمه عبّو بن ماساي . وسرحهم فزحفوا اليهم بساحة وجدة . وصدقهم العرب الحملة ، فانكشفوا واستبيح معسكرهم ، واستلبت

مشيختهم ، وارجلوا عن خيلهم ، ودخلوا الى وجدة عراة . وبلغ الخبر الى بني مرين بتلمسان ، وكان في قلوبهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجزه لسلطانهم ؛ فكانوا يتربصون بالدولة . فلما بلغ الخبر وجاض الناس له جيضة الحمر ؛ خلص بعضهم نجياً بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيّان ابن السلطان أبي يعقوب فبايعوه .

وانتهى الخبر الى الوزير مسعود بن رحّو ، وكان متحيّناً سلطان منصور بن سليمان ، فاستدعاه واكرهه على البيعة ، وبايعه معه الرئيس الأكبر من بني الأحمر ، وقائد جند النصارى القمندوز وتسايل اليه الناس ، وتسامع الملأ من بني مَرين بالخبر ؛ فبادروا اليه من كل جانب . وذهب يعيش بن أبي زيان لوجهه ؛ فركب البحر وخلص الى الاندلس ، وانعقد الأمر لمنصور بن سليمان . واجتمع بنو مرين على كلمته ، وارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب . واعترضتهم جموع العرب بطريقهم ، فاوقعوا بهم ، وامتلأت ايديهم من اسلابهم وظعنهم . وأغذّوا السير الى المغرب ، واحتلوا بسبّو في منتصف جمادى الآخرة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر ؛ فاضطرب معسكره بساحة البلد . واخرج السلطان في الآلة والتعبية إلى ان انزله بفسطاطه . ولما غشيهم الليل ، انفضوا عنه ونزع الملأ الى السلطان منصور بن سليمان ؛ فاوقد الشموع واذكى النيران حول الفسطاط ، وجمع الموالي والجند ،

وارکب السلطان، ودخل الى قصره، وانحجز بالبلد الجديد. واصبح منصور بن سليمان؛ فارتحل في التعبية حتى نزل بكدية العرائس في الثاني والعشرين لجمادى، واضطرب معسكره بها، وغدا عليها بالقتال وشدّ عليها الحملات، وامتنعت ليومها. ثم جمع الأيدي على اتخاذ الآلات للحصار. واجتمعت اليه وفود الامصار بالمغرب للبيعة. ولحقت به كتائب بني مرين التي كانت مجمّرة بمراكش لحصار عامر مع الوزير سليمان بن داود فاستوزره، واطلق عبد الله بن علي وزير السلطان أبي عنان من معتقله؛ فاستوزره ايضاً. واوعز باطلاق مولانا أبي العباس صاحب قُسَنْطينة من معتقله بسبتة، فخلص منه خلوص الابريز بعد السبك. وامر منصور بن سليمان بتسريح السجون، فخرج من كان بها من دعّار بجاية وقُسَنْطينة، وكانوا معتقلين من لدن استحواذ السلطان أبي عنان على بلادهم. وانطلقوا الى مواطنهم واقام على البلد الجديد يغاديها بالقتال ويراوحها. ونزع عنه الى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بني مرين. ولحق آخرون ببلادهم، وانتقضوا عليه ينتظرون مآل أمره. ولبث على هذه الحال الى غرّة شعبان؛ فكان من قدوم السلطان أبي سالم الملك سلفه بالمغرب، واستيلائه عليه، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن نزول المولى أبي سالم بجبال غمارة، واستيلائه على ملك المغرب، ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالاندلس، وخروج أبي الفضل بالسوس لطلب الامر، ثم ظفر السلطان أبي عنان به ومهلكه كما ذكرنا؛ قد تورع وسكن وسالمه السلطان. ثم هلك سلطان الاندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين يوم الفطر بمصلى العيد، طعنه اسود موسوس كان ينسب الى اخيه محمد من بعض إماء قصرهم. ونصبوا للامر ابنه محمداً، واحجبه مولاه رضوان واستبد عليه. وكان للسلطان أبي عنان اعتزاز كما ذكرناه، وكان يؤمل ملك الاندلس. واوعز اليهم عندما طرقه من طائف المرض سنة سبع وخمسين؛ ان يبعثوا اليه طبيب دارهم ابراهيم بن زرزر الذمي، وامتنع من ذلك اليهودي، واعتذروا عذره؛ فنكر لهم السلطان قبله. ولما وصل الى فاس من فتح قُسَنْطينة وإفريقية، وتقبّض على وزيره والمشيخة من قبله، تجنّياً عليهم، إن لم يبادر السلطان بنفسه وحاجبه للتهنية. واظلم الجو بينهم، وأعتزم على النهوض اليهم، وكانوا منحاشين بالجملة الى الطاغية بِطْره بن أَذْفونْش صاحب قشْتالَة، منذ مهلك أبيه أَلْهُنْشَة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين. ثم استبدّ رضوان على الدولة بعد مهلك أبي الحجّاج؛

فكانت له صاغية اليهم ، ظاهرها النظار للمسلمين بمسالمة عدوهم . وكان السلطان أبو عنان يعتدُّ ذلك عليهم ، وعلم أنه لا بد أن يمدّهم باساطيله ، ويدافعوه عن الاجازة اليهم . وكان بين الطاغية بطرة وبين قمص بَرْشَلونَة فتنة هلك فيها اهل ملّتهم ؛فصرف السلطان قصده الى قمص برشلونة ، وخاطبه في اتصال اليد على ادفونش واجتماع اسطول المسلمين واسطول القمص بالزقاق ؛ وضربوا بذلك الموعد.واتحفه السلطان بهدية سنيّة من متاع المغرب وماعونه ، ومركب ذهبيٍّ صنيع ، ومقرب من جياده . وانفذها اليه ؛ فبلغت تلمسان ، وهلكت قبل وصولها الى محلها .

ولما هلك السلطان أبو عنان أمل اخوه المولى ابو سالم ملك ابيه ، وطمع في مظاهرة أهل الاندلس له على ذلك ، لما كان بينهم وبين اخيه . واستدعاه أشياع من اهل المغرب ، ووصل البعض منهم اليه بمكانه من غرناطة ، وطلب الاذن من رضوان في الاجازة ، فأبى عليه؛ فاحفظه ذلك . ونزع الى ملك قَشْتالة متطارحاً بنفسه عليه ان يجهّز له الأسطول للاجازة الى المغرب ؛ فاشترط عليه ، وتقبل شرطه . واجازه في اسطوله الى مراكش ؛ فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من التضييق والحصار بحصة سليمان بن داود كما ذكرناه ، فانكفأ راجعاً على عقبه . فلما حاذى طنجة وبلاد غمارة القى بنفسه اليهم ،

ونزل بالصفيحة من بلادهم . واشتملت عليه قبائلهم ، وتسايلو إليه من كل حدب ، وبايعوه على الموت .

وملك سبتة وطنجة ، وبها يومئذ السلطان أبو العباس ابن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه ، فاختصه المولى أبو سالم بالصحابة والخلة ، والفه في اغترابه ذلك الى ان استولى على ملكه . والقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجني ، وكاتب ديوان الجند أبا الحسن علي بن السعود ، والشريف ابا القاسم التلمساني . كان منصور بن سليمان ارتاب بهم ، واتهمهم بمداخلة الحسن ابن عمر بمكانه من البلد الجديد ، فصرفهم من معسكره الى الاندلس ، فوافوا المولى ابا سالم عند استيلائه على طنجة ، فساروا في ايالته . واستوزر الحسن بن يوسف ، واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود ، واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة . ثم قام اهل الثغور الاندلسية بدعوته . واجاز يحياتن بن عمر صاحب جبل الفتح إليه بمن كان معه من العسكر . وطنت حصاة المولى أبي سالم واتسع معسكره وبلغ خبره الى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان ؛ فجهز عسكراً لدفاعه . وعقد عليه لأخويه عيسى وطلحة ، وانزلهم قصر كتامة . وقاتلوه فهزموه ، واعتصم بالجبل . وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران ؛ فبعث اليه بطاعته ، ووعده بالتمكن من دار ملكه . وداخل بعض

اشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحّو بن ماساي وزير منصور في النزوع الى السلطان، وكان قد ارتاب بمنصور وابنه علي ؛ فنزع وانفض الناس من حول منصور ، وتخاذل اشياعه من بني مرين ، ولحق ببادس من سواحل المغرب . ومشى اهل المعسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية ؛ فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستغذوه الى دار ملكه فاغذ السير ، وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الامر ، واسلمه الى عمه وخرج اليه فبايعه .

ودخل السلطان الى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين . واستولى على ملك المغرب ، وتوافت وفود النواحي بالبيعات . وعقد للحسن بن عمر على مراكش ، وجهزه اليها بالعساكر ريبة بمكانه . واستوزر مسعود بن رحّو بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني ، واصطفى من خواصه خطيب ابيه الفقيه ابا عبد الله محمد ابن احمد بن مرزوق ، وجعل الى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سرّه . وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال احواله ، ومصير الامر الى السلطان ؛ فاقبل عليّ وانزلني بمحل البنّوة ، واستخلصني لكتابته . واستوسق امره بالمغرب . وتقبّض شيعة السلطان ببادس على منصور بن سليمان وابنه علي ، وقادوهم مصفّدين الى سدّته ؛ فاحضرهم ووبخهم .

وجنبوا الى مصارعهم ؛ فقتلوا قعصاً بالرماح آخر شعبان من سنته . وجمع الابناء والقرابة المرشحين من ولد ابيه وعمه ؛ فاشخصهم الى رُنْدَة من ثغورهم بالاندلس ، ووكل بهم من يحرسهم . ونزع محمد بن أبي أخيه أبي عبد الرحمن منهم الى غرناطة . ثم لحق منها بالطاغية واستقر لديه ، حتى كان من تملكه المغرب ما نقصه . وهلك الباقون غرقاً في البحر بايعاز السلطان بذلك ، بعد مدة من سلطانه ، اركبهم السفين الى المشرق ، ثم غرّقهم . وخلص الملك من الخوارج والمنازعين واستوسق له الامر والله غالب على امره . احتفل السلطان في كرامة مولانا السلطان أبي العباس ، وشاد ببره ، واوعز باتخاذ دار عامر بن فتح الله وزير أبيه لنزله ، ومهد له المجلس لصق أريكته ، ووعده بالمظاهرة على ملكه ، إلى ان بعثه من تلمسان عند استيلائه عليها ، كما نذكر ان شاء الله تعالى .

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان ابو الحجاج سنة خمس وخمسين ، ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبد عليه رضوان مولى ابيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسماعيل بما القى عليه وعلى امه من محبته. فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن اسماعيل ابن

الرئيس أبي سعيد في شقيقته ، فكان يدعوه سراً الى القيام بأمره ، حتى امكنته فرصة في الدولة ؛ فخرج السلطان الى بعض متنزهاته برياضه ؛ فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في اوشاب جمعهم من الطغام لثورته . وعمد الى دار الحاجب رضوان ؛ فاقتحم عليه الدار ، وقتله بين حرمه وبناته . وقربوا الى اسماعيل فرسه وركبه ؛ فادخلوه القصر واعلنوا ببيعته . وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفر السلطان من مكانه بمتنزهه ؛ فلحق بوادي آش . وغدا الخاصة والعامة على اسماعيل ؛ فبايعوه . واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه . ثم قتله لأشهر من بيعته ، واستقل بسلطان الاندلس ولما لحق السلطان ابو عبد الله بوادي آش بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبر بالسلطان المولى أبي سالم ، امتعض لمهلك رضوان وخلع السلطان رعياً لما سلف له في جوارهم . وازعج لحينه اباالقاسم الشريف من اهل مجلسه لاستقدامه ؛ فوصل الى الاندلس ، وعقد مع اهل الدولة على اجازة المخلوع من وادي آش الى المغرب ، واطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقلوه لأول امره لما كان رديفاً للحاجب رضوان ، وركنا لدولة المخلوع ؛ فأوصى المولى أبو سالم اليهم بأطلاقه فأطلقوه . ولحق الرسول أبو القاسم بسلطانه المخلوع بوادي آش للاجازة الى المغرب ، واجاز لذي القعدة من سنته . وقدم على السلطان بفاس ؛ فأجل قدومه ، وركب

للقائه، ودخل به الى مجلس ملكه، وقد احتفل بزينته، وغص بالمشيخة والعلية. ووقف وزيره ابن الخطيب؛ فانشد السلطان قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه، ويستحثه لمظاهرته على امره. واستعطف واسترحم، بما ابكى الناس شفقة ورحمة. ونص القصيدة:

سَلا هل لَدَيْها من مُخَبِّرةٍ ذِكْرُ   وهل أعشب الوادي ونَمَّ به الزَّهْرُ
وهل باكَرَ الوَسْمِيُّ داراً على اللِّوا   عفَتْ آيُها إلاّ التَّوَهُّمُ والذِّكْرُ
بلادي التي عاطَيْتُ مَشْمولَةَ الهوى   بأكْنافِها والعَيْشُ فَيْنانُ مُخْضَرُّ
وَجَوِّي الذي ربّى جَناحَيَّ وكْرُهُ   فها أنا ذا مالي جَناحٌ ولا وَكْرُ
نَبَتْ بِيَ لا عن جَفْوةٍ ومَلالةٍ   ولا نَسَخَ الوَصْلَ الهَنِيَّ بها هَجْرُ
ولكِنَّها الدُّنْيا قَليلٌ مَتاعُها   ولَذّاتُها دأْباً تَزورُ وتَزْوَرُّ
فمَن لي بِنَيْلِ القُرْبِ منها ودوننا   مَدىً طالَ حتّى يَوْمُهُ عِنْدَنا شَهْرُ
ولله عَيْنا مَن رآنا وللأسى   ضِرامٌ له في كُلِّ جانِحةٍ جَمْرُ
وقد بَدَّدَتْ دُرَّ الدُّموعِ يدُ النَّوى   ولِلبَيْنِ أشْجانٌ يَضيقُ لها الصَّدْرُ
بَكَينا على النَّهْرِ السرور(١) عَشِيَّةً   فعادَ أُجاجاً بَعْدَنا ذلِكَ النَّهْرُ
أقولُ لأظْعاني وقد غالَها السُّرى   وآنَسَها الحادي وأوْحَشَها الزَّجْرُ
رُوَيْدَكِ بعد العُسْرِ يُسْرٌ فأبْشِري   بإنْجازِ وَعْدِ اللهِ قد ذَهَبَ العُسْرُ
ولله فينا سِرُّ غَيْبٍ ورُبَّما   أتى النَّفْعُ من حالٍ يَكونُ بها الضُّرُّ
وإن تَجْبُنِ الأيّامُ لم يَجْبُنِ النُّهى   وإن تَخْذُلِ الأقْوامُ لم يَخْذُلِ الصَّبْرُ

(١) كذا، وفي نسخة: الشروب.

وإن عَرَكَتْ مني الخطوب مُجَرَّباً نفاقاً تساوى عنده الحلوُ والمرُّ
فقد عَجَمَتْ عوداً صليباً على النوى وعَزْماً كما تمضي المهنَّدةُ البُتْرُ
إذا أنت بالبيضاء قد زُرْت منزلي فلا اللحمُ حِلٌّ ما حَييتُ ولا الظهرُ
زَجَرنا بإبراهيم بُرْءَ همومنا فلمّا رأينا وجهَهُ صدقَ الزجْرُ
بمنتخب من آل يعقوبَ كلّما دجا الخطبُ لم يكذب لِعَزْمته فجرُ
تناقلت الرُّكبانُ طيبَ حديثه فلمّا رأته صدّق الخَبَرَ الخُبْرُ
نَدى لو حواهُ البحرُ لَذَّ مذاقُهُ ولم يتعقّبْ مَدَّهُ أبداً جَزْرُ
وبأسٌ غدا يرتاعُ من خوفِهِ الردى وترفلُ في أذيالِهِ الفَتْكَةُ[1] البِكرُ
أطاعتْهُ حتى العُصْمُ في قُنَنِ الرُّبا وهَشَّتْ إلى تأميله الأنجمُ الزُّهْرُ
قصدناكَ يا مولى الملوكِ على النوى لتُنْصِفَنا مما جنى عبدُكَ الدهرُ
كَفَفْنا بكَ الأيامَ عن غلوائها وقد رابنا منها التعسّفُ والكِبْرُ
وعُدْنا بذاكَ المجدِ فانْصرفَ الردى ولُذْنا بذاكَ العزِّ فانهزمَ الذُّعْرُ
ولمّا أتينا البحرَ يرهبُ موجُهُ ذكرنا بذاك الغَمْرِ فاحتقر البحر[2]
خلا فتْكَ العظمى ومن لم يَدِنْ بها فإيمانُهُ لَغْوٌ وعِرْفانُهُ نُكْرُ
ووصفُكَ يهدي المدحَ قَصْدَ صوابه إذا ضلّ في أوصافِ من دونكَ الشعرُ
دعتْكَ قلوبُ المسلمينَ وأخلصت وقد طابَ منها السرُّ لله والجهرُ
ومدّتْ إلى اللهِ الأكُفُّ ضَراعةً فقالَ لهنّ اللهُ قد قُضيَ الأمرُ
وألبسَها النُّعْمى ببيعتِكَ التي لها الطائرُ الميمونُ والمحتِدُ الحُرُّ

(١) كذا، وفي ب: الفتية.
(٢) كذا وفي ب:
ولما أتينا البحر نرهب موجه ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر

فَأصبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَبْسِمُ ضاحِكاً ... وقد كان مِمّا نابَهُ ليس يَفْتَرُّ
وأَمَّنْتَ بالسِّلْمِ البِلادَ وأَهْلَها ... فلا ضَيْمَةٌ تَعْدو ولا رَوْعَةٌ تَعْرو
وقَدْ كانَ مَوْلانا أَبوكَ مُصَرِّحاً ... بِأَنَّكَ في أَبْنائِهِ الوَلَدُ البَرُّ
وكُنْتَ حَقيقاً بِالخِلافَةِ بَعْدَهُ ... على الفَوْرِ، لكن كُلُّ شَيْءٍ له قَدْرُ
فَأَوْحَشْتَ من دارِ الخِلافَةِ هالةً ... أَقامَتْ زَماناً لا يَلوحُ بِها البَدْرُ
وَرَدَّ عليك اللهُ حَقَّكَ إِذْ قَضى ... بِأَنْ تَشْمُلَ النُّعْمى وَيَنْسَدِلَ السِّتْرُ
وقادَ إِلَيْكَ المُلْكَ رِفْقاً بِخَلْقِهِ ... وقد عَدِموا رُكْنَ الأَمانةِ واضْطُرُّوا
وَزادَكَ بِالتَّمْحيصِ عِزّاً وَرِفْعَةً ... وَأَجْراً وَلَوْلا السَّبْكُ ما عُرِفَ التِّبْرُ
وَأَنْتَ الَّذي تُدْعى إِذا دَهَمَ الرَّدى ... وَأَنْتَ الذي تُرْجى إِذا أَخْلَفَ القَطْرُ
وَأَنْتَ إِذا جارَ الزَّمانُ بِحُكْمِهِ ... لكَ النَّقْضُ والإِبْرامُ والنَّهْيُ والأَمْرُ
وهذا ابنُ نَصْرٍ قَدْ أَتى وَجَناحُهُ ... كَسيرٌ ومِنْ عَلْياكَ يَلْتَمِسُ الجَبْرُ
غَريبٌ يُرَجّي منكَ ما أَنْتَ أَهْلُهُ ... فإنْ كُنْتَ تَبْغي الفَخْرَ، قد جاءك الفخرُ
فَعُدْ يا أَميرَ المُسْلِمينَ (١) لِبَيْعَةٍ ... مُوَثَّقَةٍ قَدْ حَلَّ عُقْدَتَها الغَدْرُ
وَمِثْلُكَ مَن يَرعى الدَّخيلَ ومن دعا ... بِآلِ مَرينٍ جاءَهُ العِزُّ وَالنَّصْرُ
وَخُذْ يا إِمامَ الحَقِّ لِلحَقِّ ثأرَهُ ... ففي ضِمْنِ ما تأتي به العِزُّ والأَجْرُ
وَأَنْتَ لها يا ناصِرَ الحَقِّ فَلْتَقُمْ ... بِحَقٍّ فَما زَيْدٌ يُرْجى ولا عَمْرُو
فَإنْ قيلَ مالٌ، مالُكَ الدَّثْرُ وافِرٌ ... وإن قيل جيشٌ عندكَ العَسْكَرُ المَجْرُ (٢)
يَكُفُّ بِكَ العادي وَيَحيا بِكَ الهُدى ... وَيَبْني بِكَ الإسلامُ ما هَدَمَ الكُفْرُ
أَعِدْهُ إِلى أَوْطانِهِ عَنْكَ ثانِياً ... وَقَلِّدْهُ نُعْماكَ التي ما لها حَصْرُ

---

(١) كذا، وفي ب: المؤمنين.
(٢) المجر: الجيش الكثيف، وفي ب: الحر.

وعاجِلْ قلوبَ الناسِ فيه بجَبْرِها ... فقَدْ صدَّهُمْ عنه التغلُّبُ والقَهْرُ
وهم يَرْقبونَ الفعلَ منك وصفقةً ... تُحاولها يُمناكَ ما بعدَها خُسْرُ
مرامُك سهلٌ لا يؤودُكَ كَفْلُهُ ... سوى عَرَضٍ ما إنْ له في العُلى خَطْرُ
وما العُمْرُ إلاَّ زينةٌ مستعارةٌ ... تُرَدُّ ولكنَّ الثناءَ هو العُمْرُ
ومن باع ما يفنى بباقٍ مُخلَّدٍ ... فقد أُنجِحَ المسعى وقد رُبحَ المتجْرُ
ومن دون ما يبغيه يا مالكُ العلا ... جيادُ المذاكي والمحجَّلةُ الغُرُّ
وِرادٌ وشُقْرٌ واضحاتٌ شِياتُها ... فأجسامُها تِبْرٌ وأرجلُها دُرُّ
وشُهْبٌ اذا ما ضُمِّرَتْ يومَ غارةٍ ... مُطهَّمةٍ غارتْ بها الأنجمُ الزُّهْرُ
وأُسْدٌ رجالٌ من مَرينٍ أعِزَّةٌ ... عمائمها بيضٌ، وآسالها سُمْرُ
عليها من الماذِيِّ كلُّ مُفاضةٍ ... تُدافعُ في أعطافها اللُّجَجُ الخُضْرُ
هُمُ القَوْمُ؛ إن هبُّوا لكشفِ مُلِمَّةٍ ... فلا الملتقى صعبٌ، ولا المرتقى وعر
إذا سُئلوا أعطوا، وإن نُوزعوا سَطوا ... وان وَعدوا أوفوا، وإن عاهدوا برُّوا
وان سمعوا العَوْراء فرُّوا بأنفسٍ ... حرامٌ على هِمّاتِها في الوغى الفَرُّ (١)
وإن مُدِحوا اهتزُّوا ارتياحاً كأنَّهم ... نشاوى تمشَّت في معاطفهم خَمْرُ
وتبسِمُ ما بينَ الوشيجِ ثغورُهُمْ ... وما بينَ قُضْبِ الدوحِ يبتسمُ الزهرُ
أمولايَ غاضتْ فكرتي وتبلَّدتْ(٢) ... طباعي، فلا طبعٌ يُعينُ ولا فكرُ
ولولا حنانٌ منك داركتني به ... وأحييتني لم يبقَ عينٌ ولا إثرُ
فأوجدتَ مني فائتاً أيَّ فائتٍ ... وأنشرتَ ميْتاً ضمَّ أشلاءَه قبرُ

---

(١) كذا، وفي ب:
وإن سمعوا العوا وافوا بأنفس ... كرام على هاماتها في الورى السبر
(٢) كذا، وفي ب: تبدلت.

بَدأتَ بِفَضلٍ لم أكُن لِعَظيمِهِ بأهلٍ، فجَلَّ اللُّطفُ وانشَرَحَ الصدرُ
وَطوَّقتَني النُّعمى المضاعَفَةَ التي يَقِلُّ عليها منِّيَ الحَمدُ والشُّكرُ
وأنتَ بتَتميمِ الصنائعِ كافلٌ إلى أنْ يَعودَ العِزُّ والجاهُ والوَفرُ
جَزاكَ الذي أسنى مقامَكَ رَحمةً تفُكُّ بها العاني ويُنعَشُ مُضطَرُّ
إذا نَحنُ أثنَينا عليكَ بمِدحَةٍ فهَيهاتَ يُحصى الرَّملُ أو يُحصرُ القطرُ
ولكنَّنا نأتي بما نَستَطيعُهُ ومن بَذَلَ المجهودَ حقٌّ له العُذْرُ

ثم انفضَّ المجلس وانصرف ابن الأحمر الى نُزُلِهِ، وقد فرشت له القصور، وقربت الجياد بالمراكب الذهبيه، وبعث اليه بالكسى الفاخرة، ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجي وبطانته من الصنائع. وانحفظ عليه رسم سلطانه في الموكب والرجل، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة أدبا مع السلطان. واستقر في جملته الى ان كان من لحاقه بالاندلس، وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر، وخروجه بتادلا، وتغلب السلطان عليه، ومهلكه

لما فصل الوزير الحسن بن عمر الى مراكش، واستقر بها، تأثل له بها سلطان ورياسة، نفسها عليه الوزراء بمجلس السلطان، وسعوا في تنكر السلطان له، حتى اظلم الجو بينهما. وشعر الوزير بذلك؛

فارتاب بمكانه ، وخشي بادرة السلطان على نفسه . وخرج من مراكش في شهر صفر من سنة احدى وستين ؛ فلحق بتادلا ، منحرفاً عن الطاعة، مرتكباً في أمره . وتلقاه بنو جابر من جشم ، واعصوصبوا عليه واجاروه . وجهز السلطان عساكره الى حربه ، وعقد عليها لوزيره الحسن بن يوسف وسرّحه اليه ؛ فاحتل بتادلا . ولحق الحسن بن عمر بالجبل ، واعتصم به مع حسين بن علي الورديغي كبيرهم . واحاطت بهم العساكر واخذوا بمخنقهم . وداخل الوزير بعض اهل الجبل من صناكة في الثورة بهم . وسرب اليهم المال ؛ فثاروا بهم وانفض جمعهم . وتقبّض على الحسن بن عمر ، وقادوه برمّته إلى عسكر السلطان فاعتقله الوزير وانكفأ راجعاً الى الحضرة ، وقدم به على السلطان في يوم مشهود ، استركب السلطان فيه العسكر . وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره . وحمل الحسن بن عمر على جمل ، طائف به بين اهل ذلك المحشر . وقرب الى المجلس ؛ فاوما الى الى تقبيل الأرض فوق جمله ، وركب السلطان إلى قصره . وانفض الجميع وقد شهدوا عبرة من عبر الدنيا . ودخل السلطان قصره واقتعد اريكته واستدعى خاصته وجلساءه . واحضره ؛ فوبخه وقرّر عليه مرتكبه ؛ فتلوى بالمعاذير وفزع الى الانكار . حضرت يومئذ هذا المجلس فيمن حضره من العلية والخاصّة، فكان مقاماً تسيل فيه العيون رحمة وعبرة . ثم أمر به السلطان ؛ فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصا . وتل الى محبسه وقتل لليال من اعتقاله قعصاً بالرماح

بساحة البلد . وصلب شلوه بسور البلد ، عند باب المحروق وأصبح مثلاً في الآخرين .

الخبر عن وفد السودان، وهديتهم، واغرابهم فيها بالزرافة

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى الى ملك السودان منسا سليمان ابن منسا موسى هديته المذكورة في خبره؛ اعتمل في مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده . وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك . ووصلت الهدية الى أقصى تخومهم من والاتن . وهلك منسا سليمان قبل وصولها . واختلف اهل مالي وافترق ملكهم . وتواثب ملوكهم على الامر وقتل بعضهم بعضاً . وشغلوا بالفتنة ، حتى قام فيهم منسا جاطه واستوسق له امرهم ونظر في اعطاف ملكه . وأخبر بشأن الهدية واخبر انها بوالاتن ؛ فأمر بانفاذها الى ملك المغرب . وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل ، العظيم الهيكل ، المختلف الشبه بالحيوانات . وفصلوا بها من بلادهم ، فوصلوا الى فاس في صفر من سنة اثنتين وستين . وكان يوم وفادتهم يوماً مشهوداً ، جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض . ونودي في الناس بالبروز الى الصحراء ؛ فبرزوا ينسلون من كل حدب ، حتى غص بهم الفضاء ، رركب بعضهم بعضاً في الازدحام على الزرافة ، إعجاباً بخلقها . وانشد الشعراء في عرض المدح والتهنية ووصف الحال . وحضر الوفد بين

يدي السلطان وأدوا رسالاتهم بتأكيد الود والمخالصة، والعذر عن ابطاء الهديّة بما كان من اختلاف أهل مالي وتواثبهم على الامر، وتعظيم سلطانهم وما صاروا اليه. والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في اوتار قسيّهم عادة معروفة لهم. وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم. ثم ركب السلطان، وانفض ذلك المجلس وقد طار به الذكر. واستقر ذلك الوفد في ابالة السلطان وتحت جرايته وهلك السلطان قبل انصرافهم؛ فوصلهم القائم بالأمر من بعده. وانصرفوا الى مراكش، واجازوا منها الى ذوي حسّان عرب السوس من المعْقِل المتّصلين ببلادهم. ولحقوا من هنالك بسلطانهم. والامر لله سبحانه.

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وايثار أبي زيان حافد أبي تاشفين بملكها. وما كان مع ذلك من صرف امراء الموحدين الى بلادهم

لما استقل السلطان بملك المغرب سنة ستين كما ذكرناه، وكان العامل على دَرْعة عبد الله بن مسلم الزردالي من أخلاف بني عبد الواد وشيعة آل زيّان، اصطنعه السلطان ابو الحسن عند تغلبه على تلمسان. واستعمله ابنه ابو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه. وتولى المكر بأبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن، حين خروجه على أخيه السلطان أبي عنان بجبل ابن حميدي؛ فارتاب عند استقلال المولى أبي

سالم بالامر . وخشي بادرته ، لما نابهم من حقده عليه ، بسبب اخيه أبي الفضل ، لما بينهما من لحمة الاغتراب ، فداخل بطانة له من عرب المعقل واحتمل ذخائره وامواله واهله وقطع القفر الى تلمسان . ولحق بالسلطان أبي حمّو آخر سنة ستين ، فنزل منه خير نزل . وعقد له لحين وصوله على وزارته وباهابه وبمكانه . وفوض اليه في التدبير والحال والعقد . وشمّر هو عن ساعده في الخدمة . وجاجأ بعرب المعقل من مواطنيهم رغبة في ولايته وايثاراً لمكانه من الدولة . ورهبة من السلطان بالمغرب ، لما كانوا ارتكبوه من موافقة بني مرين مرة بعد اخرى ، فاستقروا بتلمسان وانحاشوا جميعاً الى بني عبد الواد . وبعث السلطان إلى أبي حمّو في شان عاملهم عبد الله بن مسلم ؛ فلم يرجع له جواباً عنه . وحظر عليه ولاية المعقل أهل وطنه ، فلج في شأنهم ، فاجمع السلطان امره على النهوض اليه . واضطرب معسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء . ونادى في الناس بالنفير الى تلمسان وازاح العلل .

وبعث الحاشرين من وزرائه الى مراكش ، فتوافت حشود الجهات ببابه ، وفصل من فاس في جمادى من سنة احدى وستين . وجمع أبو حمّو في إيالته وعلى التشيع لدولته من زناتة والعرب من بني عامر والمعقل كافة ، ما عدا العمارنة ، كان اميرهم الزُبَير بن طلحة متحيزاً

الى السلطان . واجفلوا عن تلمسان وخرجوا الى الصحراء . ودخل السلطان الى تلمسان ثالث رجب . وخالفه أبو حمّو وأشياعه الى المغرب؛ فنزلوا كرسيف بلد ونزمار بن عريف وخرّبوه . واكتسحوا ما وجدوا فيه حنقا على ونزمار وقومه ، بولاية بني مرين . وتخطوا الى وطاط ؛ فعاثوا في نواحيه . وانقلبوا الى انكاد . وبلغ السلطان خبرهم ؛ فتلافى أمر المغرب . وعقد على تلمسان لحافد من حفدة السلطان ابي تاشفين ، كان ربي في حجرهم وتحت كفالة نعمتهم ، وهو أبو زيان محمد بن عثمان وشهرته بالفتى . وانزله بالقصر القديم من تلمسان وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم . واستوزر له ابن عمته عمر بن محمد بن ابراهيم بن مكن ومن ابناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي ، واعطاه عشرة احمال من المال دنانير ودراهم . ودفع اليه الا لة . وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه وايلافه في المنزل الخشن ؛ فنزل له عن محل امارته قسنطينة . وصرف أيضاً المولى ابا عبد الله صاحب بجاية لاسترجاع بلده بجاية ، فعقد لهما بذلك وحملها . وخلع عليهما واعطاهما حملين من المال .

وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلّب عليها عمهم المولى أبو اسحاق ابراهيم صاحب تونس ؛ فكتب الى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف ، ان ينزل عن بلده لمولانا السلطان ابي العباس ويمكنه منها . وودع هؤلاء الامراء وانكفأ راجعاً الى حضرته ؛ لسد ثغور

المغرب وحسم داء العدو ؛ فدخل فاس في شعبان من سنته . ولم يلبث ان رجع أبو زيّان على اثره بعد ان اجفل عن تلمسان ولحق بوانشريش . وتغلب عليه أبو حمّو وفض جموعه ؛ فلحق بالسلطان . واستقل أبو حمو بملك تلمسان . وبعث في السلم الى السلطان ؛ فعقد له من ذلك مارضيه كما نذكره .

الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم، واستيلاء حمو بن عبد الله على ملك المغرب، ونصبه للملوك واحدا بعد اخر الى أن هلك

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره أنّ سلفه من اهل رباط الشيخ أبي مَدْيَن ؛ وكان جده قائماً على خدمة قبره ومسجده ؛ واتصل القيام على هذا الرباط في عقبه . وكان جدّه الثالث محمد معروفاً بالولاية . ولما مات دفنه يَغْمُراسن بالقصر القديم ؛ ليجاوره بجدثه تبرّكاً به . وكان ابنه احمد أبو محمد هذا قد ارتحل الى المشرق . وجاور الحرمين ؛ الى ان هلك وربي محمد ابنه بالمشرق ما بين الحجاز ومصر . وقفل الى المغرب بعد ان شدا شيئاً في الطلب وتفقهعلى اولاد الامام . ولما ابتنى السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به وسمعه يخطب على المنبر ؛ وقد احسن في ذكره والدعاء له ؛ فحلي بعينه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من مجلسه . وجعله خطيباً حيث يصلي في مساجد المغرب ؛

وسفر عنه الى الملوك . ولما كانت نكبة القيروان خلص الى المغرب واستقر برباط العباد محل سلفه ، بعد أحوال أضربنا عن ذكرها اختصاراً .

ولما خلص السلطان الى الجزائر ، داخله ابو سعيد صاحب تلمسان في السفارة عنه الى السلطان ابي الحسن واصلاح بينهما فسار لذلك . ونقمه ابو ثابت وبنو عبد الواد ونكروه على سلطانهم . وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه ؛ فتقبّض عليه واودعه المطبق . ثم اشخصوه بعد حين الى الاندلس ؛ فاتصل بأبي الحجاج صاحب غرناطة . وولاه خطابته ، لما اشتهر به من إجادة الخطبة للملوك بزعمهم . والف السلطان ابا سالم في مثوى غربته من غرناطة ، وشاركه عند أبي الحجّاج في مهماته . ولما نزل بجبال غمارة داخل بني مرين والوزراء في القيام بدعوته . وكان له في ذلك مقام محمود ؛ فرعى السلطان وسائله ومو الاته القديمة والحادثة الى مقامه عند أبيه . فلما استوسق له ملك المغرب ، اختصه بولايته والقى عليه محبته وعنايته . وكان مؤامره ونجيّ خلوته والغالب على هواه ؛ فانصرفت اليه الوجوه وخضعت له الرقاب ووطىء عتبته الاشراف والوزراء ، وعكف على بابه القواد والامراء وصار زمام الدولة بيده . وكان يتجافى عن ذلك اكثر اوقاته ، حذراً من المغبة ويزجر من يتعرض له في الشكاية ويردهم الى اصحاب المراتب والخطط بباب السلطان ، وهم يعلمون انه

قد ضرب على ايديهم ؛ فنقموا ذلك عليه وسخطوا الدولة من أجله . ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه . ونفس عليه الوزراء ما تعين له عند السلطان من الحظ ؛ فتربصوا بالدولة . وشمل هذا الداء الخاصة والعامة . وكان عمر بن عبد الله بن علي ، لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن علي في جمادى سنة ستين ، عند استيلاء السلطان على ملكه ، تحلبت شفاه الدولة إلى تراثه . وكان مثريا فاستجار منهم بابن مرزوق وساهمه من تراث أبيه ، بعد ان حملوا السلطان على النيل منه والاهانة به ؛ فاجاره منهم . ورفع عند السلطان رتبته وحمله على الاصهار اليه باخته . وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه متى عنت له الرحلة عنها . وأصهر عمر الى وزير الدولة مسعود بن ماساي تسكيناً لغربه واستخلاصا لمودته . وسفر عن السلطان الى صاحب تلمسان في شعبان من سنة اثنتين وستين . ونمي عنه أنه داخل صاحب تلمسان في بعض المكر ، فهمّ بنكبته وقتله . ودافع عنه ابن مرزوق ؛ فخلص من عقابه . وطوى من ذلك على النث وتربص بالدولة . واعيد الى مكانه من الامانة على دار الملك اول ذي القعدة ، مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها الى القصبة بفاس ، واختط ايواناً فخماً لجلوسه بها لصق قصوره (متعنياً الابردين)[1] . فلما استولى عمر على

(١) كلمتان زائدتان في نسخة طبع الجزائر، ومحذوفتان في نسخة طبع بولاق، وغير واضحتين في النسخة الخطية الباريسية . وهما كلمتان محرفتان .

دار الملك ، حدثته نفسه بالتوثب . وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة ، بمكان ابن مرزوق من السلطان فداخل قائد جند النصارى غرسية بن انطون . وتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء لسبع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وستين . وخاصوا الى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبي الحسن بمكانه من البلد الجديد ؛ فخلعوا عليه والبسوه شارة الملك . وقربوا له مركبة واخرجوه الى أريكة السلطان ، فاقعدوه عليها . وا كرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له . وجهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى مودع المال ؛ فأفاضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان . وماج اهل البلد الجديد من الجند بعضهم في بعض واختطفوا ما وصل اليهم من العطاء . وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلع والعدة . واضرموا النار في بيوتها ستراً على ما ضاع منها . واصبح السلطان بمكانه من القصبة ؛ فركب واجتمع اليه من حضر من الاولياء والقبائل . وغدا على البلد الجديد وطاف بها يروم فيها منفذاً ؛ فاستصعبت واضطرب معسكره بكدية العرايس لحصارها . ونادى في الناس بالاجتماع اليه . ونزل عند قائلة الهاجرة بفسطاطه ؛ فتسايل الناس عنه الى البلد الجديد فوجاً بعد فوج بمرأى منه ، الى ان سار اليها اهل خاصته ومجلسه ؛ فطلب النجاة بنفسه وركب في لمة من الفرسان مع وزرائه : مسعود بن رحّو وسليمان بن داود ومقدم الموالي والجند

ببابه سليان بن ونصار . وأذن لابن مرزوق في الدخول الي داره ومضى على وجهه . ولما غشيهم الليل ، انفضوا عنه . ورجع الوزيران الى دار الملك ؛ فتقبض عليهما عمر بن عبد الله ومساهمه غرسية بن انطون واعتقلاهما مفترقين . وأشخص علي بن مهدي بن يرزيجن في طلب السلطان ؛ فعثر عليه نائماً في بعض المجاشر (١) بوادي ورغة وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه . وتوارى عن العيون بمكانه ؛ فتقبض عليه وحمله على بغل . وطير بالخبر الى عمر بن عبد الله ؛ فازعج لتلقيه شعيب ابن ميمون بن داود ، وفتح الله بن عامر بن فتح الله . وأمرهما بقتله وانفاذ رأسه ؛ فلقياه بخندق القصب وراء كدية العرائس . وأمرا بعض جند النصارى أن يتولى ذبحه . وحمل رأسه في مخلاة ؛ فوضعه بين يدي الوزير والمشيخة . واستقل عمر بالامر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس . وجرت الامور الى غايتها . ولكل أجل كتاب .

الخبر عن الفتكة بابن انطون قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبني مرين عن الطاعة

لما تقبّض عمر بن عبد الله على الوزير ، جعل معتقل سليان بن داود بدار غرسية قائد النصارى ، ومعتقل ابن ماساي بداره ، صيانة عن

(١) ورد في لسان العرب : «قال الأصمعي : بنو فلان جشر ، إذا كانوا يبيتون مكانهم لا يأوون إلى بيوتهم . وابل جشر : تذهب حيث شاءت وكذلك الحمر . واصبحوا جشراً إذا كانوا يبيتون مكانهم لا يرجعون إلى أهلبهم» وكلمة مجاشر عامية بمعنى المراعي ، مأخوذة من معنى «جشر» .

الأمتهان لمكان صهره ، ولما كان يؤمل منه من الاستظهار على أمره بعصابته من الابناء والاخوة والقرابة . وكان غرسية بن انطون صديقاً لسليمان بن ونصار . فلما رجع عن السلطان ليلة انفضاضهم ، نزل عليه وكان يعاقره الخمر ؛ فباثّه شجوه وتفاوضا في أغتيال عمر واقامة معتقله سليمان بن داود في الوزارة ، بما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الامر . ونمي الى عمر الخبر ؛ فارتاب وكان خلواً من العصابة ؛ ففزع الى قائد الموكب السلطاني من الرّجل الأنْدَلُسيين يومئذ ابراهيم البطروحي ؛ فباثّه أمره وبايعه على الاستماتة دونه . ثم استقل عصابتهم ؛ ففزع الى يحيى بن رحّو شيخ بني مرين وصاحب شوارهم فشكا اليه ؛ فأشكاه ووعده الفتك بابن انطون وأصحابه . وانبرم عقد ابن انطون وسليمان بن ونصار على شأنهم وغدوا الى القصر . وادخل ابن انطون طائفة من النصارى للاستظهار بهم . ولما توافت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم وطعموا ، دعا عمر بن عبد الله القائد بن انطون ، بين يدي يحيى بن رحّو ، وقد احضر البطروحي رجل الاندلسيين ؛ فسأله تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى وضنّ به عن الاهانة ، ينال مثلها من ابن ماساي صاحبه ؛ فأمر عمر بن عبد الله بالتقبّض عليه ؛ فكشر في وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة ؛ فتواثب به بنو مرين وقتلوه لحينه . واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى بعد جولة . وفروا الى معسكرهم

ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد .

وارجف الغوغاء بالمدينة ان ابن انطون غدر بالوزير ؛ فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة . وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من به من الجند . وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء . وانتهب يومئذ الكثير من اموالهم وامتعتهم . وقتل النصارى كثيراً من المجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح . واستبدّ عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ، وبعث من قتله بمحبسه . وحول سليمان بن داود الى بعض الدور بدار الملك واعتقله بها واستولى على امره . ورجع في الشورى الى يحيى بن رحّو واعصوصب بنو مرين عليه ، واعتزّ على الوزراء والدولة . وكان عدّوا لخاصّة السلطان أبي سالم حريصا على قتلهم . وكان عمر يريد استبقاءهم لما أمّله في ابن ماساي فاختلفت اهواؤهما . وتبين ليحيى بن رحو والمشيخة صاغيته الى ابن ماساي ؛ فخشنت صدورهم عليه ودبّروا في شأنه . وخاطب هو عامر ابن محمد باتصال اليد واقتسام ملك المغرب . وبعث اليه بأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم ، اعتده عنده وليجة لخلاصه من ربقة الحصار الذي هم به مشيخة بني مرين . وكان ابو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والارصاد ؛ فتفقد من مكانه . واغلظ المشيخة في العتب لعمر على ذلك ؛ فلم يستعتب . ونبذ اليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد ، ومنعهم

من الدخول اليه، فاعصوصبوا على كبيرهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح. وجاءوا بعبد الحليم بن السلطان أبي علي. وكان من خبرهم معه ما نذكره. وأطلق عمر بن عبد الله مسعود بن ماساي من محبسه وسرحه الى مَرّاكُش، وواعدوه في الاجلاب عليهم ان حاصروه كما نذكر.

الخبر عن وصول عبد الحليم ابن السلطان أبي علي من تلمسان وحصار البلد الجديد

كان السلطان ابو الحسن لما قتل اخاه الامير أبا علي وقضى الحق الذي له في دمه، عمل بالحق الذي عليه في ولده وحرمه؛ فكفلهم واغذاهم نعمته. وساواهم بولده في كافة شؤنهم وانكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه، علياً منهم المكنى بأبي يفلوسن. ونزع عنه وهو بالقيروان ايام النكبة ولحق بالعرب. وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس. ثم انصرف من افريقية ولحق بتلمسان. ونزل على سلطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن؛ فبوأه كرامته. ثم شرع في الاجازة الى الاندلس. وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله؛ فاشخصوه اليه فاعتقله. ثم احضره ووبخه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن وجحده حقه، ثم قتله لليلتين من شهور احدى وخمسين. ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت جملته من الخاصة والابناء بالسلطان أبي

عنان ، واشخص اخوته الى الاندلس ، اشخص معهم ولد الامير أبي علي هؤلاء : عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن أخيهم أبي زيان ؛ فاستقروا بالاندلس في جوار ابن الأحمر . ثم طلب أبو عنان إشخاصهم بعد ، كما طلب اشخاص أخيه ؛ فاجارهم ابن الاحمر جميعاً وامتنع من اسلامهم اليه . وكان من المغاضبة لذلك ما قدمناه .

ولما اعتقل السلطان ابو سالم الأبناء المرشحين برندة كما قدمناه ، نزع منهم عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن الى غرناطة ؛ فلحق باعمامه .

وكان السلطان ابو سالم ضجراً بمكانهم مستريباً بشأنهم ؛ حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوسن ابن اخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره ، استرابة بما نمي عنه . ولما اجاز أبو عبد الله المخلوع ابن أبي الحجاج الى المغرب ونزل عليه وصار الى ايالته ، رأى ان قد ملك أمره في هؤلاء المرشحين بغرناطة . وراسل الرئيس محمد بن اسماعيل عند توثبه على الامر واستلحامه ابناء السلطان أبي الحجاج ؛ فراسله في اعتقالهم ، على ان يمسك المخلوع عن التهامه ويقبض عنانه عن الهوى اليه ؛ فاعتقلهم . ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية . وزحف اليهم والتهم كثيراً من حصون المسلمين . وبعث الى السلطان أبي سالم في ان يخلي سبيل المخلوع اليه ؛ فامتنع وفاء للرئيس . ثم دافع الطاغية عن ثغوره باسعاف طلبه ؛ فجهز المخلوع وملأ حقائبه صلات وأعطاه الآلة . واوعز الى اسطوله بسبتة ؛

تجهز وبعث علال بن محمد ثقة اليه ؛ فاركبه الاسطول وركب معه الى الطاغية . وخلص الخبر الى الرئيس بمكانه من سلطان غرناطة . وكان أبو حمو صاحب تلمسان يراسله في أولاد أبي علي . وان يجهزهم اليه ليجدهم زبوناً على السلطان أبي سالم ؛ فبادر لحينه واطلقهم من مكان اعتقالهم واركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن اخيهما علي أبي يفلوسن في الاسطول . واجازهم الى هُنَيْن بين يدي مهلك السلطان أبي سالم ؛ فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار . ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب .

وكان محمد السبيع بن موسى بن ابراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان فتوافى معهم واخبرهم بمهلك السلطان وبايع له وأغراه بالدخلة الى المغرب ثم تتابعت رسل بني مرين بمثلها ؛ فسرحه ابو حمّو وأعطاه الآلة ، واستوزر له محمد السبيع ، وارتحل معه يغذّ السير . ولقيه بطريقه محمد ابن زكدان ، من أولاد علي ، من شيوخ بني ونكاسن ، اهل دبدو ، ثغر المغرب ، منذ دخول بني مرين اليه ؛ فبايعه وحمل قومه على طاعته وأغذّ السير وكان يحيى بن رحّو والمشيخة لما نبذ عمر بن عبد الله اليهم العهد وعسكروا بباب الفتوح ، اوفدوا مشيخة منهم على تلمسان ؛ لاستقدام السلطان عبد الحليم ؛ فوافوه بتازى ورجعوا معه . وتلقته جماعة بني مرين بسبّو . ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع

محرم من سنة ثلاث وستين وأضربوا معسكرهم بكدية العرائس . وغادوا البلد بالقتال وراوحوها سبعة ايام ، وبيعات الامصار توافيهم والحشود تسايل اليهم . ثم ان عمر بن عبد الله برز من السبت القابل في مقدمة السلطان أبي عمر ، بمن معه من الجند المسلمين والنصارى ، رامحة وناشبة . ووكل السلطان من جاذبه في الساقة على التعبية المحكمة . وناشبهم الحرب ؛ فدلفوا اليه ؛ فاستطردهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار ، حتى فشت فيهم الجراحات . ثم صمم نحوهم ؛ فانفرج القلب وانفضت الجموع . وزحف السلطان في الساقة ، فانذعروا في الجهات . وافترق بنو مرين الى مواطنهم . ولحق يحيى بن رحّو بمراكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط . ولحق عبد الحليم واخوته بتازى بعد ان شهد لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء في ذلك المجال وصابر عمر بن عبد الله أمره ينتظر قدوم محمد بن أبي عبد الرحمن ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن قدوم محمد ابن الأمير أبي عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد الله

لما نبذ عمر الى بني مرين عهدهم واعصوصبوا عليه ، ونكروا ما جاء به من البيعة لأبي عمر ، مع فقدانه العقل الذي هو شرط الخلافة شرعاً وعادة ونقموه عليه ، اتهم نفسه في نظره وفزع الى التماس

المرشحين ؛ فوقع نظره على حافد السلطان أبي الحسن محمد ابن الامير أبي عبد الرحمن النازع لأول دولة السلطان أبي سالم من رُنْدَةَ الى الطاغية . وكان قد نزل منه بخير مثوى ؛ فبعث اليه مولاه عتيقاً الخصي ؛ ثم تلاه بعثمان ابن الياسمين ؛ ثم تلاهما بالرئيس الابكم من بني الاحمر ، وفي كل ذلك يستحث قدومه . وخاطب المخلوع ابن الاحمر وهو في جوار الطاغية كما قدمناه وقريب عهد بجوارهم ؛ فخاطبه في استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية . وكان المخلوع يرتاد لنفسه نُزُولاً من ثغور المسلمين ، لما كان فسد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن إيالته ؛ فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رُنْدَةَ ؛ فتقبل شرطه وبعث اليه الكتاب بالنزول عنها ، بعد ان وضع الملأ عليه خطوطهم من بني مرين والخاصة والشرفاء ؛ فسار ابن الاحمر الى الطاغية . وسأل منه تسريح محمد هذا الى ملكه وان قبيله دعوه الى ذلك ؛ فسرحه بعد ان شرط عليه وكتب الكتاب بقبوله . وفصل من اشبيلية في شهر المحرم فاتح ثلاث وستين . ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله . وارصده لقدومه ، فطير بالخبر اليه ، فخلع ابا عمر من الملك وأنزله بداره مع حرمه . وبعث الى السلطان أبي زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط . ثم جهز عسكراً للقائه ، فتلقوه بطنجة . وأغذ السير الى الحضرة ، فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس . واضطرب معسكره بها ، تلقاه الوزير يومئذ وبايعه واخرج

فسطاطه؛ فاضطرب بمعسكره وتلوّم السلطان هنالك ثلاثاً. ثم دخل في الرابعة الى قصره واقتعد اريكته وتودع ملكه. وعمر مستبد عليه لا يكل اليه امراً ولا نهياً. واستطال عند ذلك المنازعون اولاد علي كما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن تجهيز السلطان عبد الحليم وأخوته الى سجلماسة بعد الواقعة عليهم بمكناسة

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبي عبد الرحمن من سبتة الى فاس وهو بمكانه من تازى، سرح اخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه الى اعتراضه؛ فانتهوا الى مكناسة وخاموا عن لقائه. فلما دخل الى البلد الجديد، اجلبوا بالغارة على النواحي وكثر العيث. واجمع الوزير عمر على الخروج اليهم بالعسكر؛ فبرز في التعبية والآلة وبات بوادي النجا. ثم اصبح على تعبية واغذ السير الى مكناسة؛ فزحف اليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن في جموعهم؛ فجاولهم القتال ساعة؛ ثم صمد اليهم فدفعهم عن مكناسة. وانكشفوا فلحقوا باخيهم السلطان عبد الحليم بتازى. ونزل الوزير عمر بساحة مكناسة واوفد بالفتح على السلطان وكنت وافده اليه يومئذ؛ فعمت البشرى واتصل السرور. وتهنّأ السلطان ملكه وتودع من يومئذ سلطانه. ولما وصل عبد المؤمن الى اخيه عبد الحليم بتازى مفلولا، انفض معسكره ونزعوا عنه الى فاس

وذهب لوجهه هو واخوانه مع وزيرهم السبيع ومن كان معهم من العرب المعقل ؛ فلحقوا بسجلماسة . وكان اهلها قد دخلوا في بيعتهم ودانوا بطاعتهم واستقروا بها . وجددوا رسم الملك والسلطان ، الى ان كان من خروجهم عنها ، ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماساي من مراكش وما كان من وزارة ابن ماساي واستبداد عامر بن محمد بمراكش

كان السلطان ابو سالم ، لما استقل بملك المغرب ، استعمل على جباية المصامدة وولاية مراكش محمد بن أبي العلاء بن أبي طلحة من أبناء العمال . وكان مضطلعاً بها . ونافس الكثير من ذوي عامر فاحفظه ذلك . وربما تكررت سعايته في عامر عند السلطان ولم يقبل . ولما بلغ عامر خبر مهلك السلطان أبي سالم وقيام عمر بالامر ، وكانت بينهما خلة بيت محمد ابن أبي العلاء ، فتقبض عليه وامتحنه وقتله واستقل بأمر مراكش . وبعث اليه الوزير عمر بأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم يعتده ، لما توقع من حصار بني مرين اياه ، ان يجلب به عامر عليهم ويستنقذه كما ذكرناه . ثم سرح مسعود بن ماساي كما ذكرناه . ولما احاط بنو مرين بالبلد الجديد ، جمع عامر من اليه من الجند والحشود وزحف بأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم الى انفى ، ونزل بوادي أم ربيع . ولما انفض جمعهم من على البلد الجديد ، لحق به يحيى بن رحو وكان له

صديقا ملاطفاً ؛ فتنكر له ثوفية لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود . وبعثه الى الجبل ولم يشهده الجمع ؛ فذهب مغاضباً . ولحق بسجلماسة بالسلطان عبد الحليم . وهلك في بعض حروبه مع العرب . ولما انفض عبد المؤمن واجفل عبد الحليم من تازى ، ولحقوا بسجلماسة ، واستوسق الامر لعمر بن عبد الله ، وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له ، رجع الى ما كان يؤمله من الاستظهار على امره بمسعود ابن رحّو واخوته واقاربه ، لمكان الصهر الذي بينهما ؛ فاستقدمه للوزارة مرضاة لبني مرين لما كان عليه من استمالتهم لجميع المذاهب والاغضاء عما نالوه به من النكاية . وكان عامر بن محمد مجمعاً القدوم على السلطان ؛ فقدم في صحابته ونزل من الدولة خير منزل . وعقد السلطان لمسعود بن رحّو على وزارته باشارة الوزير عمر واضطلع بها . ودفعه عمر اليها استنامة اليه وثقة بمكانه واستظهاراً بعصابته . وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من تخم وادي ام ربيع ، وجعل امارة مراكش لأبي الفضل ابن السلطان ابي سالم اسعافاً بغرض عامر بن محمد في ذلك . واصهر عامر اليهم في بنت مولانا السلطان ابي يحيى المتوفي عنها السلطان ابو الحسن [1] ؛ فحملوا أولياءها على العقد له عليها . وانكفأ راجعاً الى مكان عمله بمراكش ،

(١) كذا، وفي ب: أبو عنان.

يجر الدنيا وراءه عزاً وثروة وتابعاً ، لجمادى من سنة ثلاث وستين . وصرف عمر عزيمته الى تشريد عبد الحليم واخيه من سجلماسة ، كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة

لما احتل عبد الحليم واخوته بسجلماسة ، اجتمع اليهم عرب المعقل بكافة حللهم . واقتضوا خراج البلاد ؛ فوزعوه فيهم ، واقتضوا على الطاعة رهنهم . واقطعهم جهات المختص[1] باسرها واعصوصبوا عليه . واستحثه يحيى بن رحو ومن هنالك من مشيخة بني مرين الى النهوض للمغرب ، فاجمع امره على ذلك . وتدبر الوزير عمر امره وخشي ان يضطرم جمره ، فاجمع الحركة اليه . ونادى في الناس بالعطاء والصلة ، فاجتمعوا اليه وبث العطاء فيهم . واعترض العساكر وأزاح العلل . وارتحل من ظاهر فاس في شعبان من سنة ثلاث وستين وارتحل معه ظهيره مسعود بن ماساي ، وبرز السلطان عبد الحليم الى لقائهم . ولما تراءت الفئتان بتاعزوطت ، عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب الى الصحراء ، هموا باللقاء . ثم تواقفوا أياماً وتمشت بينهم رجالات العرب في الصلح والتجافي لعبد الحليم عن سجلماسة تراث ابيه ؛ فانعقد مسعود ما بينهما وافترقا . ورجع كل واحد منهما الى عمله

---

(١) كذا، وفي ب: جنات المختص.

ومكانه من سلطانه. ودخل عمر والوزير مسعود الى البلد الجديد في رمضان من سنته، وتلقاهما سلطانهما بانواع المبرّة والكرامة. ونزع الوزير محمد السبيع عن السلطان عبد الحليم الى الوزير عمر وسلطانه؛ فتقبل وحل محل الكرامة والردافة للوزارة واستقر كل بمكانه. وتودعوا امرهم، الى ان كان من خلع عبد المؤمن لأخيه عبد الحليم، ما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق

لما رجع عبد الحليم، بعد عقد السلم مع الوزير عمر، الى سجلماسة واستقرّ بها. وكان عرب المعقل من ذوي منصور فريقين: الأحلاف واولاد حسين. وكانت سجلماسة وطناً للأحلاف وفي مجالاتهم مذ اول امرهم ودخولهم المغرب. وكان من اولاد حسين في ممالأة الوزير عمر ما قدّمناه؛ فكانت صاغية السلطان عبد الحليم الى الأحلاف بسبب ذلك اكثر؛ فاسف ذلك اولاد حسين على الاحلاف وتجددت بينهما لذلك فتنة وتزاحفا. واخرج السلطان عبد الحليم أخاه عبد المؤمن لرقع ما بينهما من الخرق ولأمته؛ فلما قدم على اولاد حسين دعوه الى البيعة والقيام بامره، فابى واكرهوه عليها وبايعوه. وزحفوا الى سجلماسة في صفر من سنة اربع وستين. وبرز عبد الحليم اليهم في أوليائه من الاحلاف. وتواقفوا مليّاً وعقلوا رواحلهم. ثم انكشف

الاحلاف وانهزموا .. وهلك يحيى بن رحّو كبير المشيخة من بني مرين يومئذٍ في حربهم. وتغلبوا على سجلماسة ، ودخل اليها عبد المؤمن وتخلى له اخوه عبد الحليم عن الأمر وخرج الى المشرق لقضاء فرضه ؛ فودعه وزوده بما اراد . وارتحل الى الحج وقطع المفازة الى بلد مالي من السودان . وصحب منها ركاب الحاج إلى مِصرَ . ونزل على أميرها المتغلِّب على سلطانها يومئذ ، وهو يُلْبُغا الخاصكيّ وأنهى خبره اليه . وعرف بمقامه ؛ فاستبلغ في تكريمه بما يناسب بيته وسلطانه . وقضى حجه وانصرف الى المغرب ؛ فهلك بقرب الاسكندرية سنة ست وستين . واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة ، حتى كان من نهوض العساكر اليه ، ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن نهوض ابن ماساي بالعساكر الى سجلماسة واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش

لما افترقت كلمة اولاد السلطان أبي علي وخلع عبد المؤمن اخاه تطاول الوزير عمر الى التغلب عليهم . ونزع اليه الاحلاف عدو أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع ؛ فجهز العساكر وبث العطاء وازاح العلل . وسرح ظهيره مسعود بن ماساي الى سجلماسة ، فنهض اليها في ربيع من سنة اربع . وتلقاه الاحلاف بحللهم وناجعتهم ، وأغذّ السير ونزع الكثير من اولاد حسين الى الوزير مسعود . وبعث عامر بن محمد

عن عبد المؤمن ، فرحل عن سجلماسه وتركها . ولحق بعامر ، فتقبض عليه واعتقله بداره من جبل هنْتاته. ودخل الوزير مسعود الى سجلماسة واستولى عليها . واقتلع منها جرثومة الشقاق باقتلاع دعوة أولاد أبي علي منها . وكر راجعا الى المغرب لشهرين من حركته ؛ فاحتل بفاس الي ان كان من خبره وانتقاضه على عمر وفساد ما بينهما ما نذكره .

الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير ابن ماساي على أثره

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراكش وما الى ذلك من الاعمال واستبد بها ، ونصب لأمره أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم واستوزر له واستكتب ، وصارت كانها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بني مرين على الدولة وجوه مفرهم ولجأوا اليه ، فاجارهم على الدولة ، واجتمع اليه منهم ملأ . واشاروا عليه باستقدام عبد المؤمن وأنه ابلغ ترشيحاً من ابي الفضل بنسبه وقيامه على امره وصاغية بني مرين اليه ، فاستدعاه واظهر لعمر أنه يروم بذلك مصلحته والمكر لعبد المؤمن . ونمي ذلك كله الى عمر ، فارتاب به . ونزع اليه آخر من نزع السبيع بن موسى بن ابراهيم الوزير . كان لعبد الحليم ، فكشف عمر القناع في مطالبته وتجهيز العسكر اليه . واستراب بأهل ولايته . وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماساي اليه يخالصه ويبذل له النصيحة ، فتقبض على حامله واودعه السجن ،

فتنكر مسعود . واغراه صحابته الملابسون له من بني مرين بالخروج ومنازعة عمر في الامر . ووعدوه النصر منه ، فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس ، مورياً بالنزهة ابان الربيع وزخرف الارض في شهر رجب من سنة خمس . وبني اصحابه الفساطيط في معسكره ، حتى اذا استوفوا جمعهم واعتزم على الخروج ، ارتحل مجاهراً بالخلاف وعسكر بوادي النجا من كان يعده الخروج معه من بني مرين . ثم ارتحل الى مكناسة . وكتب الى عبد الرحمن بن علي ابى يفلوسن يستقدمه للبيعة ، وكان بجهات تادلا قد خرج بها بعد انصرافهم من سجلماسة ، وتخلفه عن اخيه عبد المؤمن . وبعث عامر اليه بعثاً فهزموه ثم لحق ببني ونكاسن ، فبعث اليه ابن ماساي واصحابه ، فقدم عليهم وبايعوه . واخرج عمر سلطانه محمد بن أبي عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس . وبث العطاء وازاح العلل . ثم ارتحل الى وادي النجا فبيته مسعود وقومه ، فثبت هو ومعسكره في مراكزهم حتى انجاب الظلام وفروا أمامهم ، فاتبعوا آثارهم وانفض جمعهم . وبدا لهم ما لم يحتسبوه من اصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتصامهم بطاعته ، فانذعروا .

ولحق مسعود بن ماساي بن رحّو بتادلاً . ولحق الأمير عبد الرحمن ببلاد بني ونكاسن . ورجع عمر والسلطان الى مكانهم من

الحضرة . واستمال مشيخة بني مرين ، فرجعوا اليه وعفا لهم عنها واستصلحهم . وتمسك أبو بكر بن حمامة بدعوة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن واقامها في نواحيه . وبايعه عليه موسى بن سيّد الناس ، من بني علي اهل جبل دبدو من بني ونكاسن ، بما كان صهراً له . وخالفه قومه الي الوزير عمر . واغراه بالنهوض إلى أبي بكر بن حمامه ، فنهض وغلبه على بلاده . واقتحم حصنه ايكلوان . وفرّ هو وصهره موسى وفارقوا سلطانهم عبد الرحمن ونبذوا اليه عهده . ورجعوا الى طاعة صاحب فاس ؛ فلحق هو بتلمسان ونزل على السلطان أبي حمو . فاستبلغ في تكريمه . ولحق وزيره مسعود بن ماساي بدبدة ونزل على اميره محمد بن زكدان صاحب ذلك الثغر . ثم بدا له في امره ، وداخل صاحب الثغر وبعث عن الامير عبد الرحمن من تلمسان ليطارد به لفرصة ظنّها في المغرب ينتهزها . وأبى عليه أبو حمّو من ذلك ، فركب مطية الفرار ولحق بابن ماساي واصحابه ؛ فنصبوه للامر واجلبوا على تازى . ونهض الوزير اليهم في العساكر واحتل بتازى . وتعرضوا للقائه ، ففض جموعهم وردهم على اعقابهم الى جبل دبدو . وسعى بينهم ونزمار بن عريف ، وليّ الدولة ، في قبض عنانهم عن المنازعة والتجافي عن طلب الأمر ، وان يتحيزوا الى الاندلس للجهاد ؛ فاجاز عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ووزيره ابن ماساي من غساسة ، فاتح سبع وستين . وخلا الجو من اجلابهم وعنادهم . ورجع الوزير الى فاس

واحتشد الى مراكش، كما نذكره إن شاء الله تعالى.

الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش

لما فرع عمر من شأن مسعود وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن، صرف نظره الى ناحية مراكش وانتزاء عامر بن محمد بها. وأجمع امره على الحركة اليه؛ فمأ فاض العطاء ونادى بالسفر الى حرب عامر وازاح العلل، وارتحل اليه لرجب من سنة سبع. وصعد عامر وسلطانه ابو الفضل الى الجبل؛ فاعتصم به وأطلق عبد المؤمن من معتقله. ونصب له الآلة واجلسه على سرير حذاء سرير أبي الفضل، يوهم انه بايع له، وانه قد حكم امره يجاجيء بذلك لبني مرين، لما علم من صاغيتهم اليه. وخشي عمر مغبّة ذلك؛ فألان له في القول ولاطفه في الخطاب وسعى بينهما في الصلح حسون بن علي الصُّبَيْحي؛ فعقد له عمر من ذلك ما ابتغاه، وانقلب الى فاس. ورجّع عامر عبد المؤمن الى معتقله واجرى الاحوال على ما كانت من قبل، الى ان بلغهم قتل الوزير عمر لسلطانه، كما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن

كان شأن هذا الوزير عمر في الاستبداد على سلطانه محمد هذا

عجباً ، حتى بلغ مبلغ الحجر للسفهاء من الصبيان . وقد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه واهل قصره . وكان السلطان كثيراً ما يتنفس الصعداء من ذلك مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه ، الى ان حدّث نفسه باغتيال الوزير . وامر بذلك طائفة من العبدى كانوا يختصون به ؛ فنمي القول . وارسل به الوزير بعض الحرم كانوا عيناً له عليه ؛ فخشيه على نفسه . وكان من الاستبداد والدالة ، ان الحجاب مرفوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رتبه ؛ فخلص اليه في حشمه وهو معاقر لندمائه ؛ فطردوهم عنه وتناولوه غطّا حتى فاض ، والقوه في بئر بروض الغزلان . واستدعى الخاصة ؛ فأراهم مكانه وأنه سقط عن دابته وهو ثمل في تلك البئر ، وذلك في المحرم فاتح ثمان وستين . واستدعى من حينه عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن وكان في بعض الدور بالقصبة من فاس ، تحت رقابة وحراسة من الوزير ، لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك ، لمكان ترشيحه ؛ فحضر بالقصر وجلس على سرير الملك . وفتحت الابواب لبني مرين والخاصة والعامة ؛ فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة على طاعته . وكمل امره وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر الى مراكش . ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمل الاعتراض . وارتحل بسلطانه من فاس في شهر شعبان وأغذّ السير الى مراكش . ونازل عامر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة ، ومعه الامير أبو

الفضل ابن السلطان ابي سالم وعبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، اطلقه من الاعتقال أيضاً واجلسه موازي ابن عمه، واتخذ له الآلة يموّه به شأنه الاول ثم سعى بينه وبين عامر في الصلح؛ فانعقد بينهما وانكفأ راجعاً بسلطانه الى فاس في شهر شوال؛ فكان حتفه اثر ذلك، كما نذكره ان شاء الله تعالى.

الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز؛ فحجره ومنعه من التصرف في شيء من امره. ومنع الناس من التعرّض له في شيء من امورهم. وكانت أمّه حذرة عليه اشفاقاً وحباً. وكان عمر لما ملك امره واستبد عليهم سما الى الاصهار اليهم في بنت السلطان أبي عنان. واشترط لها، زعموا تولية أخيها الامر. ونمي ذلك الى السلطان، وأنّ عمر مغتاله لا محالة. وقارن ذلك ان عمر اوعز الى السلطان بالتحول عن قصره الى القصبة؛ فركب أسنّة الغرر لاضطراره واعتزم على الفتك به. واكمن بزوايا داره جماعة من الرجل واعدهم للتوثّب به. ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه على سنّته؛ فدخل معه. واغلق الموالي من الخصيان باب القصر من ورائه. ثم اغلظ له السلطان في القول وعتبه. ودلف الرجل اليه من زوايا الدار؛

فتناولوه بالسيوف هبراً . وصرخ ببطانته بحيث أسمعهم ؛ فحملوا على الباب وكسروا أغلاقه؛ فالفوه مضرجاً بدمائه؛ فولوا الادبار وانفضوا من القصر وانذعروا . وخرج السلطان الى مجلسه ؛ فاقتعد أريكته واستدعى خاصته . وعقد لعمر بن مسعود بن منديل بن حمامة من بني مرين وشعيب بن ميمون بن وددار من الجشم ويحيى بن ميمون أمصمود من الموالي . وكملت بيعته منتصف ذي القعدة سنة ثمان وستين . وتقبض على ابن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشيتهم وذويهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم لليال . واستأصل النكال شأفتهم . وسكن وأمن ورد النافرين بأمانه وبسط لهم في وجه بشره . ثم تقبض لايام على سليمان بن داود ومحمد السبيع وكانا من مخالصة عمر بمكان ؛ فاعتقلها استرابة بها ولشيء نمي له عنهما . واودعهما السجن الى ان هلك واعتقل معهما علال بن محمد والشريف ابا القاسم ريبة بصحابتهما . ثم امتنّ عليهما بشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الاحمر واقصاه . ثم اطلق عنانه في الاستبداد . وقبض ايدي الخاصة والبطانة عن التصرّف في شيء من سلطانه إلا باذنهِ وعن امره . وهلك لأشهر من استبداده الوزير شعيب بن ميمون . ثم هلك يحيى بن ميمون؛ على ما نذكره إن شاء الله تعالى . والله أعلم .

الخبر عن انتزاء أبي الفضل ابن المولى أبي سالم
ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه

لما فتك السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه، سولت لأبي الفضل ابن السلطان أبي سالم نفسه مثلها في عامر بن محمد، لمكان استبداده عليه، واغراه بذلك بطانته. وتوجس لها عامر؛ فتمارض بداره. واستأذنه في الصعود الى معتصمه بالجبل ليمرضه هنالك حرمه واقاربه، وارتحل بجملته. ويئس ابو الفضل من الاستمكان منه. وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن. ولليال من منصرف عامر، ثمل ابو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى؛ فامره بقتل عبد المؤمن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه. وطار الخبر الى عامر؛ فارتاع وحمد الله ان خاص من غائلته. وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز واغراه بأبي الفضل ورغّبه في ملك مراكش. ووعده بالمظاهرة؛ فاجمع السلطان امره على النهوض الى مراكش. ونادى في الناس بالعطاء وقضى اسباب حركته. وارتحل من فاس سنة تسع وستين. واستبد ابو الفضل بعد مهلك عبد المؤمن. واستوزر طلحة السَنوري [1] وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكِناني وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم

---

(١) كذا، وفي ب: النوري.

عطية الخلطي . ثم سخط طاحة التينوري بسعاية الكناني ؛ فقتله واعتمد بعساكره منازلة عامر . ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز اليه ؛ فانفض معسكره . ولحق بتادلا ليعتصم بها في معقل بني جابر . وعاج السلطان عن مراكش بعساكره اليها؛ فنازله واخذ بمخنقه وقاتله ؛ ففل عسكره . وداخله بعض بني جابر في الاخلال بمصافه يوم الحرب مع مال بذله لهم ؛ ففعلوا وانهزمت عساكر أبى الفضل وجموعه وتقبض على اشياعه. وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان؛ فاعتقله الى ان قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره . وفر الكناني الى حيث لم يعلم مسقطه . ثم لحق بعامر بن محمد ، ولحق ابو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم . وداخلهم اشياع السلطان من بني جابر وبذلوا لهم المال الدثر في اسلامه فاسلموه . وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى ابن ميمون ؛ فجاء به أسيراً . واحضره السلطان؛ فوبخه وقرّعه واعتقله بفسطاط في جواره ؛ ثم غطّ من الليل . وكان مهلكه في رمضان من سنه تسع . وبعث السلطان الى عامر يختبر طاعته بذلك ؛ فأبى عليه . وجاهر بالخلاف ، الى ان كان من شأنه ، ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن امصمود ومقتله

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربي في دولة السلطان أبي الحسن وكان عمه علاّل عدوّاً له لعداوة ابيه . ولما انتزى

السلطان أبو عنان على ملك ابيه ، استخلص يحيى هذا سائر ايامه ، وهلك كما ذكرناه . واستعمل يحيى ببجاية ؛ فلم يزل بها الى ان تقبّض عليه الموحدون، لما استخلصوا بجاية من يده . وصار الى تونس واعتقل بها مدة . ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر ؛ فاختص به . ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوي الشكيمة شديد الحزم وصعب العداوة مرهف الحد ، وكان عمه علال بعد ان اطلقه السلطان من الاعتقال مكّنه من اذنه واقامه متصرفاً بين يديه ؛ فالقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شانه . ورفع اليه أنه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق ، وانه داخل في ذلك قواد الجند من النصارى . واصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان ؛ فاختلف الناس الى زيارته . وعكف ببابه قوّاد النصارى ؛ فاستراب بامرهم . وتيقن الامر بعكوفهم ؛ فارسل السلطان من حشمه من تقبض عليه واودعه السجن . ثم جنب الى مصرعه من الغد وقتل قعصاً بالرماح . وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعاً وصاروا مثلاً في الآخرين . والأمر لله .

الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبلة، ثم الظفر به

لما فرغ السلطان من شأن أبي الفضل ، عقد على مراكش لعلي بن

ابن محمد بن أجّانا من صنائع دولتهم . واوعز اليه بالتضييق على عامر والأخذ بخنقه والجائه الى الطاعة. وانقلب الى فاس واعتزم على الحركة الى تلمسان . وبينما هو في الاستنفار كذلك إذ جاء الخبر بأنّ علي بن اجّانا نهض الى عامر وحاصره أياما . وان عامرا زحف اليه ؛ ففض معسكره . وتقبض على ابن أجانا والكثير من العسكر ، فاعتقلهم ، فقام السلطان في ركائبه وقعد واجمع امره على النهوض اليه ، بكافة بني مرين واهل المغرب ؛ فبعث في الحشود وبثّ العطاء . وعسكر بظاهر البلد ، حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لأبي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس ، لما كان فيه من مخايل الرياسة والكفاية ، ورفع محله . وارتحل سنة سبعين ؛ فاحتل بمراكش ، ثم خرج الى منازلته وكان عامر بن محمد ، قد نصب بعض الاعياص من آل عبد الحق ، من ولد أبي ثابت ابن يعقوب بن عبد الله ، اسمه تاشفين . ولحق به علي بن عمر بن ويغلان من شيوخ بني ورتاجن ، كبير بني مرين وصاحب الشورى فيهم لعهده ؛ فاشتد ازره به . وتوافى به كثير من الجند النازعين عن السلطان ، رهبة من بأسه او سخطة بحاله او رغبة فيما عند عامر قريبهم . وامسك الله يده عن العطاء ، فلم يسل بقطرة . وطال مثوى السلطان بساحته وعلى حصاره . وبوّأ المقاعد للمقاتلة ، وغاداه بالقتال وراوحه . وتغلب على حصونه شيئاً فشيئاً ، الي ان تعلق بأعلى الجبل تامسكروط ، وكان لأبي بكر بن غازي غناء مذكور ، ويئس

اصحاب عامر واشياعه من عطائه . وفسد ما بينه وبين علي بن عمر هذا ، فدس الى السلطان بطلب الامان ويتوثق لنفسه ؛ ثم نزع اليه. وداخله فارس بن عبد العزيز ابن اخي عامر في القيام بدعوة السلطان والخلاف على عمه ، لما كان يوسق به من ارهاف الحدّ وتفضيل ابنه أبي بكر عليه ؛ فبلغ خبره الى السلطان . واقتضى له وثيقة من الامان والعهد بعث بها اليه ؛ فثار بعمه . واستدعى القبائل من الجبل الى طاعة السلطان فاجابوه . واستحث السلطان للزحف اليهم ، فزحفت العساكر والجنود واستوت على معتصم الجبل . ولما استيقن عامر ان قد احيط به ، اوعز الى ابنه ان يلحق بالسلطان مموّهاً بالنزوع ؛ فالقى بنفسه اليه وبذل له الامان ولحقه بجملته . وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ، ليخلص الى السوس ؛ فرده الثلج . وقد كانت السماء ارسلت به منذ ايام برداً وثلجاً ، حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض . وسد المسالك ؛ فاقتحمه عامر وهالك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه . وعاين الهلكة العاجلة ؛ فرجع مخفياً اثره الى غارٍ أوى اليه مع ادلاء بذل لهم المال ، ليسلكوا به ظهر الجبل الى الصحراء بالسوس. واقاموا ينتظرون امساك الثلج . واغرى السلطان بالبحث عنه ؛فدلهم عليه بعض البربر عثروا عليه ؛ فسيق الى السلطان واحضره بين يديه . ووبخه فاعتذر وبخع بالطاعة . ورغب في الاقالة واعترف بالذنب ،فحمل الى مضرب بني له وراء فسطاط السلطان ، واعتقل هنالك . وتقبض

يومئذ على محمد بن الكناني ؛ فاعتقل . وانطلقت الايدي على معاقل عامر ودياره ؛ فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات والخرثى ما لا عين رأت ولا خطر على قلب احد منهم . واستولى السلطان على الجبل ومعاقله ، في رمضان من سنة احدى وسبعين ، لحول من يوم حصاره . وعقد على هنتاتة لفارس بن عبدالعزيز ابن محمد بن علي . وارتحل الى فاس واحتل بها آخر رمضان . ودخلها في يوم مشهود برز فيه الناس . وحمل عامر وسلطانه تاشفين على جملين ، وقد افرغ عليهما الرث وعبثت بهما ايدي الاهانة ، فكان ذلك عبرة لمن رآه. ولما قضى منسك الفطر احضر عامراً ؛ فقرّعه بذنوبه . وأوتي كتابه بخطه يخاطب به ابا حمّو يستنجده على السلطان ؛ فشهد عليه . وامر السلطان ؛ فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصا حتى ورمت اعضاؤه ، وهلك بين يدي الوزَعة . وأحضر الكناني ، ففعل به مثله. وجنب تاشفين سلطانهم الى مصرعه ، فقتل قعصاً بالرماح . وجنب مبارك بن ابراهيم من محبسه بعد طول الاعتقال ؛ فالحق بهم . ولكل اجل كتاب . وصفا الجو للسلطان من المنازعين . وفرغ لغزو تلمسان كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن ارتجاع الجزيرة

قد تقدم لنا ذكر تغلب الطاغية ألهُنشة على الجزيرة ، سنة ثلاث

واربعين . وأنّه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين . وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحل امره واشتدت شوكته؛ فكفى الله به شأنه . وولي امر الجلالقة بعده ابنه بِطْرة وعدا على سائر اخوته . وفرّ اخوه القمط ، ابن حظية ابيه المساة بلغتهم أَلْريق (بهمزة) الى قمص برشلونه ؛ فاجاره وانزله خير نزل . ولحق به من الزعماء المركش ابن خالته وغيره من أقماصهم . وبعث اليه بِطْرة ملك قشتالة في اسلام اخيه ، فأبى من اخفار جواره . وحدثت بينهما بسبب ذلك الفتنة الطويلة ، افتتح بطرة فيها كثيراً من معاقل صاحب برشلونه واوطأ عساكره نواحي ارضه ، وحاصر بلنسية قاعدة شرق الاندلس مراراً ، وارجف عليها بعساكره ؛ وملأ البحر اليها باساطيله ، الى ان ثقلت على النصرانية وطأته وساءت فيهم ملكته ، فانتقضوا عليه ودعوا القمط اخاه ، فزحف الى قرطبة . وثار على بطرة اهل اشبيلية. وتيقن صاغية النصارى اليه ، ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية وفي الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه الفنس غالس . ووفد عليه صريخاً سنة سبع وستين ، فجمع قومه وخرج في صريخه الى ان استولى على ممالكه . ورجع ملك الافرنج ، فعاد النصارى الى شأنهم مع بطرة . وغلب القمط على سائر الممالك ، فتحيز بطرة الى ثغوره مما يلي بلاد المسلمين . ونادى صريخه بابن الاحمر ، فانتهز فيها الفرصة . ودخل بعساكره المسلمين ، فاثخن في ارض النصرانية وخرب

معاقلهم ومدنهم : مثل أُبْدَة وجيان وغيرهما من أمهات أمصارهم . ثم رجع الى غرناطة ، ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة واخيه القمط ، الى ان غلبه القمط وقتله . وفي خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلي ارض المسلمين عورة . وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التي قرب عهدهم بانتظامها في ملكة المسلمين . وكان صاحب المغرب في شغل عن ذلك ، بما كان فيه من انتقاض أبي الفضل ابن اخيه وعامر بن محمد؛ فراسل صاحب الاندلس في ان يزحف اليها بعساكره ، على ان عليه عطاءهم وامداده بالمال والاساطيل ، وعلى ان يكون مثوبة جهادها خالصة له ؛ فاجابه الى ذلك ، وبعث اليه احمال المال . واوعز الى اساطيله بسبتة ، فعمرت واقلعت الى مرسى الجزيرة لحصارها . وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على اثرها ، بعد ان قسم فيهم العطاء وازاح العلل واستعد الآلة للحصار ؛ فنازلها اياماً قلائل . ثم ايقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من مدد ملوكهم ؛ فالقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم ، فاجابهم السلطان اليه . ونزلوا عن البلد واقيمت فيها شعائر الاسلام ومراسمه ، ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيته . وكتب الله اجرها لمن اخلص في معاملته وذلك سنة سبعين . وولى ابن الأحمر عليها من قبله . ولم تزل لنظره الى ان تمحض النظر عن هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها ، فهدمت اعوام ثمانين واصبحت خاوية كان لم تغن بالامس . والبقاء لله وحده .

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وعلى سائر بلادها وفرار ابي حمو عنها

كان عرب المَعْقِل موطّنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودَرعَة تافيلالت ومَلويّة وصا [1] . وكان بنو منصور منهم اولاد حسنين والاحلاف ، مختصين بطاعة بني مَرين وفي وطنهم . وكانوا مغلّبين للدولة وتحت قهر من سلطانها . ولما ارتجع بنو عبد الواد ملكهم بتلمسان على يد أبي حمو ، وكان الاختلاف بالمغرب ، عاث هؤلاء المعقل واكثروا في الوطن الفساد . ولما استقلت الدولة من عثرها ، تحيزوا الى بني عبد الواد واقطعوهم في أوطانهم . واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم ، العامل كان بدرعة ، الي أبي حمّو ووزارته له . وفسد ما بين سلطان المغرب وبين أبي حمو من جرّاء ذلك . ونهض ابو حمو سنة ست وستين الى المغرب وعاث في نواحي دبدو ثغر المغرب فشبّت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكدان ؛ فكان داعية لعداء صاحب المغرب على الايام. ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك عبد الله بن مسلم صاحبهم ، وترددت الرسل بين أبي حمّو وبين السلطان عبد العزيز ، كان فيما اشترط عليه التجافي عن قبول المعقل عرب وطنه، لما فيه من الاستكثار بهم عليه. وأبى عليهم أبو حمّو منها

(١) هي قلعة (زا) وتلفظ زايها صادا بلهجة البربر. ولذلك كتبها ابن خلدون صادا ضمتها زاي ؛ كما هي في النسخ الخطية .

لاستظهاره بهم على زغبة من اهل وطنه وغيرهم . وكثر التلاحي في ذلك واحفظ السلطان وهمّ بالنهوض اليه سنة سبعين . واقصر لما اخذ بحجرته من خلاف عامر . وصاحب الثغر محمّد بن زكدان ، اثناء ذلك يحرضه على الحركة الى أبي حمّو ويرغبه في ملك تلمسان . ولما قضى السلطان من حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع الى فاس ؛ وافاه بها أبو بكر بن عريف امير سويد في قومه من بني مالك بحللهم وناجعتهم ، صريخاً على أبي حمو لما نال منهم .

وتقبّض على اخيهم محمد ورؤساء بني مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب . ووفد عليه معهم رسل اهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من لهواته . ووامر السلطان في ذلك وليّه ونزمار بن عريف ومحمد بن زكدان صاحب دبدو ؛ فزعموا له بالغناء في ذلك . واعتزم على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشرين الى مراكش للاحتشاد . وتوافى الناس ببابه على طبقاتهم ايام منى من سنة احدى وسبعين . وافاض العطاء وازاح العلل ولما قضى نسكه في الاضحى اعترض العساكر وارتحل الى تلمسان ، واحتل بتازى . وبلغ خبر نهوضه الى أبي حمّو ؛ فجمع من اليه من زناتة الشرق وبني عامر من عرب زغبة . وتوافت جموعه بساحه تلمسان وأضرب هنالك معسكره واستعرض جنوده واعتزم على الزحف الى

لقاء بني مرين ، ثقة بمكان المعقل. وتحيّز من كان معه من عرب المعقل الاحلاف وعبيد الله الى السلطان عبد العزيز ، بمداخلة وليهم ونزمار. واجتمعوا اليه وسرح معهم صنائعه ؛ فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء. وبلغ خبر تحيُّزهم واقبالهم الى أبي حمو ؛ فاجفل هو وجنوده واشياعه من بني عامر وسلكوا على البطحاء. ثم ارتحلوا عنها وعاجوا على منداس ، وخرجوا الى بلاد الديالم . ثم لحقوا بوطن رياح ونزلوا على اولاد سبّاع بن علي بن يحيى.

وارتحل السلطان عبد العزيز من تازى وقدم بين يديه وزيره ابا بكر بن غازي؛ فدخل تلمسان وملكها. ورحل السلطان على أثره واحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين ؛ فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على العسكر من بني مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد، وسرحه في اتباعهم، وجعل شوراه الى وليه ونزمار وفوض اليه في ذلك . وارتحلوا من تلمسان آخر المحرم ، وكنت وافداً على أبي حمو ؛ فلما اجفل عن تلمسان ودعته وانصرفت الى هُنَيْن للاجازة الى الاندلس . ووشى بعض المفسدين عند السلطان بأني احتملت مالاً للاندلس ؛ فبعث جريدة من عسكره للقبض علي . ووافوه بوادي الزيتون قبل مدخله الى تلمسان فاحضرني وسألني. وتبين كذب الواشين؛ فاطلقني وخلع عليَّ وحملني

ولما ارتحل الوزير في اتباع ابي حمو استدعاني وامرني بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بطاعته وصرفهم عن طاعة أبي حمو وصريخه ؛ فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء وارتحلت معه الى وادي ورك من بلاد العطاف؛ فودعته وذهبت لوجهي وجمعت رياحا على طاعة السلطان ، ونكبت بهم عن صريخ ابي حمو ؛ فنكبوا عنه . وخرج أبو زيان من محل بؤرته بحصين ؛ فلحق باولاد محمد بن علي بن سباع من الدواودة . وارتحل أبو حمو من المسيلة ؛ فنزل بالدوسن وتلوم بها . واوفدت من الدواودة على الوزير ونزمار ؛ فكانوا ادلاءهم في النهوض اليه . ووافوه بمكانه من الدوسن في معسكره من زناتة وحلل بني عامر ، والوزير في التعبية . وامم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح محدقة به ؛ فاجهضوه عن ماله ومعسكره ؛ فانتهب باسره . واكتسحت اموال العرب الذين معه ونجا بدمه الى مصاب . وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة وتلوم الوزير بالدوسن أياماً . ووافاه هنالك اتحاف ابن مزني وانقلب الى المغرب . ومرّ على قصور بني عامر بالصحراء ؛ فاستباحها وشردهم عنها الى قاصية القفر ومفازة العطش . ولحق بتلمسان في ربيع الثاني .

ووفدت انا بالدواودة على السلطان ورئيسهم ابو الدينار بن علي بن احمد ؛ فبر السلطان مقدمه ورعى له سوابقه عند أبيه ، وخلع عليه وحمله . وخلع على الوفد كافة وانصرفوا الى مواطنهم . وبعث السلطان

عماله في الامصار ، وعقد لصنائعه على النواحي وجهز الكتائب مع وزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة ، لحصار حمزة بن علي بن راشد من آل ثابت بن منديل ، كان ربي في حجر الدولة ونشأ في جو نعمتها وسخط حاله لديهم ؛ فنزع الى وطن سلفه من بلاد معراوة . ونزل بجبل بني بوسعيد ؛ فاجاروه وبايعوه على الموت دونه. وسرح السلطان وزيره الى الاخذ بمخنقهم ؛ فنزل عليهم وقاتلهم . وامتنعوا في رأس شاهق لهم ؛ فاوطن الوزير بالخميس من وادي شلف وأحجرهم بمعتصمهم . وتوافت لديه الامداد من العساكر من تلمسان ؛ فجمرها كتائب وبوأهم المقاعد للحصار ، وأقام هنالك . واستولى السلطان على سائر الوطن من الامصار والاعمال ، وعقد عليها . واستوسق له ملك المغرب الأوسط كما كان لسلفه . والملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده .

الخبر عن اضطراب المغرب الأوسط ورجوع أبي زيان الى تيطري واجلاب العرب بأبي حمو على تلمسان، الى أن غلبهم السلطان جميعا على الأمر واستوسق له الملك

لما خلص أبو حمّو من واقعة الدوسن هو وأحياء بني عامر واشياعه لحقوا بالصحراء وابعدوا فيها عن قصورهم قبلة جبل راشد . ورجع الوزير ونزمار بن عريف باحياء العرب كافة من زغبة والمعقل . وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه اطلاق ايديهم على ما

اقطعهم ابو حمّو إياه من الوطن على الزبون والاعتزاز عليه ؛ فاستنكف من ذلك لعظم سلطانه واستبداد ملكه ؛ فسخطوا احواله ورجوا ان يكون لابي حمّو ظهور ينالون به ما املوه . فلما انهزم وفُلّت عساكره ، وظهر السلطان ظهوراً لا كفاء له، فيئسوا . وازمع رحو بن منصور بن يعقوب امير الخراج من عبيد الله احدى بطون المعقل الخروج على السلطان . ولما خرج العرب الى مشاتيهم لحق بأبي حمّو واحياء بني عامر وكاثرهم وقادهم الى العيث في الاوطان . واجلبوا على ممالك السلطان ، ونازلوا وجدة في رجب من سنة اثنتين وسبعين . وصمد نحوهم العساكر من تلمسان ؛ فاجفلوا وعادوا الى البطحاء واكتسحوا اوطانها . ونهض اليهم الوزير في العساكر ؛ ففروا امامه واتبع اثارهم الى ان اصحروا . واستنسر خلال ذلك بغاث حمزة بن علي بن راشد ؛ فبيت معسكر الوزير بمكانه من حصاره بشلف ؛ ففض جموعه ولحق مفلولا بالبطحاء . وبلغ الخبر الى حصين وكانوا راهبين من السلطان ، لما اشتهر عنهم من الخلاف على الدول والقيام بامر الخوارج فجأجؤا بأبي زيّان ، الثائر كان عندهم من مكانه باحياء اولاد يحيى ابن علي بن سبّاع من الدواودة ؛ فلحق بهم واجلبوا على ضواحي المدية ، ونازلوا عسكر السلطان بها . واضطرم المغرب الاوسط ناراً ، واتصل ذلك مدة . ولما كانت سنة ثلاث وسبعين ، واستمال السلطان رحو بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالا واقطعه ما احب من

الضواحي ، وفعل ذلك بسائرهم وملأ صدورهم ترغيباً . واعتزم على تجهيز العساكر معهم لحسم ادواء الفساد واخراج الثوار من النواحي . واتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في امر المغراوي ؛ فسرّح من ذويه من تقبض عليه واشخصه الى حضرته مقيداً ، واعتقله بفاس . وجهز عساكره واعترض جنوده ،وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على حراب الثوار والخوارج ؛ فنهض من تلمسان في رجب من سنة ثلاث وسبعين . واعتمد حمزه بن علي بن راشد في معتصمه بجبل بني بو سعيد ؛ الح عليهم بالقتال ؛ فعضتهم الحرب بنابها وداخلهم الرعب واوفدوا مشيختهم على الوزير بالطاعة. ونبذ العهد الى حمزة ، فعقد لهم ما ابتغوه . ولحق حمزه بأبي زيان بمكانه من حُصَين . ثم اثنى عزمه عن ذلك ورجع الى ضواحي شلف . وبيته بعض الحامية بتيمروغت، فثبتوا في مراكزهم وانفض جمعه وتقبض عليه وسيق الى الوزير ؛ فاعتقله . وبعث الى السلطان في شأنه، فامر بقتله، فاحتز رأسه ورؤوس اشياعه وبعث بهم الى السلطان وعلّق اشلاءهم بأسوار مليانة . ثم زحف الى حُصَين ، فاحجرهم بمعقلهم بتيطرى . واجتمعت اليه أحياء زغبة كافة . فاحاط بهم من كل جانب وطاولهم الحصار وغاداهم الحرب وخاطبني السلطان بمكاني من الزاب ، واوعز الي بنفير رياح كافة الى معسكر الوزير ، فاستنفرتهم باحيائهم وناجعتهم . ونازلنا الجبل من جانب الصحراء مما يلي ضواحي رياح، فاصابهم الجهد وداخلهم الرعب وانفضّوا من المعقل وانذعروا في الجهات في المحرم فاتح اربع وسبعين . ولحق

أبو زيّان بوار كلي ، واستولى الوزير على المعقل وانتهب ما فيه. واقتضى رهن حصين على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارم، فاعطوها عن يد. وكان أبو حمّو في خلال ذلك قد اجلب على تلمسان ينتهز فرصة في انتباذ العساكر عن السلطان. وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريد الطاعة لما اتهم ابو حمّو به بولاية رديفه عبد الله ابن عسكر بن معرف دونه ؛ فاسخطه ذلك وداخل السلطان عبدالعزيز في الانحراف اليه عن ابي حمو على مال حمله اليه ؛ فنزع عنه. وجهز له السلطان عسكراً لحرب ابي حمو واشياعه في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين من بني عامر واولاد يغمور من المعقل ، وعقد عليهم لمحمد بن عثمان من قرابة ابي بكر بن غازي. وتعرضوا للقائهم ، فانفض جمعهم ومنحوا اكتافهم. واحيط بمعسكر ابي حمو وحلل العرب ، فاكتسح ما فيها واستولى بنو مرين على امواله وحرمه وولده ، فاستاقوهم الى السلطان ، فاشخصهم الى فاس فانزلهم بقصوره. وتقبض على مولاه عطيّة بن موسى صاحب شلف ، فامتن عليه والحقه بجملته. ونجا ابو حمو والقى بنفسه الى عبد الله بن صغير مستميتاً ، فامتن عليه ، وبعث معه الادلاء الى تيكورارين من بلاد القبلة ، فنزلها ، وكان ذلك بين يدي فتح تيطرى بليال. واستوت قدم السلطان في ملكه واستولى على المغرب الاوسط ، ودفع الثوار والخوارج عنه. واستمال كافة العرب الى طاعته ، فاتوها راغبين وراهبين. ووفد عليه الوزير أبوبكر

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا اليه من سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة ، من البسيط الذي في ساحتها المسمى بالمرج على وادي شنجيل ، ويقال شنيل ، المخترق في ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال ، كان له بها سلف معدود في وزرائها . وانتقل ابوه عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الأحمر ، واستعمل على مخازن الطعام . ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وتأدّب على مشيختها ، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذيل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية، وبرز في الطب وانتحل الادب ، واخذ عن اشياخه وامتلأ من خوض اللسان نظمه ونثره ، مع انتقاء الجيّد منه . ونبغ في الشعر والترسّل بحيث لا يجارى فيها . وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر لعصره ، وملأ الدولة بمدائحه وانتشرت في الافاق ؛ فرقّاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤساً بأبي الحسن ابن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية . وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه ، عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر في اخبارهم . فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ ، الى ان هلك في الطاعون الجارف سنة تسع واربعين وسبعماية ، فولى

السلطان ابو الحجاج حينئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه ، مثنّاة بالوزارة . ولقبه بها ؛ فاستقل بذلك . وصدرت عنه غرائب من الترسل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العُدْوَة . ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات ؛ فجمع له بها اموالاً . وبلغ في المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله . وسفر عنه إلى السلطان أبي عِنان ملك بني مرين بالعدوة مقرّباً بابيه السلطان أبي الحسن ؛ فجلّى في اغراض سفارته .

ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلاة وطعنه فاشواه وفاض لوقته . وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل ؛ فمزقوه اشلاء . وبويع ابنه محمد لوقته . واقام بامره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الأصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة . وافرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه ، واتخذ لكتابته غيره . وجعل ابن الخطيب رديفاً له في امره ومشاركاً في استبداده معنى ؛ فجرت الدولة على احسن حال واقوم طريقة . ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً الى السلطان أبي عِنان مستمداً له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه . فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها واستأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي

نجواه ؛ فأذن له وانشد وهو قائم :

خَلِيفَةَ اللهِ ساعَدَ القَدرُ ... عُلاك ما لاحَ في الدجى قَمَرُ
ودافَعَتْ عنك كَفُّ قدرَتِه ... ما ليس يستطيع دفعه البَشَرُ
وَجهُكَ في النائبات بَدرُ دجىً ... لنا وفي المحْل كفُّكَ المطَرُ
والناس طرّاً بأرض أندَلسٍ ... لولاك ما أوطنوا ولا عَمَروا
وَجُمْلة الأمرِ أنّهُ وَطَنٌ ... في غير عَلْياكَ ما له وَطَرُ
ومن به مذ وَصلْتَ حبلَهُمُ ... ما جحدوا نعمةً ولا كَفَروا
وقد أهمَّتْهُم نفوسُهُم ... فوَجَّهوني إليكَ وانتَظَروا

فاهتَزّ السلطان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس . وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم . ثم اثقل كاهلهم باحسانه وردهم بجميع ما طلبوه . وقال لي شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلّم على السلطان إلا هذا . ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين . ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شركه في جده الرئيس أبي سعيد . وتحين خروج السلطان الى متنزّهه خارج الحمراء . وتسوّر دار الملك المعروفة بالحمراء وكبس رضواناً في بيته ؛ فقتله . ونصب للملك اسماعيل ابن السلطان أبي الحجاج ؛ بما كان صهره على شقيقته . وكان معتقلاً بالحمراء ؛ فأخرجه وبايعه وقام بامره مستبداً عليه . واحسّ السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ؛ فركب ناجياً الى وادي آش

وضبطها . وبعث بالخبر الى السلطان ابي سالم اثر ما استولى على ملك ابائه بالمغرب . وقد كان مثواه ايام اخيه أبي عنان عندهم بالاندلس. واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه . وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت ايام مقامه بالاندلس كما مر . وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ؛ فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبوناً على أهل الاندلس ، ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا الى ملك المغرب ؛ فقبل ذلك منه . وخاطب أهل الاندلس في تسهيل طريقه من وادي آش اليه . وبعث من اهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب . وحل معتقله ؛ فانطلق وصحب الشريف ابا القاسم الى وادي آش وسار في ركاب سلطانه . وقدموا على السلطان أبي سالم ؛ فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب في موكب لتلقيه واجلسه ازاء كرسيه . وانشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان لنصره ؛ فوعده وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره . ثم أكرم مثواه وارغد نُزُلَه ، ووفّر ارزاق القادمين في ركابه وانتظر به ، وارغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع . ثم استأنس واستأذن السلطان في التحوّل بجهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها ، فأذن له وكتب الى العمال باتحافه ، فتبارزوا في

ذلك ، وحصل منه على حظّ . وعندما مر بسلا في قفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وانشد قصيدة على رويّ الراء يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بقُرطُبة ومطلعها :

إنْ بانَ مَنْزِلُهُ وشَطّتْ دارُهُ   قامَتْ مَقامَ عَيانِهِ أخبارُهُ
قسِّمْ زمانَكَ عَبرةً أو عِبرةً   هذا تَراه وهذه آثارُهُ

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة ؛ فشفعوه . واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامته بالعدوة . ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى مكانه بالاندلس سنة ثلاث وستين كما مر في اخباره . وبعث عن مخلّفه بفاس من الاهل والولد القائم بالدولة يومئذ عمر بن عبدالله بن علي ، فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره . وسر السلطان بقدومه ورده الى منزلته ، كما كان مع رضوان كافله . وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن شيوخهم ، قد لحق بالطاغية في ركاب ابيه عند ما احسّ بالشر من الرئيس صاحب غرناطة. واجاز يحيى من هنالك الى العدوة ، واقام عثمان بدار الحرب ؛ فصحب السلطان في مثوى اغترابه هنالك وتقلب في مذاهب خدمته . وانحرفوا عن الطاغية عند ما يئسوا من الفتح على يديه ؛ فتحولوا عنه الى ثغور بلاده . وخاطبوا عمر بن عبد الله في ان يمكنهم من بعض الثغور الغربية

التي لطاعتهم بالاندلس، يرتقبون منها الفتح. وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك، وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله أذمة مرعية ومخالصة متأكدة؛ فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله. وحملته على ان يرد عليه مدينة رُنْدَة إذ هي تراث سلفه؛ فقبل اشارتي في ذلك. وتسوغها السلطان المخلوع ونزل بها، وعثمان بن يحيى في جملته، وهو المقدم في بطانته.

ثم غزوا منها مالقة؛ فكانت ركاباً للفتح. وملكها السلطان واستولى بعده على دار ملكه بغرناطة، وعثمان بن يحيى متقدم القدم في الدولة، غريق في المخالصة، وله على السلطان دالة واستبداد على هواه. فلما وصل ابن الخطيب باهل السلطان وولده، واعاده السلطان الى مكانه في الدولة من علو يده وقبول اشارته، فادركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به، والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه، فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته في رمضان سنة أربع وستين، واودعهم المطبق. ثم غربهم بعد ذلك، وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير الدولة، وخلط بينه بندمانه واهل خلوته. وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الامال، وغشي بابه الخاصة والكافّة، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته؛

فتفننوا في السعايات فيه ، وقد صُمّ السلطان عن قبولها . ونمي الخبر بـذلك الى ابن الخطيب ؛ فشمر عن ساعـده في التقويض عنهم . واستخدم للسلطان عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن ملك العدوة يومئذ في القبض على ابن عمه عبد الرحمن ابن أبي يفلوسن بن السلطان أبي علي ، كانوا قد نصبوه شيخاً على الغزاة بالاندلس ، لمـا اجاز من العدوة ، بعد ما جاس خلالها لطلب الملك ، واضرم بها نار الفتنة في كل ناحية واحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بني مرين ، فاضطر الى الاجازة الى الاندلس ، فاجاز هو ووزيره مسعود ابن ماسي ونزلوا على السلطـان المخلوع اعوام سبعة وستين ، فاكرم نزلهم . وتوفي علي بن بدر الدين شيخ الغزاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه. وكان السلطان عبد العزيز قـد استبدّ بملكـه بعد مقتل الوزير عمـر ابن عبد الله ، فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك . وتوقع انتقاض امره منهم . ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسربها في بني مرين ؛ فجزع لذلك . وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن أبي يفلوسن وابن ماساي واراحة نفسه من شغبهم ، على ان يكون له المكان من دولته متى نزع اليه ؛ فاجابه الى ذلك وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره الى اندلس وكاتبه أبي يحيى بن ابي مـدين . واغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض عـلى ابن أبي يفلوسن وابن ماساي ؛ فتقبض عليهما واعتقلهما . وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عـن

البطانة من القدح فيه والسعاية . وربما تخيّل له ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه ؛ فاجمع التحويل عن الاندلس الى المغرب . واستاذن السلطان في تفقد الثغور الغربية . وسار اليها في لمة من فرسانه ، ومعه ابنه عليّ الذي كان خالصة للسلطان وذهب لطبنة . فلما حاذى جبل الفتح ، فرضة المجاز الى العدوة ، مال اليه وسرح اذنه بين يديه ؛ فخرج قائد الجبل لتلقيه . وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز اليه بذلك وجهز له الاسطول من حينه ؛ فاجاز الى سبتة . وتلقاه ولاتها بانواع التكرمة وامتثال المراسيم . ثم سلك لقصد السلطان ؛ فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمقامته من تلمسان ؛ فاهتزت له الدولة : واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله من مجلسه محل الامن والغبطة، ومن دولته بمكان البنّوة والعزّة . واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى بن مدين سفيراً الى صاحب الاندلس في طلب اهله وولده ؛ فجاء بهم على اكمل حالات الأمن والتكرمة . ثم لغط المنافسون له في شأنه واغروا السلطان بتتبع عثراته وابدى ما كان كامناً في نفسه من سقطات دالته وإحصاء معائبه . وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه . ورفعت الى قاضي الحضرة أبي الحسن ابن أبي الحسن ؛ فاسترداها وسجل عليه بالزندقة . وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه . وبعث القاضي ابن الحسن الى السلطان عبد العزيز

في الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه ؛ فصمم عن ذلك وانف لذمته ان تخفر ولجواره أن يرد وقال لهم: هلاّ انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ؟ واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري . ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ومن جاء من اهل الاندلس في جملته . فاما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي القائم بالدولة ؛ فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغراس الجنات . وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى. واتصلت حاله على ذلك ، الى ان كان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبي بكر بن غازي عليه ورجوع بني مرين الى المغرب

كان السلطان منذ اول نشأته قد ازمنت به الحمى بما اصابه من مرض النحول ، ولاجل ذلك تجافى السلطان ابو سالم عن احتماله مع الابناء الى رُندة . ولما شب افاق من مرضه وصلح بدنه . ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد نحوله . ولما كمل الفتح واستفحل الامر اشتد به الوجع وصابر المرض ، وكتمه عن الناس خشية الارجاف ، واضطرب معسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب . ولما

كانت ليلة الثاني والعشرين من ربيع الاخر سنة اربع وسبعين قضى متودعاً بين اهله وولده ودس الخدم بالخبر الى الوزير ؛ فخرج على الناس وقد احتمل محمد السعيد ابن السلطان على كتفه فعزّى الناس عن خليفتهم والقى ابنه بين ايديهم ؛ فازدحموا عليه باكين متفجعين ، يعطونه الصفقة ويقبلون يده للبيعة ،واخرجوه الى المعسكر . ثم أخرج الوزير شلو السلطان على اعواده وانزله بفساطيطه ، وايقظ بالليل بحراسة العسكر . وأذّن في الناس بالرحيل ؛ فخرجوا افواجاً الى المحلة . ثم ارتحلوا لثلاث واغذوا السير الى المغرب واحتلوا بتازى ، . ثم اغذوا السير الى فاس . واحتل ابن السلطان بدار ملكه وجلس للبيعة العامة بقصره . وتوافت وفود الامصار ببيعاتهم على العادة . واستبد عليه الوزير ابو بكر وحجبه وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه ، ولم يكن في سن التصرف . واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفضل . واشتغل بامر المغرب إبراماً ونقضاً ، الى ان كان ما نذكره .

الخبر عن استيلاء أبي حمو على تلمسان والمغرب الأوسط

لما فصل بنو مرين من تلمسان اثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا بتازى اجتمع المشيخة وعقدوا على تلمسان لابراهيم ابن السلطان ابي تاشفين ، كان ربي في كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه ؛فآثروه بذلك لخلوصه . وبعثوه مع رُحو بن منصور أمير عبيد الله من المعقل

وسرّحوا معها من كان بالمغرب من مغراوة الى وطن ملكهم بشلف. وعقدوا عليهم لعلي بن هارون بن منديل بن عبد الرحمن وأخيه رحمون وانصرفوا الى بلادهم. وكان عطية بن موسى مولى أبي حمّو قد صار الى السلطان عبد العزيز؛ فالحقه بجملته وبطانته. فلما هلك السلطان، خرج من القصر واختفى بالبلد، حتى اذا فصل بنو مرين من معسكرهم ظاهر البلد، خرج من مكان اختفائه وقام بدعوة مولاه أبي حمو. واجتمع اليه شيعته من اهل البلد مع من تأشّب اليهم من الغوغاء. وحملوا الخاصة على البيعة لابي حمو، وصلهم ابراهيم بن ابي تاشفين مع رحّو بن منصور وقومه من عبيد الله؛ فنابذوه وامتنعوا عليه؛ فرجع عنهم الى المغرب. وطير اولاد يغمور أولياء أبي حمو من عبيد الله بالخبر اليه وهو بمثواه من تيكورارين. واتصل بابنه ابي تاشفين وهو بحي بني عامر؛ فبادر الى تلمسان ودخلها ومن معه من بني عبد الواد. وتساقط اليه فلّهم من كل جانب. ووصل السلطان على أثرهم بعد اليأس منه، فدخلها في جمادى من سنة اربع وسبعين واستقل بملكه. وتقبض على بطانته الذين اسفوه في اغترابه، ونمي له عنهم السعي عليه؛ فقتلهم ورجع ملك بني عبد الواد وسلطانهم ونهض الى مغراوة اولياء بني مرين بمكانهم من شلف؛ فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال، هلك فيها رحمون بن هارون. ومحا دعوة

بني مرين من ضواحي المغرب الأوسط وامصاره ، واستقل بالامر حسبما ذكرناه في اخباره . واتصل الخبر بالوزير ابي بكر بن غازي ؛ فهم بالنهوض اليه ؛ ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بناحية بَطْوِيَّة فشغله شأنه عن ذلك .

الخبر عن اجازة الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الى المغرب واجتماع بطوية إليه وقيامهم بدعوته

كان محمد المخلوع بن الاحمر قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزي على ملكه حين هرب من غرناطة اليه ، وفاء بعهد المخلوع ، واستوى على كرسيه واستقل بملكه .ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته ، وفوض اليه في القيام بملكه ؛ فاستولى عليه وملك هواه . وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه ان نزلت به آفة في رياسته ؛ فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه . وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على امرهم . ولما لحق الامير عبد الرحمن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على ان عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياض ؛ فكانت له آثار في الاضطلاع بها . ولما

استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند السلطان ؛ فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ووزيره المطارد به مسعود بن ماساي . وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما ، الى ان سطا بهما واعتقلهما سائر ايام السلطان عبد العزيز. وتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ؛ فتنكر له ؛ فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة اثنتين وسبعين ، لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق ، فتقبله السلطان واحله من مجالسه محل الاصطفاء والقرب . وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده ، فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر ، فرغب السلطان في ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند مرجعه من تلمسان الى المغرب . ونمي ذلك الى ابن الاحمر ؛ فبعث الى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها ، انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعاوجي السبي وجواريه ، واوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه ، وابى السلطان من ذلك ونكره. ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيّز اليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان ، فلجّ واستنكف عن ذلك واقبح الرد . وانصرف رسوله اليه ، وقد رهب سطوته ؛ فاطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن واركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية . ونهض الى جبل الفتح ونازله

بعساكره . ونزل عبد الرحمن ببطوية في ذي القعدة من سنة اربع وسبعين ، ومعه وزيره مسعود بن ماساي ؛ فاجتمع قبائل بطوية اليه وبايعوه على القيام بدعوته والموت دونه . واتصل الخبر بالوزير أبي بكر ؛ فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبتة وبعثه لسد ثغورها لما خشي عليها من ابن الاحمر . ونهض من فاس بالعساكر والآلة . ونازل عبد الرحمن ببطوية ؛ فامتنع عليه وقاتله اياماً . ثم رجع الى تازى ، ثم الى فاس . ودخل الامير عبد الرحمن تازى واستولى عليها ، ودخل الوزير الى فاس وقعد بمجلس الفصل ، وهو مجمع العودة الى تازى لتشريد عدوّه ، الى ان جاءه الخبر ببيعة السلطان أبي العباس احمد بن السلطان أبي سالم ؛ حسبما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الأحداث

ولما نزل محمد بن عثمان بالثغر من سبتة لسدّ فروجها ، ومدافعة ما يخشى من عادية ابن الاحمر عليها ، وكان قد طاول حصار جبل الفتح واخذ بمخنقه . وتكررت المواصلة بينه وبين محمد بن عثمان بالعتاب ؛ فاستعتب له وقبّح ما جاء به ابن عمه من الاستغلاظ ؛ فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه . وداخله في البيعة لابن السلطان أبي سالم ، من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة ، وان يقيمه

للمسلمين سلطانا مستبداً يجول بسياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فوضى وهملا . ويجبُّ [1] بيعة الصبي الذي لم تنعقد بيعته شرعاً . واختص هذا بالسلطان من بين اولئك الاولاد وفاء بحقوق ابيه ووعده بالمظاهرة على ذلك ، واشترط عليه ان ينزلوا له عن الجبل اذا انعقد امرهم ، ويشخصوا اليه بيعة الابناء والقرابة من طنجة ليكونوا في إيالته وتحت حوطته . وان يبعثوا اليه بابن الخطيب متى قدروا عليه ؛ فتقبل محمد بن عثمان شرطه . وكان سفيره في ذلك احمد الرعيني من طبقة كتاب الاشغال بسبتة، كان السلطان ابو الحسن تزوج امه ليلة اجازته من واقعة طريف وافتقاد حظاياه ، حتى لحق به الحرم من فاس ؛ فردها الى اهلها . ونشأ الرُعَيْنيُّ في توهمُّ هذه الكفالة ؛ فانتفخ نحره لذلك ويحسبها وصلة الى ابناء السلطان أبي الحسن . وكان سفيراً بين محمد بن عثمان وابن الاحمر ؛ فأمل رياسة في هذه الدولة . ركب محمد بن عثمان من سبتة الى طنجة وقصد مكان اعتقالهم . واستدعى أبا العباس احمد بن السلطان أبي سالم من مكانه مع الابناء ؛ فبايع له وحمل الناس على طاعته . واستقدم اهل سبتة بكتاب البيعة ؛ فقدموا وخاطب اهل الجبل فبايعوا ، وافرج ابن الاحمر عنهم . وبعث اليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح ، وخاطبوا اهله بالرجوع الى طاعته؛

---

(١) جبه : قطعه، وهي هنا بمعنى المنع.

فارتحل من مالقة اليه ودخله واستولى عليه ، ومحا دعوة بني مرين مما وراء البحر . واهدى للسلطان أبي العباس، وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالاً للاعانة على امره .

وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس ، ودعه الوزير ابن عمه ؛ وفاوضه في شأن السلطان ، وان يقدم للناس اماماً يرجعون اليه ويترك لهم امرهم وامره في ذلك ، ولم يفترقا على مبرم من امرهم . فلما ارتكب هذا المرتكب وجاء بهذا الأمر ، خاطب الوزير يوه ّه عليه بأنه فعل بمقتضى المؤامرة وانه عن اذنه ، والله أعلم بما دار بينهما . ولج الوزير في تكذيبه والبراءة للناس مما رمي به ، ولاطفه في نقض ذلك الامر ورد ّ أبي العباس الى مكانه مع الابناء تحت الحوطة . وأبى محمد بن عثمان من ذلك ودافعه باجتماع الناس وانعقاد الامر . وبينما الوزير يروم ذلك ، جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان ، اشخص الابناء المعتقلين كلهم الى الاندلس ، وانهم حصلوا في كفالة ابن الاحمر ؛ فوجم واعرض عن ابن عمه وسلطانه . ونهض الى تازى ليفرغ من عدوه اليهم فنازله الامير عبد الرحمن واخذ بمخنقه . واهتبل محمد بن عثمان الغرة في ملك المغرب . ووصله مدد السلطان ابن الاحمر وعسكره تحت رايته ، وعقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبي العلاء من مشيخة الغزاة المجاهدين ، وعسكر آخر من رجال الاندلس الناشبة يناهزون

سبعماية . وبعث ابن الاحمر رسله الي الأمير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه السلطان أبي العباس احمد ، ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعها لمنازلتها . وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة ، وان يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس ، خالفوا اليها الوزير وانتهوا الى قصر عبد الكريم . وبلغ الخبر الى الوزير بمكانه من حصار تازى ؛ فانفض معسكره ورجع الي فاس ونزل بكدية العرائس .

وانتهى السلطان ابو العباس احمد الي زرهون ؛ فصمد اليه الوزير بعساكره وصمم نحوه بمكانه من قنة الجبل ؛ فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من ورائه . ورجع على عقبه مفلولا ، وانتهب المعسكر ودخل الى البلد الجديد . وجأجأ بالعرب من اولاد حسين ان يعسكروا له بالزيتون ظاهر فاس ، ويخرج بجموعه الي حللهم ؛ فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازى بمن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء . وشارف السلطان ابا العباس احمد بجموعه من العرب وزناتة وبعثوا الى والي سلفهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصر مرادة الذي اختطه بملوية ؛ فجاءهم واطلعوه على كامن اسرارهم ؛ فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ؛ فاجتمعوا بوادي النجا . وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد ، حتى

تمكن اليه منه . وارتحلوا بزحفهم الى كدية العرائس في ذي القعدة من سنة خمس وسبعين . وبرز اليهم بعساكره ؛ فدارت الحرب وحمي الوطيس واشتد القتال ملياً . ثم زحف اليه العسكران بساقتها وآلتها واختل مصافه وانهزمت جموعه واحيط به ، وخلص الى البلد الجديد بعد عصب الريق . وأضرب السلطان ابو العباس معسكره بكدية العرائس ، ونزل الامير عبد الرحمن بازائه ، وضربوا على البلد الجديد سياجاً بالبناء للحصار ، وانزلوا بها انواع القتال والارهاب .

ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر من الرجالة الاندلسية فضيقوا حصارها . واحتكموا في ضياع ابن الخطيب بفاس ؛ فهدموها وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست داخل محمد بن عثمان ابن عمه ابا بكر في النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان ، لما كان الحصار قد اشتد به . ويئس من الصريخ وأعجزه المال ؛ فاجاب . واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجاني عن اعمال مراكش ،وان يدينوه بها من سجلماسة فعقدوا له على كره وواطؤوا على المكر . وخرج الوزير ابو بكر الى السلطان أبي العباس احمد وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة فبذله . ودخل السلطان ابو العباس الى البلد الجديد سابع المحرم . وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها ، وارتحل معه علي ابن عمر بن ويغلان شيخ بني مرين والوزير ابن ماساي . ثم نزع عنه ابن

ماساي الى فاس لعهد كان اقتضاه مـن السلطان أبي العباس . واجاز البحر الى الاندلس واستقر بها في ايالة ابن الاحمر ؛ واستقل السلطان أبو العباس بن السلطان أبي سالم بملك المغرب ووزيره محمد بن عثمان بن ألكاس، وفوض اليه شؤنه وغلب على هواه. وصار امر الشورى الى سليمان بن داود، كان نزع اليهم من البلد الجديد من جملة أبي بكر بن غازي بعد ان كان اطلقه من محبسه واستخلصه . وجعل اليه مرجع ابرامه ونقضه ؛فتركه أحوج ما كان اليه . ولحق بالسلطان ابي العباس بمكانه من حصار البلد الجديد . فلما استوسق ملكه القى الوزير محمد بن عثمان اليه بمقاد الدولة واصار اليه امر الشورى ورياسة المشيخة . واستحكمت المودة بينهم وبين السلطان ابن الاحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا اليه المرجع في نقضهم وإبرامهم لمكان الابناء المرشحين في ايالته . ولما ارتحل الامير عبد الرحمان الى مراكش نبذوا اليه العهد، وتعللوا عليه بان العقد الاول له ، إنما كان على ملك سلفه، ومراكش إنما ألجأهم الى العقد عليها إلجاء . واعتزموا على النهوض اليه ،ثم اقصروا وانعقدت بينهم السلم سنـة ست وسبعين ، وجعلوا التخم بينهـم أزمور . وعقدوا على ثغرها لحسون بن علي الصبيحي ، فلم يزل عليها الى ان هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن مقتل ابن الخطيب

لما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه ، فاتح

سنة ست وسبعين ، واستقل بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود من اعراب بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب واسلامه اليه ، لما نمي اليه عنه انه كان يغري السلطان عبد العزيز بملك الاندلس . فلما زحف السلطان ابو العباس من طنجة ولقيه ابو بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ؛ فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار ، اوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفاً على نفسه . ولما استولى السلطان على البلد الجديد ، اقام اياماً ، ثم اغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ؛ فقبضوا عليه واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر . وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، بما كان سليمان بن داود قد بايعه السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس متى اعاده الله الى ملكه . فلما استقرّ له سلطانه ، اجاز اليه سفيراً عن عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان ؛ فصده ابن الخطيب عن ذلك بان تلك الرياسة لاعياص الملك من آل عبد الحق ، لانهم يعسوب زناتة ، فرجع سليمان يائساً وحقد ذلك لابن الخطيب . ثم جاور الاندلس بمحل امارته من جبل الفتح ؛ فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات يتنفس كل واحد منهما بصاحبه بما يحفظه ، لما كمن في صدورهما . وحين بلغ

الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر ، بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو ابو عبد الله بن زمرك ؛ فقدم على السلطان أبي العباس واحضر ابن الخطيب بالشورى في مجلس الخاصة واهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابته ، فعظم عليه النكير فيها ، فوبخ ونكل ، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ من الناس ، ثم تُل الى محبسه . واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه . ودسّ سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر ، وقتلوه خنقاً في محبسه ، واخرج شلوه من الغد ؛ فدفن بمقبرة باب المحروق . ثم اصبح من الغد على شافة قبره طريحاً ، وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره ؛ فاعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته . وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته . والله الفعال لما يريد . وكان عفا الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ؛ فتجيش هواتفه لشعر يبكي نفسه . ومما قال في ذلك :

بَعُدْنا وان جاوَرَتْنا البُيوتُ   وَجِئْنا لِوَعْدٍ ونحن صُمُوتْ
وَأنفاسُنا سَكَنَتْ دَفْعَةً   كَجَهْرِ الصلاةِ تَلاهُ القُنُوتْ
وَكُنَّا عِظاماً فَصُرْنا عِظاماً   وَكُنَّا نَقوتُ فها نحنُ قوتْ

وكُنّا شموس سماء العُلا غرُبنَ فباحت علينا السُموت (١)
فكم جدّلت ذا الحُسام الظُبا وذو البخت كم خذلتْه البُخوت
وكم سيق للقبر في خرقةٍ فتى مُلئت من كساه التُخوت
فقُل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات فمَنْ ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له فقُل يفرح اليوم من لا يموت

الخبر عن اجازة سليمان بن داود الى الأندلس ومقامه بها الى أن هلك

كان سليمان بن داود هذا منذ عضّته الخطوب واختلفت عليه النكايات، يروم الفرار بنفسه الى الاندلس، للمقامة مع الغزاة المجاهدين من قومه. ولما استقرّ السلطان ابن الاحمر بفاس، عند خلعه ووفادته على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين، داخله سليمان بن داود في تأميل الكون عنده؛ فعاهده على ذلك، وان يقدمه على الغزاة المجاهدين. فلما عاد الى ملكه، وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة في سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين، وأن يؤكد عقده من السلطان؛ فحال دونه ابن الخطيب وثنى رأي السلطان عن ذلك بأنّ شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من آل عبد الحق، لمكان عصابتهم من الاندلس؛ فاخفق امل سليمان حينئذ وحقدها على ابن خطيب ورجع الى مرسله. ثم كانت نكبته أيام السلطان عبد

(١) كذا، وفي ب: عز بن فناحت علينا البيوت.

العزيز ؛ فلم يخلص منهـا الا بعـد مهلكه ، اطلقه ابو بكر بن غـازي بالأمر من بعده ، ليعتضد بمكانه على شأنه . فلما اشتد الحصار على ابن غازي ، خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبي العباس ابن المولى أبي سالم بمكانه من ظـاهر البلد الجديد ؛ فكان ذلك من اسباب الفتح . ولما دخـل السلطان إلى دار ملكه مـن البلد الجديد فاتح سنة ست وسبعين واستوسق امره ، رفع مجلس سليمان واحـله محل الشورى ، واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كما ذكرناه . وكان يرجع الى رأيه ، وهو في خلال ذلك يحاول اللحـاق بالاندلس ؛ فكان مـن اول امره التقرب إلى السلطان ابن الاحمر ، باغراء الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الخطيب مشنوئه ؛ فتم ذلك لأول الدولة . وجرت الامور بعدها على الاعتمال في مرضاته الى ان حاول السفارة اليـه في اغراض سلطانه سنة ثمان وسبعين في صحبة ونزمار بن عريف؛ فتلقاهما السلطان ابن الاحمر بما يتلقى به امثالهما واغرب في تكرمتهما : فاما ونزمار فانقلب راجعاً لأول بداية الرسالة ، اقتضى من السلطان خطته لقواد اسطوله بتسهيل الاجازه متى رامها .وخرج يتصيد؛ فلحق بمرسى ما لـقـة ودفع امر السلطان بخطه الى قائد الاسطول ؛ فاجازه الى سبتة ولحق بمكانه. واما سليمان ؛ فاعتزم على المقام عند ابن الاحمر واقام هنالك خالصـة ونجيـاً ومشاوراً ، الى ان هلك سنة احدى وثمانين .

الخبر عن شأن الوزير أبي بكر بن غازي وما كان من تغريبه الى ميورقة، ثم رجوعه وانقاضه بعد ذلك ومهلكه

لما اشتد الحصار بالوزير أبي بكر بن غازي وفنيت امواله واموال السلطان ، وظن انه احيط به ، داخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بحصاره بالنزول عن البلد على الامان والابقاء فاجاب . وخرج الى السلطان أبي العباس بن أبي سالم ؛ فعقد له امانا بخطه وتحول الى داره بفاس . واسلم سلطانه المنصوب للامر ؛ فتسلمه منه الوزير محمد ابن عثمان واشتد في الاحتياط عليه ، الى ان بعثه الى السلطان ابن الاحمر ؛ فكان في جملة الابناء عنده . ودخل السلطان ابو العباس الى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت في الممالك اوامره . واقام أبو بكر ابن غازي على حاله بداره والخاصة يباكرونه والنفوس منطوية على تأميله ؛ فنص به اهل الدولة ترددت فيه السعاية . وتقبض عليه السلطان واشخصه الى غساسة ، وركب منها السفين الى ميورقة اخر سنة ست وسبعين؛ فاقام بها أشهراً، ومخاطباته مترددة الى الوزير محمد بن عثمان . ثم عطفته عليه رحم ؛ فاذن له في القدوم على المغرب والمقامة بغساسة ، قدمها اوائل سنة سبع واستبد بامارتها . وبدا له راي في تاميل الرتبة وظهر ما كان يخفيه لابن عمه من المنافسة ؛ فخاطب السلطان ابن الاحمر من وراء البحر ولاطفه بالتحف والهدايا ؛ فكتب الى ابن عمه محمد بن عثمان يحضه على اعادته الى مكانه دفعا لغوائله ؛

فابى من ذلك . وداخله ونزمار بن عريف في بعضها كذلك ؛ فلج في الامتناع. وحمل سلطانه على نبذالعهد الى أبي بكر بن غازي ؛فتنكر له واجمع المسير اليه بعساكر العرب ؛ فخرج من فاس سنة تسع وسبعين . وبلغ الخبر الى أبي بكربن غازي ؛ فاستجاش بالعرب واستحثهم للوصول ؛ فوصل اليه الاحلاف من المعقل وسرب فيهم امواله . وخرج من غساسة ؛ فالقى بينهم وعمد الى بعض العرب الطارئين ، فنصبه للامر مشبّهاً ببعض اولاد السلطان أبي الحسن . وزحف اليه السلطان حتى نزل بتازى ؛ فاجفلت احياء العرب امام العساكر من بني مرين والجند ، ونجا ابن غازي منهم بذمائه . ثم داخله ونزمار بن عريف في الاذعان للسلطان والتنكيب عن سنن الخلاف ؛ فاجاب ووصل به الى سدة الملك ؛ فبعث به السلطان محتاطاً عليه الى فاس ؛ فاعتقل بها . ونزلت مقدمات العساكر بوادي ملويّة ، وداخل صاحب تلمسان منها رعب ، فاوفد على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملاطفاً ومدارياً ، فتقبل منه وعقد له السلم ، واصدر به كتابه وعهده بخطه ، وانكفأ راجعاً الى حضرته ، بعد ان بعث العمال في تلك النواحي على جبايتها ؛ فجمعوا له منها ما رضي . ولما احتل بدار ملكه ، انفذ امره بقتل أبي بكر بن غازي ؛ فقتل بمحبسه طعناً بالخناجر ، وذهب مثلاً في الايام ، واستوسق للسلطان امره . واحكم العقد مع الاميرعبد الرحمن ابن أبي يفلوسن صاحب مراكش ، واتصل

بينهما وترددت المهاداة منهما بعض إلى بعض ، والى صاحب الاندلس واليهما منه ؛ فامتلأت المغرب هدنة وأمناً ، وانبعثت الامال بساطاً وغبطة . والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة احدى وثمانين أيام اشرافنا على هذا التأليف . والله مقدر الليل والنهار .

انتقاض الصلح بين عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبي العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على أزمور ومقتل عاملها حسون بن علي

كان علي بن عمر كبير بني ورتاجن وشيخ بني ويغلان منهم ، قد تحيّز إلى الامير عبد الرحمن ، منذ اجازته من الاندلس واستيلائه على تازى ، ثم زحفه الى حصار البلد الجديد مع السلطان أبي العباس كما مر . فوصل في جملته الى مراكش ، وكان صاحب شوراه وكبير دولته . وكان يضطغن على خالد بن ابراهيم المبداذي [١] شيخ حاحة [٢] من قبائل المصامدة ، ما بين مراكش وبلاد السوس . وقد كان علي ابن عمر انتقض على ابن غازي ، الوزير المستبد بعد عبد العزيز ، ولحق بالسوس . ومر بخالد ابن ابراهيم هذا ؛ فاعترضه في طريقه واخذ الكثير من اثقاله ورواحله . وخلص هو الى منجاته بالسوس ، وقد حقد ذلك

(١) كذا ، وفي ب : الهربرحي . وفي نسخة : المبرازي .
(٢) كذا ، وفي ب : جاجه .

لخالد . ثم بعث عن شيوخ المعْقِل ، عندما أجاز الأمير عبد الرحمن من الأندلس إلى نواحي تازى يروم اللحاق به ؛ فوفدوا عليه . وسار معهم الى أحيائهم واقام معهم وهو في طاعة الأمير عبد الرحمن ودعوته، الى ان اتصل به بين يدي حصاره البلد الجديد مع السلطان أبي العباس. فلما فتح السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين واستولى على ملكهم بها ، وفصل عبد الرحمن الى مرّاكش ، كما كان الوفاق بينهم ، سار علي بن عمر في جملة الامير عبد الرحمن الى مراكش . واستاذنه في قتل خالد صاحبه ، فلم يأذن له ؛ فاحفظه ذلك وطوى عليه . وبعد أيام صعد الى جبل وريكة ، في غرض من اغراض الدولة . وتقدم الى حافده عامر ابن ابنه محمد بقتل خالد ؛ فقتله في بعض الأيام بظاهر مراكش . ولحق بجده علي بن عمر بوريكة ؛ فتلطف له الأمير عبد الرحمن وراسله بالملاينة والاستعطاف . ثم ركب اليه بنفسه واستخلصه ونزل به الى مراكش ؛ فاقام معه اياماً . ثم ارتاب ولحق بأزمور وعاملها يومئذ حسون بن علي الصبيحي واغراه بالاجلاب على عمل مراكش وزحفوا جميعاً الى عمل صنهاجة .

وسرّح الامير عبد الرحمن لمدافعتهم كبير دولته يومئذ ، وابن عمه عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن منصور بن أبي مالك ، وهو عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ؛ فخرج في العساكر ومعه

منصور مولى الأمير عبد الرحمن ؛ فلقوا علي بن عمر وهزموه واخذوا سواده ونجا الى ازمور . ثم وفد هو وحسون بن علي على السلطان بفاس. ووقعت اثناء ذلك المراسلة بين السلطانين وانعقد بينهما الصلح. واقام علي بن عمر بفاس ورجع حسون بن علي الى مكان عمله بأزمور ثم انتقض مابين السلطانين ثانياً . وكان للأمير عبد الرحمن اخوان من ولد محمد بن يعقوب بن حسان الصبيحي : وهما علي واحمد ، جرثوما بغي وفساد . وعدا على كبيرهما علي ابن عمه علي بن يعقوب بن علي بن حسان فقتله . واستعدى اخوه موسى عليه السلطان ؛ فاعداه . واذن له ان يثأر منه باخيه فيقتله ، فجزع لذلك احمد اخو علي وهم بقتل موسى، فاستجار موسى بيعقوب بن موسى بن سيّد الناس كبير بني ونكاسن وصهر الأمير عبد الرحمن ، واقام اياما في جواره .ثم هرب الى ازمور، فلفحت نار الفتنة . ونهض الأمير عبد الرحمن الى ازمور، فلم يطق حسون بن علي دفاعه ، فملكها عليه وقتله واستباحها . وبلغ الخبر الى السلطان بفاس ، فنهض في عساكره وانتهى الى سلا . ورجع الأمير عبد الرحمن الى مراكش ، وسار السلطان في اتباعه ، حتى نزل بفحص اكليم قريباً من مراكش . وأقام هنالك نحو من ثلاثة أشهر ، والقتال يتردد بينهم . ثم سعى بين السلطانين في الصلح ؛ فاصطلحوا على حدود العمالات اولاً ، وانكفأ صاحب فاس الى بلاده . وبعث

الحسن بن يحيى بن حسون الصنهاجي عاملاً على الثغر بازمور ، فاقام بها وكان اصله من صنهاجة اهل وطن ازمور ، وله سلف في خدمة بني مرين مذ أول دولتهم . وكان ابوه يحيى في دولة السلطان أبي الحسن عاملاً في الجباية بأزمور وغيرها . وهلك في خدمته بتونس ايام مقام السلطان بها وترك ولده يستعملون في مثل ذلك . ونزع الحسن هذا منهم الى الجندية ، فلبس شارتها وتصرف في الولايات المناسبة لها . واتصل بخدمة السلطان أبي العباس لاول بيعته بطنجة ، وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير ؛ فدخل في دعوته وصار في جملته . وشهد معه الفتح واستعمله في خطط السيف، حتى ولاه ازمور هذه الولاية؛ فقام بها كما ذكرناه .

واما الصُبَيحيُّون فالخبر عن اوليتهم أنَّ جدهم حسان من قبيلة صبيح ، من أفاريق سويد ، جاء مع عبد الله بن كندوز الكمي من بني عبد الواد ، حين جاء من تونس وافداً على السلطان يعقوب بن عبد الحق ولقيه بتنجداع كما مر . وكان حسان من رعاة ابله . فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش ، واقطعه السلطان يعقوب في اعمالها ، وكان الظهر الذي يحمل عليه السلطان مفترقاً في شاوية المغرب ، فجمعه وجعله لنظر عبد الله بن كندوز ، فجمع له الرعاة ، وكبيرهم يومئذ حسان الصبيحي ، فكان يباشر السلطان في شان ذلك

الظهر ويطالعه في مهماته ؛ فحصلت له بذلك مداخلة واجتلبت اليه الحظ ، حتى ارتفع واثرى وكبر . ونشأ ولده في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات فيها . وانفردوا بالشاوية ؛ فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد ، الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات . وكان لحسان من ولد علي ويعقوب وطلحة غيرهم . ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده ، وهم لهذا العهد متصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الابل ، ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة . والله أعلم .

الانتقاض الثاني بين صاحب فاس وصاحب مراكش ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره، ثم عودهما الى الصلح

ولما رجع السلطان الى فاس على ما استقر من الصلح ، وطلب الامير عبد الرحمن ان يدخل عمالة صنهاجة ودكالة في اعماله . وكتب السلطان إلى الحسن بن يحيى عامل أزمّور وتلك العمالة ، بان يتوجه اليه ويسدّ المذاهب دونه في ذلك . وكان الحسن بن يحيى مضطغناً على الدولة . فلما وصل اليه داخله في الخلاف وان يملكه تلك العمالة ؛ فازداد الامير عبد الرحمن بذلك قوة على امره . وتعلل على صاحب

فاس بان يكون الحدود بين الدولتين وادي أم ربيع . وأستمر صاحب فاس على الاباية من ذلك ؛ فنهض الامير عبد الرحمن من مراكش . ودخل الحسن بن يحيى في طاعته ؛ فملكها وبعث مولاه منصوراً في العساكر الى أنفٍ[1] ؛ فاستولى عليهاوصادر اعيانها وقاضيها وواليها وبلغ الخبر الى السلطان ؛ فنهض من فاس في عساكره . وانتهى الى سلا ، فهرب منصور من انف وتركها . ولحق بمولاه عبد الرحمن ، فاجفل من ازمور الى مراكش ، والسلطان في اثره ، حتى انتهى الى قنطرة الوادي ، على غلوة من البلد ، واقام خمسة اشهر يحاصرها . واتصل الخبر بالسلطان ابن الاحمر صاحب الاندلس ، فبعث خالصته الوزير أبا القاسم ابن الحكيم الرُنْدي ليعقد الصلح بينهما ، فعقده على ان استرهن السلطان اولاد الأمير عبد الرحمن وحافدا أبي الحسن . وانكفأ السلطان راجعاً الى سلا . ولحق به جماعة من جملة الأمير عبد الرحمن ، من بني مرين وغيرهم ، نزعوا عنه ، كان منهم احمد بن محمد ابن يعقوب الصبيحي . ولقى في طريقه مولى الامير عبد الرحمن ، فجاء به مكرهاً الى السلطان . وكان من النازعين أيضاً يعقوب بن

(١) كذا، وفي ب : أنفاء : وفي نسخة : انفي . وذكر ياقوت في معجم البلدان : «انف بلد في شعر هذيل» . ولم يذكر موقعها .

سيد الناس ، كبير بني ونكاسن ، وابو بكر بن رحّو بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ، ومحمد بن مسعود الادريسي ، وزيّان بن علي بن عمر الوطاسي ، وغيرهم من المشاهير . وقدموا على السلطان بسلا فتقبلهم واحسن كرامتهم ، ورحل راجعاً الى فاس . والله اعلم .

دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٣٩٣٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دارُ الكتابِ اللبنانيّ

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقيا: داكتبان - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

IBN KAHLDUN

Volume Thirteen

DAR AL - KITAB AL - MASRI
CAIRO

DAR AL - KITAB AL - LUBNANI
BEIRUT